

(٧)

سلسلة منشورات

جامعة الدراسات الإسلامية

كراتشي - باكستان

دلائل التوثيق المبكر للسنة والحديث

تأليف

امتياز احمد

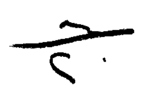
عميد كلية المعارف الإسلامية - بجامعة كراتشي

نقله إلى العربية

عبد المعطي أمين قلعجي







(٧)

سلسلة منشــورات
جامعة الدراسات الإسلامية
كراتشي ـ باكســتان



دلائل التوثيق المبكر للسنة والحديث

تأليف
امتياز احمد
عميد كلية المعارف الإسلامية - بجامعة كراتشي

نقله إلى العربية
عبد المعطي أمين قلعجي

هذا الكتاب ترجمة للبحث :

THE SIGNIFICANCE OF SUNNA AND HADITH AND THEIR EARLY DOCUMENTATIN

الذي قدمه المؤلف إلى جامعة Edinburgh ، ونال عنه درجة في الفلسفة » عام ١٩٧٤

الطبعة الأولى

القاهرة رجب ١٤١٠ هـ - شباط ١٩٩٠

توزيع



دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع - المنصورة ش.م.م

الإدارة والمطابع : المنصورة ش الإمام محمد عبده المواجه لكلية الآداب

ت ٣٤٢٧٧٢١ / ٣٥٦٢٢٠ / ٣٥٦٢٣٠

المكتبة : أمام كلية الطب ت ٣٤٧٤٢٣ ص . ب ٢٣٠ تلكس DWFA UN 24004

بسم الله الرحمن الرحيم

بين يدي الكتاب

كَثيرةٌ هي الكتبُ المُؤلَّفةُ حديثاً في علمِ الحديث ، أو تَدْوينِ هذا الحديث ، وَقَد اتَّخَذَتْ أَسْماءً عديدة ، ومُسَمَّيات مُختلفَة ، ولا تَعْدو في جَوْهَرِها أَنْ تَكُونَ نُقُولاً ، أَوْ ملَخصَات مِنَ كُتبِ القُدامى في هذا الفَنِّ .

فماذا يُقَدِّمُ هذا الكتاب من جَديد ؟!

يُقَدِّمُ هذا الكتاب الدلائلَ الكثيرة المُنَسَّقَة على أنَّ كتَابَةَ الأحاديث النَّبَوِيَّةَ الشريفة بَدَأت مُنْذُ وَقْتٍ مُبَكِّرٍ ، وفي حَيَاةِ النبي ﷺ ، واستَمَرَّتْ إلى أن دُوِّنَتْ في مجموعاتٍ ، ثم صِيغَتْ في كتبٍ هي التي بين أيْدينا الآن ، ولكن كَيْفَ كَانَ ذَلك ؟!

لقد غَاصَ المؤلف في أعماقِ المصادرِ الحديثية ، ومَكَثَ يَبْحَثُ ، وينسِّقُ النُّصوصَ ، ويقارن ، ويستنتج - على مقتضى الأقيسة الصحيحة للبحث العلمي أَرْوَعَ النتائج ، ويَصل إلى الحقائقِ العلمية التي تَتَعَلَّقُ بكتابة الأحاديثِ في وَقْتٍ مُبَكِّرٍ من الدَّعْوةِ الإسلامية ، ومِنْ آلافِ النُّصوصِ المبَعْثَرَةِ في مئاتِ المصادرِ خلص إلى النتائجِ بالبراهينِ الساطعة ، والحجج القوية ، موضحاً الصورة الكاملَةَ لتطوِّرِ كتابة الحديث ، وبعمقٍ شديد في تاريخ هذا التدوينِ للحديث النبويِّ الشريف ، وأَنَّهُ قَدْ بَدَأَ منذ العَهْدِ النَّبَوِيِّ الأول ، ودَحَضَ الشُّكُوكَ والشبهات التي أثارَها الكُتّاب حَوْلَ السُّنَّة النبويَّة في الشرقِ والغرب ، بسبَبِ جَهْلِهِم من ناحيةٍ ، وسوءِ فَهْمِهم من ناحيةٍ أُخرى .

وأحمدُ الله أن وَفَّقَني لتقديمِ هذا البَحْثِ النَّفيسِ في ثَوْبِه العربيِّ للأمة الإسلامية بَعْدَ أَنْ تَطَلَّبَ جهداً كبيراً في نَقْلِهِ فَقْرَةً فقرة ، وكلمةً كلمةً ، واسْتَلْزَمَ

مُراجَعَة الكثيرِ من النُّصوصِ التي ازْدَحَمَ بها الكِتابُ وَنَقَلَها المؤلف إلى الإنجليزية ، وذلك لإعادَةِ كتابَتِها بِنَصِّها الأصلي كما وردت بتلك المصادر ، ومراجعة تلك النصوص ، ناهيكَ عن إعادة صياغة الحواشي التي كانَ المؤلف قَدْ ذكَرَها مختصرةً بحروفٍ لاتينية ، والتعليق على بَعْضِ النصوص لتوضيحها ، ثم ترتيب فهرس المصادر والمراجع ، وفهرس محتوى الكتاب .

لقد كانت رغبةً كريمةً من الأستاذ الدكتور « عبد الجواد خلف » مؤسس ورئيس جامعة الدراسات الإسلامية - بكراتشي الذي شَعَرَ بحسّه المُرْهَف ، وإلهامِهِ العلمي ، وحُسْنِ تَوْفِيقِهِ حَاجَةَ المسلم المعاصر لدراسة هذا البَحْثِ العلميِّ الممتاز حَوْلَ التدوين المبكر الموثق للسنة النبوية المصدر الثاني للتشريع ، فلانملك جميعاً إلا الإقْرار بفضْلِه ، والدعاء له كلما أَصْبَحْنا وأمسينا ، وهو صديقٌ صدوقٌ ، وعَلَمٌ من أعْلَامِ النَّهْضَةِ الإسلامية المعاصرة ، لا تَنامُ صداقته عن أصحابه ، ولا تَغْفُل مروءته عن غير أصحابه ، غَنيٌّ عن كل لقب بمكارمِ أخْلاقِهِ وسماحة شِيمِهِ ، يَزْدادُ جَوْهَرُه مع تقدم الأيام سَناءً وسَناً .

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

وكتبه / عبد المعطي أمين قلعجي .

في القاهرة - مدينة نصر - ٨ ش يوسف عباس

هاتف ٢٦٠٨١١٩

في عاشر جمادى الآخره ١٤١٠ هـ

وثامن كانون الثاني ١٩٩٠ .

الإهـــداء

إلى أمـي

شُكر وامتنَانً ..

أود أن أعبر عن عميق شكري وامتناني للمشرف على رسالتي الأستاذ / وليم مونتجمريَ وات » لتوجيهاته القيمة وتشجيعه الدائم لي أثناء إعداد هذه الرسَالة ..

واننى لمدين للمسئولين بجامعة « كراتشي - باكستان .. لمنحهم لي إجازة بأجر للقيام بهذا البحث في جامعة أدنبره باسكتلندا ..

وأتوجه بالشكر أيضاً إلى المسئولين عن مكتبة جامعة أدنبرة بصفة عامة وعن المكتبة الخاصة بقسم « LOAN » بصفة خاصة لخدماتهم الجليلة ..

وأشكر صديقي السعودي « عبد الرحمن الحفيظ » لا لإعارته الكتب لي فحسب بل لإعطائي « ميكروفيلم » للمخطوطات الهامة التي يملكها ..

وأشكر بصفة خاصة زوجتي السيدة / « رخسانة امتياز » لتعاونها الصادق وتفهمها الواعي على مدار الثلاث سنوات الماضية ..

وأتوجه بالشكر أيضاً إلى الآنسة « I . CRAWFORD » سكرتيرة قسم الدراسات الإسلامية والعربية لتعاونها البناء خلال تلك الفترة ..

وأتوجه بشكري أيضاً إلى الآنسة « P . BeNNett » لكتابتها لرسالتي بدقة وصبر ...

وفي النهاية أود أن أسجل أنني مدين بالكثير لوالدي المرحوم الدكتور محمد رضا الذي شجعني على تعلم الحديث ، وعلى أن أتخذه مجالاً لدراستي ..

امتياز أحمد

مقدمة

إنَّ السُّنَّةَ النبوية ومعينها الذي لا ينضب والمتمثل في « **الحديث** » الذي يعد مصدراً ثانياً لا غنى عنه في التشريع الإسلامي تشغل حيزاً هاماً في النظام الديني للإسلام .

وعلى الرغم من أن كلا من السنة والحديث تشيران بصفة عامة إلى تعاليم النبي ﷺ فهما يبدوان مصطلحين مترادفيْن ، على الرغم من تباين دلالتهما الأدبية والاصطلاحية . وهما يحملان معانٍ مختلفة ، وتبين دراسة علم دلالة الألفاظ بالنسبة لهذه المصطلحات { الفصلان الأول والثاني } أنه في البداية كان هناك عدم ثبات في دلالتهما الفنية ، وفي فترة من الفترات استخدما كمصطلحين قابلين للتبادل ، وفي فترات أخرى حملا معان مختلفة، وبمرور الأيام اكتسبا معان ثابتة وتم تعريفهما تعريفا محدداً وأصبح لكل مصطلح خاصية تميزه .

وقد خَصَّصَ المؤلف الجزء الأول من هذه الدراسة { دراسة مقارنة في الفصل الأول والثاني } للمصطلحين ، وخصص الفصل الأول لدراسة أصل المصطلح ، تاريخ تطور مفهوم مصطلح السنة ، ومعانيه المختلفة ، ودراسة فاحصة للسنن ، مثل سنة القبيلة ، السنة الإلهية ، السنة النبوية ، السنة المحلية ، السنة الإسلامية ، السنة الشرعية وكافة هذه السنن تم مناقشتها وتمحيصها .

وخصص الفصل الثاني للبحث في علم دلالة الألفاظ بالنسبة للحديث . ومحاولته هذه تم توضيحها من خلال صور توضيحية كثيرة تبين أن السنة

والحديث تم استخدامها بمعانٍ متعددة في فجر الإسلام ، وفي هذا المجال فقد تم مناقشة كثير من المصطلحات الأخرى مثل .. العلم ، والأثر ، والحكم ، والخبر لتوضيح مدى بعدها عن الحديث ، أوصلتها به ، وبالتالي تداخلها مع مصطلح الحديث .

والأهم من تحليل الأصول اللفظية لمصطلحيْ الحديث والسنة ، الاستفسار عن الحِفاظ عليهما في شكل مكتوب في الحقبة الإسلامية الأولى ، فعلى الرغم من أن الاعتقاد الغالب بأن سنن النبيّ ﷺ كانت تُحفظ بالذاكرة في فجر الإسلام ، فإنّ القضية التي لا تزال قابلة للمناقشة هي ما إذا كان « **الحديث** » في هذه الفترة قد تم تسجيل صحيحه وضعيفه ، ولأهمية هذه القضية فقد خصص المؤلف الجزء الثاني من هذه الدراسة لمناقشة ذلك .

إن هذا الجزء يبدأ بمناقشة وضع الكتابة عموماً قبل الإسلام ، وفي فجر الإسلام ثم يعرج إلى مسألة كتابة الحديث بصفة خاصة وفي هذا المعنى ، فإنّ كثيراً من التقارير المتضاربة المنسوبة إلى النبي ﷺ فيما يتعلق بالنهي أو الرخصة بتدوين الحديث ، قد تمت مراجعتها بعناية وتم فحصها بموضوعية { الفصل الثالث } وأتبع هذا بمناقشة عن الغرض من وراء تأخير تسجيل الحديث ، ولهذا الغرض خَصَّصَ المؤلف فصلاً كاملاً .

وفي هذا الإطار فإن كثيراً من المصطلحات الفنية مثل « تدوين » ، « تصنيف » ، « أخبرنا » ، « حدثنا » ، « عن » ...... إلخ ، وكثيراً من البيانات عن أحاديث فجر الإسلام ، والتي كانت عُرْضَةً لتفسيرات مختلفة والتي كانت مسئولة عن أسباب نظرية تأخر تدوين الحديث قد تمت مناقشتها مناقشة عادلة ومفصلة في (الفصل الرابع) .

وبناءاً على النتائج التي توصلنا إليها في الفصلين الثالث ، والرابع فقد

جرت محاولة للتحقق من الفترة التي بدأت منها أحاديث النبي ﷺ من تسجيل في صحف وفي مجموعات .

وفي الواقع أنه في حالة عدم توافر سجلات مكتوبة موثقة للفترة الأولى من الإسلام ، والتي ترجع إلى عوامل طبيعية مختلفة ، لأسباب أخرى لا يمكن أن تعيش حتى يومنا هذا ، فمن الصعب جداً أن نقول بثقة ما إذا كانت الأحاديث قد تم حفظها في فجر الإسلام أم لا ، والمصدر الوحيد المتوفر والذي يمكن من خلاله الحصول على هذه المعلومات هي التقارير والتي بدورها يمكن الحصول عليها من المصادر الأولية التي تشير إلى سجلات مكتوبة في هذه الفترة ، وبهذه الطريقة فإنَّ الشهادة بوجود هذه المجموعة من الأحاديث النبوية المكتوبة في الفترة الأولى من الإسلام ليست في كل الأحوال سجلات لأحاديث مكتوبة بأصولها ، ولكنها تقارير عن هذه السجلات ، ومع هذا فإنَّ معظم هذه التقارير ثبت صدقها ، إما من خلال اكتشاف بعض الوثائق الأولية ، أو دلائل ثانوية أخرى ، وعلى أي حال فإنَّ النظرة المتعمقة في هذا المعين الذي لا ينضب للمصادر الأولى يلقي الضوء على مجموعة من الأحاديث لهذه الفترة التي هي محل دراستنا .

أما بالنسبة للمجموعة المكتوبة والتي يختتم بها هذه الدراسة فقد خصص لها (الفصل الخامس) . وفي حين تكون بؤرة الاهتمام مركزة على الأنشطة الأدبية لعلماء الحديث الأوائل ، فإن مقدمة هذا الفصل اهتمت بمعاني واستخدامات الأوعية المختلفة للحديث مثل « الكتاب » ، « النسخة » « الجزء » .... إلخ .

وفي تناولنا لهذه السجلات المبدئية فنحن نقتصر على الفترة التي تبدأ من عصر الرسول ﷺ حتى عصر الزهري (م = ١٢٤) وما تلاها مباشرة . أما السبب وراء اختيارنا العشوائي للنشاط الأدبي لعلماء الحديث حتى

عصر الزهري فذلك لأن فترة ما بعد الزهري معروفة معرفة جيدة . إن التسجيلات الوحيدة المكتوبة للقرن الأول بعد الهجرة هي التي لا تزال غامضة ، ومن ثَمَّ فهي في حاجة إلى تحقيق وبحث .

وفي النهاية ، يجب أن نشير إلى أنَّ قائمة العلماء التي ذكرت مجموعة أحاديثهم في الفصل الأخير هم إلى حد ما مجموعة مختارة ولا تشمل كل العلماء .



القسم الأول
دلالة السنة والحديث

الفصل الأول : دلالات السُّنَّة

١ - الدلالة اللفظية لكلمة « سُنَّة »

٢ - معنى السُّنَّة

أ - المعنى العملي إجمالاً أو الممارسة العملية بصفة عامة

ب - القوانين العرفية

جـ - البدعة

٣ - أنواع السُّنَّة

أ - سُنَّة القبيلة

ب - سُنَّة الله

جـ - سنة النبي

د - السنة المحلية

هـ - سنة المجتمع والسنة الإسلامية

و - السنة التشريعية

الفصل الثاني : دراسة دلالات لفظ الحديث

١ - المعنى الحرفي للحديث

أ- جديد أو حديث

ب - الحديث أو فن السرد
٢ - المعنى الاصطلاحي للحديث
٣ - العلاقة بين الحديث والسنة
٤ - مفهوم العلم في علاقته بالحديث
أ - المعرفة بصفة عامة
ب - المعرفة التاريخية
جـ - المعرفة الدينية والشرعية
د - العلم يعني الحديث
٥ - الأثر والحديث
٦ - الحكمة والحديث
٧ - الفقه والحديث
٨ - المصطلحات الأخرى المتعلقة بالحديث
أ - الخبر
ب - الرأي
جـ - المثل

القسم الأول

دلالة السنة والحديث

« تمهيد »

إذا استعرضنا تاريخ الأدب الإسلامي بمفهومة الواسع فسنجد أن المرءَ غالبا ما يخلط بين مصطلحي : السنة ، والحديث . ورغم أن هذين المصطلحين قد اكتسبا حاليا معنى ثابتاً ، وحُدِّدَ معناهما تحديداً واضحا . إلا أنه في الفترة الأولى من الإسلام كان هناك خللاً في ثبات دلالاتهما الفنية .

وفي هذا الفصل جرت محاولة للتوضيح بضرب عدد من الأمثلة من المصادر الأولية من فجر الإسلام والتي أوضحت أن كلا من الحديث والسنة استخدما بمعانٍ متعددة ، وكمصطلحات قابلة للتبادل . وفي حين أن محاولة التحليل اللفظي لكلمة السنة والحديث،وذلك في فصلين منفصلين قد تم بحثها إلا أن هناك مصطلحات أخرى منوعة مثل « المتن » و «الأثر » و « الحكمة » و « الخبر » قد تم بحثها أيضا لأرى مدى ارتباطها بالسنة والحديث ، وتم مناقشـة أنواع مختلفة من السـنن في هذا الجـزء مثل : « سنة القبيلة » « والسنة الإلهية » « والسنة النبوية » و « السنة المحلية » وما إلى ذلك .

* * *

١ - الفصل الأول : دلالات السنة

الدلالة اللفظية لكلمة سنة

١ - أهمية دراسة تاريخ تطور كلمة « السنة »

على المستوى الصرفي فكلمة « سنة » مشتقة من الأصل « س ، ن ، ن » ، وتعني : الشحذ أو السنّ ، مثل سَنّ المدية ، أو الرمح » [١] ولهذا فالشاعر الجاهلي « بشامة بن الغدير » [٢] وصف سيفه بهذه الكلمات :

وبقاءِ مطرورٍ تَخَيَّرَهُ صَنَعٌ لطول السَّنّ والوقع [٣]

فقدرة احتمال النصل الذي اختاره حداد ماهر بعد شحذه وسَنِّه لفترةٍ طويلة [٤] .

---

(١) الجمهرة : (٢ : ٣٤.) .

(٢) هو بشامة بن الغدير ، والغدير هو عمرو بن هلال بن سهم بن مرة بن عوف بن سعد بن ذبيان بن بغيض بن ريث بن غطفان . شاعر محسن مقدم ، وهو خال زهير بن أبي سلمي . ولد مقعداً ولا ولد له ، وكان مكثراً من المال ، فلما حضره الموت جعل يقسم ماله في أهل بيته وبنى إخوته ، فأتاه زهير فقال : يا خالاه ، لو قسمت لي من مالك ! فقال : والله يابن أختي لقد قسمت لك أفضل ذلك وأجزله ، فقال : وما هو ؟ قال : شعري ورثتنيه . وكان أحزم الناس رأياً ، كانت غطفان تستشيره إذا أرادت الغزو . وفي نسبه خلاف ، ذكرنا أرجح ما قيل فيه . وعن هذا الخلاف يهم كثير من العلماء . فيظنون أن بشامة بن الغدير غير بشامة بن عمرو ، يفرقون بينهما ، وهما عند التحقيق واحد . وأخوه أسعد بن الغدير له ذكر في الشعر والشعراء لابن قتيبة بتحقيق أحمد محمد شاكر ص ٩٢ (المترجم) .

(٣) المفضليات تحقيق أحمد شاكر صفحة (٤.٧) ، وقد وصف الشاعر سيفه المطرور = المحدد : عني به السيف . أي : وبالتي لها بقاء مطرور ، تبقي على الكد والسير (المترجم) .

(٤) المفضليات (٢ : ٣٤٤) .

ومن هذا المنطلق فالمعنى الاشتقاقي الشفهي لكلمة سَنَّ يعني : « صَوَّر » بمعنى تصميم شيء أو إنتاجه كنموذج ولهذا فـ « سَنَّ الطين تعني : « شكل من الصلصال في إناءٍ خزفيٍّ (١) .

وكما هو واضح من الأمثلة السابقة ، فالسنن تحمل معنى خلق شيئٍ وإبداعه أو عرض ممارسة جديدة ؛ فمثلاً إنَّ الشكل اللفظي لكلمة سَنَّ في جملة = (هو أول من سَنَّ الرحلتين) (٢) تشير إلى تقدم هشام(٣) (لأول مرة) على القوافل التجارية السنوية والتي تتم واحدة في الشتاء ، وأخرى في الصيف .

ولكي نأخذ مثالا آخر فالشاعر نُصَيْب (٤) يقول :

كأنــي سَــنَـنْـتُ الحــبَّ أول عاشــقٍ
من النَّاسِ إذ أُحْبَبْتُ من بينهم وَحْدي

---

(١) السيرة (٨٧) ، اللطائف (٢) .

(٢) لسان العرب : (١٧ / ٩١ .

(٣) هو هاشم بن عبد مناف بن قصى بن كلاب بن مرة : أحد من انتهت إليهم السيادة في الجاهلية ؛ ومن بنيه : النبي ﷺ ، كان اسمه عمرو ، وغلب عليه لقبه « هاشم » لأنه أول من هشم الثريد لقومه بمكة في إحدى المجاعات ، وهو أول من سنَّ الرحلتين لقريش ، للتجارة : رحلة الشتاء إلى اليمن والحبشة ، ورحلة الصيف إلى غزة وبلاد الشام ، وربما بلغ أنقرة . (المترجم) .

(٤) هو الشاعر نُصيب بن رباح ، أبو محجن مولي عبد العزيز بن مروان ، شاعر فحل مقدم في النسيب والمدائح ، له سيرة ذائعة ، وأخبار مع عبد العزيز بن مروان ، وسـليمان بن عبد الملك والفرزدق وغيرهم . أرخه ابن تغـري بردي في وفيات سـنة (١٠٨) . (المترجم) .

يقصد أنه من بين كافة البشر يبدو أنني أول محب ، ولم يُقدم شخص آخر سواي على إقامة مدرسة للحب بينهم .

فالفعل « سَنَّ » يحمل معنى الاستمرارية ، ويعني العمل المتواصل ولهذا فالتعبيران : سَنَنْتُ الماء على وجهي [(١)] ، وسَنَنْتُ الترابَ على وَجْه الأرض [(٢)] يعني أساساً : ظَلَلْتُ أُصُبُّ الماءَ على وجهي ، واستمر الغبار يسقط على وجه الأرض .

ولنورد مثالاً آخر من الشعر الجاهلي ، فالشاعر بشربن أبي خازم [(٣)] » يثني على جمال محبوبته ويقول :

وأبْـلَـجَ مُـشْـرِقَ الخَدَّيْن فَخْمٍ   يُسَنُّ على مَراغِمِهِ القَسَامُ [(٤)]

وهذا يعني أن محبوبته لها وجه جميل مشرق ، وخدود ملساء ، وأنف أنيق وحولها شعاع من الجمال أشبه برخات المطر .

ويلاحظ أن الشاعر في هذه الأبيات يستخدم الفعل سَنَّ بمفهوم الاستمرارية ، ويقول : بأن الجمال لا يزال يغدق على محبوبته .

---

(١) ومنه في حديث بول الأعرابي في المسجد : « فدعا بدلو من ماء فسنَّه عليه » أي : فصبَّه (المترجم) .

(٢) في حديث عمرو بن العاص عند موته : « فسنُّوا عليَّ التراب سنّاً » أي ضعوه وضعاً سهلاً . (المترجم) .

(٣) بشر بن أبي خازم الأسدي : شاعر جاهلي فحل ، من الشجعان = من أهل نجد ، له قصائد في الفخر والحماسة . خزانة البغدادي (٢ " ١٣٥) و (٣ : ٤٣) ، والشعر والشعراء (٨٦) ، وأمالي المرتضي (٢ : ١١٤) . (المترجم) .

(٤) وأبلج = أي بوجه أبلج وهو الواضح الحسن . الفخم = المكسو من اللحم . يسنّ = يصب ، المراغم = الأنف وما حولها . القَسَام = الحُسن .

والبيت من قصيدة في المفضليات تحقيق أحمد شاكر ص (٣٣٤) . (المترجم) .

ولهذا نرى أن أصل كلمة « سنة » تحمل دلالتين أساسيتين :

(الأولى) : بمعنى تقديم أو صياغته شيء جديد . كنموذج .

(الثاني) يحمل معنى الاستمرارية في الفعل .

وانطلاقا من هذه القواعد فمن الممكن أن نعرفه بأنه عادة أو ممارسة تتخذ مثالاً يُحتْذى به [١] .

وهذه الدلالة تحمل عنصراً من عناصر السلوك والأخلاق الإنسانية ، وفي هذا المعنى يقول بشامة بن الغدير :

وبَدَأتُمْ للنّاسِ سُـنَّتَها   وقَعَدْتُم للريحِ في رَجْعِ [٢]

والمعنى أنه يضرب مثلا للرجال بأنه بسلوكك في التعامل مع الآخرين والجلوس في مكان فربما يتغير الريح .

واستخدم شاعر جاهلي آخر يسمى « المتلمس » [٣] وهو خال (طَرَفَة) [٤] كلمة سنة بنفس المعنى . وقال :

ليُرثى بعدي سُنَّةٌ يُقْتَدى بها .

---

(١) المفردات : (٢٤٥) .

(٢) في رجَع = أي فيما يرجع عليكم عيبه ، والبيت في المفضليات ص (٤.٨) ط . دار المعارف . (المترجم) .

(٣) واسمه جرير بن عبد العزّى = شاعر جاهلي من أهل البحرين ، وهو خال طرفة ابن العبد . (المترجم) .

(٤) طرفة بن العبد بن سفيان بن سعد البكري الوائلي أحد شعراء المعلقات قتل شاباً . (المترجم) .

والمعنى أنه بعد أن يترك الدنيا فقد ترك سُنَّةً يُحتذى بها وتؤخذ كنموذج يمكن تقليده [(١)] .

وهذه الكلمة بالمعنى السابق وجدت في مادة الحديث أيضا ، فيقال كمثال « لن يوجد نَبِيٌّ مرةً أخرى ولكن النبي كان له حوارييه الذين يعملون طبقا لسنته ومسلكه [(٢)] ، واستخدم النبي تعبير « سنة أهل الكتاب » للإشارة إلى ممارسةٍ قام بها مع احترامه لأهل الكتاب ، ناصحاً أصحابه بكيفية التعامل مع أهل الكتاب .

ونُقلَ عنه قوله :"سنّوا لهم سُنَّةَ أهل الكتاب » [(٣)] .

ومعنى هذا أن يتكيَّف مع أهل الكتاب السابقين ، وهذا التصرف يعني توفير الأمان للعباد من أهل الكتاب بعد دفع الجزية .

والفعل « سَنَّ » له دلالة أخرى بمعنى « التحديد والثبات" وهو بهذا المعنى مساوٍ لكلمة فريضة ، أو الفرض .

وخير مثال على هذا عندما تقدم يزيد بن عبد الملك لخالد بن المطرف بطلب أخته للزواج ، قال له : إن { أبي قد سن } لزواجها عشرين ألف

---

(١) فجر الإسلام ، ص (١٦٠) .

(٢) المسند : (٤ : ١٧٦ ، ١٨٧) .

(٣) من حديث أنَّ عُمَرَ بْنَ الخَطَّاب ذَكَرَ المَجُوسَ ، فَقَالَ : مَا أَدْرِي كَيْفَ أَصْنَعُ فِي أَمْرِهِمْ . فَقَالَ عَبْدُ الرَّحْمنِ بْنُ عَوْفٍ : أَشْهَدُ لَسَمِعْتُ رَسُولَ اللّهِ ﷺ يَقُولَ « سُنُّوا بِهِمْ سُنَّةَ أَهْلِ الكِتَابِ » . (المترجم) .

موطأ مالك (١ : ٢٧٨) ، في الزكاة ، الأموال (٣٢) ، الخراج (١٥٥) ، السيرة (٨٤٤) (طبعة وستنفلد) ، تهذيب الأسماء واللغات (٢ : ١٥٦ - ١٥٧) .

دينار { كهدية زفاف } فإذا أعطيتني هذا المبلغ سأوافق لطلبك وأزوجك أختي [١] .

ونرى أن الفعل « سَنّ » فيما نقلنا سابقاً ، قد استخدم بمعنى « فرض » ، أو « أفرض » والذي يعني الثبات والتحديد .

ومثال آخر للفعل « سَنّ » بمعنى « أفرض » قَرَّر = الذي تأثر فيه عمر للغاية بالأداء العظيم لجنوده ، ويقال : إنَّهُ حَدَّدَ ، أو سَنَّ لهم مكافأةً قدرها ألفا دينار [٢] .

وكما نرى بوضوح فإن المعنى الشخصى للفعل « سَنّ » في المثالين السابقين يعني « فرض » أو « فريضة » والتي تعني حدود .

والاشتقاق الآخر لمصطلح السنة هو « سَنَن » أو « سُنَن » أو « سِنَن » يعنى طريقة في الحياة ولهذا فتعبير : تَنَحَّ عن سَنَنِ الطريق [٣] تعنى تجنب وسط الطريق ، ونحن نلاحظ في هذا المعنى أيضا أن الدلالة الحقيقية للاستمرارية مُتَضَمَّنَةٌ في هذا المعنى = وهي تعني : سر بعيداً عن وسط الطريق [٤] ، ونلمس معنى الاستمرارية للسير المتواصل على قطعة بعينها من الأرض من جانب السائرين . وهذا التشابه في الدلالة الأصليه جعل

---

(١) فجر الإسلام (١٥٢) .

(٢) تاريخ الطبري . ط أورية (٢٥٦٤) .

(٣) مختار الصحاح (٣١٧) ، السيرة (٨٤٤) ، تهذيب الأسماء واللغات (٢ : ١٥٦ - ١٥٧) .

(٤) كنز الحفاظ لابن السكيت (٤٧١) ، لسان العرب (١٧ : ٩٠) ، المغازي (٣٣٣) .

كلمة « سنة » مرادفة لكلمة « طريق » ، أو طريقة » بمعنى الطريق واستخدم الشاعر « أُفْنُون » [1] هذا المعنى عندما قال :

لما فَدَوْا بـأخـيـهـمْ مِنْ مُهَوِّلَةٍ
أخا السَّكونِ ولا جَارُوا على السُّنَنِ [2]

ومعنى هذا أنهم لن يفدوه بأخيهم من الخطر المهدد له عندما يقول : « السَّكون » ولن يسلكوا بالسنة له من الطريق الممهد ، ووفقا لهذا المعنى المتأجل للطريق [3] .

فالسنة أحيانا تعرف بأنها « الطريق القويم ، أو الطريق المسلوكة ، أو الطريق المعبدة » بمعنى الطريق الممهدة [4] .

---

(١) هو صريم بن معشر بن ذهل بن تيم بن عمرو بن مالك بن حبيب بن عمرو بن غنم بن تغلب بن وائل . شاعر جاهلي مشهور ، لقبه « أفنون » بضم الهمزة ، وهو « واحد الأفانين ، وقال قوم بل هو جمع فن ، والجمع أفانين وأفنون » . قاله ابن دريد في الاشتقاق ٢٠٣ وقال في الجمهرة (١ : ١٨) « جمع فن أفنان ويقال أفنون والجمع أفانين » . وحكى صاحب الخزانة (٤ : ٤٦٠) جواز فتح الهمزة ، ولم نجد ما يؤيده . ولقب بذلك لقوله في بيت « إن للشبان أفنرناً » . وهو القائل في مقتل عمرو بن هند لما قتله عمرو بن كلثوم التغلبي :

لعمرك ما عمرو بن هند وقد دعـا ... لتـخـدم ليـلـي أمـه بمـوفـق
فقام ابن كلقوم إلى السيف مصلتاً ... وأمـسـك من ندمـانه بالمخنق

وانظر الشعراء ١١٩ ، ٢٤٩ ، والنقائض ٨٨٦ ، وابن الأثير ١ : ٢٢٦ . وهذان البيتان ذكرهما الجاحظ في الحيوان ٣ : ١٣٥ ضمن ٥ أبيات ، نسبها لجابر بن حني التغلبي . وأخطأ الآمدي في المؤتلف ١٥١ فسماه « ظالم بن معشر » وأخطأ البحتري في حماسته ١٦٣ والجاحظ في البيان ١ : ٢٢ فسمياه« أفنون بن صريم ».(المترجم)

(٢) بأخيهم : أراد نفسه ، والباء للبدل ، من مهولة : من أجل مصيبة هائلة . أخا السكون : رجل من السكون كان أسيراً عند قوم أفنون ، والسكون ، بفتح السين : قبيلة من كندة باليمن ، بالغ في ذكر تبرئهم منه وجفائهم له .
والبيت في المفضليات ص (٢٦٢) طبعة دار المعارف . (المترجم)

(٣) قوت القلوب . للمكي (٤ : ٣) .

(٤) تاريخ فنون الحديث للخولي ص (٣ - ٤) .

أما المرحلة الثانية في تطور معنى السنة فهو اتساع دلالة اللفظ بالنسبة لسلوك الإنسان ، ووفقا لهذا المعنى فهو يعني « طريقة التصرف » وأصبح مرادفا لكلمة « السيرة » وطابق مصطلحا السيرة والسنة ، ويمكن استخدام أحدهما بدلامن الآخر ، وحين ننقل مقطعاً مشهوراً من شعر خالد ابن عتبة الهذلي نجدُ [١] أنّ مؤلفي المعاجم أحلوا لفظ السنة بلفظ السيرة.

والجوهري [٢] ، وابن فارس [٣] ، وابن منظور [٤] كمثال خلطوا بين السنة والسيرة في سطرين من مقطع شعري ، في حين استخدم « الزبيدي » [٥] كلمة السيرة في الشطر الأول ، وكلمة سنة في الثاني .

أما العلماء الغربيون المتميزون فقد ترجموا كلمة سنة بمعنى عادة » [٦] ، « حادثة سابقة مماثلة » [٧] ، « ممارسة » [٨] ، « طريق » [٩] ، « طريقة تصرف » [١٠] ، « إجراء » [١١] ، أو « طريق ممهدة » [١٢] .

---

(١) يأتي ذكره بعد قليل ، ويقال له « عتبة بن زهير » .

(٢) تاج اللغة (٢ : ٣٨٣) .

(٣) معجم مقاييس اللغة (٣ : ٦١) .

(٤) لسان العرب (٦ : ٥٦) .

(٥) في تاج العروس (٩ : ٢٤٤) .

(٦) موير : حياة محمد ودائرة المعارف (١٣ : ٢٥) .

(٧) شاخت : أصل الشريعة الإسلامية .

(٨) مرجليوث : محمد ﷺ .

(٩) روبسون : عالم الإسلام (١٢ : ١ : ٢٤) .

(١٠) شاخت : الأعمال المختارة صفحة ٢٦٨ .

(١١) المصدر السابق .

(١٢) وات Muslim intllectual صفحة ٩١ .

وطبقا لما توافر لنا من براهين وأدلة فإن أفضل معنى للسنة يَبْدو أنَّهُ « طريقة التصرف » أو « السلوك » لأنه عندما نفضل هذا المعنى بجوهره المعلوم فإنه يتضمن لكافة المترادفات المتشابهة مثل « الممارسة » «العادة» ... إلخ .

٢ - معنى السنة :

(أ) - الممارسة العملية بصفة عامة .

إن كلمة السنة في حد ذاتها لا تعني أكثر من ممارسة سواءً . أكانت هذه الممارسة جيدة أو سيئة (١) ، محل قبول أو موضع نفور (٢) ، واستخدام لفظ سنة بهذا المعنى نجده في قول الشاعر الجاهلي خالد بن عتبة الهذلي

فَلاَ تَجْزَعَنْ مِنْ سُنَّةٍ أَنْتَ سِرْتَها فَأَوَّلُ راضٍ سُنَّةً مَنْ يَسيرُهَا (٣)

وهذا المثال يعني أن لا تكن متردداً عن ممارسة ، أنت صاحب المبادرة فيها ، لأنَّ أول شخص يشعر بالسعادة في هذه الممارسة (السنة) هو الشخص الذي يمارسها لأول مرة .

---

(٩) الجمهرة : (٢ : ٣٤٠) .

(١٠) المصباح المنير (١ : ٣١٢) .

(١١) وسبب هذا البيت أنَّ أبا ذؤيب كان يَعْشَق امرأةً اسمها أُمُّ عمرو ، وكان رسوله إليها خالداً ، وهو ابنُ أختٍ له وقيل ابن عمٍّ له ، وكان جميلا ، فعشقَتْه أُمُّ عمرو ، فلما أيقن أبو ذؤيب بغدرِ خالد صرمَها ، فأرسلت تترضّاه فلم يفعلَ ، وقال هذه الأبيات :

تُريدينَ كيما تجمعيني وخالداً وهل يُجمَعُ السَّيفانِ وَيْحَكِ في غمْدِ

أخالدُ ما راعيتَ من ذي قرابةٍ فتحفظني بالغيب أو بعضِ ما تُبدي

دعاكَ إليها مقلتاها وجيدُهَا فَملتَ كما مال المحبُّ على عمدِ =

ونرى من وقت لآخر ذكراً السنن مختلفة مثل « **سنة حسنة** » [(١)] « **سنة الخير** »[(٢)] { الممارسة الجيدة } « **سنه سيئة** » [(٣)] أو « **سنة الشر** » [(٤)] { الممارسة السيئة } .

وعلى أية حال نستخدم كلمة « سنة » بمعنى « يمارس » على وجه العموم . ولهذا فتعبيرات « **سنة عمر** » [(٥)] ، أو « **سنة ابن فلان** »[(٦)] ، **وسنة أبي بكر** » [(٧)] ، تشير إلى ممارسة دينية واجتماعية وسياسية باسم الشخص المذكور .

= فكنتَ كرقراق السَّراب إذا جرى ... لقوم وقدباتَ المطيُّ بهم تَخْدِي

فآليتُ لا أنفكُّ أحدُو قصيدةً ... تكون وإياها بها مَثلاً بعدي

وكان أبو ذؤيب فعَلَ كذلك برجل يقال له مالك بن عُوَيْمِرٍ ، وكان رسولَه إليها .

وجرى بين أبي ذؤيب وبين خالدٍ أشعارٌ مذكورةٌ في أشعار الهذليِّين ، منها قول خالدٍ يجيبه ، قصيدةً على هذا الرويِّ والوزن :

فلا تجزَ عَنْ من سُنَّةٍ أنتَ سِرْتَهَا ... فأوَّلُ راضٍ سُنَّةً من يَسيرُها

من خزانة الأدب (٨ : ٥١٤ - ٥١٥) ، ولسان العرب (٢١٦٩) ط . دار المعارف . (المترجم) .

(١) صحيح مسلم (٤ : ٢٢٣) - كتاب العلم ، ح (٣.٤٩) .

(٢) جامع الترمذي (٥ : ١٤٣) - كتاب العلم .

(٣) صحيح مسلم (٤ : ٢٢٣) - كتاب العلم .

(٤) جامع الترمذي (٥ : ١٤٣) - كتاب العلم .

(٥) الأموال (٥٣٢) ، المسند (٨ : ٧٨) ، جولد تسيهر (دراسات إسلامية) (٢ : ١٢.) .

(٦) مسند الإمام أحمد (٨ : ١٦٩) طبعة شاكر .

(٧) السيوطي - تاريخ الخلفاء (١٥٤) .

وهكذا نجد أن مرجع السنة وضعها أناس صالحون [١] مثل « سنة الشرعيين » [٢] سنة المسلمين عموما [٣] ، وسنة أول خليفتين »[٤] ..إلخ

وبوضع مصطلح سنة عملية الممارسة بصفة عامة ووجد دليل لذلك فيما ذكر في « **العقد الفريد** » ، وفي محاولة لتتبع أصل استخدام صيغة « **بسم الله الرحمن الرحيم** » في الخطابات فقد علق « ابن عبد ربه » على ذلك بقوله إن أول من استخدم البسملة بمعناها الكامل كان النبي ﷺ وبعده أصبحت ممارسة (وسنة) [٥] وأضاف ابن عبد ربه أن « الصحابة والتابعين حذوا حذو الرسول ﷺ « واستمرت هذه الممارسة حتى فترة حكم الوليد بن عبد الملك الذي قام بتغييرها ، واستمر ما عرف باسم « **سنة الوليد** » فترة طويله باستثناء فترة حكم « عمر بن عبد العزيز » و « اليزيد الكامل » اللذين اتبعا سنة النبي ﷺ [٦] .

ونستطيع أن نرى بمالا يدع مجالا للشك في المثال الذي استشهدنا به فيما سبق أن كلمة « **سنة** » تعني الممارسة بصفة عامة .

(ب) القوانين العرفية :

لقد رأينا أن المعنى الحرفي لكلمة « سنة » يشير ضمناً إلى معنى الممارسة بصفة عامة ، بيد أن المعنى المحدد تحديداً دقيقا يمكن أن يساوي ،

(١) الخراج ، ص (٥) .
(٢) الرد على سير الأوزاعي ص (٢٤) .
(٣) تاريخ الطبري . ط أوربة . (١ : ٣١٣٢ ، ٣٢٢٨) .
(٤) المصدر السابق (١ : ٢٩٧٦ ، ٣٠٤٤ ، ٣٢٧٦) ، (٢ : ١٣٩٢) ، والخراج (١٦٤) .
(٥) العقد الفريد (٤ : ٢٤٣)
(٦) المصدر السابق .

أو يعادل القوانين العرفية ، والمقصود بهذه القوانين العرفية مجموعة قوانين غير مكتوبة ، وتقاليد بها نظمت المجتمعات البدائيه حياتها ، ولو طبقنا التعريف القانوني للقانون العرفي ودرسنا بعناية الضرورات الأساسية لمسألة العرف أو العادة سنلاحظ أن « السنة » في عصر ما قبل الإسلام ، وفي فجر الإسلام تتضمن معنى مشابهاً للقانون العرفي .

فالقانون العرفي تم تعريفه على أساس أنه « خلاصة تجربة الأجيال السابقة ، التي نظمت بنجاح حياتها حتى تضمن لحياتها الاستمرارية وتزود المجتمع ذاته بما هو محل قبول أفراده ، وبما هو قابل للممارسة العملية ، وطبقا لهذا التعريف فالقانون العرفي يحتوي على المقوم الجوهري لما يتعلق بشئون الحياة بلغة القانون ، فإنه واحد من سبع مقومات ضرورية لجعل عادة بعينها عادة طيبة ، وأنَّ هذه العادة يجب ممارستها لفترة طويلة لدرجة أن ذاكرة الإنسان تستوعبها وليس العكس [١] ؛ ولهذا فالقوانين العرفية تعد أساسا قوانين قديمة وتقليدية .

إن الاستمرارية ملمح آخر من ملامح القانون العرفي ، فمصطلح « عرف » في حد ذاته يقترح أن نموذجا معينا من السلوك يتبناه شعب معين لفترة طويلة من الزمن ويكشف مكانتة باعتباره عادة .

وملمح آخر من ملامح القانون العرفي أنه قانون معياريٌ بطبيعته فالعادة بالنسبة للرجل البدائي متداخلة بصورة لا تقبل انفصاماً في الدين ، وطبقا لذلك الوضع فالقوانين العرفية يعتقد أنها محل قبول الناس على اعتبار أن القوانين العادية تخلو من عنصر المعيارية .

وفي النهاية فإن القوانين العرفية التي تخلو من خلفية سياسية تمارس نفس الدور الذي يمارسه الدين ، وتتمتع بنفس قوة الرأي العام .

---

(١) دائرة المعارف البريطانية (الطبعة ١٤) ، (٦ : ٩.٤) .

والآن إذا فهمنا كلمة « سنة » كما استخدمت في الأدب الممعن في القدم ، سنلاحظ أنها تتمتع بمعظم خصائص القانون العرفي ، وبالتالي فهي مرادفة له .

وهذا القانون العرفي هو القانون السائد في المجتمع البدوي وهو قانون قديم ، ومستمر ومعياري ، وغير مكتوب ، وله قوة القانون العادي . علاوة على أن السنة أشبه بالقانون العرفي مقارنة بمعناه الواسع بما يشمله هذا القانون من مسائل دينية ، واجتماعية ، وقانونية متنوعة .

ولنأخذ أمثلة محدودة من المصادر المتوفرة لنرى مدى تطابق مصطلح « **السنة** » مع الأشكال المختلفة للقانون العرفي .

رأينا فيما سبق أن مصطلح السنة في حد ذاته كلمة عادية تعني « ممارسة » ولكن في إطارها المحدد تشير إلى طقوس اجتماعية ودينية يمارسها المجتمع ، وهذه السمة واضحة في المثال التالي :

عندما لاحظ يهود الجزيرة العربية أن النبي ﷺ يتجه في صلاته إلى القدس ، علقوا على هذا قائلين « على الرغم من أن محمداً يؤكد على أنه أتى بدين جديد إلا أننا لا نرى أي شيء جديد في نبوته » .

ألم يُصلِ تُجاه قبلتنا وبالتالي يتبع ديننا { يستنُّ بسنتنا } (١) ؟ وفي هذا التقرير أستخدم اليهود كلمة سنة ليصفوا ممارستهم لدينهم .

وكلمة « سنة » تشير أيضا إلى الممارسات الاجتماعية للمجتمع ونقل « ابن سعد » (٢) تقريرا يصف فيه طريقة دفن الموتى ، كتب يقول :

---

(١) النهاية (١ : ٣٢٩) .

(٢) طبقات ابن سعد (١ : ١ : ٢) .

« حينما مات آدم ، حفر الملائكة قبرا ، وصلوا عليه وخاطبوا أولاده : هكذا تكون **سنتكم** إشارة إلى دفن الموتى . وكلمة سنة هنا بمعنى عادة المجتمع من الناحية الاجتماعية .

والممارسات السلوكية والقانونية ، للعرب في الجاهلية تم التعبير عنها بمصطلح سنة ، وعادات الزواج ، والطلاق والعلاقات الأسرية الأخرى كانت جزءاً من التقاليد التي مارسها العرب . وكثير من هذه التفاصيل للقواعد القانونية وجدت في كتاب « المحبر » « لابن حبيب » ، والكاتب أطلق على هذه العادات سنة وذكرها تحت هذا العنوان { **السنن التي كانت الجاهلية سنتها فأبقى الإسلام بعضها وأسقط بعضها** } ولأن المؤلف تحت هذا العنوان يذكر فقط المسائل القانونية فيبدو أن « السنة » استخدمت مشيرة إلى العادات القانونية للمجتمع الوثني .

فمصطلح السنة يشير أيضا إلى الممارسة العامة للمجتمع كما هو واضح في التقرير التالي : عندما مر المسلمون بشجرة خضراء كبيرة سميت باسم وثني ، وكانت تدعي « ذات أنواط » طلبوا من الرسول ﷺ أن يسمى لهم شجرة مثلها أيضاً حتى يتسنى لهم أن يزوروا هذه الشجرة كل عام ، ويعلقوا عليها دروعهم مثل الكفار ، ويذبحوا حيواناتهم ، ويظلوا هناك طوال اليوم .

وعند سماع هذا ، لَفتَ النبي ﷺ انتباههم إلى السورة القرآنية ، وقال : { إنها سنة من كان قبلكم } [٢] بمعنى أن هذه الممارسات والسنن كانت خاصة بمن كان قبلكم [٣] .

---

(١) المحبر : (٣.٩) .

(٢) إشارة إلى الآية ٢٦ من سورة النساء : (يريد الله ليبين لكم ويهديكم سُنن الذين من قبلكم ...) الآية . (المترجم) .

(٣) أخبار مكة (١ : ٧٧) ، ونظرة عامة في تاريخ الفقه الإسلامي لحسن عبد القادر .

وفي هذه المجموعة القانونية أيضا ، وجدت تقارير تبين أن كلمة « سنة » استخدمها الرسول ﷺ ليصف ممارسة المجتمع لعاداته ، فالبخاري كمثال كتب يقول « إنه من بين الثلاث فئات من الناس الذين لعنهم الله هؤلاء الذين يبحثون في الإسلام عن عادات الجاهلية » (مبتغين في الإسلام سنة الجاهلية) [(١)] . فالسنة المستخدمة هنا تشير إلى تراكم عادات المجتمع الوثني .

ومثال آخر يمكن أن نستشهد به من نص وُجِدَ في سيرة « **تاريخ الخلفاء** » يقول هذا النص إن مصر عندما غزاها عمرو بن العاص زار سكانُها عمرا ، وقالوا : إنَّ نيلنا له « عادة » « سنة » بدونها لن يفيض وعن هذه السنة ذكروا له إنه في يوم محدد من كل عام يبحثون عن فتاة عذراء ، ويحصلون على موافقة أبويها ، ثم يخفونها بثوبها وحليها ويلقون بها في النيل . وكتب عمرو إلى عمر بن الخطاب عن هذه العادة ، ورد عليه عمر يلقنه درسا بأن يخبر سكان مصر بأن فيضان النيل لا يملك شيئا يفعله لكي تؤمنوا بهذه العادة الخرافية [(٢)] .

ويحكي لنا الطبري مثالاً آخر حيث تشير كلمة « سنة » إلى العادات التي مارسها الفرس حيث ذكر أنه بعد معركة القادسية كتب سعد بن أبي وقاص إلى الخليفة عمر يقول « لقد أعاننا الله ضد شعب فارس الذي يتبع عادات معينة (سنناً) خاصة بأجدادهم ورجال دينهم [(٣)] .

وذكر ابن هشام الكلبي مصدراً لعادات فتره الجاهلية ، وبعض هذه

---

(١) صحيح البخاري - كتاب الديات (٤ : ٣١٨) .

(٢) تاريخ الخلفاء للسيوطي (١٢٧) .

(٣) تاريخ الطبري . ط أوربة (١ : ٢٣٦٦) .

العادات استمر في عهد الإسلام ، وبعضها اختفى ، والسنة التي ذكرها ابن هشام تشير إلى عادات المجتمع (١) .

وفي ضَوْءِ هذه الأمثلة يمكن أن نقول : إن مصطلح « السنة » في العصور الموغلة في القدم يشير إلى العادات العرفية المختلفة .

(جـ) البدعة :

في معنى أكثر تحديداً نقول : أن كلمة « بدعة » أو « تجديد » استخدمت بمعنى مغاير لكلمة « السنة » ، وعليه ، فأي شيء يدخل الإسلام دون سندٍ من السنة يطلق عليه « بدعة » (١) .

وبدءا من حقبة ما قبل الإسلام حتى العصر الحديث فالبدعة كانت موضع إدانة عموماً . ويقول حسان بن ثابت : « إن البدع من أسوأ الصفات عموما » (٢) ، ويقال إن النبي ﷺ نفسه أدان البدعة ، ومثال ذلك أنه قال في إحدى مواعظه : « من يهد الله فهو المهتد ، ومن يضللْ فلن تجدله وليا مرشداً » (٣) ومما لاشك فيه أن كافة هذه المعلومات الصادقة متضمنة في كتاب الله . وخير مرشد هو محمد ﷺ ، وأسوأ الأشياء جميعها هي البدع . وكل بدعة ضلالة وكل ضلالة تقود إلى جهنم (٤) .

---

(١) الأصنام (١٩ ، ٤٨) .

(٢) السيرة لابن هشام (٩٣.) .

(٣) الآية الكريمة (١٧) في سورة الكهف ، والترجمة الحرفية للنص « من لا يهديه الله فلا هادي له » وليس بحديث ، ولكن رجحنا أنه نقل لمعنى الآية القرآنية الكريمة (المترجم) .

(٤) سنن النسائي (٣ : ١٨٨ - ١٨٩) ، وجامع بيان العلم لابن عبد البر (٢ : ١٨٢) .

وهذا النص في مجمله أو في جزء منه وُجِدَ في مجموع الأحاديث ، ويعد هاما للغاية ، ويفرد الترمذي في جامعة بَاباً مستقلاً للبدعة ، ويورد الأحاديث النبوية الدالة علي كراهيتها [١] ، أما أبو قلابة (م : ١٢٤) فذهب أبعد من ذلك بكثير لدرجة أنه قال « إن من يقدم البدعة فقد خسر حياته » [٢] .

فالبدعة بصفة عامة تعد النقيض لكلمة (سنة) والبدعة والسنة نقيضان متنافران تماماً ، ولكن الدراسة اللغوية لهذين المصطلحين تعطي نتيجة مختلفة [٣] .

وَطبقا لهذه الدراسة فالسنة تخالف المعتقد التقليدى ، وتضاد كلمة بدعة ، ونحن نرى أن الفعل « سنّ » حرفيا يعنى إبداع الفعل . فالنبى ﷺ نفسه استعمل هذه الكلمة بهذا المعنى عندما أشار إلى ممارسة معاذ بقوله : « إنه قد سَنّ لكم معاذ فهكذا فاصنعوا » [٤] .

وتعليقا على هذا الحديث يقول ابن القيم : إن النبى ﷺ بهذا السياق يعني أن عمل معاذ سُنّةً لغيره ، لا لإن النبي ﷺ مارس هذا الفعل ولكن لأنها أوامر الله ونبيه [٥] .

---

(١) جامع الترمذي (٥ : ١٤٣) كتاب العلم حيث بوب بالأخذ بالسنة واجتناب البدعة .

(٢) سنن الدارمي (طبعة المدينة) (١ : ٤٤) .

(٣) سيرة ابن هشام (٩٣٦) ، والاعتصام للشاطبي (١ : ١٨ - ١٩) .

(٤) مسند الإمام أحمد (٥ : ٢٤٦) وقد ورد الحديث فى شأن الصلاة . حيث تأخر معاذ فصلى ما فاته من الصلاة مع الإمام بعد الفراغ ، وكانوا يصلون ما فاتهم أولاً ثم يدخلون مع الإمام . (المترجم) .

(٥) أعلام الموقعين لابن القيم (٢ : ٢٢٨) .

وتعليق ابن القيم هذا لا يناقض حقيقة أنَّ فعل معاذ هو حرفيا التجديد لأنه يتم فعله لأول مرة .

ويبدو ان ابن القيم نفسه استخدم فعل « سَنَّ » بمعنى عمل شيئ جديد لم يعرفه الناس من قبل ثم يُبْدأ بعد ذلك فى ممارسته .

ومحاولته تفسير الحديث فى ضوء السنة التقليدية [أوْ أنَّ السنة الصحيحة في ذلك الوقت هي سنة النبي ﷺ فحسب] والحديث نفسه يوحي بأنَّ التفسير الثانى [المقام على المعنى الحرفي للسنة (١)] كان أيضاً مقبولا . وهذا التفسير جعل السنة مقابلة للبدعة ، على الرغم من محاولة ابن القيم تفسير ذلك تفسيراً مختلفا .

واستخدم « عمر » أيضا الفعل « سَنَّ » بهذا المعنى عندما قال : إن السنة المقبولة والصالحة هي السنة التي سَنَّها - (لأول مرة) - الله ورسوله : « السنة ما سَنَّه الله ورسوله » (٢) .

والكلمة بهذا المعنى السابق وُجدت في نص يتناول فترة القلاقل السياسية في عهد عثمان - رضي الله عنه - ويقال إنه حين كان الخليفة مسجونا في بيته يطالب الناس باستقالته استشار الخليفة عبد الله بن عمر فى هذه المسألة ، ونصح عبد الله عثمان بهذه الكلمات « من وجهة نظرى أنك تسن مثل هذه العادات فى الاسلام » (لا أرى أن تُسَنَّ هذه السنة فى الاسلام) لأنه حينما تصبح المسائل معقدة بين الحاكم وشعبه ، يبدأ

---

(١) لسان العرب (١٧ / ٩٠ .)

(٢) الاعتصام للشاطبى (١ : ٧٤)

الشعب في المطالبة بطرده ولأنَّ الخلافة نظام ديني فيجب عليك ألا تتراجع [1] .

ومن الواضح في هذا البيان أن الصيغة الفعلية من « تسن » مشتقة من الفعل (**سَنَّ**) وتشير إلى تأسيس عادة جديدة فى الاسلام لم تكن موجودة من قبل .

وهناك أيضا أمثلة أوضح من هذا استخدم فيها الفعل « **سَنَّ** » بمعنى مارس عادة جديدة لأول مرة .

أ) - نقل عن الرسول ﷺ قوله « لا تُقْتَلُ نَفْسٌ ظلماً ، إلا كان على ابن آدم الأول كِفْلٌ من دَمِها ، لأنه أول من سَنَّ القتل »[2] .

ب) ويقال إن جبريل هو أول من أنشأ (**سَنَّ**) الصلاة بشكلها الحالى [3] .

ويقال : أن « خبيب بن عدي » هو **أول من سَنَّ تأدية** ركعتين من الصلاة على روح المتوفَي [4] .

ويقال إن عبد المطلب كان أول من **سَنَّ دية النفس بمئة جمل** [5] .

وهذه الأمثلة التى استشهدنا بها توضح أنَّ الفعل سَنَّ والذي اشتُقَّ منه (سنة) يعد مقابلاً لكلمة « بَدَعَ » والمشتق منه بدعة .

---

(١) طبقات ابن سعد (٣ : ١ : ٤٥)

(٢) صحيح البخارى (١ : ٣٢٣) - كتاب الجنائز ، وصحيح مسلم (٩٨:٣) في القسامة .

(٣) مسند الإمام أحمد (٤ : ١٢١)

(٤) السيرة (٦٤١) ، المغازي (٣٤٩)

(٥) طبقات ابن سعد (١ : ١ : ٥٤)

ومما هو جدير بالملاحظة أنه مع أن كلمة « **سنة** » أصبحت مرادفة لكلمة « **بدعة** » في أوضاع بعينها فقد كان ينظر إلى كلمة بدعة بازدراء شديد . وبدءا من حقبة ما قبل الإسلام حتى يومنا هذا كانت البدعة موضع استهجان . كان علينا أن نكافح كما يقول « شاخت » لنقيم « **سنة** » للمجتمع (١) .

والسؤال الذى يتعاود إلي الذهن الآن هو لو أن كل ممارسة أو عادة لشخص ما اعتبرناها بدعه بناءً على التعريف الذي افترضناه فيما سبق أفنعتبر كل قانون جديد أتى به النبي ﷺ بدعة ؟

مما لا ريب فيه أن الأجابة ستكون بالاثبات !!

فكافة العادات التي أدخلها النبي ﷺ كانت تعد في الواقع تجديداً في المراحل الأولية ، على الرغم من أننا اصطلحنا على أنها سنة فعلى سبيل المثال يقول : « **إنَّ مَنْ سَنَّ سُنَّةً حسنة** سيكافؤه الله ... **وان مَنْ سَنَّ سُنَّةً سيئة** سيعاقبه الله (٢) ، والسنة في هذا الحديث تشير إلى عادات جديدة أدخلت في الإسلام ، وعليه فهي مقابلة لكلمة « بدعة » وهذا أشبه بما فعله « أبو يوسف » عندما طلب من هارون الرشيد أن يُدْخل بعض السنن الحسنة (٣) .

وهكذا فإنَّ إدخال عادات جديدة يعنى التجديد في عادات كائنة ومتأصلة ، ونتيجة لهذا **فالسنة** استخدمت بمعنى « **بدعة** » .

وفى كل الأمثلة السابقة فجميع العادات وصفت بأنها **سنة** مع أنها

(١) القانون الإسلامى . ص (١٧)

(٢) مسند الطيالسى (٣ : ٩٣) ، وصحيح مسلم (٤ : ٢٢٣) كتاب العلم

(٣) الخراج (٧٦)

تشير إلى كونها **بدعة** بمعناها الحرفى ، ويمكن أن نسرد مزيدا من التفاصيل للعادات الجديدة التي أدخلها النبي ﷺ وفى الواقع هي **بدعة** بمعناها الحرفي - ما من شك في ذلك - ومع هذا دعيت **بالسنة** .

والسؤال الذي يطرح نفسه إذا كانت السنة والبدعة مترادفين في معنييْهما فلماذا كانت السنة مفضلة عن البدعة ؟

ربما يرجع هذا إلى المفهوم المعيارى المبسط « **للسنة** » فالعرب محافظون بطبيعتهم ويعتقدون أن السنة تحتوى على عنصر من القيمة الأخلاقية ، مع أنهم يعتقدون أن **السنة الجديدة** تضم أيضا الصفة المعيارية .

ومن ناحية أخرى **فالبدعة** كلفظ شيئ غير مقبول فى تصور العرب ، ولهذا فأي عادة جديدة تدخل الإسلام لوكانت جيدة سميت **سنة** ، وإذا كانت غير ذلك سميت **بدعة** ، **فالسنة** كمصطلح تستخدم بالنسبة للعادات المقبولة ، **والبدعة** للعادات المرفوضة .

ولأنّ الرسول ﷺ كان نموذجاً يُحْتَذى به ، فأفعاله ﷺ ، وقوانينه ، وعاداته ، التى أَمَرَ بها بطبيعتها تضمن قيمة أخلاقية ، ولهذا السبب . فعلى الرغم من أن العادات التي أُدخلت في الاسلام كانت تجديدات فلم توصف على أنها **بدعة** ، ولكنها عرفت باسم « **سُنَّة** » .

فالتمييز السابق بين المقبول وغير المقبول من العادات مؤسس وفقاً للمصطلحات العادية : **بدعة حسنة ، وبدعة سيئة** . وفيما يتعلق بالفكرة السابقة فقد نقل عن الخليفة « عمر » قوله عن التجديد في شعائر الصلاة : « نعمت البدعة هذه [1] » وهذا معناه : هذا تجديد مقبول أو جيد.

---

(١) الموطأ (١ : ٢٣٨) ، صحيح البخارى (١ : ٤٩٩) في كتاب الصلاة .

وذكر الشافعي بوضوح « أن التجديد الذى يخالف القرآن والسنة أو الأثر أو الإجماع بدعة خارجة . ومع هذا إذا كان هناك شيء جديدٌ ولا يحتمل أي نوع من أنواع الشر ، ولا يخالف ما ذكرناه سابقاً ، ولا يتعارض مع ما ذكره المتخصص بشئون الحياة الدينية ، فيستحق هذا التجديد الثناء والمديح ، ولا يعد موضع اعتراض [(١)] » .

وفي هذا السياق تذكر تعليق « جرون باوم » الذي قال « إن الاجتماع هو الذي يستطيع أن يقبل التجديد الذى كان في باديء الأمر خروجاً عن القاعدة ، وبقبول هذا التجديد يصبح جزءاً لا يتجزأ من السنة متجاهلاً كل وجهات النظر التقليدية في ذلك [(٢)] » .

أنواع السنة

بعد مناقشة أنواع مختلفة من معنى السنة دعونا نلقى نظرة فاحصة على مكوناتها ، ودرجة اختلاف أنواع السنة ، فمنذ حقبة ما قبل الاسلام مرت السنة بتغيرات متدرجة ، واتسع معناها بمرور الزمن .

فى البداية تمسك العرب بشدة بالعادات العرفية لقبائلهم ، والتى سميت بسنة القبائل ولكن لأن القبائل العربية لم يكن لها دستور وقوانين قبلية ، وعلى الرغم من أن هذه العادات كانت مقبولة عموما إلا أنَّ القبيلة لا تملك فرض هذه العادات بالقوة ، أو كما قال « ماكدونالد » « إن هذه العادات كانت مصانة لا بقانون ولا بسلطة تفرض هذه الحماية [(٣)] » .

(١) دراسات إسلامية لجولد تسيهر (٢ : ٢٦ - ٢٧ / ٣٦ - ٣٧) ، وإرشاد الساري (١٠ : ٣٤٢) .

(٢) Grunebaum . MedIvAl Islam (149)

(٣) Muslim Theology (68)

ومع تقدم الإسلام اتسع مفهوم السنة ، فمع انتشار مفهوم « إله » في مجتمع الجزيرة العربية [(١)] أعطى اعتباراً ومصداقية للقانون خوفا من عقاب الإله ، ولفَتَ القرآن انتباه العرب إلى « سنة الله » بعدم سخريته بالأجيال السابقة ، والمصدر نفسه الذي قدم مفهوم « سنة الله » إلى مجتمع الجزيرة العربية طالب بالطاعة الخالصة لنبي الله ، وفضلا عن الأمر القرآني باتباع نبي الله كان هناك عاملان أساسيان مسئولين عن إحلال سنة النبي ﷺ بدلاً من سنة القبيلة .

(أولهما) : اعتقد العرب أن أفضل رجل يحكم القبيلة هو الرجل الذي يتمتع بحكمة بارزة وحصافة ، وعدلٍ [(٢)] ، ولم يكن هذا الرجل بعد ظهور الإسلام سوى « محمد ﷺ »

(ثانيا) : أن العرب اعتقدوا أن المجتمع الإسلامي قد وجد أنه ذو طبيعة أسمى من طبيعة البشر ، ويعيش محكوماً بعادات دينية مقدسة [(٣)] .

وكانت سنة النبي ﷺ لفترة طويلة ماهى إلا استمرار للمدارس القديمة والتى كانت تسمى « سنة إقليمية » أى خاصة بإقليم أومنطقة معينة ثم أتت بعد ذلك السنة الإسلامية ، ثم السنة التشريعية .

---

(١) Watt (Belief in a HIgh God in pre - Islamic Mecca) Journal of semitic stuaies , Xvi, no,1 (1971), pp. 35.40 .

(٢) Statesman, 59.

(٣) Intellectual (14)

والآن فلنلقِ نظرة على أشكال من السنة بمزيد من التفصيل لنكوّن صورة واضحة لغرضها ومداها .

١) سنة القبيلة :

إن سكان الجزيرة العربية قبل الإسلام كانوا مقسمين إلى عدد لا يحصى من الجماعات السياسية تسمى قبائل ، ثم قسمت هذه القبائل مرة ثانية إلى العديد من الوحدات المستقلة من الأُسَر ، وكل رئيس أسرة له الحق في انتخاب رئيس القبيلة ، ووفقا لهذه النظرية لم تكن هناك مواصفات خاصة يشترط توافرها لرئيس القبيلة ، ولكن النسب الكريم بصفة خاصة هو العامل الحاسم فى تحديد الرئيس .

ومع أن أعضاء القبيلة قُسموا إلى العديد من الوحدات الأسرية ، إلا أنها كانت تدين بالولاء الكامل لرئيس القبيلة ، وتتبع الأعراف التقليدية للقبيلة بصفة خاصة وللمجتمع بصفة عامه .

وفى الواقع كان الأفراد يدينون للقبيلة بالامتيازات التي حصلوا عليها وبعزتهم ووجودهم وهذا النظام القبلى يتضمن غياب الجماعة القانونية للأفراد خارج القبيلة ، ومن هنا جاءت أهمية القوانين القبلية .

والعرب الذين عاشوا مستقلين وإن كانوا فى وحدات سياسية مفتوحة فإنهم محكومون بتقاليدهم وأعرافهم ، وقد تمسكوا بعادات أجدادهم وكانوا يشعرون بفخر عظيم بذلك .

ونجد العديد من الإشارات في القرآن التى توبخ أهل مكة لهذا السبب [١] .

---

(١) القرآن الكريم (١٨ : ٥٥) ، (٣٣ : ٣٨) ، (٣٥ : ٤٣) ، (٤٨ : ٢٣) .

وعلق « شاخت » على ذلك قائلا « ما فعله الأجداد كان يستحق التقليد . لأنه كان الفترة الذهبية للعرب » (١) .

ولأنّ المجتمع قُسم إلى قبائل مختلفة ، فكان من الطبيعى أن يعطى أفراد القبائل أهمية كبرى للقوانين العرفية لقبيلتهم والتى سميت بعد ذلك « سنة » .

ونجد أمثلة عديدة في الأدب الجاهلي ، وفي الأدب الإسلامى حيث استخدم الشعراء المؤرخون كلمة « سنة » بمعنى عادة قبلية ، ويقول لبيد بن ربيعة في ذلك :

من مآثر سَنّت لهم آباؤهم ولكلّ قومٍ سُنّة وإمامها (٢)

ومعنى هذا أنهم ينتمون إلى مجموعة من الناس قضى عليهم آباؤهم مجموعة من القوانين المعينة ، وفى الواقع أن كل قبيلة لها عاداتها الخاصة (سنة) ، وقائد أو قدوة يُحتذى به (إمام) .

ولنأخذ مثالاً آخر فأبو قيس بن أبي الأسلت يمدح قبيلة قريش لأنها تتمتع بمجموعة من المواصفات في أنّ لها عادات معينة فيقول : « إن الناس يعرفون أن زعماءكم من أحسن الرجال مركزا ، ومجلسكم من أفضل المجالس ، وعاداتكم من أسمى العادات ومن أصدق المجالس بالنسبة لمجالس العرب (٣) .

---

(١) القانون الإسلامى لشاخت ص (١٧)

(٢) شرح القصائد العشر (٨٨) .

(٣) سيرة ابن هشام (١٨٠.)

وهذا الشاعر اسمه « أبو قيس بن الأسلت » وكان يحب قريشاً ، وكان لهم صهرا: كانت عنده أرنب بنت أسد بن عبد العُزى بن قصيّ ، وكان يقيم عندهم السـنين =

ومثله الشاعر أيمن بن خريم حين أشار إلى اغتيال عثمان بقوله « يالك من سنة شريرة ، ويقصد بذلك سنة الأسلاف (فأى سنة جور سَنَّ أولهم)[١] .

وفى المثال الثانى الفعل سَنَّ مع الفاعل أولهم (أسلافهم) والمفعول سنة بيّن بوضوح أن الاسم « سنة » استخدم هنا إشارة إلى « سنة قبيلة بعينها » .

والشاعر الجاهلي « أفنون » استخدم الجمع « سنن » إشارة إلى عادات قبلية معينة ويقول « لن يخلصوا أخاهم من الخطر المهدد له ويفدوه برجل من السكون ، ولن يموتوا بسببه كما كان يفعل السابقون (سنن) من قبيلتهم [٢] .

= بامرأته ، فقال قصيدة يعظم فيها الحُرْمة ، وينهى قريشاً فيها عن الحرب ويأمرها بالكف بعضهم عن بعض ، ويذكر فضلهم وأحلامهم ويأمرهم بالكف عن رسول الله ﷺ ويذكرهم بلاء الله عندهم ، ودفعه عنهم الفيل وكيده عنهم ومنها قوله :

وأنتم لهذا الناس نور وعصمة ... تُؤَمُّون والأحلام غير عوازب
وأنتم - اذا ما حُصِّل الناس - جوهر ... لكم سرة البطحاء شُمُّ الأرانب
تصونون أجسادا كراما عتيقة ... مهذبة الأنساب غير أشائب
يرى طالب الحاجات نحو بيوتكم ... عصائب هلكى تهتدى بعصائب
لقد علم الأقوام أن سراتكم ... على كل حال خير أهل الجباجب
وأفضله رأيا وأعلاه سنة ... وأقوله للحق وسط المواكب

وموضع الشاهد هنا « سنة » . (المترجم) .

(١) فجر الإسلام (١٦٥)

(٢) المفضليات (١ : ٥٢٥) قلت : وهو في طبعة شاكر صفحة (٢٦٢) :

لما فَدوا بأخيهم من مهولة ... أخا السكون ولاجاروا على السنن

وقد تقدم هذا البيت من الشعر . (المترجم)

وهذه السنة التي تشير إلى عادة قبلية واضحة من المثال التالي كذلك .

لقد ذكر أن عبد اللّه بن عبد المطلب بعد زواجه ظلّ في بيت العرس لمدة ثلاثة أيام لأنها كانت عادة عندهم (**كانت تلك سنة عندهم**)[1] ، وكلمة عندهم لها دلالة لأنها توضح أنه في مجتمع الجزيرة العربية قبل الإسلام كانت توجد قبائل مختلفة وعادات متباينة ولهذا استخدمت كلمة « **سنة** ».

ولنأخذ مثالاً آخر عندما أراد عبد المطلب أن يوفي بنذره بالتضحية بابنه عبد اللّه نصحه أقاربه المقربون بألا يفعل ذلك قائلين « لا تذبحه لأنك لوفعلت هذا فذبح الأبناء سيصبح سنة (عادة) بيننا [2] . وهذه السنة يبدو أنها تشير أيضاً إلى سنة القبيلة .

٢ - سنة اللّه :

إن كلمة « سنة » تترجم حرفياً بأنها عادة ، أو ممارسة ، أو سابقة لتلائم البيئات المختلفة ، ومع أن هذه المعاني تحمل فكرة أساسية واحدة بأن السنة لها قوة القانون . والحقيقة أن العادات والممارسات التي كان البدو يتمسّكون بها فترة تبين أن السنة لا يمكن تجاهلها بسهولة .

فالقضاة والمحكمون في حقبة ماقبل الإسلام كان عليهم أن يحترموا السنة القائمة في ذلك الوقت عند إصدار أحكامهم ولم يكن لرؤساء القبائل وضعاً مميزاً كما وضح ذلك في القانون العرفي . وكان على محمد ﷺ أيضاً أن يوافق على عدد من عادات الجاهلية لأنَّ هذه العادات كانت لها قوة

---

(١) طبقات ابن سعد (١ : ١ : ٥٨)

(٢) أخبار مكة (٢ : ٣٨)

القانون في المجتمع (١) .

---

(١) هذا في جزئيات وليس في كليات .

فلقد جَاءَ النبيُّ ﷺ إلى قَومٍ لمْ يكونوا ذوي دينٍ ، ولَمْ يَتَقَيَّدُوا بشريعةٍ أو منهاجٍ مستقر يُنَظِّمُ أُمُورَ عقائدهم ومجْتَمَعهم ، فَلَوْ نَزَلَتْ عليهم الشريعة جملةً واحدةً ما أطاقُوها ولو صدرتْ التكليفاتُ دفعةً واحدةً لنفرُوا منها ، فجاءتْ شيئاً فشيئاً ، حتّى إذا ذَاقُوا بَشَاشَةَ الإسلامِ واستَأنَستْ به قلوبُهم ، وتطورتْ أخلاقُهم على شكلِ خلقٍ فاضلٍ مستعد لتقبُّل ما تأمُرُ به الشَّرِيعَةُ الإسلاميةُ ، خُوطِبُوا بالشريعةِ كلِّها ، فَحُرِّمَتْ أشياءُ كَانَتْ مُبَاحةً وكُلِّفُوا أُموراً لَمْ يَكُونوا مكلفيها من قَبْل .

وكان العلاج الذي استنه الإسلام لذلك هو إقراره ببعض الأمور إلى حين ثم نسخها وتحريمها .

فَالنَّسْخُ إذنْ يتَّفقُ مَعَ تاريخِ الإسلامِ في نشأته ولا بأس أن نسوقَ مثالاً على ذلك .

فَقَدْ جاءَ الإسلامُ والعربُ يعتبرونَ الخمرَ من مفاخرهم ، فكان لابُدَّ أنْ يَتْرُكَهم عليها حتَّى إذا ما استَأنسُوا بِرُوحِ الإسلامِ ، وعرفُوا ما في الخمرِ من مآثمَ ، والقرآنُ يستَدْرِجُهَم إلى التحريم شيئاً فشيئا حتى أدركوا ما فيها ، وتنادَى بمآثمها عُقَلاؤهم فَقَالَ عمرُ بنُ الخطَّاب ذو البَصيرةِ الثاقبةِ : اللَّهُمَّ بَيِّنْ لنا مَا في الخمرِ بياناً شَافيًا ، فنزل قولُه تعالَى بالتحريم القاطع :

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذينَ آمَنُوا إنَّمَا الخَمْرُ والمَيْسرُ والأنْصَابُ والأَزْلامُ رِجْسٌ منْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فاجتنبوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلحُونَ إنَّما يُريدُ الشَّيْطان أنْ يُوقِعَ بَيْنَكُمْ العَدَاوَةَ والبَغْضَاءَ في الخَمْرِ وَالمَيْسرِ وَيَصُدَّكُمْ عَن ذكْرِ اللَّه وَعَن الصَّلاة فَهَلْ أَنْتُم مُنْتَهُون ﴾ ، فقالت نُفُوسُهم قبل ألسنَتُهم : انْتَهَيْنَا يا رَبِّ ، انتَهَيْنا يا رَب .

قُلْ مثْلَ ذلك عن نكَاح المتْعَة إنْ العرب في الجاهلية لَمْ تَكُنْ العلاقةُ بَين المرأة والرَّجُل عِندَهُم منظمةً تنظيمًا مُحْكَمًا ، وحقوقُ المرْأة والرَّجُلِ لَمْ تَكُنْ واضحةً ، كانَ منهُم مَنْ يرتَبطُ برباط صَحيح أقرَّهُ الإسلام فيما بعدُ ، ومنهُم مَنْ يَستَحلُّ نكَاحَ المتْعَة ، فلما جَاءَ الإسلامُ حَرَّمَ الفَوَاحشَ مَا ظَهرَ منها وما بَطَنَ ، مَا كَانُوا يُحَرِّمُونَه ومَا كانوا يستحلُّونَهُ بعَادَاتهم التي حاربَهَا الإسلاَمُ ، وكانوا في الحرب يَثْقُلُ عَلَيْهم هَذا التحريمُ فَأَباحَهُ لهم النبيُّ في الحرب في أوَّلِ الإسلامِ ثُمَّ حرَّمَها تحريمًا قاطعًا إلى يوم القيامة .

وما وافق الرسول ﷺ به من عادات الجاهلية كان في جزئيات وليس في كليات. (المترجم) .

ومع مقدم الإسلام ظَهَرَ نَوْعٌ آخر من السنة ألا وهي سنة الله التي دخلت المجتمع العربي لأنَّ السنة لم تكن مضمونا جديداً بالنسبة للعرب لأنهم في الواقع يتبعون سنة أجدادهم وسنة القبيلة ولم يكن مفهوم الله معروفاً فضلاً عن تعدد الآلهة (١) .

ومما لا شك فيه أن هذه المصطلحات وجدت في المجتمع طوال الوقت ، وعلى الرغم من أنَّ هذه المصطلحات لم تكن متداخلةً إلى حد كبير . والقرآن يستخدم هذه المصطلحات كمصطلح مركب وقدم القرآن مفهوما جديدا لهذه المصطلحات هو مصطلح سنة الله .

وقبل مجيء محمد ﷺ بفترة طويلة . كان العرب في نظامهم القضائي يعتقدون في قوة وسمّو الله. فأحكام الكاهن والقضاة كانت تنفذ على أساس الاعتقاد بأن هذه الأحكام جاءت من قوة عليا ، أما حكم كهانهم فيقول عنه « فيشر » إنه نوع من الأحكام المقدسة لا تقبل نقضاً ولا ابراماً » (٢) .

ولهذا عندما تحدث القرآن عن سنة الله ، لم يجد العرب صعوبة في القبول بأن القانون الآلهي حقيقة واقعة (٣) .

وفي الوقت المناسب وذلك عندما أصبح العقل العربي مستعدا لقبول

---

(١) Watt, " Belief in a ' High God ' in pre-Islamic Mecca ", Journal of Semitic Studies, XVI, No. 1., (Manchester University Press: Spring, 1971), pp. 35 - 40.

(٢) Fischer, ' Kahin ', Encyclopaedia of Islam, ii, 625.

(٣) القرآن الكريم (٣٣ : ٦٢) ، (٣٥ : ٤٣) ، (٤٨ : ٢٣) .

فكرة الربانية ذكر القرآن أن سنة الله أبديه وملزمة ، وبالتالي يجب اتباعها ، وفي نفس الوقت ذكرهم بحقيقة الناس الأوائل الذين أظهروا غطرسة وعدم طاعة للقوانين الثابتة [١] وتعبير **سنة الأولين** [٢] استخدم لينقل هذا التحذير ، والغرض من هذا التهديد هو إظهار أن سنة الله لها قوة القانون .

وانتبه العرب إلى رسالة القرآن وأعطى ذلك شكلاً جديداً للسنة « سنة الله » ، ومن الواضح أنَّ هذا يتفق والعقلية العربية . ونحن نعرف أنهم احترموا عادات أجدادهم وقدروا أحكام **الكهان** معتقدين أن قرارهم له أساس خارق لسنن الكون ، وهذا الاعتقاد كان بمثابة قانون ، وهذا يوضح أنهم كانوا يعتقدون بالفعل في القوانين الخارقة للطبيعة والتي يجب طاعتها ، ولهذا عندما ذكر القرآن سنة الله كانوا على استعداد لقبولها وعلمهم محمد أيضا أن المجتمع تحت سيطرة الاله أكثر قوة ، ومستقبله أعظم من الناحية السياسية وذلك مقارنة بسيادة سيطرة القانون القبلي[٣] .

وفي هذا السياق يعلق « البروفسور وات » قائلاً : في حين أن بعض المصالح المادية الشخصية ربما يكون عاملاً في اعتناق الدين ؛ إلا أنَّ العامل الأساسي ربما يكون الجاذبية الدينية للصورة الديناميكية للمجتمع الإسلامي عن المجتمع المسيحي [٤] .

فتعبير **سنة الله** في الآيات (٣٣ : ٦٢) ، (٣٥ : ٤٣) ، (٤٨ : ٢٣) ، (٣٣ : ٤٨) تضمن أن القانون الالهي لا يمكن أن يتغير ، وهي

---

(١) تفسير البيضاوي (٤ : ١٨٤) .

(٢) القرآن الكريم (٣٥ : ٤٣) .

(٣) Med. isl aM (72) .

(٤) Intellectuaul(51) .

قوانين أبديه ، وفي حين كانت الآيات الثلاث الأولى (٣٣ : ٦٢) ، (٣٥ : ٢٣) ، (٤٨ : ٢٣) تشير إلى **سنة الله** فيمن يعتقد في تعدد الآلهة (١) ، بينما تشير الآية الأخيرة (٣٣ : ٣٨) إلى الامتيازات التي حصل عليها الأنبياء السابقون بالتزامهم بسنة الله (٢) .

فكلمة سنة في كل هذا المواضع لها دلالة أساسية ألا وهي « قوانين الله » والذي كان سائداً عند الشعوب البدائية ، وفي الآية (٣ : ١٣٧) وجدت **السنن التعدديه** لتشير إلى الطريقة التي كان يعامل بها الله الكافرين في فجر الإسلام .

وعلى الرغم من أنَّ تعبير « سنن » في الآية يشير إلى مصير الأمة الكافرة لكنه لا يعد حكما كما رأى « فنسنك » في مقالته عن السنة في دائرة المعارف الإسلامية (٣) .

وفي الواقع أن كلمة سنة تبين القانون أو طريقه عمل الله . وتشير أيضا إلى الإجراء الذي يطبقه الله في معاملة الآثمين القدماء ، ولاتشير إلى الحكم الذي يصدره الله نتيجة مخالفة قوانينه .

إن تعبير « سنة الله » وجد أيضا في مصادر أخرى غير القرآن ، فالبخاري مثلا نقل حفلة تتويج حلف اليمين بالنسبة « لعبد الملك بن مروان » حيث نقل عن عبد الله بن عمر قوله « أقسم بالله العظيم » أن أطيع الله ،

---

(١) Watt, " Belief in a " high God "in pre-Islamic Mecca", Journal ofSemitic Studies, XVI, N. 1 (Spring , 1971), pp. 35 - ٤٠.

(٢) تفسير الجلالين : (٢ : ٨) .

(٣) Wensinck,"Sunna", Encycloupedia of Islam,iv,'555.

وسنة الله ، وسنة النبي ﷺ (١) ، في حين أمدنا الطبري أيضا بنصوص عديدة حيث استخدم فيها تعبير « سنة الله » (٢) ، ومرجع آخر فيه إشارة لسنة الله وجد في مقدمة ابن خلدون ، وفيها ذكر أن إقامة المقصورة (الخلوه) كانت في الواقع سنة الله وذلك فيما يتعلق بعبادة أو بمعنى آخر أن هذه الخلوة تم إقامتها وفقا لقانون إلهي (٣) .

واستخدم الشافعي أيضا تعبير « سنة الله » وأوضح معناه في المثال التالي . ففي إشارة منه إلى شعائر معينة يقول « إنها سنة الله في أن تدخل الحرم » (وهو مكان مقدس في مكة) - وترتدي ملابس الإحرام - (وهو ثوب مخصص للحج) - ويقصد الشافعي تحديداً بأن سُنَّة الله قانونا الهياً كما ذكر في القرآن وكما أوضحه النبي ﷺ (٤) .

ومن الغريب أننا نجد إشارات كثيرة من التعبيرات لسنة الله في القرآن الكريم ، ومع هذا لا نجد إشارة واحدة إلى سنة محمد ﷺ ، وغالباً ما نجد عبارات خاصة بالعلماء الأوائل .

ولكي نتبين الأسباب التي أدت إلى غياب تعبير « سنة محمد » يجب أن يكون لدينا فكرة واضحة تمام الوضوح عن مفهوم السنة بين العرب في عصر الجاهلية .

فقد أوضحنا فيما سبق أن العرب كانوا بطبيعتهم محافظين ومتمسكين

---

(١) صحيح البخاري (٤ : ٤٠٢) في كتاب الأحكام ، و (٤١٩) في كتاب الاعتصام بالسنة .

(٢) تاريخ الطبري (١ : ٣٤٢٧) ، (٢ : ٥١٨ ، ١٣٦٩) .

(٣) مقدمة ابن خلدون (٢٦٩) .

(٤) فجر الإسلام (١٣٥) ، وكتاب الأم (٥ : ٢) .

بعادات وتقاليد آبائهم ، ورأينا أيضا أن السنة يعتقد أنها من منبع علوي وتعد بمثابة قانون يقوم بتنفيذه .

ومن المعروف أن هؤلاء العرب البسطاء لم يكونوا ليميزوا بين القوانين الدنيويه ، والقوانين الدينية والدنيوية على السواء [1] .

وفي خضم هذه الظروف ، وفي المرحلة الأولى لتطور مفهوم سنة محمد كان لفظ سنة الله أو القانون الإلهي يمكن فحسب أن يكون موضع قبول من العرب ، ولم تدخل سنة محمد في ذلك الوقت الإسلام بعد حتى يمكن أن تقبل بذاتها بعد ذلك ، وهذا يفسر غيابها من القرآن .

وعلى الرغم من هذا ، فإن القرآن أنجز مهمة إدخال مفهوم سنة النبي ﷺ ببراعة منقطعه النظير ، فهو من ناحية حَوَّل اهتمام العرب من « سنة القبيلة » إلى « سنة الله » ، ومن ناحية أخرى قدم لهم شخصية محمد ﷺ القوية بهذه الكلمات المؤثرة [2] .

وتم هذا في أعقاب إحلال سنة محمد ﷺ بدلا من سنة القبيلة ، ومعنى هذا أن سنة الله كانت بمثابة وسيط في هذا الخط المتدرج ، وبسرعة تعلَّم العرب الدرس ، وفي هذا يقول « جرون باوم » إن المجتمع تحت سيطرة الاله كان أكثر قوة ، ومن ثم كان مستقبله أعظم من الناحية السياسية عما هو عليه من سيطرة القانون القبلي » [3] .

(١) Gray , " customs " Encyclop&of Religion and Ethics " (iv , 375)

(٢) القرآن الكريم (٣٣ : ٢١) .

(٣) Med . IslAM

٣ - سنة محمد ﷺ :

في فجر الإسلام دخل مفهوم « سنة الله » في المجتمع العربي والذي تم قبوله بسهولة من المجتمع لأن اعتقادهم في منبع قوي للقانون ، وبدأت المشكلة تظهر عندما أصبح لزاما على المجتمع أن يتواكب مع القانون المعياري والخاص بالنبي ﷺ (السنة) .

لقد تبنى النبي ﷺ برنامجاً عمليا في التعامل مع قضية السنة وهو مدرك تماما لوعورة المشكلة : وهو المأمور في القرآن في أن يفرض سلطانه على العرب الوثنيين ويمدهم بالقوانين التي تحل محل عاداتهم القديمة ، ولكي ينفذ أوامر الله لم يغير كل العادات القديمة مرة واحدة ، فدرس ثقافة شعبه وعرف جيدا مدى بغضه للتغيير ، وهذه طبيعة أساسية من طبائع المجتمع البدوي ، ويعرف جيدا مدى غيرتهم وحماسهم في التمسك بعاداتهم ، وبدأ يغير السنة القديمة فحسب عندما أصبح هذا ضروريا ولا مناص منه . وعدل بعض هذه العادات ، وأبقى على البعض .

وبالنسبة للعادات التي أبقى عليها فهو لم يُجزْها فحسب بل ذهب أبعد من ذلك في فجر الإسلام إذ أنه فرضها فرضاً في الإسلام (١) ، وذُكر عنه أيضا أنه اتبع العادات اليهودية والمسيحية في الحالات التي لم يوجد فيها نص قرآني (٢) .

وعلى الرغم من أن كثيرا من العادات تم تعديلها أو حتى الغيث ، فإن عدداً كثيراً فيها احتفظ بها الإسلام واستوعبتها العقيدة الإسلامية . إن قبول (التقرير) وهو نوع من أنواع الحديث يبين الموافقة الضمنية للرسول ﷺ

---

(١) البخاري : (٢ : ٣٤ ، ٣٤٨ ، ٣٥) كتاب الأنبياء ، و (٣٨١) كتاب المناقب .

(٢) الشمائل : (٤٩٦) .

لتصرفات أصحابه ، والتقرير في حد ذاته يتضمن الاعتراف بأنتشار محدود لقوانين سنها الرسول ﷺ .

وبعد تبني هذه السياسة حاز الرسول ﷺ على ثقة المجتمع النبوي ، وفي نفس الوقت بدا ينشر تعاليم القرآن ويُدخل - في الوقت نفسه - العديد من القوانين الجديدة في المجتمع العربي ، وعندما أصبح الناس على استعداد في أن يستمعوا إلى كلماته ويؤمنوا بالقرآن ككتاب مقدس أصبحت مسألة الاعتراف بسنته أكثر سهولة .

وفي البيان القرآني ، وفي سنة رسول اللّٰه ﷺ سنجد النموذج الطيب ، فمثالية السنة والتي وجد الكثير منها في العادات القديمة بدأنا نجدها في سلوك النبي ﷺ وذلك يرجع إلى سلوكه المثالي ، وإلى الأوامر القرآنية ، التي سار عليها [١] ؛ فأفعاله وسلوكه حلت محل سنة أسلافهم ، وسنة القبيلة ، وسنة اللّٰه ؛ لأنَّ سنة اللّٰه اندمجت في سنة محمد ﷺ ، ولأنَّ العرب بطبيعتهم كانوا على استعدادٍ لاتباع السنة ، لم يجدوا صعوبة في الانتقال إلى سنة جديدة ، وهي سنة محمد ﷺ ؛ فالمسلمون الأوائل كانوا مقتنعين بأنَّ سلوك النبي ﷺ أمدهم بسنة أفضل من التي كانت موجودة في الجاهلية .

وأصرَّ الرسول ﷺ على ضرورة اتباع سنته وحذر قائلا « من ترك سنتي ليس مني » [٢] وهذا يتفق تماما مع الأوامر القرآنية « يا أيها الذين آمنوا

---

(١) القرآن الكريم (٣ : ٣٢ ، ١٣٢) ، (٤ ك ٥٩) (٨ : ٢٠ ، ٤٦) ، (٢٤ : ٥٦) ، (٤٧ : ٣٣) .

(٢) طبقات ابن سعد (١ : ٢ : ٩٥) ، مسند الإمام أحمد . تحقيق شاكر (٩ : ٢٣٧ - ٢٣٨) ، مسند الإمام أحمد (٢ : ١٢٤) ، سنن النسائي (٦ : ٦٠) في النكاح ، تاريخ بغداد (٣ : ٣٣٠) حيث خطأ النسخ في الإسناد في ترجمة عبد اللّٰه بن عمر ، حيث نصَّ على ضرورة التصحيح .

أطيعوا الله وأطيعوا الرسول » [١] ، ومن يطع الرسول فقد أطاع الله » [٢] وأصبح من الواجب طاعة رسول الله واتباع سنته .

ومما هو معروف أنه لا مناص من التطبيق العملي للتعاليم القرآنية ، ومن ثم فقد حظيت سنة النبي ﷺ بأهمية عظيمة في حياته ؛ فالممارسة العمليه كانت ضروريه لنعرف طرق ووسائل أداء الشعائر (**العبادات**) فلم يكن يبين بالكلمات كيفية أداء الوضوء ، فكان يقوم بإعطاء بيان عملي لذلك . وعلى سبيل المثال فقد أوضح طريقة أداء الصلاة ، وقال « **صلوا كما رأيتموني أصلي** »[٣] ، وحدث هذا أيضا في كثير من المسائل الدينية والأخلاقية والاجتماعية . وأخيراً سميت كل أفعال وسلوك النبي ﷺ « سنة النبي » ثم نظمت هذه الأفعال كنموذج يجب على المجتمع المسلم اتباعه .

وهذا المفهوم أصبح معروفاً بين المسلمين لدرجة أنَّ استخدام لفظ سنة بمفرده أصبح يعني سنة النبي ﷺ ، وهنا سوف نورد أمثلة لتوضيح هذه النقطة .

ففي يوم من الأيام استضاف ابن عباس بعض الأشخاص على **نبيذ** [٤] وسأله أحدهم ما إذا كان سيقدم هذا المشروب لأنه كان سنة ، أو أنّه هو الذي يفضل أن يقدم هذا الشراب الخاص حباً فيه لهذا النبيذ ؟

وبدلا من أن يعطي ابن عباس إجابة مباشرة لهذا السؤال استشهد بمثالٍ

(١) القرآن الكريم : (٤ : ٦٤) .

(٢) القرآن الكريم : (٤ : ٨.) .

(٣) صحيح البخاري : (١ : ١٦٥) في كتاب الأذان .

(٤) طبقات ابن سعد : (٤ : ١ : ١١٤) .

من سلوكِ الرسول ﷺ وقال للسائل : بأن الرسول ﷺ لم يشرب **النبيذ** فحسب بل حَثَّ على شربه (١) .

وذكر ابن عباس هذا المثال ليوضح أنَّ استضافته لهم على النبيذ كان تأكيداً لسنة النبي ﷺ ، وعَرَّفَ أنَّ كلمة سنة في تعليق السائل ... عندما قال هل كانت سنة ؟ مشيرا بذلك إلى سنة النبي ﷺ ... ولهذا ساق ابن عباس له المثل من سلوكِ النبي ﷺ .

ولهذا فمن الواضح أن كلمة سنة (دون مبالغة) تشير هنا إلى الاستشهاد بسنة النبي ﷺ (٢) .

ولنأخذ مثالا آخر : ذات مره طلب الخليفة عمر من الحلاق أن يزيل شعر صدره فنظر أصحابه إليه باستغرابٍ وخاصّة إنه كان يتبع في جميع تصرفاته سنة النبي ﷺ واعتقدوا أن هذا التصرف من عمر هو سنة عن النبي وأوْضَحَ عمر الموقف قائلاً : « أيها الناس إنها لا ريب ليست سنة »(٣).

فكلمة سنة استخدمت هنا بوضوح لتشير إلى سنة النبي ﷺ .

وعى الرغم من أن التعبير العادي للإشارة إلى السلوك المعياري للنبي ﷺ كان (سُنّة رسولِ اللّه) وعلى الرغم أن مصطلح سنة كان يستخدم عادةً دون إضافة ، وقبل أن ننتقل إلى الاستخدام الموغل في القدم لسنة النبي ﷺ سنستشهد ببعض الأمثلة حيث كان مصطلح سنة بمفرده يشير إلى سنة النبي ﷺ ألا وهي :

(١) شراب من منقوع البلح أو التمر دون أن يتخمر .
(٢) طبقات ابن سعد (٢ : ١ : ١٣١) .
(٣) طبقات ابن سعد (٣ : ١ : ٢٠٩) .

(١) ذكر عن الرسول ﷺ قوله « استقر الإيمان في قلب أمتي بتعلمهم القرآن والسنة » [١] .

(٢) ووضع أبو يوسف مبدأ بأن لا يقبل حديثاً إلا ما وافق الكتاب والسنة [٢] .

(٣) وفي توجيه من عمر إلى أبي موسى الأشعري نقل عن عمر نصيحته إلى أبو موسى ألا يلجأ إلى القياس في المسائل غير الموجودة في الكتاب والسنة [٣] .

(٤) والشاعر الكميت في إحدى قصائده يقول « بأي كتاب أو بأية سُنَّةٍ » [٤] .

(٥) وذكر أن ابن عباس اعتاد أن يضع القيود في قدم عكرمة ليعلمه الكتاب والسنة [٥] .

(٦) وذكر أن النبي ﷺ أرسل أبا عبيدة بن الجراح إلى اليمنيين ليعلمهم السنة والإسلام [٦] .

---

(١) صحيح البخاري (٤ : ٤٢٠) في الاعتصام بالسنة (المؤلف) وهو يشير إلى الحديث النبوي لشريف : « أنَّ الأمانة نزلت من السماء في جَذْر قلوبِ الرجال ، ونزل القرآن ؛ فقرؤوا القرآن ، وعَلموا من السُّنَّة » . فتح الباري (١٣ : ٢٤٩) . (المترجم) .

(٢) الرد على سير الأوزاعي ص (٣١) .

(٣) كتاب الحجج للشيباني ط . الهند (١٨٨٨) ، صفحة (٢١٢) .

(٤) علم المنهج (Methodology) (٨) ، حيث بين فضل الرحمن كيف أن لفظ « السُّنَّة » يعني فقط (سُنَّة النبي ﷺ) وليس غير .

(٥) سبقت ابن سعد (٥ : ٢١٢) .

(٦) طبقات ابن سعد (٣ " ١ : ٢٩٩) .

وفي كل الأمثلة التي استشهدنا بها سابقاً فكلمة « سُنَّة » تشير إلى سُنَّة النبي ﷺ لا شيئ غيرها ، وهذا يوضح أن السُّنَّة بمفهوم سُنَّةِ النبي ﷺ كان قد وضح استخدامها تماماً في ذلك الوقت .

وهذه السنة التي تشير إلى سُنَّة النبي دون أي إضافة متضمنة في المثال التالي بما لا يدع مجالاً للشك :

فقد ذكر أن النبي ﷺ في نهاية موقعة أحد خَرَجَ يلتمس حمزة بن عبد المطلب وعندما وجده في نهاية الأمر في بطن الوادي اكتشف أنه قد بُقر بطنه عن كبده ، ومُثِّلَ به فجُدِعَ أنفه وأذناه ، وغَضبَ لهذا المنظر وتحدث قائلاً » « لَوْلاَ أَنْ تَحْزَنَ صَفِيَّةُ (أخت حمزة) وَتَكُونَ سُنَّةً مِنْ بَعْدِي لَتَرَكْتُهُ حَتَّى يَكُونَ فِي بُطُونِ السِّبَاعِ وَحَوَاصِلِ الطَّيْرِ وَلَئِنْ أَظْهَرَنِي اللّهُ عَلَى قُرَيْشٍ فِي مَوطِنٍ مِنَ الْمَوَاطِنِ لأُمَثِّلَنَّ بِثَلاثِينَ رَجُلاً مِنْهُمْ » [1] .

وكلمه سنة في هذا النص غايةً في الأهمية لأنَّ الرسول ﷺ بنفسه يستخدمها بمعنى العادة التي يمارسها بنفسه وينبه إلى أن أفعاله ستمثل سابقة للجيل القادم [2] .

---

(١) السيرة لابن هشام ، ص (٥٨٤) ، وصفحة (٣ : ٤٧) طبعة محمد محي الدين عبد الحميد . (المترجم) .

(٢) يشكك (Guillaume) في هذا النص في طبعته للسيرة ص (٣٨٧) ، ولكن الحقيقة أن النبي ﷺ قد وضح هذا الموقف بعناية ، مع نظرة إلى سنته ﷺ في مختلف الأحوال ، وافترض أهمية التوثيق كحدث عرضي أيضاً .

ومع ذلك فإننا نرى امتناعه ﷺ عن سحب قليل من ماء زمزم بنفسه يبقى سُنَّةً ، في المجتمع الإسلامي ، والذي يبقى خاصاً في بني العباس .

وهو ﷺ أنه لو سحب بنفسه دلواً من الماء لصارت سنة للمسلمين . طبقات ابن سعد (٢ : ١ : ١٣١) .

في الحقيقة فإننا نجد كثيراً من النصوص الحديثية . أصبحت مُلْزمة للمسلمين بفعلها لأن النبي ﷺ قد فعلها .

ووجدنا أن مصطلح سنة دون أية إضافة استخدم في فجر الإسلام بمعنى « سنة النبي » ﷺ .

ونأتي الآن إلى استخدام تعبير سنة النبي ﷺ . ونجد أنَّ وجودها في هذه الفترة المبكرة مساوٍ للتعبير الشائع ، ومع هذا ينكر « يوسف شاخت » هذه الحقيقة (١) .

ويرى « شاخت » أن أول دليل لاستخدام مصطلح « سنة النبي » هو الخطاب الذي أرسله القائد خارجة عبد الله بن إباض » إلى الخليفة الأموي عبد الملك عام ٧٦ هـ - ٦٩٥ م (٢) .

ودليل أخر لا يقبل الشك لاستخدام هذا التعبير حَدَثَ في الرسالة التي بعث بها الحسن البصري للخليفة نفسه (٣) .

وعلى النقيض من اكتشافات « شاخت » فقد وجدنا هذا التعبير في وقت مبكر عن هذا بكثير ، بل أثناء حياة الرسول ﷺ .

ونحن نستشهد هنا بأمثلة عديدة لنوضح أن عبارة « سُنَّة النبي » وكثيراً من المصطلحات المترادفة استخدمت هنا الاستخدام الصحيح منذ عهد الرسول ﷺ هنا :

(١) عندما عين معاذ قاضيا لليمن وعندما سأله الرسول ﷺ عن طريقة حكمه في القضايا ، ردَّ عليه قائلاً : سأحكم على أساس كتاب الله ، فإن

---

(١) القانون الإسلامي لجوزيف شاخت ص (١٨) ، ومنشأ الشريعة الإسلامية له أيضاً ص (٧٤) ، وأنظر أيضاً : فجر الإسلام ص (١٣١ - ١٣٣) و (١٦٨ - ١٦٩) .

(٢) القانون الإسلامي ص (١٨)

(٣) المصدر السابق .

لم تكن هذه القضايا متاحة في كتاب الله سأحكم على أساس **سنة** رسول الله ﷺ (١) .

(٢) وذكر عن الرسول ﷺ قوله « تركت فيكم شيئين إن تمسكتم بهما لن تضلوا بعدي أبدا : كتاب الله **وسنتي** » (٢) .

وفي الواقع أن النبي ﷺ استخدم هذا المصطلح عدة مرات (٣) ،ومعظم الأعمال القضائية تحتوي نصوصاً أرجعها النبي ﷺ إلى سنته (٤) .

(٣) وذكر عن رسول الله ﷺ قوله : « عليكم باتباع **سنتي** وسنة الخلفاء الراشدين ، عضوا عليها بالنواجذ وتمسكوا بها » (٥) .

---

(١) سنن الدارمي (١ : ٥٥) من طبعة المدينة ، بيان العلم وفضله لابن عبد البر (٢ : ٥٦) ، وهذا النص يظهر وهم الجوزقاني حيث ذكر النص في **الموضوعات** ، ولكن ابن قيم الجوزية وضح ذلك .

وعده الغزالي صحيحاً في المستصفى ، وقال : حديث معاذ نال القبول لدى **الأمة** . انظر كتاب **السنة النبوية** لعباس حمادة طبعة القاهرة (١٣٨٤ / ١٩٦٥) ، صفحة (١٨٨) .

(٢) جامع بيان العلم لابن عبد البر (٢ : ١٨٠) ، **أخبار أصبهان لأبي نعيم** (١ : ١٠٣) .

(٣) سيرة ابن هشام (٩٦٩) ، دراسات في أدب البرديات العربي تأليف نبيهة عبود (٢ : ٢٣) ، **الكفاية** للخطيب (٦٠٣) ، سنن أبي داود (٤ : ٢٨١) في كتاب **السنة** ، حديث رقم (٤٦٠٧) .

(٤) مسند الإمام أحمد (٢ : ١٢٤) ، سنن النسائي (٦ : ٦٠) في النكاح سنن أبي داود (٤ : ٢٨١) في السنة ، حديث رقم (٤٦٠٧) .

(٥) معالم السنن للخطابي (٤ : ٣٠٠) ، وجامع بيان العلم (٢ : ١٨٢) ، جامع الترمذي (١٠ : ١٤٤) في كتاب العلم .

(٤) وفي احتفال أقيم بمناسبة عيد الأضحى قال الرسول ﷺ « ... أول ما نبدأ به في يومنا هذا أن نصلي ثم نذبح ، فمن فعل ذلك فقد أصاب سُنَّتنا ... » (١) .

(٥) وفي أحد احتفالات يوم الجمعه ذكر عن عمر قوله « لقد عيَّنتُ ولاة في مختلف الأماكن ليعلموا الناس دينهم وسنة نبيهم » (٢) .

(٦) وفي مناسبة اختيار الخليفة بعد موت عمر في سنة (٢٣) هـ قابل عبد الرحمن بن عوف كلاً من عثمان وعلي أفضل المرشحين للخلافة ، وسألهم إذا كانا على استعداد « بأن يتمسكوا بكتاب الله وسُنَّة نبيه » (٣) .

(٧) وقال عثمان في أول خطاب له بعد أن أصبح خليفةً « إنني مسئول أمامكم عن ثلاثة أشياء ، بعد التمسك بكتاب الله وسنة نبيه » (٤) .

(٨) وعندما انتخب عثمان كخليفة أظهر الناس ولاءهم له بهذه الكلمات « نحن نُخلص لك بشرط أن **تتبع كتاب الله ، وسُنَّة نبيه وسنة أبي بكر وعمر** » (٥) .

(٩) وفي إحدى خطب علي الطويلة نُقل عنه قوله « أيها الناس أدعوكم إلى كتاب الله العظيم وسنة نبيه » (٦) .

---

(١) النسائي (٣ : ١٨٢) في باب صلاة العيدين .

(٢) الخراج (١٤ ، ١١٥) ، **المنهج** ، ص (٨ - ٩) ، حيث أعطى دلائل قوية واضحة عن اجتهاد سيدنا عمر رضي الله عنه .

(٣) الطبري . ط أورية (١ : ٢٧٩٣ ، ٢٧٩٤) .

(٤) المصدر السابق (١ : ٣٠٥٨) .

(٥) المصدر السابق (١ : ٢٧٩٤) .

(٦) عيون الأخبار (٢ : ٢٣٦) .

(١٠) وعندما رجم عليٌّ الزانية بالحجارة . بَرَّرَ تصرفه هذا بقوله « لقد رجمتها بسنة رسول الله ﷺ » [١] .

(١١) وفي المعاهدة المعقودة بين الحسن ومعاوية ، أمر الحسن بالخلافة لمعاوية بشرط أن يتصرف **وفقا لكتاب الله وسُنَّةِ نبيه ، وسنة الخلفاء الراشدين** [٢] .

(١٢) وذكر عن يزيد بن المهلب أنه دعا الناس في البصرة إلى التمسك **بكتاب الله وسُنَّة نبيه** » [٣] .

(١٣) وعندما حلف عبد الملك يمين الولاء . ذكر أن عبد الله بن عمر قال « أقسم أن أطيع الله وفقا لسنة الله وسنة النبي ﷺ » [٤] .

(١٤) وفي الخطاب الشهير لعمر بن العزيز إلى أبي بكر بن محمد بن عمر بن حزم طَلَبَ عمر منه أن يهتم بالحديث ، وسُنَّة النبي ﷺ ، ويلتزم بذلك في الكتابة [٥] .

(١٥) وفي خطاب عمر بن عبد العزيز إلى عروة بن الزبير شرح عمر له قواعد الحكم وأوصاه بسنة رسول الله ﷺ كمصدر ثانْ للتشريع الإسلامي [٦] .

---

(١) صحيح البخاري (٤ : ٣٠٠) في الحدود .
(٢) بحار الأنوار (١٠ : ١٢٤) .
(٣) تاريخ الطبري (٢ : ١٣٩١ - ١٣٩٢) .
(٤) صحيح البخاري (٤ : ٤٠٢) كتاب الأحكام ، و (٤ : ٤١٩) كتاب الاعتصام بالسنة .
(٥) الموطأ طبعة الهند (٣٨٩) ، الأموال (٥٧٨) ، سنن الدارمي (١ : ١٢٦) ، طبقات ابن سعد (٢ : ٢ : ١٣٤) و (٨ : ٣٥٣) ، تقييد العلم (١٠٥) ، تنوير الحوالك للسيوطي (١ : ٤) .
(٦) جامع بيان العلم (٢ : ٢٤) .

(١٦) ووجدت عبارات من سنة النبي ﷺ ، وآيات من كتاب اللّه في نقوش عمر بن عبد العزيز في مسجد النبي ﷺ [(١)] .

(١٧) وقال عمر بن عبد العزيز في أحد عباراته « لا يسمح لأي شخص أن يدلي برأيه طالما توفر هذا الحكم في كتابِ اللّه ، وتقبل آراء الأئمة فحسب في حالة عدم توافر دليل في القرآن وفي سُنَّةِ النبي ﷺ » [(٢)] .

(١٨) أما بالنسبة لسؤال أحد الورثة ، ذكر أن مالكاً ، قال : لا يوجد شيء بخصوصك في سُنَّةِ رسول اللّه ﷺ » [(٣)] .

(١٩) وفي خطاب عبد اللّه بن إباض إلى عبد الملك أشار في هذا الخطاب إلى سُنَّة النَّبيِّ ﷺ ، وسُنَّةِ الخلفاء الأوائل ، وأثنى على أبي بكر لاتباعه كتاب اللّه وسُنَّةِ نبيه [(٤)] .

(٢٠) وأثنى الحسن البصري على السلف في خطابه إلى عبد الملك ، وقال : « إنهم عملوا وفقا لأوامر اللّه ، واتبعوا سُنَّة رسول اللّه ﷺ » [(٥)] .

(٢١) ونصح أبو يوسف الخليفة هارون الرشيد أن يبني حكمه وفق « سنة النبي ﷺ » [(٦)] .

(٢٢) وشرح أبو يوسف وجهة نظره بخصوص مسائل التشريع ، وقال

---

(١) دراسات في أدب البرديات العربي ، نبيهة عبود (٢ : ٢٣) .

(٢) سنن الدارمي (١ : ١١٤) طبعة دمشق .

(٣) الموطأ (٥١٣) .

(٤) كتاب الجواهر (١٥٧ - ١٦٠ ، ١٦٤ - ١٦٦) .

(٥) الإسلام (بالألمانية) ٢١ (١٩٣٣) صفحة (٦٨) .

(٦) الخراج (٧٦) .

« في المسائل القانونية يجب أن يتبع المرء سُنَّة النبي ﷺ والسلف والصحابة والفقهاء » [1] .

وهذه الأمثله التي استشهدنا بها آنفاً تظهر بوضوح أنَّ مصطلح سُنَّة النبي ﷺ استخدمه فعلا الرعيل الأول في الإسلام ، وفي عهد الرّسول ﷺ، وكان التعبير الشائع لعاداته الطيبة هي « **السُّنَّة أو سُنَّتي** » **أو سُنَّتِنا** ، ويشير التعبير الآخير إلى عادات الأنبياء بصفة عامة ، وأصبح تعبير سنة النبي شائعاً بعد موته ﷺ .

أما بخصوص مدى « سنة محمد ﷺ » فَيَبْدوا أنها أكثر انتشاراً من سُنَّة اللّه . وفي حين تغطي سُنَّة النبي القوانين الإسلامية التقليدية والتي نَزَلَ بها الوحيُ ، فإن سنة اللّه تختص بسنن الوحي ، وبالتالي فهي محددة بإطار ضيق ، فضلاً عن هذا فسنة محمد تهتم بكافة التفاصيل فيما يختص بحياة الفرد ، سواء كانت دينية أو دنيوية ، نزل بها وحي أو لم ينزل ، ولهذا يكون من الخطا أن تقرر أن القوانين القرآنية متضمَنة في سنة محمد ويجب قراءة القوانين القرآنية مع الحديث ، وتسجيل سنة النبي ﷺ وربما تؤدي هذه الفكرة إلى الاعتقاد بأن القرآن أكثر حاجة إلى السنة من احتياج السنة إلى القرآن [2] .

٤ - السنة المحلية :

إن سُنَّةَ النَّبي ﷺ كانت معروفة بداية بالنسبة للصحابة ، والسلف الذين عاشوا في المدينة ، والمدن المجاورة حيث تنقل هؤلاء الصحابة في أقاليم مختلفة من الامبراطورية الإسلامية ، وحملوا معهم سُنَّة النَّبِيِّ ، وحيثما

(١) الرد على سير الأوزاعي (٢٤) .

(٢) سنن الدارمي (طبعة المدينة) (١ : ١١٧) .

ذهبوا واستقروا كان يستقبلهم المسلمون المتحمسون بترحابٍ عظيم ، هؤلاء المسلمون الذين كانوا يتطلعون إلى معرفة المزيد والمزيد من سُنَّة النبيّ ﷺ ، وأسَّسَ بعض حَفَظة السُّنَّة مدارس خاصة بهم ، وكانوا يعاملون على أنهم المسئولون عن سُنَّة النَّبِي ﷺ وعرفوا باعتبارهم علماء . وقد تم إنشاء العديد من هذه المدارس في منتصف القرن الثاني الهجري ، وكثيرا ما اختلف علماء هذه المدارس في مسائل فقهيه ، ويتباين تفسير كلمة « سُنَّة » من مدرسة إلى مدرسة واعتقد علماء شبه الجزيرة وفي أماكن كثيرة منها أن سنتهم فحسب هي التي تحظى بالتقدير باعتبارها تمثل سنة النبي ﷺ الحقيقية ، والواقع أن السنن المختلفة والتي اتبعت في أماكن كثيرة تبين أن التعبيرين : « **والسنَّة عندنا ، ومادة السنة** » يُشيران إلى أنَّ هذه السُّنن كانت محلية أكثر من كونها سُنَّة المجتمع ككل ، ولهذا سميت بالسنة الإقليمية .

والأئمة ذائعو الصيت في هذه الفترة المبكرة أمثال الإمام مالك ، وأبي يوسف والأوزاعي استخدموا مصطلح « السنة » بمعنى السنة الأقليمية الخاصة بالمدينة ، والعراق ، والشام على التوالي .

١ - الإمام مالك :

استخدم الإمام مالك كلمة « سُنَّة » ليشير إلى العادات المنتشرة في المدينة وَميَّزَها عن الحديث لأنَّه رأى أن السُّنَّة أكثر مصداقيةً من الحديث(١) ، فكثيراً ما اكَّد على الحديث المنقول بتدعيمه بأقوال السنة المنتشرة في المدينة ، وفي حالة التعارض بين السنة والحديث . فهو يفضل السنة على

(١) للتفريق بي « السُّنَّة » ، و « الحديث » « انظر في الباب الثاني تحت عنوان « السنة والحديث » .

الحديث ، واستشهد لذلك بمثال ، فالسنة التي بمقتضاها يُسمح بشرعية الحج بالتفويض سواءً كان الشخص الذي يُحج بالنيابة عنه حياً أم ميتاً [١] : فطبقا لسنَّة أهْلِ المدينةِ ذكر أنه لا يجوز أن يحج شخص نيابةً عن شخص آخر حي [٢] ، وعلى سبيل المثال أيضا فطبقاً للحديث - المشي أمام الشخص أثناء الصلاة لا يجوز ، ولكن طبقاً لسنة أهل المدينة يقول مالك : ليس هناك مكروه في فعل ذلك [٣] .

ونادراً ما اهتمَّ الإمام مالك بسُنَّةِ المدن الأخرى ؛ لأنَّه كان يعتبر المدينة هي بيت السنة ، وفي خطابه للإمام « الليث بن سعد » إمام مصر ضَرَبَ أَمْثِلَةً عديدة تؤيد وجهة نظره ، والنقطة الأساسية التي يتمسـك بها في ذلكَ : أنَّ أهْلَ المدينة كانوا ملمين بسُنَّةِ الرسول ﷺ عن أهل المدن الأخرى.

ومما هو جدير بالذكر أن تفضيله لسُنَّةِ أهل المدينة ، شاركَهُ فيها إجْماع علماء المدينة ، ولم يكن اجتهاداً شخصياً منه .

وعلى سبيل المثال كانت أول ملاحظة له ، أن البضائع التجارية الخاصة بأهل الكتاب والمجوس يجب ألا تفرض عليها « الجزية » لأنها كانت سنة في الماضي « **مضت بذلك السـنة** » [٤] وبرَّر قبوله هذا بقوله : « هذا ما وجدته من سُنَّةِ علماء مدينتي » وكلمة « سُنَّةً » التي استخدمها **مالك** هنا تشير بوضوح إلى السنة التي انتشرت في المدينة ، ووافقَ عليها عُلماء المدينة .

---

(١) الموطأ (ط . ديوبند) ، ص (١٣٨) .

(٢) حجج أهل المدينة ، ص (١٦٢) .

(٣) الموطأ (ط . ديوبند) ، ص (١٥٢) .

(٤) الموطأ بشرح الزرقاني (٢ : ١٤٣) .

وفي موضع آخر قال مالك : إنَّ الزكاة فَرْضٌ على الرجل الذي يملك عشرين ديناراً ، وأضاف إنها سُنَّة لم يختلف عليها علماء المدينة [١] .

واستشهد **الشافعي** بنصوص مالك ، حيث استخدم مصطلح « السنة » بنفس معنى « سُنَّة أهْلِ المدينة » ويقول الشافعي : ألا تتفق مع من تحادثه على أن مالكاً لم يقل « **هذه سنتنا** » إلا إذا وافق كافة علماء المدينة على هذه المسألة ؟ » [٢] .

ونحن نجد عدداً من العبارات في موطأ مالك « تشير إلى السنن المختلفة الخاصة بأهل المدينة ، فالخطة العادية التي اتبعها مالك في هذا الكتاب أنه أولاً نَقَل سُنناً معيَّنة ، وأضاف سلسلة من المصطلحات التي تفيد ضمنا السنن السائدة في المدينة ، والمصطلح الذي استخدم عادة لنقل هذا المعنى « **الأمر عندنا** » [٣] ، « **الأمر الذي لا اختلاف فيه عندنا** » [٤] « **السنة عندنا** » [٥] ، « **مضت السنة بذلك** » [٦] ، « **السنة التي لا اختيار فيها عندنا** » [٧] .

ومن الواضح من هذه التعبيرات وتعبيرات أخرى كثيرة تعني أن سُنَّة أهل المدينة في كثير من الحالات تختلف عن السنن المنقولة ، وسنة أهل المدينة كانت مفضلة عنده عن السنن المنقولة ، وتعنى أيضاً أن سنة منطقة معينة

---

(١) الموطأ (١ : ٢٨٠) .

(٢) الرسالة ، ص (١٤٢) .

(٣) الموطأ بشرح الزرقاني (٢ : ١٠٧ ، ١٢٣) .

(٤) الموطأ بشرح الزرقاني (٢ : ١٠١) .

(٥) الموطأ بشرح الزرقاني (٢ : ١٠٥ ، ١٢٤) .

(٦) الموطأ بشرح الزرقاني (٢ : ١٤١ ، ١٤٣) .

(٧) الموطأ بشرح الزرقاني (٢ : ٩٧) .

تختلف عن سنة المنطقة الأخرى ، والسُّنّة في العبارات السابقة تشير إلى سنة أهل المدينة ، وتبرهن أيضا على أنَّ السُّنّة التي تناولها مالك كانت محددة المعنى ، وعليه فيجوز لنا أن نسمي هذه السنة « **سنة محلية** » .

٢ - أبو يوسف :

أبو يوسف هو أحد الأئمة المعاصرين لمالك ، وقد سألَنَا أنْ « **نجعل القرآن والسنة المعروفة** » إماماً وقائداً [١] ، ونصيحته بجعْل القرآن إمامنا يبدو مفهوماً تمام الفهم ، ولكن ماذا تعني **السُّنّة المعروفة** ، أو المعترف بها هنا ؟ من الواضح أنها تعني أن سنن المجتمع المسلم سواءً كان في العراق - موطن أبي يوسف - أو خارجها : شَرْعيّةٌ حقيقة بالمحاكاة ، ومن هنا يتضح أن سنة أبي يوسف لا تحاكي سنة مالك ، أو أنها أكثر اتساعاً.

ولكن إذا نظرنا من منظورٍ تاريخي إلى سنة أبي يوسف نجد أنها لا تختلف كثيراً عن السنة الاقليمية التي انتهجها مالك ، ونحن نعرف أنه في عصر أبي يوسف انتشر كثير من المدارس الفكرية المختلفة في أماكن كثيرة ، وجميع هذه المدارس تدعي أن منهجها هو المنهج الصادق ولهذا فمصطلح « **السنة المعروفة** » يعني السُّنّة السائدة في موطنه : العراق ، وهذا يجعلنا نضعه في نفس خط الإمام مالك .

وقد أحدث أبو يوسف أيضا تعبيرات « سُنّة المتعلمين » « وسُنّة قادة المسلمين » مشيراً إلى سُنّة مدينته [٢] .

٣ - الأوزاعي :

استخدم الأوزاعي - عالم الشام مصطلح « سُنّة » بنفس المعنى الذي

---

(١) حجة الله البالغة (٣٢) .

(٢) حجة الله البالغة (٤١) .

استخدمه معاصروه وهم مالك وأبو يوسف ، واستخدم تعبير « إنها سنة المسلمين في الماضي » (١) .

ويبدو أنَّ السنة التي أشار إليها الأوزاعي هي استمرار السنة النبوية كما مارسها المجتمع الإسلامي في الأجزاء المختلفة من الامبراطورية الإسلامية ، ولكن في الواقع ما يعنيه بكلمة سنة هي السنة السائده في المنطقة التي يعيش فيها ، وعندما يقول : « **هذا رأي العلم** » (٢) يقصدُ : هذا رأي الأئمة في مدينته .

جرت مناظرة بين الأوزاعي وأبي يوسف عن توزيع حصة الغنائم على الفرسان في الحرب توضح أن السنة عند الأوزاعي كانت السنة السائدة في الشام ، والأوزاعي في هذه المناظرة يقول : « إن القادة المسلمين في الماضي لم يعطوا الفرسان نصيبهم من الغنائم . وفَنَّد أبو يوسف رأي الأوزاعي وعلق قائلا : إنَّ رأي الأوزاعي هو رأي بعض علماء الشام الذين لا يعرفون تأدية الوضوء بشكل صحيح ، ولا يستطيعون تلاوة صيغة **التشهد** بصورة جيدة ، ولا يتقنون مبادىء الفقه (٣) .

وبعد هذا الهجوم العنيف من أبي يوسف على آراء الأوزاعي يتضح أن « السنَّة » التي أشار إليها الأوزاعي كانت موجودة ومعروفة في العراق ، لأنها لو كانت في منطقة أخرى لأيد أبو يوسف رأي الأوزاعي وهذا بدوره يبرهن على أن سُنَّة الأوزاعي تشير إلى السنة السائدة في الشام .

وفي ضوء الأمثلة التي استشهدنا بها فيما سبق يمكن أن نقول بثقة

---

(١) حجة الله البالغة (٥٣ ، ٧٦) .

(٢) حجة الله البالغة ص (٤٩) .

(٣) حجة الله البالغة (٢٠ - ٢١) .

واطمئنان إنَّ الأئمة المشهورين في القرن الثاني من **الهجرة** استخدموا مصطلح « **سُنَّة** » بمعنى السنة الإقليمية .

٥ - سنة المجتمع والسنة الإسلامية :

وسوف نتناول في « السنة الإسلامية » السنن الدينية الراسخة التي كانت تتبع عادة في الحياة الدينية للمجتمع المسلم ، أو كانت تعد مرغوبة من المسلمين الأتقياء ، ويمكن أن نضع تحت عبارة « السنن المرغوبة » سنن النبي ﷺ وسنن الخلفاء الراشدين التي تعتني بكل صغيرة وكبيرة في حياتهم اليومية ، مثل وسائل وطرق المأكل والمشرب ، والعلاقات الاجتماعية .

لقد اتسع مفهوم « السنة » بانتشار الإسلام ؛ ففي البداية كان قاصراً على سنة محمد ﷺ ، والتي كانت لا تتضمن القوانين الجديدة التي أدخلها بل تشمل أيضا بعض العادات التي كانت سائدة في الفترة السابقة ، وبعد موت النبي ﷺ ، أصبحت تتضمن أيضا سنن الصحابة (١) ، والخلفاء ، وبعد ذلك جاء اجتهاد الخلفاء الراشدين والذي اعتبر سنة وجزءاً لا يتجزأ من العادات الدينية للمسلمين ، وأخيرا أصبحت « السنن » التي مارسها الخلفاء الأمويون مُتَضَّمَنَةً في منظور السنة الإسلامية .

إن السنة الإسلامية في باديء الأمر كانت لا تعدوا عن كونها تعاليم النبي ﷺ وعاداته النموذجية ، ولم تكن سنة النبي ﷺ بديداً شاملاً للسنن العرفيه ؛ فكثير من السنن القديمة للمجتمع دخلت الإسلام ، وفي الواقع لم

---

(١) Guillaume : the Traditions of Islam (P : 12)

(٢) فتح المغيث للسخاوي ص (١٢) .

يكن من السهل في هذه الفترة من التاريخ أن يحرم الإسلام كل شيء كان مباحاً قبل ظهور الإسلام [١] ، فالرسول ﷺ نفسه اتبع لفترة من الوقت لبعض أعمال الديانة الموسوية [٢] ، وطلب من الصحابة أن يتبعوا سنة اليهود والمسيحين في المسائل التي لا يوجد لها أحكام في الشريعة الإسلامية .

إن هذه السنة الإسلامية لم تبعد كلية عن عادات العرب والتي يمكن رؤيتها بوضوح في احتفالات الحج ومراسمه فنحن نلاحظ أنه لا يوجد خلاف كبير بين الحج الوثني **والحج في الإسلام** . فشعائر الطواف حول الكعبة [٣] ، وتقبيل الحجر الأسود [٤] ، والأضحية [٥] ، ورمي الجمرات [٦] ، والسعي بين الصفا والمروة [٧] ، وحلق الرأس [٨] ، كانت من بين الشعائر الكثيرة التي مارسها الحجاج الوثنيون والتي تضمنها **الحج في الإسلام** .

وفضلا عن شعائر الحج وجد هناك الكثير من المعتقدات والعادات

(١) يمكن القول بأن هذه قواعد أساسية في القرآن الكريم الذي يوضح ذلك كما في (٤ : ٢٤) ، و (٦ : ١٢.) .

(٢) مثل التوجه لبيت المقدس حتى جاء الأمر بالتوجه إلى الكعبة . النهاية (١: ٣٢٩) .

(٣) الأصنام : (١٩) .

(٤) المحبر : (٣١١) .

(٥) الأصنام : (٢.) .

(٦) المحبّر : (٣١٩) .

(٧) المحبر : (٣١١) .

(٨) الأصنام : (٤٨) .

العربية قبل الإسلام الذي دخل الدين الإسلامي ، فبالنسبة للاعتقاد ، اعتقد البدو في البعث [١] ، وفي الحساب [٢] ، وهذان المعتقدان مبدآن أساسيان من مبادىء الدعوة الإسلامية ، ومن بين السنن الإسلامية يمكن أن نحصى تغسيل الميت [٣] وتكفينه في كفن [٤] ، ومراسم الجنازة [٥] ، ودفن الميت في قبر [٦] .

وذكر ابن حبيب عشر سنن [٧] تتعلق بالطهارة التي كانت شائعة في العصور الجاهلية ودخلت هذه السنن الإسلام ، وتم تصنيفها على أنها فرض ، أو سنة مستحبة بواسطة الأئمة المتأخرين .

إنَّ جزءاً كبيراً من هذه السنن مثل الأحكام الشخصية فيما يتعلق بالزواج [٨] ، والطلاق [٩] والميراث [١٠] ... إلخ دخلت الشريعة الإسلامية رغم أنها كانت سنناً من حقبة الجاهلية .

---

(١) المحبّر : (٣٢٢) .

(٢) المحبّر : (٣٢٢) .

(٣) المحبّر : (٣١٩) .

(٤) المحبّر : (٣٢١) .

(٥) المحبّر : (٣٢١) .

(٦) المحبّر : (٣٢١) .

(٧) المحبر : (٣٢٩) ، وهذه السنن العشرة هي : المضمضة ، والاستنشاق ، والسواك ، وتخليل اللحية ، وأخذ الشارب ، والختان ، وحلق العانة ، ونتف الإبط ، وتقليم الأظافر ، والاستنجاء .

(٨) المحبّر : (٣١٠) .

(٩) المحبّر : (٣٠٩) .

(١٠) المحبّر : (٢٣٦) .

وقد دخلت هذه السنن الإسلام سواء بصورتها الحقيقية أو بإدخال بعض التعديل الطفيف . ولهذا فالسنة الإسلامية في حياة الرسول ﷺ تكونت من عادات غير إسلامية واحتفظ بها الإسلام بالإضافة إلى السنة الجديدة التي أدخلها النبي ﷺ وسار عليها المجتمع .

فالسنة الإسلامية كانت في الواقع سنناً إسلامية راسخة للمجتمع الإسلامي . وكان يعبر عنها بعبارات مثل : « **جرت به السُّنَّة** » « **مضت به السنة** » وكثير من المصطلحات الأخرى (١) .

والأمثلة التالية توضح استخدام هذه التعبيرات بهذا المعنى السابق :

أ - عندما سئل عن القواعد المنظمة بقبول **الجزية** من الوثنيين ذكر أن الزُّهْري ، قال « إنها كانت سنة » « **مضت السنة** » أن نقبل هذه الجزية من المسيحيين واليهود العرب » (٢) .

فصيغة « **مضت السُّنَّة** » في هذا النص تبين بوضوح أن هذه السنة مقبولة عموماً ومعروفة في المجتمع الإسلامي ؛ ولهذا نسميها « **السنة الإسلامية** » .

ب - وعند مناقشة شعائر محددة في **الحج** ذكر ابن هشام أنه عندما أدّى النبي ﷺ حجّةَ الوداع ، تمسك بها كشعيرة من الشعائر ، وبذلك أصبحت سنة معروفة في المجتمع الإسلامي (٣) « **مضت السنة** » فهذا التعبير يشير هنا إلى سنة المسلمين عموما ، ولهذا يمكن أن نسميها « **سنة إسلامية** » .

---

(١) السيرة (٦٩٢ - ٦٩٣) ، الأم (٧ : ٣.٦) ، الأموال (٦١٢) .

(٢) الأموال (٢٦) .

(٣) السيرة : (٧٨٩) .

جـ - وبالاشارة إلى السنة التي طبقها النبي ﷺ في توزيع غنائم بني قريظة ، يقول ابن إسحاق : .

ظلت هذه السنة سنة معتادة في المجتمع الإسلامي فيما يختص بالغزوات « **مضت السنة في الغزوات** » (١) .

ويشير الشافعي إلى هذا المثال ويقول إنَّ أتْباع الأوزاعي يقولون : « إنها كانت سنة معروفة » « **وبهذا مضت السنة** » ولم يوافق المسلمون على ذلك (٢) ، وهذه آخر ملاحظة لأتباع الأوزاعي كما نقلها الشافعي وتبين بوضوح أن العبارة السابقة توضح أنها سنة إسلامية .

وفي الواقع إن عصر الصحابة بعد النبي ﷺ شَهِدَ تغيراً حقيقياً في معنى السنة ، ففي هذه الفترة اتَّسَعَ مفهوم السُّنَّة ، ولم يشتمل على العادات التي كانت سائدة في الجاهلية ، ولا سنة النبي ﷺ فحسب ، بل أضيف إليها سلوك الصحابة وتصرفاتهم ، وبخاصة الخلفاء الراشدين .

لقد كان الصحابة حريصين أَشَدَّ الحرص على الحفاظِ على سُنَّة النبي ﷺ وإخلاصهم لها ، ورتَّبوا حَيَاتَهُم وِفْقاً لها ، واعتبر الناس هؤلاء الصحابة أوصياء على سُنَّة النبي ﷺ وحازوا ثقة المجتمع بسبب حبهم لسنَّةِ النبي ﷺ ، وبسبب تماثل أعمالهم مع سنة المصطفى ﷺ .

وكانوا يعدون حاملين مخلصين للسنة ، وهم مخلصون بحقّ لأنهم كانوا حريصين متشددين في قبول الأحاديث التي يزعم أصحابها أنها انبعثت من الرسول ﷺ ، وكانت المعلومات التي يحصلون عليها توضع تحت الاختبار والتحقيق ، ثم تقبل إذا كانت صادقة .

---

(١) السيرة : (٦٩٢ - ٦٩٣) .

(٢) الأم (٧ : ٣٠٦) .

وعلى سبيل المثال وافق أبو بكر أن يُعطيَ { من ميراث شخص متوفٍ } سُدْسَ التركة للجدة ، عندما اقتنع أنَّ الرسول ﷺ فَعَلَ ذلك [١] .

وتَمسُّكَ عمر بنفس الاتجاه بالنسبة لقبولِ السنن الغير المعروفة لدى البعض ، وذُكر أن أبا موسى الأشعري زار عمر بن الخطاب وطرق بابه ثلاث مرات ، ولما لم يردّ عليه أحد بالداخل ، قرر أن يرجع ، ثم ظهر عمر وراءه عائداً فاستدْعاه وسأله عن سبب رجوعه ، فردٌ عليه أبو موسى أنه سمع الرسول ﷺ يقول : « إذا طَرَقَ شَخْصٌ باب شَخْصٍ ما ثلاث مرات ، ولم يردّ عليه أَحَدٌ ، وَجَبَ عليه ألا ينتظر أكثر من هذا » .

وهذا الحديث الذي استشهدَ به أبو موسى لم يكن يعرفه عمر ، ولكي يحقق ذلك وخاصة لأنها تشمل كلمة « سنة النبي ﷺ » هدَّدَ بعقاب أبي موسى لو فشل في أن يؤكد بشاهدٍ هذا الحديث .

ولهذا أتى أبو موسى بشاهدٍ سَمِعَ الحديث بأذنه ليؤكد أنه سمع هذا الحديث ، وحينئذ أصبح الحديث صادقاً صحيحاً [٢] .

وعلى سبيل المثال أيضا ، لم يكن الإمام عليّ يقبل من أحد حديثاً إلا بعد أن يحلّفه اليمين [٣] .

ومن هنا نجد أنَّ الخلفاءَ كانت لهم وسائلهم في بحث « السنن المنقولة » ، وكانوا يترددون في قبول الحديث حتى يُدْرَس بدقة ، ويوافَقْ عليه بالإجماع .

وإذا وَضَعنَا في الاعتبار هذا الحرص المتناهي للخلفاء الراشدين تُجَاه

---

(١) معرفة علوم الحديث للحاكم (١٥) .

(٢) تذكرة الحفاظ للذهبي (١ : ٦) ، صحيح البخاري (٤ : ٤٣٨) في كتاب الاعتصام بالسنة .

(٣) معرفة علوم الحديث للحاكم (١٥) .

الحفاظ عليَّ سُنَّة النبي ﷺ »فقد سلم المسلمون الأوائل بأن سنن الصحابة مطَابقة - بالضرورة - لسنة النبي ﷺ .

ولهذا السبب فمن المحتمل أنه في هذا العصر البعيد كان كافيا أن تنسب سُنَّة معينة إلى الصحابة الأوفياء على أساس أنها مرتبطة بسنة النبي ﷺ ، وبهذه الطريقة فحتى الآراء الشخصية (المبنية على القرآن والسنة) في هذا المسار أصبحت إجماعاً للمجتمع ، وكونت ما عرف «بالسنة الإسلامية»(١) .

وبالنسبة لهذا النوع من « السنة » يشير الإمام علي في هذه العبارة إلى « أنَّ رسولَ اللّه ﷺ اعتاد أن يحكم بأربعين جلدة (عقوبة شارب الخمر) « وأن أبا بكر حكم بأربعين جَلدة أيضا ، وحكم عمر بثمانين جلدة ، وعلق عليٌّ قائلا : « **كل هذا سُنَّة** » (٢) .

وتعليق الإمام عليّ هذا غاية في الدلالة (على ما ذهبنا إليه) لأنه يوضح أنَّ سُنن الصحابة شكلت « **السنة الإسلامية** » .

ويبدو أن حسن بن محمد بن علي بن أبي طالب أشارَ إلي « السُّنَّة الإسلامية » عندما قال : « من تبرأ من أبي بكر ، وعمر ؛ فقد تَبَرَّأ بحقٍّ مِنَ السُّنة » (٣) .

إنَّ الدليلَ على أنَّ سُنَّة الصحابة شكلت سُنَّة الإسلام هذا البيان الذي قاله عمر معلقا على قانون تعيين الخلفاء ، فقد ذكر أنه قال « لو عينت خليفةً ستكون سُنَّةً ، ولوْ لم أعين خليفةً ستكون سُنَّةً أيضاً ، فالرسول ﷺ توفى دون أن يعين خليفةً ، وأبو بكر توفي وعَيَّن خليفةً » وبمعنى آخر : إنَّ لديه سابقة في السُّنَّة (٤) .

---

(١) نظرات عامة في تاريخ الفقه الإسلامي لعلي حسن عبد القادر ، ص(١١٦) .
(٢) الخراج (٩٩) ، كشاف مصطلحات الفنون (١ : ٧.٧) .
(٣) مشاهير علماء الأمصار ، ص (٦٢) ، الترجمة رقم (٤٢١) .
(٤) طبقات ابن سعد (٣ : ١ : ٢٤٨) ، وتاريخ الطبري (ط . أورية) ، ص (٣ : ٢٤١) .

ونلاحظ في القول السابق أنّ سُنّةَ أبي بكر وصَفَها عمر بأنها سُنّة ، وهذا يؤكد أنّ السُّنّة الإسلامية تكوّنَتْ من سُنّةِ النبي ﷺ والخلفاء الراشدين رضي الله عنهم .

ولعلّ السبب في دخول سُنّة الخلفاء الإسلام ومساهمتها في توسيع منظور « السنة الإسلامية » هو حقيقة أنّ المجتمع كان على ثِقَةٍ تامة بأن الخلفاء مخلصون بحق للإسلام ، وأنهم قد تمسّكوا بسنة النبي ﷺ ، ومع هذا فعندما أصدر هؤلاء الخلفاء أحكاماً شرعيةً في قضايا معينة مستجدة عن السنة المعروفة ، رَفَضَ الناسُ قبولها حتى اقتنعوا أن هذا التغيير صدر عن إيمانٍ مطلق ومطابق لروح سُنّةِ النبي ﷺ .

ولنأخذ مثالاً على ذلك وليكن بيع أمهات العبيد (**أمهات الأولاد**) فقد كان مسموحاً به في عصر النبي ﷺ وعندما جاء عمر الى الحكم ، مارسَ حَقّهُ في **الاجتهاد** ، وحرم هذه **الصفقات** ، وهو بهذه الطريقة غيّر سُنّةَ النبي ﷺ وأقامَ سُنّةً جديدة ، ولقيَ تصرفه هذا قبولاً واستحساناً من المجتمع ، لأن الغرض منه كان نبيلاً ، وهو بهذا قد اتخذ خُطوةً تجاه إلغاء العبودية ، والتي كانت تُعَدُّ واحدةً مِنْ الأهدافِ الرئيسة للنبي ﷺ .

وعليه . فهذا التغيير كان مطابقاً لروح سُنّةِ النبي ﷺ ، وكان محل قبول من المجتمع وأدخل في السنة الإسلامية .

أما السنن التي أدخلها خلفاء آخرون فَقَدْ وَسَّعَتْ أيضا من منظور السنة ، بهذه الوسيلة وكبرت مجالها ، فالخليفة عثمان مثلا أدْخَلَ النداء الثالث في صلاة الجمعة ، والذي أصبحت الآن جزءاً من السنة الإسلامية [١] .

---

(١) الموطأ (ط . لكنو ، وديوبند) ، ص (١٣٨).

في حين أن الخليفة عمر وضع أوليات مثل فرض ثمانين جلدة عقوبة لمحتسي الخمر ، وتشريعه بأن الحلف بالطلاق ثلاث مرات في مجلس واحدٍ ، معادل للطلاق الذي يحلفه الشخص على ثلاث مرار .

كل هذا يوضح أن السُنّة الإسلامية هي امتداد للسُنّة المحمدية .

ولنأخذ مثلا آخر : فقد ذكر أنه حتى عصر الخليفة الأموي مروان بن الحكم كانت **خطبة العيدين** تتم بعد الصلاة ، وعندما لاحظ هذا الخليفة أن كثيراً من الناس يترك المسجد دون الاستماع إلى الخطبة أدْخَلَ نظاماً جديدا ؛ حيثُ بدأ بإلقاء **الخطبة قبل الصلاة** (١) ، وأدخل هذه السُنّة ، فالسنة القديمة الخاصة بإلقاء الخُطبة بعد الصلاة اختفت بعد دخول السنة الجديدة (٢) ، ولهذا فالسنة الإسلامية تندمج معها السنن الجديدة .

والسُنّة تعني عمل : « أهل السنة والجماعة » وعلى الرغم من أنها استخدمت ضد الشيعة - وهم اتباع علي - وتشير في الواقع إلى اتباع السنة الإسلامية ، ولهذا فأهل السُنّة المقصود بهم بوجه عام المسلمون التقاة الذين التزموا بسنن النبي ﷺ (٣) .

وتستخدم اليوم لتشير إلى أحد المذاهب الأربعة وهم : الحنفية والشافعية ، والمالكية والحنابلة ، وهم في الواقع أتباع السنة الإسلامية .

---

(١) كتاب الآثار لأبي يوسف (٥٩) .

(٢) ليس الأمر على ذلك الآن ، ويبدو أن ما فعله مروان بن الحكم لم يستمر إلا قليلاً ولعل إجماع المسلمين لم يتقبل سنته تلك ! (المترجم) .

(٣) كتاب « المحمديون » تأليف « جب » صفحة (٧٤) ، والفكر الإسلامي تأليف (وات) ص (٨٠ ، ٩٠) . من المعروف أن المسلمين ينتسبون إلى الإسلام فهم مسلمون لا محمديون . (المترجم) .

(٦) السُّنَّة التشريعية - سُنَّة التشريع الإسلامي .

لقد اكتسبت السنة معنى فنياً في الأدب الفقهي ، والمعنى التجريدي لها يعني تصرفاً محموداً ، ويلاحظ أن هذا المعنى يتضمن المدح وليس الذم ، واستخدم هذا اللفظ نقيضاً للكلمة فرض أو واجب ، والذي يعني الإلزام » [١] .

وقسم الفقهاء المسلمون العبادات إلى خمس فئات :

١ - **الفرض** أو **الواجب** ويعني به الإلزام .

٢ - **السُّنَّة** - **النفل** ، **والمستحب** وهو ما يقدَّر فعله .

٣ - **الجائز** أو **المباح** ويعني المصرح به .

٤ - **المكروه** ويعني به غير المفضل أو غير الموافق عليه .

٥ - الحرام ونعني به الممنوع .

وكما هو واضح من التصنيف السابق ، فإن وقوع السُّنة في الفئة الثانية غير ذات أهمية حيث أنها تتضمن السنن الدينية غير الملزمة مثل : **الأضحية** [٢] ، **والعمرة** [٣] ، **والغسل أيام الجمعة** [٤] ، وهذه السُّنَّة التشريعية قسمت نفسها إلى أقسام كثيرة مثل :

---

(١) تهذيب الأسماء واللغات (٢ : ١ : ١٥٦) ، رد المحتار (١ : ٧٢) للتفريق بين « السُّنة والواجب » ، وبين « سني وشيعي » انظر الكافي (١ : ٧١) ، وإزالة الخيفة ، ص (٢ : ١٤١) .

(٢) الموطأ (٤٨٧) .

(٣) الموطأ (٣٤٧) ، والحجج (١٤٣) .

(٤) الكفاية (٥٩٢) .

(أ) سنة الهُدى ، أو السنة العادية والسنة المؤكدة بمعنى ان تارك هذه السنة لا يستحق عقاباً أوْ لوْماً مثل إهمال صلاة تحية المسجد [1] .

(ب) سنن الزوائد وهي سنة لا يستحق تاركها لوماً [2] ، وهذا النوع من السنة يركز على عادات النبي ﷺ في الملبس ، والمسكن .

وفي هذا المجال يجب أن نشير إلى أنّه رغم أنّ هذه المفاهيم التي تناولناها سابقاً وجدت في وقت مبكر من الإسلام ، فإنّ صياغة المفاهيم الفنية الأكثر دقةً وتحديداً لم تظهر إلا بعد ذلك بكثير .

يقول شاخت [3] إن هذه التصنيفات لم تكن معروفة عند الشافعي ، ولا عند من سَبَقَهُ ، فقد استخدمت تعبيرات بديلة في الفتره الأولى من الإسلام للتعبير عن المعاني التي تؤكد هذه المفاهيم ، فقد استخدمت عبارات وجمل **طويلة للذي يمكن أن نعبر عنه في وقت لاحق بكلمة أو اثنتين .**

* * *

(١) نظرات عامة في تاريخ الفقه (١٢.) ، كشاف اصطلاحات الفنون (٤ . ٧) ، وصحيح مسلم (١ : ٢٤٩) .

(٢) نفس المصادر في الحاشية السابقة .

(٣) شاخت : نشأة الشريعة (١٣) .

الفصل الثاني
دراسة دلالات لفظ الحديث

١ - المعنى الحرفي للحديث

أ - جديد أو حديث : إذا تبادلنا كلمة « حديث » طبقا لعلم دراسة دلالات الألفاظ وتطورها فهو مشتقٌ من الأصل **حادَثَ** ، والمعنى أن حادثةً حَدَثَتْ مؤخرا ، ولم تَحدُثْ مِنْ قبل [١] ، وله معنيان أساسيان :

(أ) جديد أو حديث وهذا باعتباره مقابلاً لكلمة « قديم » .

(ب) محادثة ، أو حديث ، أو قصة .

وبالنسبة للمعنى الأول استشهد ابن هشام بنصٍ يحدث فيه **القديم والحديث** جنباً إلى جنب ، وذكر أن رفاعة بن زيد سَلّم خطاباً إلى محمد ﷺ { كان محمد كتبه إليه } وبه التعليق التالي : « دونك يا رسول الله قديماً كتبوه ، وحديثاً غدروه أناشدك يا رسول الله أنْ تَأْخُذهُ إنه كُتِبَ منذ فترة طويلة ولكنَّ تدنيسه هو الحديث } [٢] .

واستخدم عبد الله بن مسعود أيضا الحديث بنقيض « **قديم** » ، وعرف من سلوك الرسول ﷺ تحريم التحية أثناء الصلاة ، فكتب يقول : « كنا نسلّم في الصلاة ، ولكن ذات مرة قدمت على الرسول ﷺ وكان يصلّي فسلمت عليه فلم يرد عليَّ السلام ، **فأخذني ما قَدُمَ وما حَدُثَ** [٣] فلما

(١) مقاييس اللغة (٢ : ٣٦) ، مختار الصحاح (١٤٢) .

(٢) السيرة (٩٧٨) .

(٣) سنن أبي داود (١ : ٣٣٥) في الصلاة ، حديث رقم ٩٢٤ .

قضى رسول الله ﷺ الصلاة ، قال : « إن الله يُحْدثُ من أمره ما يشاء ، وإن الله قد أحدَثَ أن لا تكلّموا في الصلاة » (١) .

وفي نصٍّ آخر وَجَدْنا أن النَّبِيَّ يستخدم مصطلح حديث مع نقيضه (قديم) بنفس المعنى ، فبعد تعليم الوصايا العشر لعمِّه ، يقول : « ... إذا أنت فعلت ذلك ، غفر الله لك ذنبك أوله وآخِره ، **قديمه وحديثه** ، خَطَأَهُ وعمْدَهُ ، صغيره وكبيره ... » (٢) .

فكلمه حديث استخدمت هنا بمعنى جديد أو حديث .

إن الفعل « أحْدَثَ » مشتقٌ من نفس الأصل ، ويعني « استنباط شيء جديد » ؛ فعلى سبيل المثال في نصٍّ يتعلق بإضافة عبد الله بن الزبير باباً جديداً في مَبْنى الكعبة قيل : **وأحْدَثَ فيه باباً آخر** (٣) ، ومعنى هذا المثال أنَّ فيها « باباً قديماً » وأضيف بابٌ آخر إليها .

مثال آخر : في فجر الإسلام رأى اليهود النبي ﷺ يصلي تُجَاهَ بيت المقدس ، وعلقوا قائلين « على الرغم من أن محمداً ﷺ يدَّعي أنَّهُ نبيٌّ ، فإننا لا نراه قدم أي شيء جديد في نبوته : { **ما نراه أحْدَثَ في نبوته شيئاً** } (٤) ، ألم يُصَلِّ تَجاهَ قبلتنا ، ويتبع سُنَّتَنا ؟= { **ويستن بسنتنا** }.

وكذلك فقد ذكر أنَّ ترتيل السور القرآنية أثناء الطواف كان شيئا **حديثاً** (٥) .

---

(١) المصدر السابق ، نفس الموضع .

(٢) سنن أبي داود (٢ : ٢٩) ، حديث رقم (١٢٩٧) .

(٣) أخبار مكة للأزرقي (١ : ١٣٧) .

(٤) النهاية (١ : ٣٤٢٩) .

(٥) أخبار مكة (٢ : ٨) .

ويتضح من الأمثلة السابقة أن الصيغة الفعلية من « **حَدَثَ** » لها دلالة أساسية في الإبداع والخلق ، وتعني ممارسة فعل لأول مرة ، لم نستخدمه من قبل .

ولهذا فالاسم المشتق « **حديث** » أصبح مرادفاً لـ : « **بدعة** » والتي تعني التجديد .

ولنأخذ مثالاً : عندما سمع الأب ابنه يرتل صيغة البسملة بصوتٍ مرتفع في بداية الصلاة صاح فيه قائلا : يا ولدي كن حريصا هذه بدعه (**يابني إياك والبدعة**) [(١)] .

وطبقا للسنة التقليدية ، وصيغة الصلاة يجب أن تتم همساً ، ولذلك لم يوافق الأب على النطق بصوت مرتفع ، وأطلق على قراءة ابنه « حَدَثَ » أو تجديد .

ومع أن لفظ « حَدَثَ » بالمعنى الحرفي تعني التجديد إلا أنها في مفهوم الشريعة الإسلامية تعني إبداع قاعدة جديدة في القانون ، وتعني بالتالي إدخال سُنَّة لم تكن موجودة من قبل ، وسوف نستشهد ببعض الأمثلة لنوضح هذه النقطة .

١ - ذكر الطبري أنَّ الخليفة عثمان عندما بدأ يطرد « الخارجين عن الشريعة » ، قال أولياء أمور هؤلاء الشباب المطرودين : هذا الأمر لم يحدث من قبل ، ولكن طرد الرسول ﷺ كان للحكم بن أبي العاص [(٢)]

(١) جامع الترمذي (٢ : ٤٣) في الصلاة .

(٢) هو الحكم بن أبي العاص طريد رسول الله ﷺ ، نفاه من المدينة إلى الطائف وخرج معه ابنه مروان ، وقد اختلف في السبب الموجب لنفي رسول الله ﷺ إياه ، فقيل : كان يتسمع سر رسول الله ﷺ ويطلع عليه من باب بيته ، وإنه هو الذي أراد رسول الله ﷺ أن يفقأ عينه بِمدْرَى في يده لما اطلع عليه من الباب ، وقيل إنه كان=

وتعليقا على هذا النص يقول « براقمان » : يجب أن نلفت الانتباه لاستخدام الفعل « **أحْدَثَ** » الذي يعني مصطلحاً محدداً في إبداع سنة [١] أو إحداثها .

٢ - واستشهد أبو داود بنصٍ يوضح أنَّ **ردَّ السلام أثناء الصلاة** كان مسموحاً به في بداية الإسلام ثم حُرِّم بعد ذلك أما عند مناسبة نقض هذا القانون وخلق سُنَّة جديدة فقد ذكر أنَّ الرسول ﷺ قال « لاريب » **أن الله قد أحدث من أمره أن لاتكلم في الصلاة** [٢] ، ويبنى على إدخال هذا القانون الجديد **لا تَحَدُّثَ أثناء الصلاة** .

٣ - واستشهدت عائشة بقول النبي ﷺ : « من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو ردٌّ » [٣] بمعنى [أن من يدخل شيئا مستحدثا في عقيدتنا لايوجد بالفعل فيها فهو رد عليه] .

وعلى سبيل المثال فابن عبد الله بن مُغَفَّل ، قال : « سمعني أبي وأنا في الصلاة أقول : « بسم الله الرحمن الرحيم » ، فقال لي ": أيْ بُنَيَّ مُحْدَثٌ ، إياك والحَدَثَ ، قال : **ولم أر أحداً من أصحاب رسول الله ﷺ كان أبْغَضَ إليه الحدثُ في الإسلام ...»** [٤] .

ومعنى هذا القول : أنه يلاحظ أنه لايوجد بين أصحاب رسول الله ﷺ من كان أكثر منه بغضاً للحَدَث ، يعني (القوانين الجديدة) ، أو لنقل : الإحداثات الجديدة في الإسلام **(ما أحدثتُ في الإسلام حَدَثاً)** [٥] .

= يحاكي رسول الله ﷺ في مشيته وبعض حركاته ، فالتفت الرسول ﷺ إليه يوماً فرآه وهو يتخلج في مشيته ، فقال : كن كذلك . فلم يزل (المترجم) . وانظر تاريخ الطبري ط أوربة (١ : ٢٩ . ٣) .

(١) فجر الإسلام (١٦٢) .

(٢) سنن أبي داود (١ : ٣٣٣) في الصلاة ، حديث رقم (٩٢٤) .

(٣) سنن أبي داود (٤ : ٢٨) في السنة ، حديث رقم (٤٦٠٦) ، وأيضاً انظر الأموال (١٨٥)

(٤) جامع الترمذي (٢ : ١٣) في الصلاة حديث رقم (٢٤٤) .

(٥) علوم الحديث ومصطلحه . صبحي الصالح (٧) .

٤ - وبالاشارة إلى مناقشته عن الدراسة الفكرية في الإسلام يقول الحسن البَصْري في خطابه إلى عبد الملك « أنحن أول من ناقشناها **(أحْدَث الكلام فيه)** [١] .

واضح من الأمثلة السابقة أن كلمة « **حَدَث** » تعني تقديم شيء جديد .

ومن هذا المعنى فربما كلمة « **حدث** » وجمعها « **أحداث** » أصبح معناها « جريمة » أو « عدوان » والمعنى الذي تتضمنه يعني أن هذه الجريمة تم ارتكابها لأول مرة .

ولنأخذ مثالا على ذلك فقد ذكر الأزرقي أن قبيلة العماليق ارتكبت أحداثاً في مكة ، وبسبب هذه الأحداث تستحق العقاب من اللّه [٢] .

والأحداث يُقصد بها الجرائم التي ارتكبوها .

وفي نصٍّ آخر تحدث الأزرقي عن قبيلة « الجراهمة » ، وقال : إن هؤلاء الناس ارتكبوا جرائم أو اعتداءات في قبيلتهم لم تكن معروفة لهم .

وبدلا من جرائم استخدم كلمة « أحداث » ، ونقول { **وأحدثوا فيها أحداثاً لم تكن** } بمعنى أنهم ارتكبوا جرائم لم ترتكب من قبل [٣] .

وكلمة « **حَدَث** » بمعنى عدوان ، وجدت أيضا في « نصٍّ » وُجِدَ في سجلات الطبري .

لقد ذكر أنه عند استسلام بني قريظة لم تقتل أي أمرأة عدا واحدة ارتكبت عدواناً (**حادثاً أحدثته** [٤]) والحادثة أنها وضعت السم للرسول ﷺ .

(١) الإسلام (بالألمانية) (٢١ : ٦٨)
(٢) أخبار مكة (٢ : ١٠٦)
(٣) أخبار مكة (١ : ٤٣)
(٤) تاريخه (ط . أوربة) = (١ : ١٤٩٤ - ١٤٩٥)

وفي الواقع فإن كلمة « حدث » بمعنى « عدوان » وجدت في وثائق مكتوبة من عصر النبي ﷺ فهي موجودة على سبيل المثال - في معاهدة السلام [١] ، وفي دستور المدينة [٢] .

إنَّ « **حدث** » **وأحدث** بمعني عدوان ، وارتكب جريمة يمكن أن نراها بوضوح في الأمثلة التالية :

* يذكر الطبري أنَّ كعب بن أسد قَدَّم ثلاثه اقتراحات ليهود بني قريظة عندما تأكدوا أنهم سيلقون حتفهم على يد المسلمين ، وأحد هذه الاقتراحات هو الهجوم على محمد ﷺ وأصحابه يوم السبت (ولم يكن من المتوقع حدوث هذا الهجوم لأنه يوم راحة عند اليهود) ، ولم يوافق اليهود على هذا الاقتراح ، وقالوا « هل كنا سنرتكب هذا العدوان في هذا اليوم ونعمل في يوم السبت من غير علم قبيلتنا ، ولم يفعله أحد قبلنا ، ونُشَوِّه عقيدتنا !؟ {**ونحدث فيه ما لم يكن أحدث فيه من كان قبلنا إلا من قد علمت فأصبح من المسخ** } [٣] .

وطبقاً لتقرير آخر (مع تعديل طفيف) فقد كان رَدّ اليهود في هذه الكلمات : « بعضنا ارتكب عدواناً وأُخَذَ عقوبة لم تكن مجهولة لك » {**وقد كان أحدث فيه بعضنا حدثاً فأصابه مالم يخفى عليكم** } [٤] .

إنَّ الفعل « أحدث » في صيغة الجمع بمعنى ارتكاب عدوان ، وجد في عقد أصدره الرسول ﷺ لقبيلة عبد القيس والتي كانت تقطن

---

(١) السيرة لابن هشام (٢.٩) ، والطبري (١ : ٢ : ٣٧)

(٢) السيرة لابن هشام (٣٤٣)

(٣) تاريخ الطبري (١ : ١٤٨٨)

(٤) تاريخ الطبرى (١ : ١٤٨٢)

البحرين[1] ، وكلمة محدث (هى التصريف الثالث لكلمة أحدث) موجودة في دستور المدينة [2] ، وفسرها (البروفيسور . سرجنت) بطريقة صحيحة على أنها إجرام [3] .

* وفي تقرير وُجد في سيرة ابن هشام يقال إن رجلاً وامرأه من قبيلة جرهم ارتكبا عدواناً (أحْدَثا) [4] في مقام الكعبة ، ونتيجة لهذا سخطهما الله إلى أحجار [5] .

* ومرة ثانية يذكر مالك هذه الكلمة عادة حيث إن هذه الكلمة وجدت بمعنى ارتكاب الزنا - باعتبارها جريمة عدوانية [6] .

وكلمة أحداث وحدت معبر عنها في شعر حسّان وفي أحد قصائده يندب موت عثمان ويقول :

يا زيدُ يا سيِّد النجار إنا لما أَحْدَث قومك في عثمان لي خَبَراً [7]

وفي هذا المثال يناشد الشاعر زيدَ بن ثابت قائد قبيلة النجار قائلاً : ولا ريب إنني أخشى العدوان ، أي أنه يخشى أن يرتكب رجاله جريمة ضد عثمان .

---

(١) الطبري (١ : ٢ : ٣٢ ، ٣٣ ، ٥٤) ، الوثائق السياسية (٧٢) .

(٢) السيرة (٣٤٢) .

(٣) Serjeant (the constitution of medina)

(٤) The OFFence committed by them was copulation .

(٥) السيرة (٥٤)

(٦) الموطأ (٣ : ١٦٤)

(٧) ديوان حسان (٢٨)

* والشاعر الجاهلي « عمرو بن كلثوم » يعتبر كلمة حادث « عدوانا » من جانب محبوبته لتقطع علاقتها به ، ويقول :

كيف نسألك حال أحدثت صرماً

بي وشك البين أم خنت الأمانا [١]

ويطلب الشاعر من محبوبته أن تقف حتى يسألها ما إذا كانت قطعت علاقتها به (وذلك في حد ذاته عدوان ارتكبته في حقه) لتحثّه على الانفصال ، أم هى تخدع من وَثَق فيها ولم يعرف الخداع ؟ ! .

وفي الواقع أن كلمة « حَدَثَ » في معناها الحرفي تستخدم لتشير إلى ارتكاب أى فعل غير مرغوب فيه ، سواء وقع هذا الفعل تحت طائلة القانون أم لا ، وعليه فكلمة « **حدث** » التي وحدت في سنة أهل المدينة[٢] قد فسرها « العسقلاني » على أنها أفعال مخالفة للشرع وأنها أفعال مكروهة [٣] .

ولكن المعنى الأساسي لكلمة « **حَدَثَ** » هو أن تؤدي عملاً لأول مرة أو أن تجدد في هذا العمل ، ولهذا نجد في القرآن قصة يسأل فيها الخضر موسى : إذا أردت أن تتبعني لا تسأل عن أى شيء حتى أحدثك أنا فيه أولا « حتى أُحْدِثَ لك منه ذكرا » [٤] .

---

(١) الشعراء السبع (١٣٢)

(٢) النص الذي فيه الكلمة في صحيح البخاري (٤ : ٤٢٨) في كتاب الاعتصام بالسنة ، يقرأ كما يلي :

« ... المدينة حرم ... فمن أحْدَثَ فيها حدثاً فعليه لعنةُ اللّه والملائكة والناس أجمعين ... » .

(٣) إرشاد الساري (١٠ : ٣٢)

(٤) القرآن الكريم (١٨ : ٧٠)

وفي موضعٍ آخر استخدم القرآن كلمة « **أحْدَث** » بمعنى الاطلاع على بعض الأفكار الجديدة ففي تحريم النطق بالطلاق المتسرع يقول القرآن في سورة الطلاق : « لعل اللّه يُحْدِث بعد ذلك أمرا » (١) .

ومرة ثانية ، في شرح بعض أغراض وحي القرآن يقول اللّه « لقد أرسلنا هذا القرآن بلسانٍ عربي » وأدخل اللّه تهديدات ووعوداً مختلفة في تلك المسألة ، حتى يخشى العبادُ اللّه ، وحتى يحيى بعض المحامد فيهم (أوْ يُحْدِثَ لهم ذكرا) (٢) وكلمة « يُحْدث » في الآيات السابقة استخدمت مرتبطة بأمر وذكر ، بينما عندما تناولنا « **يحدث** » فيما سبق وجدناها تشير إلى إحْداث تغيير ، وموقف جديد ، والذي يمكن أن يحدث مصالحة بين الزوج والزوجة ، وذلك في السورة الأخيرة ، وبتذكير الكافرين بهذه الذكرى كما لو كانوا يعرفونها لأول مرة .

ويتضح من المناقشات السابقة أنَّ المعنى الأساسي لأصل « حَدَثَ » هو جديد أو مستحدث ، والكلمة بهذا المعنى استخدمت كثيراً في الشعر الجاهلي .

ويقول الشاعر الجاهلي الخَصَفي (٣) :

ونُرْسي إلى جُرْثُومَةٍ أُدْرِكَتْ لنا حديثاً وعادياً من المجد خِضْرِمَا (٤)

---

(١) القرآن الكريم (٦٥ : ١)

(٢) القرآن الكريم (.٢ : ١١٣)

(٣) هو الخَصَفي الشاعر الجاهلي من مُحارب ، واسمه عامرُ المَحَاربيُّ ، وهو من بني محارب بن خَصَفة بن قيس بن عيلان بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان . (المترجم) .

(٤) (الجرثومة) = أصل الشجرة ، وضرب هذا مثلاً للحسب .
(العادي) = القديم كأنه من عهد عاد .
(الخِضْرِم) = الكثير أو الواسع . (المترجم) .

ومعنى هذا البيت : أنّنا نُسْرِع الخُطى إلى أصْلِ الجذر التي وصلت مرحلة النضج بيننا فالمجد القديم والحديث متوفرٌ وجليٌّ وكثير [١] .

ومرة ثانية ، فمتمم بن نويرة [٢] في مرثية أخيه يترنم بتساؤل بنت العَمْري (ربما تكون زوجة المتمم) :

تقولُ ابنةُ العَمْريِّ مالَكَ بعْدما أراك حديثاً ناعم البالِ أفْرَعَا [٣]

ولنأخذ بعض الأمثلة الأخرى فالتعبيران : « حديث العهد بالإسلام »[٤] « حديث عهد بعرس » [٥] يعنيان بوضوح : المهتدين حديثا إلى الإسلام ، والأشخاص المتزوجين حديثا .

فالحديث بمعنى الجديد أو الحديث استخدم أيضا مرتبطاً بعمر المرء وعلى هذا فحديث السن تعني الصغير في السن [٦] ، وعبارة « أحدث القوم » فُسِّرَتْ على أساس الأصغر من مجموعة من الناس [٧] .

---

(١) المفضليات (١ : ٦٢٨)

(٢) هو متمم بن نويرة بن جمرة بن شداد بن عبيد بن ثعلبة بن يربوع ... وهو صحابي ، وله في أخيه مالك قصائد يرثيه بها من غرر الشعر . (المترجم) .

(٣) ساق المؤلف هذا البيت بمعناه باللغة الانجليزية ، وأثبتُّه بنصه من المفضّليات ط دار المعارف . (٢٦٨) البيت رقم (٢٩) ، وابنة العَمْري = قال البغداي : هي زوجته ، وقال الأنباري : أي تقول له : مالك شاحباً متغيراً بعد أن كنت منذ قريب ناعم البال أفرع . (المترجم) .

(٤) المصباح المنير مادة « حَدَثَ » .

(٥) صحيح البخاري (٢ : ٨٧) في الاستقراض وأداء الديون .

(٦) المصباح المنير ، مادة حَدَثَ ، الجمهرة (٢ : ٣٤) ، مختار الصحاح (١٤٢) الوسيط (١٦٠) ، سنن أبي داود (٣ : ١٣٧) في الأضاحي ، حديث رقم (٢٨٢٩)

(٧) المصباح المنير - مادة « حَدَثَ » .

إنَّ مُصْطَلَحَ « **الأحدث** » بمعنى الأصغر في العمر « وجد » في طبقات ابن سعد [١] حيث ذكر أنه من بين أصغر أصحاب النبي ﷺ (من أحْدَث أصحاب رسول الله ﷺ) فأبو سعيد الخدري كان أفضل فقيه ، وفي موضع آخر ذكر ان ابن عمر كان يعدّ من أصغر المشرعين (من الفقهاء الأحداث) [٢] ومرة ثانية ففي حين كان رواة الحديث من الصحابة كبار السن وصغار السن على السواء وأطلق محمد بن عمر الأسلمي على صغار السن : الأحدث [٣] .

والكلام بهذا المعنى يُسْتَخدم مرتبطا بعمر الحيوانات ؛ وعليه فقد استخدمه أبو جهل مرتبطا بالجمل ، فقال :

ما تَنْقِمُ الحربُ العوانُ مني   بازِلُ عامينِ حَديثٌ سِنّي

لِمثلِ هذا وَلَدَتْني أمي [٤]

وهذا معناه مهما كانت ضراوة الحرب لا أكرهها ، فأنا كبازل نابه اكتملت قوته صغير اسنانه حادة ، في نفس موعد اكتمال قوى البازل ، أي وعمره عامين ، ولهذا السبب ولدتني أمي .

وفي حين يستخدم أبو جهل المصطلح بمعنى عمر الحيوان ، يستخدمه أبو جلدة اليشكري بمعنى عمر الإنسان ، ففي إحدى قصائدة ، يقول :

أخواتٌ قرشوا الذنوب علينا

في حادثٍ من عمرنا وقديم [٥]

---

(١) طبقات ابن سعد (٢ : ٢ : ١٢٥)

(٢) طبقات ابن سعد (٢ : ٢ : ١٢٥)

(٣) طبقات ابن سعد (٢ : ٢ : ١٢٧)

(٤) السيرة (. ٤٥) ، وذكر أبو جهل هذه الأبيات يوم مقتله .

(٥) السيرة (٦١)

أي أنَّ أخواته جلبوا العار لعائلته عندما كانو صغاراً .

ووجدنا هذه الكلمة في حوار بين عمير بن وهب ، ومحمد ﷺ عندما اعتنق عمير الإسلام . وذكر أنه عندما حيا عمير ، محمداً ﷺ طبقاً لعادة الوثنيين ، قائلاً أنْعِموا صباحاً أخبر النبي ﷺ عميراً أنَّ اللّه شرّفهم بتحية أفضل ، وهي السلام وهي تحية أهل الجنة ، وعليه ردَّ عمير : أما واللّه يا محمد إن كنت بها لحديث عهدٍ ... » (١)

وجدنا في الأمثلة السابقة أن كلمة « حديث » معناها جديد ، أو حديث وغالبا ما تستخدم نقيضا لكلمة قديم . ولهذا ، يبدو أن التعريف الفني للحديث كأقوال وأحداث وترحيب النبي أو عدم ترحيبه بها انبثق من هذا المعنى الأصلي . ولأن القرآن الكريم (الأزلي) كان ينزل مُنَجَّماً وعليه فالحديث كونه كلمات محمد ﷺ وتعليماته فهو يعدّ جديدا ، ولهذا قد سمي « **حديثاً** » .

وفضلا عن هذا : فاسم حديث ينقل معنى الجديد أو فكرة تُقَدَّم في شكلٍ جديد . ولأن أقوال الرسول ﷺ كانت مليئة بالمعلومات الجديدة التي أعطت معانيَ جديدة لكثير من المفاهيم التي كانت سائدة قبل الإسلام ولهذا فهذه الأقوال اصطلح على تسميتها « **حديث** » .

(ب) الحديث أو فن السرد :

إن الحديث له معنى آخر أساسي ، ألا وهو محاضرة أو فن السرد ، والمعنى الثاني يحمل معنى : قصة ، بيان ، تقرير ، اتصال ، حديث ، أو محاضرة .

---

(١) السيرة (٤٧٣)

وفي القرآن الكريم وجدنا تعبيرات مثل : « **حديث موسى** » [1] «قصة موسى » ، « **حديث ضيف إبراهيم المكرمين** [2] (قصة تشريف ضيف إبراهيم) ، **وحديث الجنود** [3] (قصة الضيوف) ، حيث استخدم مصطلح حديث بمعنى قصة ، وفي مناسبات أخرى ، فالكلمة استخدمت لتشير لنصٍّ ، أو بيان [4] .

فالكلمة بمعنى حديث ، أو محادثة استخدامت بهذا المعنى في عصر مبكّر جدا .

ولنأخذ مثلاً آخر « النابغة الذبياني » الشاعر الجاهلي حين مدح زوجة النعمان استخدم تعبير « **حُسْن حديثها** » [5] إشارة إلى حلاوة حديثها .

ولناخذ مثلاً آخر أيضاً ، عندما وصفت خديجة سبب اختيارها محمداً زوجاً لها ذُكِرَ أن خديجة ، قالت : « لقد اخترتُكَ يا محمد لشخصيتك الكريمة ، **وصدق حديثك** » [6]

وفي السنوات الأخيرة أخبرت ورقة بن نوفل عن تجربة محمد في تلقي الوحي ، فنقل ورقة بعض أبياتٍ وُجِدَ فيها كلمة « **حديث** » بمعنى كلمات تخرج من الفم ، والأبيات التي ذكرها هي :

---

(١) القرآن الكريم (٢٠ : ٩) و (٧٩ : ١٥) .

(٢) القرآن الكريم (٥١ : ٢٤)

(٣) القرآن الكريم (٨٥ : ١٧)

(٤) القرآن الكريم (١٨ : ٦) و (٥٣ : ٥٩) و (٥٦ : ٨١) ، و (٦٨ : ٤٤)

(٥) ديوان الحماسة (٣٣)

(٦) السيرة (١٢٠)

لَجَجْتَ وكُنْتَ في الذِّكْرى لجوجاً لهمٍّ طالَما بَعَثَ النَّشِـيجا

ووصْفٍ من خَديجة بعد وَصْفٍ فَقَدْ طالَ انتظاري يا خديجا

بِبَطْنِ المَكَّتَيْنِ على رَجَائى حَديثَكِ أنْ أرى منْه خُرُوجاً (١)

ومعنى هذه الأبيات أن ورقة بن نوفل احتفظ بالسر ثم أصر على أن يذكر هذا القلق الذى يثير الدموع واحتفظ بالسر حتى يأتي من خديجة ويصبح دليلاً مؤكدا على نبوة محمد ﷺ (٢) .

ولنأخذ مثالاً آخر : فالأزرقي فى كتابه أخبار مكة كتب يقول « من يؤد الطواف حَولَ الكعبةِ يجب أن يكرر **أحاديث** شفهية من القرآن حتى يضمن حفظه » (٣) .

وفى تقرير وجد فى كتاب الأغانى يثنى عبد العزيز بن مروان على الشاعر نصيب بن رابح ويقول : « لك جزاء **على صدق حديثك** » ومعنى ذلك أنه يستحق مكافأة لإخلاصه فى حديثه . والشاعر نفسه وصف ذلك بهذه الكلمات « أعطاني ألف دينار بسبب **صدق حديثى** ، وألف دينار أخرى لنظمي الشعر » (٤) .

ويستخدم كعب بن مالك أيضا كلمة (**حديث**) بمعنى حديث وبيان فهو يعترف للنبى ﷺ أنه غاب عن معركة تبوك ، وقال من قصيدة طويلة أعرف أننى لو أخطأت البيان اليوم (**حديثا كاذباً**) ستقبله ولكن لو

---

(١) السيرة (١٢١)

(٢) السيرة (GUILL) (٨٣)

(٣) أخبار مكة (٢ : ٧)

(٤) الأغاني (١ : ٣٤٢)

ألقيت نصا صادقا (**حديثا صادقا**) فربما يثير غضبك ، ولكنى آمل أن يجزينى الله فى النهاية » [١] .

ونلاحظ فى كافة الأمثلة التى استشهدنا بها أن كلمة **حديث** استخدمت بمعنى الكلام أو الحديث ، وبناء على هذا المعنى الموروث باعتبار الحديث كلاماً أو كلمة من الفم استخدمت فى القرآن [٢] بهذا المعنى أيضا ويقـول « **إن خير الحديث كتاب الله** »[٣] .

ومما لا ريب فيه أن خير دليل هو كتاب الله (**أصدق الحديث كتاب الله**) [٤] والصحابى ابن مسعود يبدأ خطابه بعبارة « **إن أصدق الحديث كتاب الله** » [٥] وطبقا لمصادر أخرى فكلمة « أصدق » في الحديث السابق حل محلها أحسن [٦] ، ولكن كلمة « الحديث » وجدت فى كافة المترادفات .

ومن الطريف أن كلمة « **حديث** » في القرآن استخدمها أعداء النبى ﷺ ، فقد ذكر أن النضر بن الحارث بعد سماعه بعض الآيات القرآنية علق قائلا : (**ما حديث محمد إلا أساطير الأولين**)[٧] .

---

(١) السيرة (٩١.)

(٢) القران الكريم (١٨ : ٦) ، (٣٩ : ٢٣) ، (٥٢ : ٣٤) ، (٥٣ : ٥٩) ، (٥٦ : ٨١) ، (٦٦ : ٤٤)

(٣) صحيح مسلم ، كتاب الجمعة (١ : ٣٣٦)

(٤) سنن النسائي (صلاة العيدين) = (٣ : ١٨٨)

(٥) البيان والتبيين للجاحظ (٢ : ٥٦)

(٦) صحيح البخاري (٤ : ٤٢.) في كتاب الاعتصام بالسنة ، وسيرة ابن هشام (٣٤.) وإرشاد الساري (٩ : ٦٣)

(٧) السيرة (٣٨٣ - ٣٨٤)

ومن الضرورى أن نلاحظ أنه فى السنوات التى تلت هذه الفترة حلت كلمة « **كلام** » - والتى تحمل معنى حديث أيضاً - محل كلمة « **حديث** » فى التعبيرين « **أصدق الحديث** » « **وأحسن الحديث** » ، ويستشهد ابن ماجة بحديث يقول « **أحسن الكلام كلام الله** » (١) .

واستبدال كلمة « **حديث** » بكلمة « **كلام** » شهادة دافعة لحقيقة أن المعنى السابق (**حديث**) هو فى حد ذاته **كلام** ، حيث كان التعبير الغالب على ما ينطقه الفم من كلام .

وقد وجدنا أن كلمة « **حديث** » فى معناها الحرفى تعنى كلاماً أو محادثة ، ومادام هذا هو معناها الرئيسى ، فالأحاديث العادية والأحداث التاريخية الهامة يمكن أن تعرف على أنها حديث (٢) ، وابن هشام يستخدم دائما هذه الكلمة ليشير إلى الأحداث التاريخية (٣) .

فعلى سبيل المثال : قد ناقش حدث معركة أحد تحت عنوان « حديث أحد » (٤) (قصة أحد) وفعلا تحدث عن مصدر معلوماته عن هذا الحـدث ، وقال : محمد بن مسلم الزهرى ، محمد بن يحيى بن حبان ، عاصم بن عمر بن قتادة ، حصين بن عبد الرحمن بن عمر بن سعد بن معاذ ، وأئمة آخرون حدثونا بأخبار منفصلة (**بعض الحديث**) ، حول معركة أحد ، وجميعها تكون معاً (اجتماع حديثهم) (٥) تاريخ أحد .

ونجد أن كلمة حديث فى الأخبار السابقة استخدمت بمعنى حدث هام .

---

(١) سنن ابن ماجة في المقدمة (١ : ٢٢)

(٢) السيرة (١٥٤ ، ١٨١)

(٣) السيرة (١٤٤ ، ٥٥٤ ، ٥٥٥ ، ٧٣١ ، ٧٣٦) ، وغيرها .

(٤) السيرة (٥٥٥)

(٥) السيرة (٥٥٥)

وسنأخذ مثالاً آخر فقد أشار ابن هشام إلى « عمرو بن حممة الدوسى » بقوله : « سأذكر حديثه فى موضعه إن شاء الله » [(١)] .

وفى موضع آخر نقل عن ابن اسحق قوله : « إن قريشاً كان لها صنم فى وسط الكعبة يسمى « هبل » ، وعلق ابن هشام قائلاً : « سأذكر حديثه إن شاء الله فى موضعه » [(٢)] .

ولنأخذ مثالاً آخر :

ذات مرة سَأَلَ أبو هريرة الأنصار : « هل لى أن استمتع **بحديث** من **أحاديثكم** يا أنصار » ثم أخبرهم بقصة متعلقة بفتح مكة [(٣)] .

فكلمات **حديث** ، **وأحاديث** التى استخدمت فى هذا النص تعنى بوضوح حكاية ، أو نادرة ، وقصصاً بصفة خاصة .

إذاً فحديث ، وجَمْعُهُ **أحاديث** يشير إلى أسطورة أو خرافة أو قصة أيا كانت طبيعتها . دينية أو دنيوية ، ويشير الفراء (م : ٢٠٧ هـ) إلى هذا المعنى بقوله : « إن مفرد **أحاديث أحدوثة** = (حَدَث) ولهذا جعلوا **جمعه حديث** » [(٤)] .

ولنأخذ مثالاً آخر : فالأزرقى يذكر أن جماعةً من القرشيين من بينهم الجعد بن هبير ، وعبد الرحمن بن الحارث بن هشام ، والحارث بن عبد الله ، وعبد الله بن زمعة بن الأسود قد تجمعوا ومعهم معاوية بن أبى سفيان ؛ ليتدارسوا قصصاً متعلقة بالعرب = [**فتذاكروا أحاديث العرب**] [(٥)]

---

(١) السيرة (٥٤)
(٢) السيرة . الموضع السابق .
(٣) فتوح البلدان (٥٢) ، دراسات إسلامية لجولد تسيهر (٢ : ١٧/٣)
(٤) قواعد التحديث للقاسمي (٣٥)
(٥) أخبار مكة (١ : ١١٠)

ولنأخذ مزيداً من الأمثلة :

ذات مرة جاء عمر إلى النبى ﷺ ، وقال « مما لا ريب فيه أننا نسمع **أحاديث** (قصصاً) من اليهود والتى تبدو أنها تروق لي ، هل لنا أن ندونّها . ويرد عليه النبىﷺ بالنفي [١] .

وفى كل هذه الأمثلة فكلمة « **حديث** » استعملت المعنى الحرفي لكلمة قصة ، نادرة ، أو حَدَث .

أما المشتق الآخر من « حدث » فهو الصيغة الفعلية لـ :« تحدث » والتى تعنى وصف ، سرد ، أو ربط (القصص- الحقائق - الأحداث) . إلخ .

والكلمة بهذا المعنى استخدمت مراراً وتكراراً فى القرآن [٢] ، وفى كثير من النصوص الأدبية ، وفى تمجيد الأعمال البطولية الإسلامية يقول عمرو بن كلثوم :

فهل حُدِّثْتَ فى جشم بن بكرٍ بنجدٍ فى خطوب الأوَّلينا [٣]

أي يا عمر ألم تسمع شيئا عن قبيلة جشم بن بكر فى نقضهم بعهدهم فى كل حدث جسيم سابق .

ومرة ثانية يتحدث « اليشكري » [٤] الشاعر المخضرم عن جمال سيدته بهذه الكلمات :

---

(١) الفائق (٣ : ٢١٨)

(٢) القرآن الكريم (٢ : ٧٦) ، (٩٣ : ١١) ، (٩٩ : ٤)

(٣) المعلقات السبع (١٥١)

(٤) ترجمته : هو سويد بن أبي كاهل بن حارثة بن حسل بن مالك بن عبد سعد بن جشم بن ذبيان بن كنانة بن يشكر بن بكر وائل بن قاسط بن هنب بن أفصى بن دعمي بن جديلة بن أسد بن ربيعة بن نزار . شاعر مقدم مخضرم ، عاش في الجاهلية دهراً ،=

تُسْمِعُ الحُدَاثَ قولاً حَسَنًا لو أرادوا غيره لم يُسْتَمَعْ (١)

أي أنّ كلماتها حلوة وجميلة لمن تحدثهم ، ولكن لو أرادوا أن يسمعوا غيرها امتنعت عن الكلام .

ويعطى الأزرقي وصفا لبيت أم أنْمار ، ويقول : « **كان رجال قريش يجلسون بفناء بيتها يتحدثون** » (٢) ، أما بالنسبة للمكان التاريخي : « الأقحوانة » فيقول عنه الأزرقي : (الأقحوانة عند علية القوم ، كان مجلساً يجلس فيه من خَرَجَ من مكة **يتحادثون** فيه بالعشية (٣)

فالأقحوانة كان منتدى تعوّد أهل مكة أن يتحدثوا فيه فى أوقات فراغهم مساءاً .

ومن هذه الصيغة الفعلية جاءت كلمة « **مُحَدِّث** » وتعنى الراوى لرواية (٤) ، وهو ليس بالضرورة سنة عن النبى ﷺ ، مع أن كلمات « **حَدَّث** » و« **محدث** » عندما استخدمت فى السياق الإسلامى كان المقصود بها الشخص الذى يروي سنة الرسول ﷺ وراوي السنة النبوية بصفة خاصة .

= وعمر في الإسلام عمراً طويلا ، عاش إلى ما بعد سنة ٦٠ من الهجرة . قرنة الجمحي في طبقاته بعنترة . وقرنه أبو عبيدة بطرفة والحرث بن حلزة وعمرو بن كلثوم ، كما نقل ابن قتيبة في الشعراء ٩٢ ، ١٤١ . وكان أبوه أبو كاهل شاعراً أيضاً . وفي اللسان ١٣ : ٤٢٤ قصة في هجائه بني غبر . (المترجم) .

(١) الحداث : الذين يحدثونها وتحدثهم ، وفي النهاية : « هو جمع علي غير قياس ، حملا على نظيره ، نحو سامر وسمار » . لم يستمع : المعنى : لو التمسوا منها سوى الحديث لم ينالوه ، يصف عفتها . (المترجم) .

المفضليات (١ : ٣٨٧) طبعة أوربة ، وصفحة (١٩٣) طبعة شاكر .

(٢) أخبار مكة (١ : ٢٠٦)

(٣) أخبار مكة (٢ : ٢٢٥)

(٤) السيرة (١٧) .

٢-المعنى الاصطلاحي للحديث :

بعد أن تناولنا المعنى الحرفي لكلمة « **حديث** » نَنْتَقِلُ إلى المعنى الاصطلاحي له ، فعلى المستوى العلمى : **القول ، الفعل ، التقرير ، الصفة** [١] كل هذا يندرج تحت اسم حديث ، وكانت هذه أول المعانى العملية للحديث، والذى يمكن استنتاجه من القرآن الكريم .

ثم اتَّسَعَ منظور الحديث ، ولم يعد يشتمل على الأقوال والأفعال ، وما هو جائز ، وما هو محرم من قِبَل أصحاب النبى ﷺ وبخاصة خاصة الصحابة الكبار فحسب ، بل تَضَمَّنَ أيضا **فتاوى التابعين** [٢] .

واستخدم القرآن كلمة **حديث** بمعانٍ كثيرة ، والدراسة الفاحصة للآيات التى وجد فيها كلمة **حديث** ، تبين أن التعريف العملي للحديث مبنى على التناول القرآنى لهذا المصطلح ، ولهذا دَعْنا نتأمل عن أي معنى عبَّر القرآن بكلمة **حديث** .

وبادىء ذي بدء نحن نرى أنَّ القرآن استخدمه بمعناه الحرفى أى بمعنى : محادثة ، **حديث** ، مستحدث ، قصة . إلخ ولهذا « **فحديث غيره** » [٣] « لهو الحديث » [٤] « مستئنسين لحديث [٥] « بأى حديث » [٦] « أسَّر حديثاً » [٧] «أصدق حديثاً » [٨] ، كل هذه الآيات تشير إلى أن

---

(١) دستور العلوم (٢ : ١٥) السنة قبل التدوين (١٦) ، كشف الظنون (١ : ٦٣٥)

(٢) تهذيب التهذيب (٧ : ٣٣) ، الموافقات (٣ : ٦٩ - ٧٠)

(٣) القرآن الكريم (٤ : ١٤٠)

(٤) القرآن الكريم (٣١ : ٦)

(٥) القرآن الكريم : (٣٣ : ٥٣)

(٦) القرآن الكريم (٧٧ : ٥٠)

(٧) القرآن الكريم (٦٦ : ٣)

(٨) القرآن الكريم (٤ : ٨٧)

الحديث كلمات تخرج من الفم « حديث » ، « كلام » ، « محادثة » ، والقرآن الكريم نفسه ذكر كحديث [١] لأنه كلام الله .

وفي أَحَدِ مواضع من القرآن الكريم وُجِدَ تعبير **الحديث** مرتبطاً بكلمة « **الغاشية** » ، أي الحدث الشامل [٢] بينما في مواضع أُخَر استخدمت هذه الكلمات لتشير إلى قصة [٣] ، وجمعها **أحاديث** أى(قصص) [٤] .

ووجدنا أن الصيغة الفعلية « **تحديث** » مشتقة من الأصل **حَدَثَ - حادث** والتى تعني يصف ، يقص ، يروى (قصص - حقائق - أحداث) والكلمة وجدت في القرآن الكريم بهذا المعنى الخاص جداً [٥] ، فالتعريف العملي للحديث كأقوال ، وأفعال ، وتقرير ، وصفة النبى ﷺ يبدو أنه مستنتج من التعبيرات القرآنيه السابقة [٦]

والقرآن الكريم يعتبر الدين نعمة ، ويعظ كافة البشر بهذه الكلمات : ﴿ وأما بنعمة ربك فحدث ﴾ [٧] ولأن النبى كان ينشر نعمة الله « أى الدين » من خلال أفعاله ، وأقواله ، فكافة هذه التصرفات الخاصة بهذه المواعظ كانت بحق تسمى « حديثاً »

وربما اشتق هذا المصطلح من تعبيرات أخر فى القرآن الكريم ، حيث استخدمت كلمة **حديث** لتصف أفعال وأعمال الأنبياء عموماً ، وعليه ،

---

(١) القرآن الكريم (٦:١٨)،(٢٣:٣٩)،(٣٤:٥٢)،(٥٩:٥٣)،(٨١:٥٦)،(٦٨ : ٤٤)

(٢) القرآن الكريم (٨٨ : ١)

(٣) القرآن الكريم (١١١:١٢)،(٩:٢٠)،(٢٤:٥١)،(١٥:٧٩)،(٨٥ : ١٧)

(٤) القرآن الكريم (٢٣ : ٤٤) ، (٣٤ : ١٩)

(٥) القرآن الكريم (٢ : ٧٦) ، (٩٣ : ١١) ، (٩٩ : ٤)

(٦) القرآن الكريم (٥ : ٣) والآية الأخرى هكذا : « اليوم أكملت لكم دينكم ، وأتممت عليكم نعمتي .. » .

(٧) القرآن الكريم (٩٣ : ١١)

فسلوك تشريف إبراهيم لضيفه [١] ، وسلوك موسى عُبّر عنهما بكلمة « **حديث** [٢] » .

وبناءاً على هذه الآيات حيث عبرت الكلمــة عن أقوال النبــى ﷺ وسلوكه بصفة عامة ، وبالنسبه لمحمد ﷺ ، فالحديث كان مقتصرا على الأحاديث الخاصة بالنبى محمد ﷺ ، ولهذا فمصطلح **حديث** الذي استخدم لأقوال محمد ﷺ قد اقترحه النبى ﷺ نفسه ، وذكر أن أبا هريرة سأل النبى ﷺ ذات مرة « من سيكونَ أسعد الناس بشفاعتك يوم البعث » ؟ ويرد النبى « يا أبا هريرة كنتَ متوقعاً أنك أول من يستفسر مني عن هذا **الحديث** لأننى لاحظت مدى اهتمامك بالحديث » [٣] .

وفى مناسبة آخرى ، عندما استخدم الحديث بالمعنى السابق فى وجود الرسول ﷺ وافَقَ عليه ضمنا .

ويقال إن امرأه زارت الرسول وقالت : « يا رسول الله ، الرجال من حولك فقط هم المستفيدون بحديثك ، حدد لنا نحن النساء يوماً خاصا نأتى فيه ، وتعلمنا مما علمك الله ، ورد الرسول عليها : اجتمعن فى يوم كذا وفى المكان كذا » [٤] .

وذكر أنه فى أحد المعارك أخبر النبى ﷺ أن رجلاِ بعينه ، مع أنه يحارب بجانب المسلمين ، لكنه من أهل النار ، وتعجب الصحابة بشدة من أن يستمعوا إلى هذا الحديث عن هذا الرجل الذى يحارب من أجل الاسلام

---

(١) القرآن الكريم (٥١ : ٢٤)

(٢) القرآن الكريم (٢٠ : ٩) ، (٧٩ : ١٥)

(٣) صحيح البخاري (٤ : ٢٤٥) في الرقاق ، وطبقات ابن سعد (٤ : ٢ :٥٦)

(٤) صحيح البخاري (٤ : ٤٣٠) في الاعتصام بالسنة .

ولكن ُفى نهاية المعركة وجدوه منتحرا، فاعتقدوا أن كلمات النبى ﷺ طرقت أذن هذا الرجل « **صَدقَ الله حديثك** » (١) .

فالصحابة أيضا استخدموا كلمة حديث ، وقصدوا به حديث النبى ﷺ ولنأخذ مثالا عن أبى هريرة الذى يقول عن نفسه « لا يوجد فى أصحاب الرسول ﷺ عدا عبد الله بن عمر أكثر مني حفظا **للحديث** » (٢) .

وكلمة حديث لا تعنى أكثر من أقوال النبي ﷺ وسوف تتضح الصورة أكثر ، عندما نقرأ الجزء المتبقى من حديث أبى هريرة حيث يقول : « إن عبد الله بن عمر ، اعتادَ أن يُدَوِّنَ الأحاديث ، ولكن لم أفعل ذلك » (٣) .
وصحابيٌّ آخر هو عبد الله بن جعفر استخدمَ أيضـا نفس المعنى فقـال « في يوم ما طلب منى الرسول ﷺ أن أُركَبَ خَلْفَهُ ، وبينما نحن في الطريق أسرَّ إليَّ **بحديث** » (٤) .

ومن الواضح أن كلمه **حديث** استخدمت هنا لتشير إلى أقوالِ النبي ﷺ .
وفى أحاديث أخرى لأبي هريرة يقول أنه لديه . خمسة صناديق مليئة **بالأحاديث** (٥) .

وكلمة أحاديث توضح أفعال النبى ﷺ .

واستخدم أنس بن مالك أيضا كلمة **أحاديث** **بمعنى** أفعال النبى ﷺ

---

(١) إرشاد الساري (٩ : ٣٥٢)
(٢) إرشاد الساري (١ : ٢٠٦) ، المحدث الفاصل (٣٤ ب - ٣٥ أ)
(٣) إرشاد الساري (١ : ٢٠٦) ، المحدث الفاصل للرامَهُرْمزي (٣٤ ب -٣٥ أ)
(٤) سنن أبي داود (٣ : ٣٣) في الجهاد ، حديث رقم (٢٥٤٩)
(٥) المحدث الفاصل للرامهرمزي (٦٦ أ)

وذلك عندما قال : « سأنقل إليكم عدداً كبيراً من أحاديث النبى ﷺ ويقول النبى « من كذب عليَّ متعمداً فقد تَبَوَّأ مقعده من النار » (١) .

وكذلك فقد قال ابن عباس « تعودنا أن نحفظ الحديث عن ظَهْر قلب »(٢)

ويقصد بالحديث أفعال النبي ﷺ وأقواله .

ولنأخذ مثالاً أخر ، فقد دَوَّن الأوزاعي قاعدة وهي عندما نعثر على حديث النبي ﷺ فلا نعبأ بشيء آخر سواه (مثل **الاجتهاد والقياس**) ، لأنَّ رسول الله ﷺ هو خير من يحمل أوامر الله (٣) وهنا يشير الأوزاعي بصفة خاصه إلى حديث النبي ﷺ .

واستخدم أبو يوسف أيضا هذه الكلمة بمعنى حديث النبي ﷺ (٤) .

ونجد أمثلةً كبيرةً لهذا الاستخدام في الرد على سِيرَ الأوزاعي (٥) .

ففى أحد المرات بعد ذكر تطبيق عمر فى قبول سنة النبي مبدأ شهادة شاهدين يقول « كن حريصا عند سماع الحديث **الشاذ** » (٦) .

---

(١) صحيح البخاري (١ : ٣٩ - ٤٠) فى كتاب العلم

(٢) سنن ابن ماجه (١ : ١٥) فى المقدمة

(٣) تذكرة الحفاظ (١ : ١٧٠) ، ففي هذا النص : لا يُسمح لأحد باستعمال رأيه ضد سنة النبي ﷺ ، (سنن الدارمي (١ : ١١٤) ، ويمكن القول بأن الأوزاعي ، وليس الشافعي هو واضع نظرية « الحديث بعد القرآن » .

(٤) يمكن الرجوع إلى كتبه : الرد على سير الأوزاعي (٤١ ، ٥٢) ، الخراج (١٩ ، ٦٥ ، ٧٠) ، الحجج (١٦٤)

(٥) الرد على سير الأوزاعي (١٤ ، ٢٩ ، ٣٠ ، ٦٣ ، ١٣٥) ، وغيرها .

(٦) الرد على سير الأوزاعي (٣١)

وفي هذه العبارة يستخدم كلمة الحديث بمعنى حديث النبي ﷺ وذكر أنه قال : « **فعليك من الحديث فيما تعرفه الأمة** » (١) .

وهنا يبدو أن أبا يوسف استخدمَ أيضا كلمة حديث بمعنى سنة النبي ﷺ

بالاضافة إلى كل هذه الأمثلة ، فإن مصطلح « **حديث** » « **وأحاديث**» في الأمثلة التالية ، يحمل معنى أفعال وأقوال الرسول ﷺ :

(أ) قال عتبة : إن ابن عباس روى حديثين أو ثلاثاً في شهر فحسب (٢)

(ب) ذكر أن عمر منع الصحابة من رواية الأحاديث الكثيرة (**إكثار الحديث**) (٣) .

(جـ) يقول النبي ﷺ « إن الحديث سيفشو عنى » (٤) .

(د) وذكر عن عليٍّ أنه نقل عن النبي ﷺ « إذا كتبت الحديث ،اكتبه بالإسناد »(٥) .

ويتضح من الأمثلة السابقه أن مصطلح حديث فى المراحل الأولى من الاسلام ، أشار إلى سنن النبي ﷺ فحسب ولكن مع مرور الوقت اتسع مجاله ، ولم يتضمن أقوال الرسول ﷺ وأفعاله فحسب ، بل ضَمَّ أيضا أقوال الصحابة والتابعين .

---

(١) الرد على سير الأوزاعى (٢٤)

(٢) سنن الدارمي (١ : ٤٦)

(٣) جامع بيان العلم (٢ : ١٢٠)

(٤) الرد على سير الأوزاعي (٢٥)

(٥) أدب الإملاء والاستملاء (٥)

لذلك فقد عرف الحديث على أنه أقوال وأفعال النبي ﷺ والصحابة ، والتابعين ، وتبع التابعين [١] ويضمِّن السخاوي تعريفه للحديث أيضاً فتاوى الصحابة والتابعين [٢] .

إن الترجمة الانجليزية لمصطلح **حديث** هي (انتقال العادات) [٣] ويبدو أن اختيار كلمة عادة كترجمة لحديث اتخذت بعد أن وُضِعَ في الاعتبار دلالة الحديث ومعناه ، فكلمة انتقال العادات في دلالتها اللفظية بالانجليزية تعنى « تسليم » وهذا المفهوم يتضمن

(أ) وديعة تسلم .

(ب) ومستلم بمعنى الأشخاص المنوط بهم الحفاظ على الوديعة ونقلها إلى التابعين [٤] .

وعندما نطبق هذا التعريف « للعادات المنقولة » على الحديث نجد أنه ينطبق عليه تمام الانطباق ، فالحديث يتعلمه آخرون ، ويحافظون عليه ، وينقلونه إلى التابعين ، وفضلا عن هذا ، فالرواية من جانب ، ونقل الحديث من جانب آخر جزء لا يتجزأ من علم العادات والتقاليد لأن الحديث يتكوَّن من **المتن والإسناد** .

فالأحاديث تم تقسيمها على أساس محتواها (المتن) إلى تشريعيه ، شعائريه ، سياسيه ، نبوية ... إلخ وثمة تقسيماً آخر مبنى على الموقف ، فإذا كان الحديث متعلقاً بالنبى ﷺ أو الصحابة فيسمى « **الحديث القولي** » .

---

(١) توجيه الأنظار للجزائرى (٩٣) ، تلقيح فهوم أهل الأثر (١٨٧)

(٢) فتح المغيث (١٢) ، وقد توفي السخاوي (٦٤٣ هـ) .

(٣) Hadith . Robson, dictionary of islam 201,639,646 (3 : 23-29).

(٣) دائرة المعارف العقائد (١٢ : ٤١١)

وإذا كان الفعل قد قام به النبى ﷺ وتم تسجيله فيعرف بأنه « **حديث فعلي** »أى أن النبي ﷺ قام بهذا الفعل .

ولكن لو تم فعل معين دون أن يأمر به النبي ﷺ أو يحرمه ، وأعطى موافقة ضمنية بعدم الاعتراض عليه فهذا يسمى **حديثاً تقريرياً** (١) .

وتحت الفئة الأولى من سنن النبيﷺ تأتى أقواله ، فأية أقوال فى أى موضوع تقع تحت فئة **مجموع الأحاديث القولية** .

أما أمثله النوع الثانى من الأحاديث فهى متوفرّة ، فأحاديث الصحابة والتابعين المتعلقة بأفعال النبي ﷺ في سائر العبادات مثل طريقة أداء الوضوء ، الصلاة ، الصوم . . . . إلخ معروفة بأنها أحاديث فعلية .

أما بالنسبة للفئة الأخيرة ، فالمثال الآتى يوضحها : فحين أرسل النبي ﷺ وفداً إلى بني قريظة وقال لأعضاء الوفد ، « عليكم بأداء صلاة العصر في بني قريظة » ونفذ بعض الصحابة هذه التعليمات حرفياً ، ولم يصلوا العصر حتى وصلوا إلى مقصدهم ، على الرغم من أن موعد الصلاة قد حان قبل وصولهم هذا المكان .

وبعض الصحابة الآخرين أدى الصلاة فى موعدها لأنهم فهموا أن النبي ﷺ يعنى « أسرعوا فى الوصول إلى بني قريظة » موعدها عرّف هؤلاء الصحابة النبي ﷺ بقصة خلافهم فى تفسير قول النبى ﷺ وافق على تصرف الفريقين . وهذا النوع من الحديث معروف **بالحديث التقريري** .

إن الاسناد فى الحديث لعب دوراً هاماً ، وأهميته القصوى واضحة من حقيقة أنه عند إحصاء عدد الأحاديث ، فالإسناد - والذي من خلاله تم نقل الحديث - وليس المتن هو الذى يوضع في الاعتبار ، وتلك حقيقة

(١) السنة ومكانتها للسباعي (٦٠) ، طبقات ابن سعد (١١ : ١ : ٥٤ -٥٥)

جديرة بالملاحظة ، وعليه فالحديث الذي يدعمه إسنادان من الرواة سيكون أفضل من حديث يدعمه إسناد واحد ، وبمعنى آخر ، إن تعدد الحديث يعنى عدد من أسندوه وليست العبرة بالنص (١) .

فعلماء أدب الحديث قسموا السنن إلى فئات مختلفة طبقاً لدرجة مصداقيتها وهذه التصنيفات مبنية على أساس **المتن والإسناد** .

فعلم الحديث الذي يحتوي على مادة ضخمة ، قد تطور إلى فروع مختلفة ، وتم تلخيص مائة فرع من الحديث فى مجموعة أعمال **علوم الحديث** (٢) .

٣ - العلاقة بين الحديث والسنة :

إن السنة تربطها علاقة وثيقة بالحديث والتي تعني أصلاً سابقة ، عادة ، قاعدة ولكن سميت فيما بعد ضمنا عادات محمد ﷺ وأصحابه وأوامرهما ، ولأننا ناقشنا السنة تفصيلا في الفصل السابق ، فلندع ذلك الآن ، ولكن ما هو جدير بالذكر هنا هو أن نبين الفرق بينهما على الرغم من حقيقة أن الحديث والسنة غالباً ما يُنْظر إليهما كمترادفين (٣) ، وهذه الحقيقة ليست مصادفة ، ولكنها حقيقة واقعة .

إن الحديث في فجر الإسلام كان يشير عادة إلى أمر من سلطة ملزمة من النبي ﷺ أو من أصحابه ، ففي حين أن السنة أشارت إلى أنماط دينية ثابتة ، وكانت في العادة تعاليم النبي ﷺ بينما الحديث توثيق لهذه السنة،

---

(١) توجيه الأنظار (٩٣) ، تلقيح فهوم أهل الأثر (١٨٧) .

(٢) تدريب الراوي (٩)

(٣) توجيه الأنظار (٣) ، السنة ومكانتها (١٦) ، دستور العلوم (٢ : ١٥) تفسير البيضاوي (٢ : ١٣٢) حيث لاحظ الكازروني : السنة أي الحديث .

ولهذا السبب علقّ ابن حنبل على أحاديث معينة [١] بقوله : « هذا الحديث يحتوي على خمس سنن » [٢] .

ويفرق « فنسنك » بين المصطلحين ويقول : « إن الحديث هو الشكل الخارجي للسنة والجانب الداخلي من العادات ، فالحديث هو الشكل والسنة هي الجوهر » [٣] .

ويقول جوليوم : « إن الحديث يحفظ السنة » [٤] .

وكثيراً ما ذكر « جرونيوم » أن سنة محمد ﷺ مسجلة عادة في الحديث[٥] .

وسنستشهد ببعض الأمثلة لنبين أنّ الحديث والسنة غير متطابقين :

(١) فالحسن البصري (المتوفي سنة ١١٠ هـ) في خطابه إلى عبد الملك ابن مروان يتحدث عن حرية الإرادة والمسئولية الإنسانية ، ومع أنه لم يستشهد بأي نصٍّ في خطابه إلا أنه يفرق بين الحديث والسنة ويقول : « إن السابقين قد رَوَواْ حكمة الله ، واستنّوا بسنة رسول الله [٦] .

ويبدو أنه يقصد بالحكمة الحديث الذي رواه الصحابة ، بينما السنة تشير إلى الممارسة .

---

(١) بالنظر إلى أن موت المسلم في الإحرام بالحج يعد هجرة .

(٢) سنن أبي داود (٣ : ٢٩٦) في الجنائز ، حديث رقم (٣٢٣٨)

(٣) islamic juridhrudevce (30), citing we nsink,s article in moslem world volxl (1921) pog : 239 .

(٤) traditions 10

(٥) med islam 108

(٦) Der Islam xxl , 68

(٢) إن الإمام مالك (المتوفي سنة ١٧٩ هـ) في كتابه الموطأ ، كثيرا ما استخدم مصطلح سنة والتي كان يَقْصدُ بها العادات السائدة في المدينة ، وكثيرا ما استشهد . بالحديث تأييداً لسنةٍ معينة أو نَفْياً لها . فعلى سبيل المثال قام بنقل حديث متعلقٍ بالشفاعة ، ثم علق قائلاً : « **وعلى ذلك السنة التي لا اختلاف فيها عندنا** » (١)

وأوضح « مالك » بصورة قاطعة الفِرق بين السنة والحديث ، وهو يفضل السنة على الحديث ويقول : « أَحَبُّ الحديثِ إليَّ هو ما اجتمع الناس عليه » .

وهذا يرجع إلى أنّ مالكاً كان يؤكد بشدة على إجماع أهل المدينة لدرجة أنه أحيانا يتجاهل الأحاديث التي تضمنتها مجموعة كتاباته (٢) .

ويضرب لذلك بعض الأمثلة . حين يذكر أنه يجوز أن يهب الفرد العمرة لأحد الافراد سواء أكان على قيد الحياة أو متوفى بحيث تعود فائدتها على مانحها أو على ورثته . واعترف مالك بجوازها على الرغم من أن عدداً من أحاديثه الموجودة في كتابه « الموطأ » اعترفت بعدم جوازها (٣) .

وعلى سبيل المثال أيضا ، استشهدَ ببعض الأحاديث التي تجيز الحج بالوكالة سواءً أكان المستفيد الذي يؤدّي عنه الحج حياً أم ميتاً (٤) ، ولكنه قال : إن هذه السنة إذا كانت تجوز على الشخص المتوفي فهي لا تجوز على الحي (٥) .

---

(١) الموطأ (٣ : ٣٧٨)

(٢) الموافقات (٣ : ٦٦ ، ٧٠ .

(٣) البناء الاجتماعي (١٧٤)

(٤) الموطأ (١٣٨)

(٥) حجج أهل المدينة (١٦٢)

٣ - إن الشيباني (المتوفي سنة ١٨٩ هـ) والمعاصر لمالك يقول لَوْ أَنَّ رجلاً اشترى شيئا لم يره ، فله الخيار في أن يقبله أو يرفضه إذا حضر أمامه هذا الشيء ، وتأكيدا لذلك استشهد ببعض الأحاديث واستنتج أن وجهة النظر هذه مقبولة عموما من الأحاديث ، ومقبولة أيضا بممارسة الناس لها . ولهذا استخدم للعادات كلمة **أحاديث** [١] ، واستخدم للممارسة كلمة سنة ، وهنا الفرق .

٤ - ويقول « أبو يوسف » في شأن المرأة التي طالبت بنصيب في غنائم الحرب : « **والحديث في هذا كثير ، والسنة في هذا معروفة** » [٢] .

٥ - وذُكِرَ عن عبد الرحمن بن مهدي (المتوفي سنة ١٩٨ هـ) قوله : « إن سفيان الثوري كان حُجَّةً في الحديث لا في السنة ، أما الأوزاعي فكان العكس ، وجمع الإمام مالك أفضل صفات الإمامين » [٣] .

٦ - وذكر الذهبي عن الحجة عباس الدوري الذي روى عن ابن معين (المتوفي سنة ٢٣٣ هـ) أنه قال : « إن أبا يوسف كان **صاحب حديث ، وصاحب سنة** » أى أنه حجة في الاثنين [٤] .

٧ - في نصٍّ وُجِدَ في كتاب الطبري (المتوفي سنة ٣١٠ هـ) تفرقة بين الحديث والسنة ويقول التقرير : إن محمد بن أبي بكر بن محمد بن عمرو بن حزم كان قاضياً في المدينة وذات يوم حكم في قضية خالف فيها الحديث ، وعندما ذَهَبَ إلى المنزل ، سأله أخوه عبد الله والذي تميز بالحكمة

---

(١) حجج أهل المدينة (١٨٨)

(٢) الرد على سير الأوزاعي (٣٨)

(٣) الموطأ (١ : ٣)

(٤) تذكرة الحفاظ (١ : ٢٧٠)

« لعمرى يا أخي ! أصَدَرَ منك هذا الحكم اليوم ؟ فردَّ محمد : نعم يا أخي ! فعلى أي أساس توبخني يا أخي ؟ ما الحديث الذي تستندُ إليه ؟ فالعرف أو التقليد (الحديث) مهم للغاية لتؤسس عليه حكمك ، فردَّ محمد : وماذا عن الممارسة (**السنة**) ؟ [١] .

٨ - أما أوضح الأمثلة في التفرقة بين السُّنَّةِ والحَديث فيمكن أن نجده في الفهرست لابن النديم (المتوفي سنة ٣٨٥ هـ) حيث ذكر هذا المرجع كتاب أحمد بن محمد الحجاجي المرُّوْزي المؤلف لكتاب : السُّنَّة بشواهد الحديث [٢] .

٩ - ويقول « شاخت » إنَّ العادات المنقولة عن النبي ﷺ وآخرين لاتتطابق مع السنة ، ولكنها تعطي لهذه السنة مصداقية : سواءً أخذنا سنة الشافعي ، أو سنة مَن جاء بعده من الأئمة باعتبار هذه السنة سلوكاً نموذجياً للرسول ﷺ ؛ أو في معناها الأكثر قدماً على أساس أنها : ممارسة تقليدية للمجتمع [٣] .

ومن الأمثلة التي استشهدنا بها سابقا أصبح واضحاً أنَّ السنة تشير- في

---

(١) الطبري (٣ : ٢٥.٥ - ٢٥.٦)

(٢) الفهرست لابن النديم (٣٢١)

قلت : هو أبو بكر بن محمد بن الحجّاج المرُّوْزي ، صاحب الإمام أحمد ولد في حدود المئتين ، وتوفي في سنة خمس وسبعين ومئتين ، وكان إماماً في السُّنَة ، شديد الاتباع ، له جلالة عجيبة ببغداد .

وكتابه « السنن بشواهد الحديث » ذكر في الفهرست لابن النديم ، وفي معجم المؤلفين لكحالة (٢ : ٨٩) ، وله ترجمة في تاريخ بغداد (٤ : ٤٢٣ - ٤٢٥) ، وطبقات الحنابلة (١ : ٥٦) ، وتذكرة الحفاظ (٢ : ٦٣١) ، وسير أعلام النبلاء (١٣ : ١٧٣) (المترجم)

(٣) أصول الشريعة الإسلامية لشاخت ، ص (٣)

معناها الأساسي - إلى أعمال النبي ﷺ بينما الحديث تسجيل وتوثيق للسنة ، ولكن مجال الحديث لا يقتصر على تسجيل الأعمال فحسب (والذي يسمى عملياً **الحديث الفعلي**) ، ولكنه يشمل أيضا تسجيل الأقوال (الحديث القولي) ويتضمن أيضا الموافقة الضمنية للنبي ﷺ في بعض الأعمال (**الحديث التقريري**) .

يجب أن نضع في اعتبارنا أنه في فجر الإسلام كان الهدف الرئيسي للصحابة هو ملاحظة سلوك النبي ﷺ ومتابعة كل خطواته في الحياة ، والقرآن الكريم الذي وهبه الله للناس والخاص بالعقيدة الجديدة كان مجرد مرشد ، ولكنه كان بارع البلاغة إلى درجة الإعجاز في معظم الحالات ، فقد تناول القرآن المبادىء العريضة بصفةٍ عامة ، وأساسيات الدين ، ونادراً ما تعمق في التفصيلات ، وكان على المرء أن يرصدَ هذه التفصيلات في أعمال النبي ﷺ ، ونتيجة لهذا أصبحت السنة هي بؤرة الاهتمام . وحاول الصحابة أن يطابقوا أعمالهم بعمل النبي ﷺ وبخاصة بعد أن أعلنها القرآن صريحة : « لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسـنة » [١] .

وخلاصة القول ، أن أساس التصنيف التشريعي في فجر الإسلام كان عمل النبي ﷺ (**السنة**) وأوضحها النبي ﷺ بنفسه ، وذكر أنه قال « صلوا كما رأيتموني أصلي » [٢] .

وعليه فهذا المعنى يتضمن أنَّ القوانين يجب أن توضع على أساس السلوك الشخصي للنبي ﷺ وقوله أيضا : « ألا أخبرتموها أنني أفعل ذلك » [٣] .

---

(١) القرآن الكريم (٣٣ : ٢١)

(٢) صحيح البخاري (١ : ١٦٥) في الأذان ، وإرشاد الساري (٢ : ١٧)

(٣) حجج أهل المدنية (١ : ١٤٠ - ١٤١) ، المسند (١ : ٢٥٧) ، والفعل المشار إليه هنا هو « قبلة الصائم لزوجته » .

وغنيٌّ عن البيان أن أساس القاعدة يجب أن يكون سلوك النَّبي ﷺ ، ولهذا فليس بدعاً أن نجد المسلمين فى فجر الإسلام قد اهتموا كثيرا بسنة النبي ﷺ ، فقد كانت حاجة العصر تستلزم ذلك ، وكان يجب الحصول على هذا القانون بهذه الوسيلة فحسب ، ومن هنا جاء الاهتمام بسنة النبي ﷺ ، ولهذا السبب ، فحين نتناول مصدرين أساسيين من مصادر الشريعة الإسلامية نجد أن علماء الدين يستخدمون مصطلح الكتاب والسنة (١) ، أو القرآن والسُّنَّة (٢) ، لا الكتاب والحديث ولا القرآن والحديث .

ولكن حينما استخدمت السنة بمفهوم منطقة بعينها ، كان المقصود بها سُنَّة النبي ﷺ كما نفذها أهل هذه المنطقة نفسها . وبمعنى آخر فإنَّ مفهومَ السُّنَّة النبوية تضمن أفكاراً موروثة متمثلة في سنة النبي ﷺ والصحابة، ولعل تفضيل مالك (٣) للسنة على الحديث كان يرجع إلى اعتقاده أن المستودع الأمين لسنة النبي ﷺ كان أفعال الصحابة لا النصوص المكتوبة ، ولذلك يقول « إن أحب الأحاديث إليَّ هى الأعمال التي ارتضاها الناس » (٤) .

ومما هو جدير بالملاحظة أنَّ حقيقة كون السنة أساس الشريعة الإسلامية لا يعني بأي شكل من الأشكال التقليل من أهمية الحديث ، لأنه يعتبر واحداً من المصادر التي من خلالها عُرِفَتْ سُنَّة النبي ﷺ ، وعندما يتناول

---

(١) سنن الدارمي (١ : ١٤٥) ، جامع بيان العلم (٢ : ٦١ ، ١٩٠ - ١٩٣) فتح الباري (١٣ : ٢٦٣) ، الكامل في التاريخ لابن الأثير (١ : ١٤)

(٢) Margoliouth , omar's instructions to the Kadi jRAS(1910) , p . 309 .

(٣) الزرقاني على الموطأ (٣ : ٣٧٨)

(٤) المصدر السابق (٣ : ٦٦)

الحديث سنة غير معروفة على الإطلاق فالعادة السائدة في هذه الحالة الخاصة يتم استبدالها بالسنة المكتشفة حديثا .

ولنأخذ مثالا من الحقبة الإسلامية في مراحلها الأولى ؛ فقد حَرَّم عمر استخدام العطور في حالة الطواف حَوْلَ الكعبة ، واستمرَّ هذا الوضع حتى عصر حفيد عمر والذي كان يسمى « سالماً » وعندما وجد سالم حديثاً للنبي ﷺ يتعارض مع هذه العادة السائدة ، أقلع عن هذه العادة والتزمَ بسُنَّةِ النبي ﷺ (١) .

ووجد مثال آخر في كتاب الأزرقي « أخبار مكة » . حيث ذكر أن أَهْلَ مكَّةَ اعتادوا أن يَدْفنوا موتاهم في مكان بين أودية اليمنى (والمعروف الآن بشعب العفاريت) ، وشعب الجزرين (والمعروف الآن بشعب الصافي) ، وهذه العادة كانت سائدة في العصر الجاهلي ، وفي فجر الإسلام . ولكن عندما عرف الناس من الحديث الذي أوضح النبي ﷺ فيه أن الشعب والمقبرة مكانان مفضلان ، بدأوا في دَفْنِ موتاهم في المكانين المذكورين في حديث النبي ﷺ (٢) .

وعلى الرغم من هذا الخلاف في المعنى ، فأحيانا يستخدم أحدهما مكان الأخر في المعنى ، والسبب في هذا يرجع إلى الخصائص العامة التي تميزهما من حيث إن محتوى الاثنين يمتد جذوره إلى العادات والتقاليد (٣) .

واستخدم أبو يوسف - في بداية تطور استعمال تعبيري : السنة . الحديث - السنةَ بمعنى الحديث ؛ فعند مناقشة قواعد زكاة الذهب والفضة

---

(١) اختلاف الحديث للشافعي (٢٥)

(٢) أخبار مكة (٢ : ١٧١)

(٣) دراسات إسلامية لجولد تسيهر (٢ : ٢٥/١٢)

يقول أبو يوسف : « إن السنة أجازت تقييم الزكاة المطلوبة على الذهب والفضة على أساس الوزن لا على أساس القيمة ، فلو أن رجلا يملك ما يساوي خمسة عشر مثقالاً من الذهب لأُعْفِيَ من الزكاة حتى ولو وصلت قيمة الذهب إلى ألف درهم ، والسبب في هذا كما يقول أنه تم بناءاً على حديث يوجب الزكاة على الرجل الذي يملك ذهباً يساوي عشرون مثقالاً (١) .

ويبدو في هذا المثال أن السنة والحديث استخدما بطريقة تبادلية فبجانب السنة كان هناك العديد من المصطلحات التي استخدمت في بداية الإسلام وتحمل معنى الحديث ، وكان أكثرها استخداما العلم الذي أصبح محور حياتنا الآن .

٤ - مفهوم العلم في علاقته بالحديث :

إن العلم أو المعرفة مصطلح عام لأى معلوماتٍ تاريخية أو دينية أو قانونية وهو مصطلح للعلم أيضا كعلم النفس ، وعلم الحديث ، وعلم الحيوان .

وفي الحقبة الإسلامية الأولى كانت الكلمة تستخدم أساساً لتشير إلى المعرفة الدينية وبخاصة معرفة القرآن والحديث .

وفي سياق آخر كانت هذه المعرفة مقصورة على الحديث .

وطبقا لما توفر عندنا من مصادر ودلائل ، فأهم المجالات التي استُخْدِمَ فيها هذا المصطلح هى :

(١) اختلاف الحديث (١٣٠).

أ - المعرفة بصفة عامة :

على المستوى العادي ، فالمصطلح يعني المعرفة بصفة عامة ؛ فعلى سبيل المثال يقول ابن عباس : « العلم بمعنى عام هو كل ما لا يمكن أن يحفظه القلب ، وعليه فالبحث هو منواله »[(١)] .

ولكي يؤيد وجهة نظره هذه استشهد بالقرآن الكريم وقال : ألم نسمع كلمات الله الذي يقول : ﴿ الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه ، أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولوا الألباب ﴾ [(٢)] .

ويستخدم القرآن مصطلح علم . وكل صيَغه الفعلية بمعنى المعرفة بصفة عامة ، ويقول على سبيل المثال : ﴿ يسألكَ الناس عن الساعة قل إنما علمها عند الله ﴾ [(٣)] .

ويقول أيضا عندما سأل الملائكة عن أسماء الأنبياء ﴿ قالوا : سبحانك لاعلم لنا إلا ما علمتنا إنك أنت العليم الحكيم ﴾ [(٤)] .

ويقول سبحانه عن نفسه باعتباره يعلم كل ما في السموات ، وما في الأرض ، ويَعْلَمُ ما ظهَر وما بَطَنَ ويعلم بما في صدورنا : ﴿ يعلم ما في السموات والأرض ويعلم ما تسرون وما تعلنون ، والله عليم بذات الصدور ﴾ [(٥)] .

ونجد كثيراً من الإشارات لكلمة علم ، وأهل العلم في سيرة

---

(١) تقييد العلم (١٤١)

(٢) تقييد العلم (١٤١) ، القرآن الكريم (٣٩ : ١٨)

(٣) القرآن الكريم (٣٣ : ٦٣)

(٤) القرآن الكريم (٢ : ٣٢)

(٥) القرآن الكريم (٦٤ : ٤)

ابن هشام (١) بمعناها الجديد ، فكما ذكرنا سابقا كان **العلم** يعني المعرفة بصفةٍ عامة ، أما هنا فيستخدمه ابن هشام بمعنى العالم ، مالك المعرفة بصفةٍ عامَة ، ولهذا فتعبير أهل العلم بالشعر يوضح أنهم علماء في الشعر (٢) .

(ب) المعرفة التاريخية :

إن كلمة **علم** تعني أيضا الإحاطة أو المعرفة بالماضي ، وتشير إلى المعرفة التاريخية ، وصاحب هذه المعرفة يُعْرَف بأنه أهل العلم ، أي مؤرخ، وعالم **بالمغازي** (٣) .

فالأزرقي يستخدم مصطلح **أهل العلم** للعلماء الذين يملكون معرفةً جغرافيةً أو تاريخيةً بصفة خاصة (٤) .

وعلى سبيل المثال ففي وصفه لحادث تدمير الكعبة يقول : وعندما قصد ابن الزبير أن يعيد بناء الكعبة سأل رجالاً من **أهل العلم** من مكة عن الأماكن التي جلبت قريشٌ منها الأحجار التي بنواْ بها الكعبة » (٥) .

ويزودنا ابن سعد بمثال آخر حين يقول « إنَّ **العلم** يشير إلى معلومات تاريخية ، وذكر **بعض هؤلاء الذين يروون العلم** ، مثل مسعود بن الربيع الذي كان له أخٌ يسمى عمرو بن الربيع ، وكان مصاحباً للرسول ﷺ وشَهِدَ غَزْوة بدر (٦) .

---

(١) سيرة ابن هشام (٤ ، ١٨ ، ٤٤ ، ٥١ ، ٥٦) ومواطن كثيرة

(٢) سيرة ابن هشام (٤ ، ٤٤ ، ٤١٦ ، ٥٤٩ ، ٦٤٣)

(٣) سيرة ابن هشام (١٨ ، ٥١ ، ٥٦ ، ١٨٤ ، ٢٠٩ ، ٤٥٩ ، ٥٨٨ ، ٦٨٩، ٨٨٢) ومواطن أخرى .

(٤) أخبار مكة (٢ : ٣٢ ، ٤٨ ، ٥٦ ، ١٤٥ ، ١٦١ ، ١٦٢ ، ١٧٤ ، ٢٠٥، ٢١٥ ، ٢٣١)

(٥) أخبار مكة (١ : ١٤٥)

(٦) طقبات ابن سعد (٣ : ١ : ١١٩)

ولكى نعطي تفسيراً تاريخياً معينا لذلك يقول ابن هشام : « إن بعض العلماء روى لي أن عبد الرحمن بن عوف جُرِح في فَمه ، وكُسِرَتْ أسنانه ، وأصيب بعشرين جرحاً أو أكثر ، بعضها كان في قَدَمِه ، ونتيجة لهذا أصبح أعرج أو مقعداً » [1] .

إن كلمة علم التي تشير إلى معرفة أحداث تاريخية معينة وَجَدَتْ لها دليلاً في بحث وجد في كتاب الأغاني ، ويقول هذا البحث : « روى الزبير أن بعض العلماء بعض رواة العلم) رووا لي أنه عندما زار يزيد بن عبد الملك الأهواز ... إلخ [2] .

فكلمة **علم** في تعبير رواة العلم مصطلح آخر لعلماء التاريخ يشير أيضا إلى معلومات تاريخية .

وذكر ابن سعد كلمة بهذا المعنى عندما قال : « بعض رواة **العلم** ذكروا أن حجر بن عدي زار الرسول ﷺ ومعه أخوه ... [3] .

(جـ) المعرفة الدينية والشرعية :

إنَّ المعرفة الدينية أثناء القرن الأول من الإسلام تكونت من القرآن والحديث **والفقه والتفسير** ، والمصطلح الشائع الذي استخدم لكل هذه العلوم كان كلمة **علم** « **فالعلم** في المراحل الأولى من الإسلام كان متكاملا ولكن مركباً » كما قالت « نبيهة عبود » وأضافت : وكان يعتمد على القرآن والحديث والسنة ، والقانون ، والعادات ، دون تفرقة واضحة بين علم القرآن وعلم الحديث ، وعلم الفقة ، وقد تطور كل علم من هذه العلوم إلى فروع مختلفة [4] .

---

(١) سيرة ابن هشام (٥٧٤)

(٢) الأغاني (٤ : ٢٥ .

(٣) طبقات ابن سعد (٦ : ١٥١)

(٤) البرديات : نبيهة عبود (٢ : ١٤)

ويقول « جولد تسيهر » يشير العلم إلى المعرفة القانونية الدقيقة وخاصة فيما يتعلق بالأحكام التشريعية المسجلة عن النبي ﷺ وأصحابه فضلاعن القرآن الكريم وتعبيراته » (١) .

وفي المرحلة الأولى من الإسلام لم يكن هناك تفرقة بين العلوم التشريعة، والعلوم الدينية ، ووجد الاثنان في القرآن وفي تعاليم الرسول ﷺ جنبا إلى جنب ، وقصد **بالعلم** في هذه المرحلة معرفة القرآن والحديث **والفقه** (٢) ، وكلمة **أهل** العلم تشير إلي علماء هذه العلوم بوجه عام .

ويعلق عبد الله بن مسعود قائلا : « لو أن علم كافة القبائل العربية قورن بعلم عمر لرجح علم عمر » (٣) .

والمعنى المقصود هنا المعرفة الدينية المعروفة في ذلك الوقت ، لأنه من الطبيعي بالنسبة لعمر أنه لايمكن مقارنته بمعاصرية في المعرفة العلمية والأدبية (وبخاصة الشعر) في ذلك الوقت .

وذكر أن عمر كان لديه الكثير من المعرفة الدينية (العلم) لدرجة أنه تفوق على جميع علماء الفقه في المدينة (٤) .

وفي هذا البحث نجد أن كلمة **فقه** و**علم** استخدما كمترادفين في المعنى بالنسبة للمعرفة الدينية .

واستخدم عروة بن الزبير كلمة العلم بهذا المعنى عندما نصح أبناءه وقال

(١) دائرة المعارة الإسلامية (٢ : ١١٠)

(٢) طبقات ابن سعد (٢ : ٢ : ١٠٠)

(٣) طبقات ابن سعد (٢ : ٢ : ١٠٠)

(٤) طبقات ابن سعد (٢ : ٢ : ٩٩)

تعلموا العلم ، لأنه مع أنكم **صغار قومكم** الآن ، ففي المستقبل القريب ستكونون كبراء » [١] .

وفي تفسير معنى « **العلم والفقة** » يقول جب (Gibb) ما إن انقضى القرن الأول من الإسلام حتى بدأ العلماء يتخصصون في فرع أو آخر من فروع المعرفة الدينية .

ويواصل قائلا : وكان يمكن تمييزهم بمصطلحات متقاربة : فالعلم المقصود به المعرفة الفعالة يشير إلى المعرفة الدينية (بما في ذلك العلوم الشرعية) **والفقه** (الفهم) يشير إلى التشريع وإن كان مبنيا على الدين [٢] .

وعلى الرغم من أن تعبير **أهل العلم** يشير عادة إلى العلماء بصفة عامة ، فهو أحيانا يشير إلى علماء المعرفة الدينية بصفة خاصة .

وعلى سبيل المثال يميز الأزرقي [٣] بين المعنى العام لعلماء ، وأهل العلم بقوله انّ أهْل العلم « علماء توفر لهم قدر كبير من معرفة الدين الإسلامي » .

ولهذا فهو عندما أعطى وصفا لمكان معين قال « هذا هو المكان الذي صلى فيه النبي ﷺ والناس **وأهل العلم** جميعهم تبعوه وصلوا في نفس المكان .

واستخدم الأزرقي تعبير **أهل العلم** لعلماء التاريخ ، وعلماء الحديث على السواء [٤] .

---

(١) المحدث الفاصل (٧ ب) ، البيان والتبيين (٢ : ٢.٢)

(٢) Mohammedanism (89 - 90)

(٣) أخبار مكة (٢ : ١٤١)

(٤) أخبار مكة (٢ : ٣٤ ، ١.١ ، ١.٢ ، ١٦٤ ، ١٧٩)

والأوزاعى من جانب آخر يفرد مصطلح « علم » لعلماء الحديث والفقه ، وهو لا يشير إلى واحد بعينه بل إلى علماء الحديث والفقه عندما يقول : « **وعلى ذلك أهل العلم** » [1] وصرح بهذه العبارة ليبرر وجهة نظره في تخصيص هذا التعبير لكلا العلِمين ، وإن كان أبو يوسف قد ضم إليهما علم التشريع .

(د) العلم يعني الحديث :

وجدنا أن مصطلح العلم في فجر الإسلام أشَارَ إلى مجموعة من العلوم الدينية ألا وهي القرآن ، والحديث ، **والفقه** ، ومع زيادة أهمية الحديث ، اقتصر هذا المصطلح على علم بعينه ، وفي المجموعات المتخصصة من الحديث نجد أجزاءً مستقلة مخصصة للعلم ، ويحتوي هذا الجزء على بحوث عن فرائد تعلم الحديث . وتعبيرات « **ابتغاء العلم** » « **وطلب العلم** » في النصوص التقليدية يشير إلى مواصلة البحث في الحديث .

فعبارة طلب العلم استخدمت أساساً مرتبطة منذ فترة طويلة بالرحلات الشاقة من مكان إلى آخر لتعلم الحديث من مشاهير العلماء ، وسوف نستشهد ببعض الأمثلة حيث ارتبطت كلمة علم بطلب تعلم الحديث : -

١ - يذكر يزيد بن عمير السكسكي تلميذ معاذ بن جبل أن أستاذه طلب منه أن « يطلب العلم » من أربعة علماء : عبد اللّه بن مسعود ، عبد اللّه بن سلام ، وسلمان الفارسي ، وعويمر بن أبي الدرداء [2] وهم أشهر علماء الحديث .

٢ - ويقول حبيب بن أبي ثابت (المتوفي سنة ١١٩ هـ) « في البداية طلبتُ العلم دون أي هدف ، ثم ألهمني اللّه الهدف كذلك » [3] .

---

(١) الرد على سير الأوزاعي (٤١ - ٤٢)

(٢) طبقات ابن سعد (٢ : ٢ : ٣) ، (٤ : ١ : ٦١) مع اختلاف يسير .

(٣) طبقات ابن سعد (٦ : ٢٢٣) ، منصور بن المعتمر توفي (١٣٢ هـ) وقد سجل نفس الشيء مع اختلاف طفيف (طبقات ابن سعد ٦ : ٢٣٥) .

٣ - وذكر أن صالح بن كيسان المعاصر للزهري قال : « إن الزهري وأنا اتجهنا معاً **نطلب العلم** ، وقررنا أن نلتزم بالسنن في الكتابة » [١] .

٤- ذات مرة رأى سعيد بن المسيّب أحد سكان المدينة في مكة ونَصَحَهُ أن يعود إلى مدينته خشية أن يرتكب بعض الذنوب في الحرم ، فردّ الرجل : **إنما جئت أطلب العلم** » [٢] .

وقد رأينا أن عبارة **طلب العلم** في فجر الإسلام تشير إلى تحصيل فرع معين من المعرفة ألا وهو الحديث ، وبمعنى آخر فمصطلح العلم في العبارة السابقة يبين أن العلم المقصود هنا هو علم الحديث لا العلم بصفة عامة .

إن كتب أبي خيثمة ، وابن عبد البر ، والخطيب البغدادي [٣] تثبت أن العلم في عصرهم كان يفيد ضمنا « الحديث » لأن المادة الأساسية لهذه الكتب كان الحديث ويبدو من البحث الموجود في كتاب ابن عبد البر « الجامع » أن مصطلح العلم استخدم بمعنى الحديث حتى في عهد عمر .

ويقول البحث ان الخليفة عمر قصد ذات مرة الذهاب إلى العراق عندما سمع عن انتشار وباء الطاعون هناك . وهذا الخبر أثار جدلاً تشريعيا ، وكان هناك خلاف في الرأي حَولَ ما إذا كان على المسلمين أن يدخلوا هذا المكان أم لا ، ففي حالة دخولهم من الجائز أن يصبحوا ضحية الوباء ، أما عدم دخولهم فيعني الفرار والمخالفة لأوامر الله ، والهرب من المصير المحتوم ! .

وحسم هذا الخلاف عبد الرحمن بن عوف عندما جاء وقال : « عندي

(١) تقييد العلم (١٠٦ - ١٠٧)

(٢) أخبار مكة (٢ : ١٠٧)

(٣) هذه الأعمال (الكتب) هي : كتاب العلم - جامع بيان العلم - وتقييد العلم .

علمٌ بخصوص هذه المسألة » ، ثم روى حديثاً يمنع المسلم من دخول منطقة بها وباء (١) ، وكلمة العلم هنا لا تعني غير الحديث .

وهناك دليل آخر يقول « أنا عندي من الحديث علم » هذا العلم هو الحديث (٢) .

وعلى سبيل المثال فإن للزهري (م - ١٢٤) أثراً يَعلق فيه على حديث معين ، فيقول : « إن هذا العلم لم يكن معروفا عند العراقيين » (٣) .

واستخدم نفس التعبير بنفس المعنى ، وقال : « العلم يحقق حاجات دينية واجتماعية فضلا عن أنه حقيق بالتقدير لأنه عمل من أعمال العبادة »(٤) .

بل وحتى قبل الزهري ، فإن أبا بكر بن عبد الرحمن (المتوفي سنة ٩٤ هـ) استبدل كلمة حديث بكلمة العلم .

وذكرت عائشة أنها عندما أخبرت أبا بكر بن عبد الرحمن عن سُنَّةٍ معينة (٥) للنبي ﷺ علق قائلا « لم أسمع هذا العلم من قبل » (٦) .

واستخدم عبد الله بن عمر (المتوفي سنة ٧٤ هـ) أيضا هذه الكلمة بهذا المعنى . عندما قال : « سأخبركم عن ذلك بالعلم » (٧) .

---

(١) جامع بيان العلم (٢ : ٢٨)

(٢) جامع بيان العلم (٢ : ٢٨)

(٣) الموضع السابق أيضاً .

(٤) Duri , Al - zuhri , a study in the Begining of History Writing in Islan , Bulletion of the school of oriental african Studies xix , i , p . 8 .

(٥) الطواف بين الصفا والمروة .

(٦) صحيح البخاري (١ : ٤١٤)

(٧) السيرة (٩٩٩)

والقول بأن العلم كان ابن عمر يعنى به الحديث واضح وجليٌ من حقيقة أنه بعد أن صَرَّحَ بالعبارةِ السابقة استشهد بحديث للنبي ﷺ [1] .

أما عالم الحديث أبو الفضل صالح بن أحمد بن محمد التميمي في تناوله لمسألة كِتابةِ ودراسة الحديث فقد ذَكَرَ : أنَّ الباحثَ في علم الحديث يجب أن يكتبَ ويتعلَّمَ ويدرسَ ما تيسَّرَ له مِنْ أحاديثَ في مدينَتِه أولا وعندما ينتهي من العلم المتيسر في مدينته يولى نظره إلى مدينةٍ أخرى بَحْثا عن العلم ، وهنا استخدم هذا العالم : **الحديث والعلم** كمترادفين [2] .

وفي بحثٍ آخر يقول يحيى بن سعيد : « وجدتُ النَّاسَ كارهِينَ للكتب، ولكن لو كُتِبتُ هذه الكتب (في عصر سعيد بن المسيِّب) لتهيُّا لنا ما تهيأ لسعيد بن المسيب من علم ومن رأي [3] .

ويقال : سبيل المثال على « مَنْ سمع العلَم ، عليه أن يجعله **حُجَّةً** فيما بينه وبين النبي ﷺ [4] » .

أما الناقد للحديث - ابن المديني - فيتناول مصطلح العلم بمعنى الحديث عندما يقول : « إنَّ نصفَ **العلم** (دراسة الحديث) يتكون مِنْ معلومات عن رواة هذا الحديث (معرفة الرجال) [5] .

---

(١) السيرة (٩٩١)

(٢) تاريخ دمشق لابن عساكر (٤٦)

(٣) طبقات ابن سعد (٥ : ١٠٤)

(٤) معرفة علوم الحديث للحاكم (٦٣)

(٥) بحوث في تاريخ السنة (٢٩)

فالعلمُ الذي يشير إلى الحديث واضحٌ من هذا الخبر : لقد قال بقية بن الوليد : « لقد دفع إليَّ بجير مصحفاً لخالد بن معدان فيه علمه أخذه منه مكتوباً في تختين ، وله دفتي المصحف ، وله عرى وأزرار » [١] .

ويشير كتاب خالد بوضوح إلى مجموعة أحاديثه ؛ ولهذا فمن الواضح أنّ مصطلح **علم** استُخْدِمَ هنا كمرادفٍ **لحديث** .

وهناك أمثلة عديدة تبينُ أنَّ **العِلْمَ** اسْتُخدِمَ ليشيرَ إلى الحديث :

(١) يقول مالك : « لقد رأيتُ **العلم** يُقْرأ على ابن شهاب الزهري » [٢] .

(٢) وذكر عن مَعْمَر قوله : « لقد قرأتُ **العِلْمَ** على الزهري » [٣] .

(٣) ذكر مَعْمَر : « اعتدنا أن نَقْرَأَ **العلم** على أيوب » [٤] .

(٤) ويقول حسن بن عبد الرحمن : « إنَّ **العِلْمَ** إذا لم يصاحبه إسنادٌ مثل البيت بدونِ سقف ، أو الخيمةَ بدون دعامات » [٥] .

(٥) وذكر عن مجاهد المتوفى (١٠٣ هـ) أنَّهُ كَانَ يَكْرَهُ تَسْجِيلَ **العلم** في كتب [٦] .

(٦) وفي متابعةَ الرامَهُرَمْزي لتطورِ أُدَبِ الحديث استخدم تعبير **العلم** ليشيرَ إلى الحديث [٧] .

---

(١) المصاحف لابن أبي داود (١٣٤ - ١٣٥)

(٢) الكفاية (٣٨٧)

(٣) الكفاية (٣٨٨ ، ٤١١)

(٤) الكفاية (٣٨٧)

(٥) الكفاية (٢٣٣)

(٦) سنن الدارمي ط . دمشق (١ : ١٢١)

(٧) المحدث الفاصل لوحة ٧٩ أ - ٧٩ ب (مخطوط)

(٧) وذكر أنَّ أبا قلابة وأبا المليح اعتادَا أنْ يُدَوِّنَا **العِلْمَ** [١] .

(٨) ويقال أن الزُّهْري هو أول من دَوَّنَ **العلم** [٢] .

(٩) ويقول عمر بن العزيز في خطابه إلى أهل المدينة : « ابحثوا عن حديثِ رسولِ الله ﷺ أينما يكون ، والتزموا بتدوينه كتابةً لأنَّ كل ما أخشاه ضَياعَ العِلْم وانقراضَ العلماء [٣] .

(١٠) وطلب أنس بن مالك من أبنائه تدوين العلم كتابةً [٤] .

(١١) أما مكحول المشهور برحلاته في تحقيق الأحاديث فيقول : « ما خرجت من مِصْرَ حتى ظننت أنه ليس بها علمٌ إلا وقد سمعته ، ثم قدمت المدينة فما خرجت منها حتى ظننت أنه ليس بها علم إلا وقد سمعته » [٥].

(١٢) وذُكر أنَّ أبا ذر كان بخيلاً فيما يتعلق بأمورِ دينهِ ، وكان حريصا على العلم [٦] .

(١٣) ونَصَحَ سفيان بن سعيد أبناءَهُ قائلا : « تعلموا هذا **العلم** فإذا تعلمتموه فاحفظوه ، فإذا حفظتموه فاعملوا به ، فإذا عملتم به فانشروه » [٧] .

---

(١) المحدث الفاصل لوحة

(٢) جامع بيان العلم لابن عبد البر (١ : ٧٣ ، ٧٦) ، خطط المقريزي (٢ : ٣٣) صفة الصفوه لابن الجوزي (٢ : ٧٨) ط . الهند ، قواعد التحديث للقاسمي (٤٦)

(٣) المحدث الفاصل (٣٥ ب) ، صحيح البخاري (١ : ٣٧) في كتاب العلم .

(٤) العلم لأبي خيثمة : زهير بن حرب مخطوط لوحة (١٠ أ) ، والمحدث الفاصل لوحة (٣٤ أ) .

(٥) العلم لأبي خيثمة لوحة (٥ أ) ، وطبقات ابن سعد (٧ : ٢ : ١٦٠)

(٦) طبقات ابن سعد (٤ : ١ : ١٧٠ - ١٧١)

(٧) طبقات ابن سعد (٦ : ٢٥٨)

(١٤) وقال ابن «سيرين » عن الحديث : « مما لا ريب فيه أنَّ هذا العلم دينٌ ، ولهذا فكونوا حريصين عمن تنقلون عنه » [(١)] .

(١٥) وعندما سئل « أُمامة الباهلي » (المتوفى سنة ٨٦ هـ) من حسن بن جابر عن كتابة **العلم** ؟ فأجاب الباهلي : لا ضرر من ذلك » [(٢)] .

(١٦) وذكر ابن سعد عن عبد اللّه بن المبارك « أنه تعلم وروى عددا كبيراً من الأحاديث ، وكتب كتباً كثيرة عن الحديث (في أبواب **العلم**) وسافَر إلى العراق ، والحجاز ، والشام ، ومصر ، واليمن ، وتعلم الكثير من **العلم** [(٣)] .

(١٧) وذكر أنَّ أولاد خالد بن دينار تعلموا **العلم** على أبيهم ، ورووه بدورهم إلى آخرين [(٤)] .

(١٨) ويقال أن الضحاك بن عثمان ، ومغيرة بن عبد الرحمن تعلما **العلم** ونقلاه إلى الآخرين [(٥)] .

(١٩) وعن إبراهيم بن عبد اللّه بن حنين يقال : أنه كان واحداً من رواة **العلم** ، ومن بينهم أيضا الزُّهْري ، وآخرون ، قاموا بنقلِ الأحاديث [(٦)] .

---

(١) طبقات ابن سعد (٧ : ١ : ١٤١) ، المحدث الفاصل لوحة (٤٢ أ) ، وهذا القول نفسه منسوب لمالك بن أنس مع زيادة : « على الرغم من أنني سمعت من سبعين شيخاً محدثاً ، وتلقيت دروسي في مسجد النبي ﷺ ، فلم أجمع منها شيئاً » .
انظر أيضاً : الكفاية (٢٤٨) ، ونفس القول منسوب للضحاك بن مزاحم انظر المحدث الفاصل لوحة (٤٢ أ) .

(٢) طبقات ابن سعد (٧ : ٢ : ١٣٧)

(٣) طبقات ابن سعد (٧ : ٢ : ١٠٤ - ١٠٥)

(٤) طبقات ابن سعد (٥ : ٣٠٦)

(٥) طبقات ابن سعد (٤ : ٢ : ٨٩)

(٦) طبقات ابن سعد (٥ : ٢١١)

إن معنى العلم باعتباره مرادفاً للحديث أَصْبَحَ واضحاً عندما ننظر إليه في إطار الرأي ، وخاصةً الرأي الشخصي أو الاجتهاد .

ويذكر ابن سعد عن ابن جريج أنه عندما كان عطاء بن رباح يروى له أي شيء ، اعتاد ابن جريج (المتوفى سنة ١٥٠ هـ) أن يسأله عما إذا كان هذا من العلم أو من الرأي ، واعتاد بالنسبة للحديث أن يستخدمَ كلمة **علم**، وبالنسبة للرأي الشخصي كان يستخدم كلمة « **رأي** » [١] .

ويذكر ابن عبد البر في كتابه الجامع [٢] العديد من الأحاديث التي يتضح فيها الفرق بين العلم والرأي .

وفي هذه الأبحاث تم استخدام كلمة « **علم** » ، لتشير إلى الحديث .

ويميز « فنسنلء » « Wensinck » بوضوح في كتابه « عقيدة المسلم » بين كلمتي **العلم والرأي** فيقول بلغه الحديث : « فالعلم يستخدم بمعنى المعلومات الدينية ، وبخاصة في علاقتها بالحديث نفسه من حيث المعرفة الدينية ، أما الحديث بصفةٍ عامَة - والذي يتم فيه قدح زناد الفكرِ - فهو الرأي [٣] .

« وتعرض « Petersen » أيضا لهذاالتعريف وقال : « لم يقصد العرب بالعلم وبخاصة في علاقَتِة بالمسائل الدينية بصفة عامة إيجاد أشخاص لهم قدرة على مَنْطَقَةِ الأحدَاَث ، ولكن كان هدفهم إيجاد أشخاص لهم القدرة على أن ينقلوا بعضَ الآراء ، وبعض الأوامر القرآنية ، أو نقل **أحاديث** النبي ﷺ ، أو سنة أصحابه » [٤] .

---

(١) طبقات ابن سعد (٢ : ٢ : ١٣٤) و (٥ : ٣٤٥) ، وجامع بيان العلم لابن عبد البر (٢ : ٣٠ - ٣١)

(٢) جامع بيان العلم (٢ : ٢٨ - ٣١ ، ٣٣ ، ٣٤)

(٣) عقيدة المسلم (١١١)

(٤) علي ومعاوية ص (١٦)

٥ - « الأثر والحديث » :

الأثر (جمع آثار) مصطلح آخر هام ، وقد استخدم في الحقبة الإسلامية الأولى ليشير إلى الحديث ، والأثر حرفيا يعنى علامة ، أو بقايا كما في هذا البيت للأحوص :

لَوْ دبَّ حَوْلِيُّ تحت مِدْرَعِهَا أضْحَى بها مِنْ دَبيبِ الذَّرِّ آثارُ (١)

بمعنى : لَوْ أنَّ نَمْلَةً زَحَفَتْ عليه لتركت **أثراً** على جسمه .

إنَّ بقايا المنازل القديمة التي تعوَّد أن يعيش فيها محبوبات الشعراء العرب عرفت أيضا باسم **الأثر** ، وعلى سبيل المثال يقول « لبيد » :

« **لا عَيْنَ منه ولا أثر** » (٢) .

والأثر أيضا يعنى وقع الأقدام (٣) ، أو البصمة ، واستخدمه النبي ﷺ بهذا المعنى فقال « ما من نبي إلاوله أتباع وأصحاب **يتبعون أثره** ، وترشدهم تعاليمه » (٤) .

وربما يتضح من هذه المعاني أنَّ مصطلح **الأثر** استخدم بمعنى حديث ، والحديث لا يعدو أكثر من وعاء لحفظ تعاليم محمد ﷺ ؛ فتسجيل كلمات محمد وأفعاله تم حفظها في شكل حديث ، وعرفت تحديداً باسم « **الأثر** ».

---

(١) الأغاني (٤ : ٢٥١)
قلت : والبيت في ديوان الأحوص ، ص (١٢٢)
والحولي : ما أتى عليه حول .
والذر : صغار النمل .
والمدرع : ضرب من الثياب . (المترجم) .
(٢) دراسات إسلامية لجولد تسيهر (٢ : ٢١/٨) ، رقم (٣)
(٣) السيرة (٣٣١)
(٤) مسند الإمام أحمد (٦ : ١٨٧) طبعة شاكر .

أما بخصوص المعاني الحرفية الأخرى مثل : وقع الأقدام ، فيمكن أن نقول أنه لكون الرسول ﷺ يحتذى به ، ويقتفى أثره في كل منحى من مناحي الحياة ، فكان سلوكه يسمّى **أثراً** ما في ذلك أدنى شك . والأثر هو مرادف للحديث .

وبعد وفاة محمد ﷺ تبارى الصحابة في التمسك بمسلكه وطريقه ، ولهذا فتعبير **الأثر** يعنى « وقع أقدام » في الأماكن التي سار فيها الرسول ﷺ ، وبالتالي أصبحت مرادفةً لكلمة « حديث » .

وعلى المستوى العملي فكلمة « **أثر** » استخدمت للعادات المتصلةَ بالصحابة والتابعين وأتباع التابعين [(١)] ، ومع هذا فقد تمسَّكَ علماء خراسان بالمصطلح الذي يعني أساساً : عادات الصحابة [(٢)]

وكان هذا التعريف العملي هو أحدث التعريفات ؛ ففي البداية استخدم بالمعنى العام واشتمل على العادات المتعلقة بالنبي ﷺ [(٣)] .

ولنضرب مثلا لهذا بمصطلح كتاب « **الأثر** » لأبي يوسف والذي لم يضم عادات الصحابة فحسب بل عادات النبي ﷺ أيضا .

واقتصار مصطلح أثر على الصحابة فحسب يرجع إلى الشافعي الذي ميزه عن العادات الصادرة عن محمد ﷺ [(٤)] .

---

(١) قواعد التحديث (٣٦) ، وتوجيه النظر إلى أصول الأثر (٩٣) .

(٢) تدريب الراوي (٤) ، توجيه النظر (٣) ، دستور العلماء (١ : ٣٧) ، تاج اللغة للجوهري (٣ : ٤)

(٣) الخطط (٢ : ٣٣٢) ، قواعد التحديث ، (٣٦) ، توجيه النظر (٣) ، تدريب الراوي (٤) .

(٤) يوسف شاخت : مصادر الشريعة الإسلامية (١٦) .

وقبْل الشافعي كان هناك مصطلح عام للأشياء المادية المنقولةَ من عصور مضت . ولنأخذ مثالاً على ذلك : يقال إن سعيد بن المسيب « كان من أفضل الناس في علم **الأثر** وأذكاهم في الرأي (أعلم الناس بما يقدمونه من الأثر وأفقههم في رأيه) [١] ؛ فكلمة **أثر** استخدمت هنا لتشير إلى العادات بصفه عامة وليس فقط العادات التي أتى بها الصحابة فحسب .

وتناول ابنِ المقفع أيضا « **الأثر** » بمعنى العادات بصفة عامة ، وعن الكتابة أثناء عصر الخليفة المنصور (من ١٣٦ هـ - ١٥٨ هـ) يقول : « لم يكن لأحدٍ الحقّ في أن يدلي برأيه في الأمور العسكرية ، وفي التنظيمات المدنية ، وفي كافه الأمور التي لايوجد بشأنها **أثر** بصفة عامة عدا الخليفـة » [٢] .

واستخدم أبو أسماء أيضا مصطلح **الأثر** بمعنى الحديث بصفة عامة ، وذلك عندما سأل أبو حنيفة عن الشخص الذي يجب أن يتعلّم منه **الأثر**[٣] ويبدو أن سؤاله لا يشير إلى أحاديث الصحابة فحسب ، ولكن يشير إلى الأحاديث بصفة عامة .

واستخدم ابن سيرين أيضا كلمة **الأثر** بمعنى الحديث بصفة عامة ، وقال في وَصْفِه لسنة أبي بكر في تناوله للأمور التشريعية : « عندما تصادفه قضية لا يوجد فيها حكم في كتاب الله ، أو **أثر** في السنة الإسلامية ، كان عادةً ما يقول في مثل هذه القضايا : أجتهدُ برأيي ، ولو ثَبَتَ صحته فهو بفضل الله ، ولو ثبت خطأه فمردّه إليّ وأطلبُ من الله أنْ يَغْفِرَ لي » [٤] .

(١) طبقات ابن سعد (٥ : ٩٠)

(٢) الحرب والسلام (٢٩) ، رسائل ابن المقفع في الصحابة ، من رسائل البلغاء لكرد علي (الطبعة الثالثة - القاهرة ١٩٦٤) ص (١٢١ - ١٢٢)

(٣) الكفاية (٢٠٣)

(٤) تاريخ الخلفاء للسيوطي (١٠٥) ، وطبقات ابن سعد (٣ : ١ : ١٢٦)

ونجد مراجع عديدة **للأثر** في كتاب « الحجج » للشيباني حيث استخدم **الأثر** بمعنى الحديث ، أو العادات بصفة عامة .

ولنأخذ مثالا آخر : فإذا كان القياس مناقضا للحديث فيعلق الشيباني بأنه لا يوجد **قياس** في وجود **الأثر** (١) ، وهذا الرأي يتضمن أنَّ القياس يستخدم في المسائل التي لا يوجد فيها حكم محدد في الأحاديث ، فكلمة **الأثر** في هذا التقرير استخدمت بما لا يدع مجالاً للشك بمعنى حديث ، أو العادات بصفة عامة .

واستخدم أبو يوسف هذه الكلمة بهذا المعنى عندما قال : « القياس متميز عن **الأثر** من جانب ، والاستحسان من جانب آخر » (٢) .

وحتى الشافعي فقد خَصَّصَ مصطلح « **الأثر** » كقاعدة لعادات الصحابة ، وأحيانا استعمله للحديث بوجه عام .

وهذا دليلٌ واضح عندما قارن الحديث **بالفقه وعلم الكلام** .

وعندما فرق بين علماء التشريع ، وعلماء الحديث ، وبين الفلاسفة استخدم مصطلحا : **حديث** ، **وأثر** بدون تمييز ، في حين كان علماء الشريعة والفلاسفة يعبر عنهم بمصطلحات أهل الفقه (٣) ، وأهل الكلام (٤) ، بينما كان يعبر عن علماء الحديث لا باسم **أصحاب الحديث** (٥) ، **وأهل الحديث** (٦)

---

(١) الحجج للشيباني (٤٦)

(٢) الخراج (١٨٢ ، ١٨٩)

(٣) أختلاف الحديث للشافعي (٣٧)

(٤) جماع العلم للشافعي (٢٥٦)

(٥) اختلاف الحديث (٩١)

(٦) اختلاف الحديث (٣٣٨)

فحسب بل باسم أهل **الأثر** [١] أيضا ، ويكون الحديث والأثر متشابهين في المعنى ، فاسم الفاعل « **محدث** » « **وأثري** » كان يقصد بهما : رواة الحديث [٢] .

والأثر يشبه **العلم** في أنه مغاير للرأي التشريعي ، ورأينا تعليق عطاء ابن رباح على هذه النقطة عندما استخدم **الأثر** في مقابل الرأي وسمى الرأي **بالعلم** ، واعتبره مرادفاً لكلمة حديث [٣] .

٦ - الحكمة والحديث :

إنَّ كلمة حكمة وجدت في كل من أدب ما قبل الإسلام وما بعد الإسلام ؛ ففي الشعر الجاهلي استخدم هذا المصطلح للأقوال المتسمة بالعقلانية ، والكلمات المتعلقة بالحكمة ، وخير مثال على ذلك : عندما سمع الأصمعيُّ - الشاعر المخضرم - قصيدةً بعينها لسويد بن أبي كاهل علق قائلا : «إنَّ العربِ يعدونها من حِكَمِهِ [٤] .

وفي حقبة ما بعدالإسلام ، ذات مرة - روى عمران بن حصين « إن الحديث النبوي لا يعدو أكثر من كونه شيئا من الحكمة » .

وقال بشر بن كعب « إنه كتب بحكمة كذلك » .

وذكر عمران « سأروي لكم عن النبي ﷺ وستخبرونني ما في صحيفتكم » [٥] .

---

(١) كتاب الرد على محمد بن الحسن الشيباني (٢٨٣)

(٢) تدريب الراوي (٤)

(٣) طبقات ابن سعد (٢ : ٢ : ١٣٤) و (٥ : ٣٤٥)

(٤) المفضليات (١٩٠)

(٥) صحيح البخاري (٤ : ١٣٩) ، في الأدب

والنبي ﷺ استخدم كلمه الحكمة بالمعنى الحرفي عندما قال : « خذوا **الحكمة** ولو من أفواه الكفار » (١) .

ولنأخذ مثالا آخر من الحقبة الإسلامية الأولى ، لقد ذكر أن معاوية قال لأحد رجال حاشيته : « إنه لردبارع حكيم من عدي بن حاتم بعد سماعه قولاً منه » .

ويقول حبيب بن مسلمة : دوّن هذا في كتابك إنها حكمة (٢) .

فالحكمة تم تعريفها على أساس أن تعرف جوهر الأشياء وتتصرف طبقا لمتطلباتها (٣) .

وبمعنى آخر إنها موافقه الحكم مع السلوك الشخصي ، وبهذا المعنى استخدم علماء الفلسفة لفظ الحكمة .

وفي مناسبات معروفة تحدث القرآن عن الحكمة وعلاقتها بالكتاب ، وفي مواضع أخرى استخدمها بمفردها .

وفي ثمانية مواضع من الكتاب يشير بها إلى القرآن (٤) .

ولكن ماذا تعنى الحكمة ؟ إنها بالضرورة تعني شيئا آخر مختلفا عما ذكره القرآن ، لأن كلمة حكمة انفصلت من الكتاب بحرف العطف { وَ } .

لقد تناول الشافعي باستفاضة استعمال لفظي : **الحكمة والكتاب** ،

---

(١) العقد الفريد (٢ : ١٠٦)

(٢) العقد الفريد (٤ : ١١٠)

(٣) القاموس العربي الإنجليزي لمؤلفه : Lane , E . W ، ص (١ : ٢ : ٦١٧)

(٤) القرآن الكريم (٢ : ١٢٩) ، (٢ : ١٥١) ، (٢ : ٢٣١) ، (٣ : ٤٨) ، (٣ : ٨١) ، (٤ : ٥٤) ، (٤ : ١١٣) ، (٥ : ١١٠) .

وخلصَ إلى أن **الكتاب** يقصد به القرآن الكريم ، بينما **الحكمة** تشير إلى سنة النبي ﷺ [١] .

وبنفس هذه النتيجة فَسرَّ قتادة (المتوفى سنة ١١٨ هـ) قوله تعالى : ﴿ ما يتلى في بيوتكن من آيات الله والحكمة ﴾ [٢] فقال : « تشير آيات الله إلى القرآن ، **والحكمة** تعني السنة [٣] .

وربما يكون الشافعي قد استعار تفسيراً لكلمة **الحكمة** بالسنة من الإمام قتادة ، لأن الشافعي يقول « لقد سمعت علماء القرآن وقتادة واحدا منهم - يقولون بأن **الحكمة** تعني سنة النبي ﷺ [٤] .

ومع هذا ستظل حقيقة أن **الحكمة** مساوية تماماً للسنة بإجماع العلماء بعد الشافعي بذلك ، ولأنَّ الشافعي لم يضع خطا فاصلاً بين الحديث والسنة فيمكن أن نقول : إن **الحكمة** عنده مساوية **للحديث** .

ويبدو أن الحسن البصري اعتاد أن يستخدم هذا المصطلح بمعنى الحديث ففي خطابه الشهير إلى الخليفة عبد الملك يشير إلى **حكمة** الآباء ، ويقول : « انهم يتصرفون وفقا لأوامر الله ، لقد رَوَوْا حكمته ، واتبعوا سنة رسول الله ﷺ .

فكلمة **حكمة** التي استخدمت هنا مع كلمة سنة ، وكلمة أوامر الله ارتبطت بتعبير **روى** توضح أن الحكمة بالنسبة للحسن البصري تعني الحديث [٥] .

---

(١) الرسالة (٢٤) ، جامع بيان العلم (٢٤٧)

(٢) القرآن الكريم (٣٣ : ٣٤)

(٣) طبقات ابن سعد (٨ : ١٤٤)

(٤) الرسالة (٢٤)

(٥) الاسلام (Der Islam) (٢١ : ٦٨) بالألمانية .

٧ - الفقه والحديث :

على المستوى العملي يطبق مصطلح **فقه** في المعلومات المتخصصة والخاصة بقوانين الشريعة الإسلامية التي تم صياغتها وتشكيلها من القرآن والحديث **والاجتهاد** الشخصي لأئمه الإسلام ، ومجالها يشمل كل الجوانب الدينية والسياسية والمدنية للحياة [١] .

وعلى المستوى اللفظي فإن المصطلح يشير إلى معلومة ، رؤية ، أو فهم .

والكلمة بهذا المعنى وجدت في كل من القرآن والأحاديث .

ولهذا يعلق فنسنك قائلا : « إنَّ القول بأن الفقه هو التبصير ، وإذ لم يتناوله القرآن بهذا المعنى فهو غير مقبول » [٢] .

وسوف نستشهد ببعض الأمثلة لنبين أن الصيغة الفعليه لكلمه « **فقه** » استخدمت بمعنى الفهم أو التبصر في القرآن . لأنَّ أول المعاني التي يتناولها القرآن حدث عندما وجد ذو القرنين نفسه بين جبلين ، نظر فوجد على أحد جوانبه القريبة منه قومًا استطاعوا بصعوبة شديدة أن يفهموه « لا يكادون يفقهون قولاً » [٣] (لأنهم يتعلمون لغةً مختلفة ولا يفهمون اللغة الإيرانيه وهي لغة ذي القرنين) .

وعلى سبيل المثال توسّل موسى إلى ربه ليهبه وضوح القول حتى يمكن لشعب فرعون أن يفهموا رسالته باعتباره الرسول المرسل إليهم ، ويقول : « رب اشرح لي صدري . ويسر لي أمري ، واحلل عقدة من لساني ، **يفقهوا** قولي » [٤] .

---

(١) Med . Islam

(٢) The muslim creed (110)

(٣) القرآن الكريم (١٨ : ٩٣)

(٤) القرآن الكريم (٢٠ : ٢٥ - ٢٨)

إن الفعل « **فقه** » في النص الآتي يعني « الفهم » ، وعندما تحدث القرآن عن الكفار قال : « ومنهم من يستمع اليك ، وجعلنا على قلوبهم أكنة **أن يفقهوه** [١] ، » ، وفي آية آخرى تتعلق بالكفار يقول القرآن : « ومن أظلم ممن ذكر بآيات ربه ، فأعرض عنها ونسي ما قدمت يداه إنا جعلنا على قلوبهم أكنة أن **يفقهوه** وفي آذانهم وقرا ، وإن تدعهم الى الهدى فلن يهتدوا إذاً أبداً » [٢] .

وفي الآية التالية أيضا الصيغة الفعلية « **يفقهون** » تشير إلى الفهم ، وتقول الآية الكريمة : « ولقد ذرأنا لجهنم كثيرا من الجن والإنس لهم قلوب لا **يفقهون** بها ولهم أعين لا يبصرون بها ولهم آذان لا يسمعون بها أولئك كالأنعام بل هم أضل أولئك هم الغافلون » [٣] .

وبالإضافة إلى هذا التناول القرآني ، فالكلمة بمعنى معرفة ، أو إدراك ، أو فهم وجدت في أدب الحديث أيضا ، ولنأخذ مثلاً على ذلك : فقد اعتاد الخليفة عمر أن يقول « **تفقهوا** قبل أن تسودوا » [٤] ، ومعنى هذا أنه يجب عليك أن تنمى قدرتك على الفهم والإدراك قبل أن يقع عليك الاختيار كوالٍ ، والكلمة بهذا المعنى الحرفي وجدت في سيرة ابن هشام [٥] .

ولقد رأينا تناول القرآن لكلمة **الفقه** بالمعنى الحرفي لكلمة « فهم » ولكن هذه الكلمة أيضا وجدت في القرآن لتشير إلى القدرة على التبصر

---

(١) القرآن الكريم (٦ : ٢٥)
(٢) القرآن الكريم (١٨ : ٥٨)
(٣) القرآن الكريم (٧ : ١٧٩)
(٤) كتاب العلم لأبي خيثمة لوحة (٢ ب)
(٥) السيرة (٩٦١)

وعن تناول القرآن للصيغة الفعلية يقول القرآن الكريم « وما كان المؤمنون لينفروا كافة فلولا نَفَرَ مِنْ كُلِّ فرقةٍ منهم طائفة **ليتفقهوا** في الدين » [(١)] . فكلمة تفقهوا استخدمت هنا بوضوحٍ لتشيرَ إلى التبصر بأمور الدين .

وفي الأمور الدنيوية استخدمت كلمه **فقه** بمعنى البصيرة والتبصر ، ولنأخذ مثلاً عن النبي ﷺ إذ يقول : « عندما أراد الله أن يهدي عباده بصرهم **وفقههم** بأمورِ دينهم وأخبرهم بضعفهم » [(٢)] .

وفي بحث آخر يقال « إذا كان لكل شيء دعامات فدعامة الدين الإسلامي **الفقه** وذلك من خلالِ المعرفة والتبصر بتفسير القرآن والسنة » [(٣)].

وإذا نظرنا إلى الفقه من منظورٍ تاريخي ، فهو في البداية كان يقصد به المعرفة من أي نوع ، ولكن عندما استخدمت هذه الكلمة في سياق الدين أشارت إلى التبصر بالتعاليم الدينية [(٤)] . وهذا واضح من حديث لأبي هريرة عن الرسول ﷺ أنه قال : « الرجال معادن خيارهم في الجاهلية خيارهم في الإسلام لو تبصروا بالدين أي إذا فقهوا » [(٥)] .

ووجدنا حديثا في كتاب المغازى للواقدي حيث روى أن معاذ بن جبل

---

(١) القرآن الكريم (٩ : ١٢٢)

(٢) محاضرات الأدباء للأصبهاني (١٦)

(٣) محاضرات الأدباء للأصبهاني (١٦)

(٤) صحيح البخاري (٢ : ٣٤٠ ، ٣٤٨ ، ٣٥٠) في أحاديث الأنبياء ، و (٢: ٣٨١) في المناقب .

(٥) وفي رأي الغزالي « أن الفقه في فجر الإسلام أشار إلى معرفة خاصة بحياة الآخرة وأخرى خاصة بالحياة الدنيا واستخلص هذا التعريف من الآية القرآنية « ليتفقهوا في دينهم ولينذروا » مؤكدا على الفعل أنذر الذي يشير إلى أمور الحياه لا إلى فروع الفقه من الناحيه العملية والحديث مذكور بمعناه لا بنصه الحرفي .

أوصى رسوله إلى المدينة بألا يعلم أهل مكه القرآن ، وألا يخبرهم بفضل الله على المسلمين فحسب ؛ بل طلب منه أن **يفقه** الناس (أهل مكة) في دينهم [١] .

وفي نص آخر عند الواقدي يقول « إن فريقا من قبائل عضل والقارة زاروا الرسول ﷺ وطلبوا منه معلما لا ليعلمهم القرآن فحسب ؛ بل **ليفقههم** في الاسلام ﴿ يقرؤنا القرآن ويفقهنا في الإسلام ﴾ [٢] .

إذا فالفقه في الحقبة الإسلامية الأولى كان عملية فهم واستنتاج ، وهذه القدرة كانت مطلوبة لتفسير القرآن وإبداع العلم أو الحديث للمسائل الشرعية والقانونية ، والفقيه هو الشخص الذي لديه معرفة تفسير القرآن والحديث ، وصياغة القوانين على أساس تفقهه بأمور الدين .

وعلى الرغم من أن **الفقه** كعلم مستقل تطور كثيرا بعد ذلك بسبب الاهتمام الذي لقيه حتى في العصور المبكرة - وعليه فقد ذكر مسروق « أن علي بن ابي طالب ، وأُبَيّ بن كعب ، وأبا موسى الأشعري ، وعمر ابن الخطاب ، وزيد بن ثابت ، وعبد الله بن مسعود اعتادوا أن يناقشوا المسائل الشرعية بينهم » [٣] .

وذكر أيضاً أن جماعة من الناس وجدوا ذات مرة يتذاكرون الفقه أثناء حياة النبي ﷺ [٤] ، وأكثر من هذا فقد روي أن عمر ، وعثمان ، وعلياً ، وعبد الرحمن بن عوف ، ومعاذ بن جبل ، وأُبَيّ بن كعب ، وزيد بن ثابت ، اعتادوا أن يصدروا الأحكام التشريعية أثناء خلافه أبي بكر [٦] .

(١) المغازي (٤٢٣)
(٢) المغازي (٣٤٥)
(٣) طبقات ابن سعد (٢ : ٢ : ١١٠)
(٤) المسند (٤ : ٢٩٨)
(٥) طبقات ابن سعد (٢ : ٢ : ١٠٩)

ومع تأسيس علم المنهج الإسلامي يقول فضل الرحمن : « لقد حدث تغيير جوهري في طبيعة الفقه الذي تطور من مجرد اجتهادٍ شخصي إلى علم بنائي له هيكله من المعرفة » وأضاف : أن الهيكل المعرفي كان قابلاً للقياس والمعايرة باعتباره نظاما موضوعيا ... في حين كان من حق أي فرد في المراحل الأولى أن يمارسَ **الفقه** » ، ومن المنطقي أن نقول الآن : على المرء أن يتعلم أو يدرس **الفقه** (١) .

ومع هذا يجب أن نشير إلى أنَّهُ في فجر الإسلام كان **الفقه** يشبه العلم ، ويضم معرفةً مركبة مكونه من القرآن ، والحديث ، والفقه .

وكان علماء هذه العلوم معروفين بدون تمييز باسم **علماء** ، أو **فقهاء** (أي أصحاب مذهب فقهي) ولهذا لم يكن هناك فرق جوهري بين الحديث **والفقه** في هذه الفتره المبكرة ، ولهذا السبب كان مصطلح **فقه** يستخدم عادةً ليشير إلى الحديث ، وهذا جليٌّ من حديث رُوِيَ عن زيد بن ثابت أن النبي ﷺ قال :

« نَضَّرَ اللّه امْرءاً سَمِعَ مِنّا حديثاً فَحَفِظَهُ حتى يُبَلِّغَهُ ، فَرُبَّ حامِلِ فِقْهٍ إلى مَنْ هوَ أَفْقَهُ منه ، ورُبَّ حامِلِ فِقْهٍ لَيْسَ بِفَقِيه » (٢) .

ويمكن أن نرى أن كلمة الفقه في هذا الحديث استخدمت لتشير إلى قول النبي ﷺ ، يعني « الحديث » .

وعلى الرغم من حقيقة أن **الفقه والعلم** (**أو الحديث**) كان يمكن استخدام لفظ أحدهم للدلالة على الآخر ، فإنَّ **الفقه** كان مجاله أرحب في

---

(١) كتاب « الإسلام » تأليف فضل الرحمن ، ص (١٠٣)

(٢) سنن أبي داود (٣ : ٤٣٨) في كتاب العلم ، حديث رقم (٣٦٦٠) ، وجامع الترمذي (١٠ : ١٢٤) في كتاب العلم ، وسنن ابن ماجة (١ : ١٠٢) في المقدمة .

هذه الفتره المبكرة (كما كان بعد ذلك) ، وكانت معرفة الحديث ضرورية للغاية بالنسبة للفقه ، وهذا ناتج من حقيقة أنَّ الصحابة أمثال : عبد الله ابن عمرو بن العاص ، وجابر بن عبد الله ، وأبا هريرة ، وعبد الله بن عباس من الذين رَوَوْا أحاديث كثيرة وصفوا **كفقهاء** [١] لا كمحدثين .

ويبدو أن الخليفة عمر استخدم مصطلح **الفقه** بهذا المفهوم الواسع عندما قال : « من أراد أن يَتَفَقَّهَ فليذهب إلى معاذ بن جبل [٢] ، ويبدو أنه يقصد بكلمة « **فقه** » المعرفه الدينية بوجه عام لا كعلم مستقل لم يتطور بعد .

ومع أنه في مطلع القرن الثاني الهجري كانت قد ظهرت تفرقة واضحة بين **الفقه** والحديث . فقد قال الشعبي عن ابن عمر أنه أي ابن عمر كان بارعاً في الحديث **لا في الفقه** [٣] .

وعلى سبيل المثال أيضا يقال : « أن القاسم بن معن كان حجة في الحديث والفقه والشعر وأيام الناس » [٤] .

وري الحاكم عن الحجة عباس بن مصعب أنه قال : « إن كتاب الجامع لعبد الله بن المبارك يحتوي على الحديث - الفقه ، اللغة العربية ، وأيام الناس «أي تاريخهم » الشجاعة - التجارة - الكرم - والحب من فئات وجماعات متباينة [٥] .

٨ - مصطلحات أخرى متعلقه بالحديث :

ففضلا عن السنة ، **الأثر** ، **العلم** ، **الفقه** ، هناك مصطلحات أخرى ذات صلة وثيقة بالحديث ، ومن بين هذه المصطلحات الجديرة بالذكر ، **الخبر** ، **الرأي** ، **المثل** التي سنتناولها بالبحث .

---

(١) طبقات ابن سعد (٢ : ٢ : ١٢٧)
(٢) طبقات ابن سعد (٢ : ٢ : ١٠٨)
(٣) طبقات ابن سعد (٢ : ٢ : ١٢٥)
(٤) طبقات ابن سعد (٦ : ٢٦٧)
(٥) معرفة علوم الحديث (٦٦)

أ - الخبر :

الخبر حرفياً يعني « نبأ » « تقرير » « معلومات » بغض النظر عن طبيعة أو مصدر هذا الخبر .

والخبر الذي جَمْعُه « أخبار » استخدم بمعنى تاريخ ، بكل ما في هذه الكلمة من معنى ، وضم أساطير تاريخية من كل نوع .

والحديث الذي يحتوي على تقارير عن أقوال وسنن النبي ﷺ والموافقه الضمنيه للنبي ﷺ يقع أيضا تحت مجال **الخبر** والذي يعد أرحب مجالا من الحديث .

وفي حين يدور الحديث حول شخصية الرسول ﷺ ويتناول المسائل الصادرة منه ، فإن **الخبر** أوسع من هذا بكثير لأنه يشمل كل المعلومات مهما كان مصدرها .

ومن العلماء من يقصر مصطلح الحديث على العادات الدينية ، أو التفسيرات الدينية للعادات ؛ فإن العادات ذات الجذور التاريخية هي موضع اهتمام ودراسة الخبر عموما ، ولهذا فالشخص الذي ينهمك في دراسة العبادات الدينية « يسمى » محدثا ، أما الشخص الذي يكرس نفسه لدراسة التاريخ والعلوم المتشابهه يعرف باسم « إخباري » (١) .

وفي حين أخذ الحديث معنًى عملياً محدداً مقتصراً على أقوال النبي ﷺ واختصاراً لذلك يسمى حديث النبي ﷺ (٢) . أما الخبر فقد استخدم للمعلومات التي تم سردها وأتت من مصادر أخرى غير النبي ﷺ (٣) .

---

(١) قواعد التحدث (٣٦) ، توجيه النظر (٣)

(٢) دراسة في آدب البرديات العربية : نبيهة عبود (١ : ٧)

(٣) توجيه النظر (٣) ، تدريب الراوي (٤) .

وعلى الرغم من التفرقة السابقة في المعنى بين الحديث ، **والخبر** ففي كثير من الأحيان استُخدما كمترادفين [١] .

ويعطينا الطبري مثالاً آخر حيث استخدم **الخبر** بمعنى الحديث عندما قال: « إن الخبر ذكر عن النبي ﷺ ليؤكد هذا الخبر على قول لامرىء يعتقد أن العالم سيستمر لمدة ستة آلاف سنة » ، وبعد ذلك استشهد لنا بحديث صحيح وأشبعه بتعليق منه .

فالنبي ﷺ ذكر بوضوح في هذا **الخبر** أن العالم مستمر لمدة ستة آلاف سنة [٢] .

والغزالي في كتابه « الإحياء » استخدم صيغة الجمع « **أخبار** » بمعنى أحاديث ، ولكي يوضح ميزة العلم استشهدَ أولا بآيات من القرآن الكريم وسنن النبي ﷺ ، وقبل أن ينقل سنن النبي ﷺ علق قائلاً : أما بخصوص الخبر فالنبي ﷺ يقول ...... » [٣] .

بل وحتى في الوقت الذي تطور فيه الحديث واتخذ شكل العلم ، فإنَّ **الخبر** استخدم على الأقل في أحد أنواع ، أو فئات الحديث ، فعلم الحديث قسم الأحاديث إلى مرفوع وموقوف [٤] .

وفي حين كان مصطلح « **حديث** » مخصصا للنوع المرفوع من الأحاديث

---

(١) يذكر ابن عبد البر أن أبا جعفر قال : « مما لا ريب فيه أن الخبر والحديث وجهان لعمله واحدة (إن الخبر والحديث واحد) وبني أبو جعفر رأيه على الآية القرآنية «يومئذ تحدّث أخبارها » (٩٩ : ٤) ، وعليه فقد جعل الحديث والخبر مترادفين . جامع بيان العلم (٢ : ١٧٦)

(٢) تاريخ الطبري (١ : ١٥)

(٣) إحياء علوم الدين (١ : ٥)

(٤) الأول يرجع إلي النبي ﷺ باسنادٍ كامل أو من غير إسناد ، أما الثاني فيرجع إلى الصحابة فحسب .

كان **الخبر** مصطلحا عاما للمرفوع والموقوف من الأحاديث ، وعليه فهناك عبارة تقول « كل حديث يعد خبرا ، وليس كل خبر يعد حديثا » (١) .

وذهب علماء خراسان خطوةً أبعد من هذا ؛ فقد ساووا بين الخبر وحديث النبي ﷺ ، وميزوا أيضا بين الموقوف والمرفوع من الأحاديث وأطلقوا على الأول : « الأثر » ، والثاني اطلقوا عليه : « الخبر » . وبهذه الطريقة أصبح **الحديث والخبر** متماثلين (٢) .

ومع هذا فإن « روزنثال » « لا يرى أن المصطلحين يمكن استخدام أحدهما مكان الآخر ، ويتساءل بعقلانية : إذا كان كل **خبر** لا يعد حديثا – على الرغم من أن العكس ممكن ، فكيف يمكن استخدام أحدهما مكان الآخر ؟ (٣) .

(ب) الرأي :

وهناك مصطلح آخر يتصل بالحديث : ألا وهو **الرأي** الذي استخدم بطريقة مغايرة لمصطلح الخبر . ومن الواضح أنه في الحقبة الأولى من الإسلام كانت كلمتا : **العلم والرأي** تستخدما بمعنى الحديث **والاجتهاد** (وذلك بدواعي اجتهادية شخصية) ، ولهذا نجد عبد الملك يسأل الحسن البصري ما إذا كان مذهب الحرية الذي ينادي به الحسن البصري مشتقاً من القرآن أو من رواية صحابة رسول الله ﷺ أو من رأيه الشخصي (٤) .

---

(١) قواعد التحديث (٣٦) ، وتوجيه النظر (٣)

(٢) تدريب الراوي (٤) ، وتوجيه النظر (٣)

(٣) دراسة في أدب البرديات العربية : نبيهة عبود (١ : ٤) ، حيث اعتبرت أن « روزنثال » قد وقع في خطأ .

(٤) Der Islam (XXI) 1933 , p : 67

ونستطيع أن نرى بوضوح أن مصطلح « **رأي** » في التقرير السابق استخدم بمعنى مناقض **لرواية** ، أو بمعنى **حديث** ، ولقد رأينا بحق أن أحد المصطلحات للعادات في الحقبة الإسلامية الأولى كان **العلم** . ويتضح أن كلمة **رواية** استخدمت هنا كمرادف لكلمة **علم** ولكلمة حديث . ولهذا يمكن أن يقال : إن الرأي والعلم أشارا في الحقبه الإسلامية الأولى إلى الاجتهاد بصفه خاصة أو الأحاديث . ونجد تقريرين في تاريخ الطبري حيث وجدت هذه العبارات : **أحضروني علمكم** (١) ، **وأحضروني رأيكم** (٢) وهما كما نرى مصطلحين متناقضين . وبالنسبة لمصطلح علم فإنه يشير إلى مسألة متعلقة بموضوع المغانم ، إذ أنه ذكر أن عمر في نهاية إحدى الغزوات طلب من الناس أن يخبروه بعلمهم (المعروف في ذلك الوقت بالحديث) بخصوص توزيع مغانم الحرب ، ومن الواضح أن « علم » في التعبير السابق يعني حديث النبي ﷺ .

ومن جهة أخرى فمصطلح « رأي » في عبارة « **أحضروني رأيكم** » تعني الرأي الشخصي في مسألة لا يوجد بشأنها تشريع في القرآن والحديث .

أما « جولد تسيهر » في مقالته عن **الفقه** في دائرة المعارف الإسلامية قد أشار بوضوح إلى أن **العلم والرأي** نقيضان ، مع أنه بصورة غير عادية أنكر استخدام **الرأي** في الحقبة الأولى من الإسلام ، وعلى النقيض من وجهة نظر « جولد تسيهر » نجد كثيراً من المصطلحات المغايرة له في تاريخ الطبري ، وسيرة ابن هشام ، حيث يقول الطبري : إنه أثناء غزو فلسطين كتب عمرو بن العاص إلى الخليفة عمر بن الخطاب يطلب رأيه في بعض المشكلات ، وعندما تسلم عمر هذا الخطاب علق قائلاً :

---

(١) تاريخ الطبري (١ : ٢٤١٧)

(٢) تاريخ الطبري (١ : ٢٢١٣ - ٢٢١٤)

« إن عَمْراً غير مستعد للتصرف إلا وفقا لما يمليه **العلم** » [1] .

فكلمتا : **رأي** ، **وعلم** في هذا التقرير تعنيان بصفة خاصة الاجتهاد الشخصي بالرأي وكذلك الحديث .

وحتى في فجر الإسلام نجد ذكرا لهذه المصطلحات المتناقصة في قصيدة منسوبه إلى حسان بن ثابت في مرثيته المشهورة حين مات النبي ﷺ والقصيدة تقول :

تناهَتْ وَصَاةُ المسْلِمينَ بكفِّه فلا العِلْمُ محبوسٌ ولا الرأي يُفْنَدُ [2]

أي إن المسلمين يلجأون إلى علم محمد ﷺ لأنه معه لا علم يحبس ولا رأي ينكر .

ويبدو أن حَسان في هذا البيت من الشعر يقصد **بالعلم والرأي** : حديث النبي ﷺ والآراء الشخصية المستقلة للصحابة بصفة خاصة .

وعلى مستوى المناظرات الأدبية بين مفوض بني تميم من ناحية وبين جماعة محمد (عليه الصلاة والسلام) من جهة أخرى ألقى عطارد بن حاجب خطابا وتحدى محمدا أن يلقى بأحسن منه إذا كان بإمكانه ! وقَبِلَ النبي ﷺ التحدي ، واستدعى ثابت بن قيس الأنصاري ليردَّ على الخصم . وعلى الفور حمل ثابت أوامر النبي ﷺ ، وبدأ خطابه بهذه الكلمات :

« الحمد للّه الذي السموات والأرض خَلْقه ، قَضَى فيهن أمَرهُ ، ووَسِعَ كرسيُّهُ علمه ، ولم يك شيء قط إلا من فضله ، ثم كان من قدرته أن جعلنا ملوكاً ، واصطفى من خير خلقه رسولاً أكرمه نسباً ، وأصْدَقَهُ حديثاً ، وأفضله حسباً ، فأنزل عليه كتابه ، وائتمنه على خلقه ... إلخ » [3] .

---

(١) تاريخ الطبري (١ : ٢٤٠١)

(٢) ديوان حسان (٤٣)

(٣) السيرة (١٠٢٤) طبعة أوربا . وفي طبعة محي الدين عبد الحميد (٤ : ٢٢٤) (المترجم) .

وذكر عن النبي ﷺ ، نفسه أنه اعتادَ أن يستخدمَ المشتق من كلمة رأي من وقت لآخر ؛ فذكر ابن عباس أنه عندما وقع الأسرى في أيدي جيش المسلمين في غزوة بدر قال النبي ﷺ « يا أبا بكر ! يا علي ! يا عمر ! **ما ترون** ؟ ما نحن فاعلون مع هؤلاء الأسرى ؟ [١] .

واستخدم الصحابي حباب بن المنذر بن الجموح أيضا الصيغة الفعلية مرتبطة بالاسم **رأي** بمعنى وجهة النظر ، **أو الرأي** ، وذكر أنه عندما وصل النبي ﷺ في غزوة بدر بأدنى مياه بدر قال حباب له : « أهذا منزل أنزلكه الله لا نتقدم عنه ولا نتأخر ، أم هو الرأي والحرب والمكيدة ؟ [٢] .

قال رسول الله ﷺ : بل هو الرأي ، والحرب ، والمكيدة .

فرد حباب : ليس لك هذا بمنزل [٣] .

ولعب **الرأي** دورا هاماً بالنسبة للقضايا التشريعية في فجر الإسلام لأن مصدري الشريعة في هذه الفترة كان : القرآن ، وسنة النبي ﷺ ، وفي غياب هذين المصدرين كانا يصرح للصحابة أن يستخدموا فطنتهم الشخصية ليحكموا في القضايا القانونية ، والتصريح باستخدام الرأي الذي أجازه النبي ﷺ نفسه لمعاذ بن جبل [٤] وبعد وفاة الرسول ﷺ حكم أبو بكر ، وعمر في « القضايا » بناءً على **رأيهم** .

وذكرأن أبا بكر استشار أهل الرأي وأهل الفقه في تقرير القضايا التشريعية [٥] .

---

(١) مسند ابن أبي شيبة (٥٤)

(٢) السيرة (٤٣٩)

(٣) المصدر السابق

(٤) جامع بيان العلم (٢ : ٥٥ - ٥٦)

(٥) السنة ومكانتها للسباعي (٨٤)

وكان عمر أيضا يطلب رأي الصحابة في القضايا التي لا يوجد فيها حديث ، وكان يُصدر تعليماته إلى الولاة والقضاة أن يحكموا في القضايا بناء على اجتهادهم الشخصي ، وذلك في القضايا التي لا تتوافر لها أحكام صريحة في القرآن والسنة . ولهذا ففي خطابه إلى أبي موسى الأشعري يذكر ثلاثة مصادر للتشريع ألا وهي : القرآن ، والسنة المتبعة ، والفهم [(١)] وهذا الموضع الذي وضع فيه المصدر الأخير للتشريع يبين بوضوح أنْ مكانته بعد القرآن والسنة .

ومع أن الشكوك تحوم حول مدى مصداقية هذا الخطاب [(٢)] إلا أنه في الواقع وجدت المراجع المتعلقة بنص هذا الخطاب وإن كانت مختصرة عند بعض الثقاة مثل أبي يوسف [(٣)] ، وهذا يؤكد لنا بأن هذا الخطاب كان حقيقيا وصادقا .

وعلاوة على هذا فحديث معاذ دليل دامغ لمصداقية هذا الخطاب حيث يرى أن تعليمات الفاروق عمر باستخدام الرأي في حالة عدم توافر الدليل في القرآن والسنة واضح ومطابق للموافقة الضمنية للنبي ﷺ لمعاذ في أن يستخدم هذا المصدر في التشريع .

وعن استخدام الرأي في الحقبة الإسلامية الأولى يقول « براوْمان » :

« في رأينا يبدو أنه من المحتمل للغاية أن أيَّ والٍ أو قاضٍ في الحقبة

---

(١) صبح الأعشى (١٠ : ١٩٤) ، الكامل (١ : ١٤) ، وقد ذكر « شاخت » أن استخدام مالك للرأي معروف ، حيث أنه عمل برأيه في القضايا التي لم يجد فيها أحاديث ...

(٢) Margoliouth omar's instrvctions to the kaDi jRAS , 1910 , p (113)

(٣) الخراج لأبي يوسف (١١٧)

الإسلامية الأولى كان من المتوقع أن يركن إلى رأية عندما لا يجد توجيهاً في الهيكل الواسع من السنة ، وغالبا ما كان يلجأ إلى أشكال من القوانين المحلية خاصة المتعلقة **بالرأي** باعتبارها « **علما** » [١] .

إن « براومان » لا يرى أن صدق حديث معاذ بن جبل قوى الاحتمال فحسب ، بل لا يدنو إليه شك ، ويقول :

« إنَّ الشكوك التي أثارها « جولد تسيهر » « وشاخت » حول تطبيق الرأي في الحقبة الإسلامية الأولى وإنكارهما لصدق القصة المتعلقة بمعاذ ابن جبل والنبي ﷺ يبدو أنها مجحفة [٢] .

وإذا انتقلنا إلى الحديث عن مصادر الشريعة الإسلامية يسجل « بهيج شعبان » : أن المصادر بالنسبة للرأي يجب أن ينظر إليها كآخر المصادر التي يمكن اللجوء إليها عند زوال جميع الوسائل [٣] .

وقصر ابن المقفع استخدام الرأي على الخليفة فقط فقال « لا يحق لأي شخص أن يدلي بدلوه في الشئون العسكرية ، وفي التنظيمات الإدراية ، وفي كافة المسائل التي لم يترك فيها **أثر** عدا الخليفة » [٤] .

وفي فترة شباب الصحابة والتابعين فمصطلحا : **أهل الحديث** ، **وأهل الرأي** كان يقصد بهما أساساً جامعوا الأحاديث ومفسروا السنة » ، **وأهل الحديث** كانوا يسمون « بالصيادلة » [٥] **وأهل الرأي** « بالاطباء » ولهذا فالأعمش يقول لأبي حنيفة : « نحن الصيادلة وأنتم الأطباء » [٦] .

---

(١) فجر الإسلام (١٧٧ - ١٧٨) (EARLy islam (177 - 178

(٢) فجر الإسلام (١٨٤) (EARLy islam (184

(٣) الإسلام لبهيج شعبان ص (١١٧)

(٤) رسائل البلغاء (١٢١ - ١٢٢)

(٥) جامع بيان العلم (٢ : ١٣١)

(٦) المصدر السابق نفس الموضع .

ويعلق الزهري : نعم وزير العلم : الرأي الحسن [١] .

ومعنى هذا أن خير مساعد لاكتساب المعرفة (**العلم**) هو الرأي السليم ، فالرأي أو الاجتهاد في المثال السابق يبدو أنه يلعب دور المفسر ، ولعلّ التفسير الحسن ، أو السيء للحديث يعتمد على مدى سلامة الآراء ، أو أهل الرأي .

وتوقف التابعون ليستفسروا ما إذا كانت العادات المنقولة عن طريق الرواية كانت أحاديثا فعلية للنبي ﷺ ، أو تفسيراً لهذا الحديث مبني على **الرأي** السديد ، ورأينا كيف استفسر ابن جريج من عطاء بن رباح عندما روى له الأخير بعض الأحاديث .

وعلى الرغم من التأكيد على أنّ **الرأي** استخدم على امتداد التاريخ الإسلامي بحرصٍ شديد ، وكان لا يسمح للصحابة باستخدامه بحرية ، وسوف نستشهد هنا بمثالٍ واحد لشرح هذه النقطة ؛ فقد ذكر رفاعة بن رافع أن رجلا اشتكى إلى الخليفة عمر بأنّ زيد بن ثابت قد أفتى في قضايا معينة بناءً على **رأيه** ، وعند سماع الفاروق عمر هذا استدعاه في الحال للمثول أمامه ، واستفسر منه عما إذا كان هذا صحيحا . وأنكر زيد التهمة قائلا : أنه بنى حكمه على شيء متضمن في الحديث الذي سمعه من أُبَيّ بن كعب ، وأبي أيوب ، ورفاعة بن رافع ، وهم من رواة الحديث [٢] .

ويبين هذا التقرير أن **الرأي** يلجأ إليه في حالة غياب الحديث فحسب .

(ج) المثل :

وهناك مصطلح آخر هام له علاقة بالحديث ألا ، وهو **المثل** ، والذي يعني قولا سديداً ، أو قولا مأثوراً .

---

(١) جامع بيان العلم (٢ : ٣٣) .
(٢) الموافقات (٣ : ٦٨) .

ومصطلح « **مثل** » وجمعه **أمثال** كان قابلا للتطبيق بالنسبة لسنن النبي ﷺ ، كذلك فقد اعتاد بعض الصحابة أن يحفظوا أو يحتفظوا بصور مكتوبة لاقوال النبي ﷺ ، وبالنظر إلى هذا المصطلح باعتباره حكمة مكتوبة متعلقة بالحكمة فسموا هذه الأقوال **أمثالا** ، ولهذا فكلمة « **مَثَل** » في فجر الإسلام استخدمت كمرادف لكلمة حديث ، فعبد الله بن عمرو بن العاص استخدمه بهذا المعنى عندما يقول : « لقد حفظت ألف مثل عن النبي ﷺ (١) .

ويشير عبد الله بوضوح في هذا الحديث إلى صحيفته الشهيرة التي كانت تحتوي على ألف حديث .

ومن الواضح أنه يعني **بالمثل** هنا الحديث بمعناه الحرفي لاكقول مأثور .

إن ابن عبد ربه استخدم أيضا كلمة **مثل** (في صيغة الجمع أمثال) بمعنى الحديث عندما كتب فصلا تحت عنوان :

« **أمثال رسول الله** ﷺ » ووضع تحت هذا العنوان عدداً من الأحاديث عن النبي ﷺ (٢) .

(١) أسد الغابة لابن الأثير (٣ : ٢٣٣) .

(٢) العقد الفريد (٣ : ٤ - ٧) .

القسم الثاني
التوثيق المبكر للسنة والحديث

الفصل الثالث : تقييد الحديث .

الفصل الرابع : نظرية التدوين المتأخر للحديث .

الفصل الخامس : تقييد الحديث المبكر .

تمهيد

في هذا الجزء الذي قسم إلى ثلاث فصول ، قد أجرينا محاولة للقيام بدراسة منظمة لمسألة تسجيل السنة والحديث .

ويبدأ هذا الجزء بمناقشة عن وضع الكتابة بصفة عامة قبل الإسلام وبعده وفي الفصل الثالث أوضحنا أنه منذ أن كانت الكتابة يكتنفها الغموض في فترة ما قبل الإسلام وبعده فإن سنن النبي ﷺ لم تحفظ فحسب في الذاكره ولكن كتبها بعض الصحابة المتعلمين وكذلك بعض التابعين . وفي هذا السياق . فإن التقارير المتضاربة والمتعلقة بتحريم كتابة سنة النبي ﷺ أو جوازها قد تم مراجعتها بدقة متناهية .

وناقشنا أيضا في هذا السياق مصطلحات منوعة ، وكذلك عبارات شكلت أسس نظرية أحدث تسجيل للحديث والتي كان من الممكن أن يساء تفسيرها وتأويلها ، واتْبعنا هذا بمناقشة عن معاني الاستخدام الأول للعديد من المصطلحات والتي استخدمت كوعاء للحديث . وأظهر بحث هذا الموضوع أن مصطلحات : صحيفة وكتاب ... الخ لاتعني بالضرورة « مجموعات صغيرة أو مذكرة عن الحديث » كما كان يعتقد أحيانا .

أما الجزء الثاني من الفصل الخامس فقد تم تخصيصة للمجموعات المكتوبة سواءً أكانت صغيرة أم كبيرة والخاصة بعلماء الحديث الأوائل .

الفصل الثالث
تقييد الحديث

١ - المدخل

٢ - مكانة الكتابة العربية في مطلع الإسلام .

٣ - السجلات المكتوبة لعرب ما قبل الإسلام .

أ - الصحيفة ، والمجلة ، والروسم .

ب - النصوص الدينية .

* التوراة والإنجيل .

* * كتاب دانيال .

* * * كتاب أنوخ .

ج - كتب أهل الحنيفية والصابئة

٤ - مزيد من الأدلة على معرفة المنطقة العربية للكتابة قبل الإسلام .

أ - مدراس .

ب - كُتَّاب النبي ﷺ .

ج - الكاتبات من النساء .

د - تدريس فن الكتابة .

هـ - الكامل .

و - المعاهدات .

ز - النقوش والكتابة بالنقش .

ح - الشعر ، وتاريخ مآثر الحرب ، وعلم أنساب القبيلة .

ط - الخطابات الشخصية .

ي - التسجيل بين حين وآخر .

٥ - مكانة الكتابة بعد الإسلام .

٦ - الكتابة والذاكرة .

أ - الجدل حول الذاكرة والكتابة .

ب - المؤيدون والمعارضون لكتابة الحديث .

جـ - أصل منشأ الجدل حول الكتابة والذاكرة .

٧ - بين مؤيدي تدوين الأحاديث ومعارضيه .

أ - عينة من الأمثلة .

ب - التوافق .

* الحظر المؤقت ونظرية البطلان .

* * الحظر على فئة من الناس فحسب .

* * * حظر التدوين الرسمي .

* * * * حظر تسجيل القرآن والحديث عن نفس الصحيفة .

ج - الغرض من كراهة الكتاب .

* المحافظة على نقاء النص القرآني .

* * عدم التنافس مع القرآن الكريم .

* * * عدم انصراف الناس عن القرآن الكريم .

٨ - صحة النصوص المقيدة للكتابة .

٩ - أسباب كراهة تدوين الحديث .

الفصل الثالث : تقييد الحديث

١ - المدخل :

يسودُ اعتقادٌ عام بأنَّ الأحاديث لم يمكن الحصول عليها حرفيا كما تركها النبي ﷺ إلا بعد القرن الثاني ، أو الثالث من وفاة النبي ﷺ ، وحاولَ علماءُ الغرب ، وكذلك أئمة المسلمين أن يتغلبوا على هذه الفجوة منذ حوالي أكثر من مائة سنة بالتأكيد على أنَّ الأحاديث التي وَصَلَتْ إلى جامعي الأحاديث في القرن الثاني أو الثالث من خلال الإنتقال مشافهةً لهذه الأحاديث ، أو السنن من جيل إلى جيل .

ومما لا شك فيه أن المستشرقين من أمثال Sprenger, Muir , Fuck , HORovitz and Goldziher، اعترفوا بوجود بعض السجلات القليلة المكتوبة من الأحاديث في الحقبة الإسلامية الأولى ، واعتبروا هذه السجلات مجرد عوامل مساعدة للذاكرة ، وتوصل العلماء المسلمون لنفس الرأي فيما يتعلق بالسجلات المكتوبة ، ولكن على نقيض المستشرقين كان اعتماد علماء المسلمين الكامل على ذاكرة ناقلي الحديث ؛ في حين أن المستشرقين يعتقدون أنَّ الذاكرة الإنسانية غير معصومة من الخطأ .

ويبدو من الغريب أن نؤكد على أنَّ الأحاديث ظلت في صدور الصحابة، والتابعين ، وبعد مئة سنة تم نقلها إلى الكتب .

والحقيقة التي لا يدانيها شك أنه على الرغم من عدم وجود تنظيم رسمي من جانب النبي ﷺ بخصوص ذلك للحفاظ على هذه الأحاديث بالمداد الأسود أو الأبيض ، إلا أن الأحاديث تم كتابتها أثناء حياة النبي ﷺ .

وإذا تناولنا هذه القضية تاريخياً ، فإنَّ تسجيل الأحاديث في هذه الفترة المبكرة كان يتم بصورة غير رسمية ، في حين كانت أعمال النبي ﷺ يتم رؤيتها وتقليدها بدلا من كتابتها وتسجيلها . إنَّ كثيراً من الأمور كانت تدون ليحفظها الصحابة عن ظهر قلب ، ويرددونها في صلاتهم شفهيا ، أما الأدعية البسيطة فكان يمكن حفظها بسهولة دون كتابة ، أما الأدعية الطويلة فكان يجب كتابتها وتدوينها لا للحفظ فحسب بل يحتفظ بها كمرجع للمستقبل خشية أن يرتكب المؤمنون أخطاء عند إقامتهم للشعائر ، وأحيانا كانت تسجل بعض المسائل التشريعية وخاصة القوانين المتعلقة بالزكاة لأنها كانت تحظى بأهمية كبيرة ، وكان من الضروري تسجيلها سواءً كان ذلك في بداية عَهْدِ الرسول ﷺ . أو الصحابة أنفسهم .

ومرة ثانية أثيرت قضية نقل الصحابة لأقوال النبي ﷺ أو سلوكه في تصرفاتهم .

واخيرا وليس آخرا ، لقد وجدت مجموعة من الصحابة المخلصين اعتادوا أن يرقبوا كل فعلٍ للنبي ﷺ ويستمعوا إلى كل كلمة من كلامه ويسجلوها ويحاولوا الاحتفاظ بسجل لأقواله وأعماله إما مشافهة ، وإما بتدوينه كتابةً إذ أن شخصية النبي ﷺ الفريدة استلزمت ضرورة الحفاظ على تعاليمه ، وهذه المهمة قام بانجازها صحابة مخلصون . كرسوا أنفسهم لذلك فهم لم يحفظوا أقواله ﷺ عن ظهر قلب فحسب بل سجلوها بالمداد الأسود والأبيض .

ويقول MACDONALD : « نحن لدينا أدلة عديدة عن هؤلاء الأصدقاء المترجمين لسيرته الذاتية والذين قاموا بتسجيل كلمات النبي ﷺ ، كما قالها » (١) .

---

(١) Muslim Theology : MAcdonalD .

ونتوقف عند هذه النقطة ونتساءل : إذا كانت الأحاديث قد حفظت بالمداد الأسود والأبيض ... لماذا لم تصلنا ؟

إن الإجابة على هذا السؤال بالنفي أو بالإيجاب في نفس الوقت !

فإذا أجبنا بالنفي فنقول : إن السبب في هذا يرجع إلى عدم توافر وسائل ذلك سواءً المواد اللازمة للكتابة كما سميت ، أو عدم الرغبة في حفظها بالذاكرة .

أما إذا أجبنا بالإيجاب فيمكن أن نقول : إن السبب الأساسي لعدم وصولها إلينا هو عنصر الزمن وتلف ورق البَرْدي ، ورَداءة مواصفات مادة الكتابة قبل أن تصل الينا بفترةٍ طويلة .

وقبل أن ندخل في مزيدٍ من المناقشات حَولَ موضوعِ كتابةِ الحديث بصفةٍ خاصة ، من الضروري أن ننظر إلى وضع الكتابة عموماً في المنطقة العربية عشية ظهور الإسلام .

(٢) مكانة الكتابة العربية في مطلع الإسلام :

إن الاعتقاد السائد بصفة عامة أنه في حين كانت الكتابة العربية في جنوب الجزيرة وصلت إلى أوْجِ تطورها على يَدِ سلالة تُبَّع الحاكمة (١) ، كانت أمية شمال الجزيرة وصلت إلى حالة يُرثى لها لدرجة أنه في مطلع الإسلام ، كان يوجد حوالي سبعة عشر شخصا فحسب في مكة عَرَفوا القراءه والكتابة (٢) ، بينما كان الوضع في المدينة أسوء حالاً إذ لم يتجاوز عدد من يقرأ ويكتب أصابع اليدين (٣) .

(١) مقدمة ابن خلدون (٤١٨)
(٢) فتوح البلدان (٤٥٧) ، والعقد الفريد (٤ : ٢٤٢ - ٢٤٣)
(٣) أدب الحديث لصديق زبيري (٤١) ، ومناهل العرفان في علوم القرآن للزرقاني (١ : ٣٥٦)

ويبدو أنَّ الخَلْفِيَّةَ التي ذكرناها لم تعطنا صورة كاملة عن الأمية في فترة ما قبل الإسلام خاصة في مَكَّةَ التي كانت تعدّ في ذلك الوقت قبلة العالم إذ أنها كانت محطة لمرور القوافل ، ومركزاً دينياً ، ومركزاً للمبشرين بين النصارى واليهود ، ولكي تتوفر لنا صورة جلية عن وضع الكتابة العربية في هذه المنطقة ، فمن الضروري أن نرى كيف ومتى بدأت هذه العملية في الحجاز . وطبقا لمقولة البلاذري فإنَّ أهل الحجار تعلموا فن الكتابة من أهل أنبار ، وهم بدورهم تعلموها من أهل الحيرة والمعروفة بالكوفة حالياً .

وبتتبع تاريخ الكتابة نقول : « في نهاية القرن الخامس كان هناك ثلاثة رجال من قبيلة « طيء » يسمون مرامير بن مره ، أسلم بن سدرة ، وعمير ابن جدرة اخترعوا حروف الهجاء العربية في مكة ، وعلموها لأهل الأنبار ، وهم بدورهم علموها لأهل الحيرة .

وكان مبشر بن عبد الملك الذي كان دائم التردد على مدينة الحيرة قد تعلم كتابة العربية هناك . وبعد أن تعلم فن الكتابة حضر إلى مكة وعلمها لسفيان بن أمية ، ولأبي قيس بن عبد مناف (١) .

ومن هنا نرى أن الكتابة دخلت الحجاز عن طريق الحيرة التي كانت مركزاً ثقافيا من عصور سحيقة ، والقصة المشهورة للشاعرين : المتلمس ، وطرفة في عهد عمرو بن هند (٥٥٤ - ٥٧٠ م) تبين أن الكتابة كانت معروفة للعرب في تلك الأيام ، وتحكى هذه القصة أن عمرو بن هند أعطى للشاعرين كتابين مختومين ، وطلب منهما أن يسلما الكتابين إلى واليه ربيع بن حوثرة في البحرين ، ومع أن الشاعرين اعتقد أنهما كتابا توصية بأن يجزل لهما العطاء ، ولم يعرفا أنهما يحملان خطابا للحكم عليهما

(١) فتوح البلدان (٤٥٦ - ٤٥٧) ، بينما يقال أن أول من عرف الكتاب بالعربية الأسماء التي ذكرناها ، وانظر معرفة علوم الحديث للحاكم (١٨٧)

بالاعدام ، وعرفنا من هذه القصة أن المتلمس الذي انتابته الشكوك في محتوى هذا الكتاب وقضى فترة شبابه في الحيرة ، قرأ الكتاب ولهذا هرب أما الشاعر الفقير طَرَفَة الذي رفض أن يفتح الخطاب المختوم وحمله إلى ربيع فقد أُعدم بلا رحمة (١) .

ولا نعرف بالتأكيد ما إذا كان هذان الكتابان اللذان أعطيا للشاعرين كانا مكتوبين باللغة العربية أم لا ، ولكن كل الاحتمالات تؤكد أن اللغة التي كُتِبَ بها الخطابات كانت اللغة العربية .

ووحدنا أيضا أنَّ عديّ بن زيد كان مستخدما للكتابة باللغة العربية في بلاط كسرى الأول الفارسي (٢) في تلك الأيام ، ولهذا فاالاحتمال المؤكد أن اللغة العربية قد استخدمت في بلاط الحكام العرب في الحيرة حيث كانت في الواقع تدرس ويتم تعليمها .

وعلى سبيل المثال فقد علّم حمّاد بن زيد ابنه اللغة العربية والكتابة أولا ثم الفارسية بعد ذلك (٣) .

وتعلُّم اللغة العربية في الحيرة واضح من تقرير آخر يقول أن الملك بهرام جور (٤٢٠ - ٤٣٨) والذي علمه المنذر مع كثير من عرب الحيرة قد تعلم الفارسية والعربية ؛ بل وحتى اليونانية ، كذا الكتابة بكل هذه اللغات (٤) .

---

(١) الشعر والشعراء لابن قتيبة (١ : ١٣١ ، ١٣٤ ، ١٣٧ ، ١٣٨ ، ١٤٢) ، والأغاني طبعة (RUDOLPH) ، (٢١ : ١٩٤ - ١٩٦)

(٢) دراسة في أدب المخطوطات العربية لنبيهة عبود (٦) ، والأغاني (٢ : ١٠١- ١٠٣)

(٣) الأغاني (٢ : ١٠٠ - ١٠١)

(٤) تاريخ الفرس (١ : ٢٦٢)

وظلت الحيرة مركزاً للعلم فترة طويلة ؛ فقد ذُكر أنه عندما غزا خالد هذه المدينة وَجَدَ الشباب في الأديرة منهمكين في مخطوطات مكتوبة [١] .

وفي تقرير آخر رأى خالد بَعْضَ الناس يتعلمون فن الكتابة في أنبار [٢] .

وفي مكة يمكن أن نتوقع انتشار المثقفين قبل ظهور الإسلام بوقت كبير ولأنَّ هذه المدينة كانت مركزاً دينيا وتجاريا منذ حوالي ٣٥٠ م [٣] .

ومع هذا فمن الطبيعي أن تتم بعض الصفقات التجارية بصورة مكتوبة بين الناس الذين يعرفون فَنّ الكتابة ، ويحتفظ التاريخ بأسماء كان بإمكانها أن تَكْتُبَ في القرن السادس الميلادي ، وعبد المطلب جد النبي ﷺ والمتوفى سنة ٥٨٧ م كان واحداً من هذه الأسماء ، ويُذْكر أنه ذات مرة كتب من مكة إلى أقاربه من أمه في المدينة ليساعدوه في الحصول على ميراثه من أبيه في مكة [٤] ، ويُذكر أن وثيقةً كُتبَت بخطٍّ يشبه إلى حدٍّ كبير خط عبد المطلب وُجدَت في خزانة المأمون [٥] ، بل وحتى قبل عبد المطلب ، كتب جده الأكبر قُصَيّ خطاباً إلى أخيه رزاح [٦] .

وعلى الرغم من انتشار الكتابة العربية في الحجاز ، فالمؤرخون المسلمون الذين تأثروا بوجهة النظر التقليدية يرجحون أن الفترة التي سبقت ظهور

---

(١) نشأة الكتابة ... في (jASB) ، (٣٧٥ - ٣٧٦) ، مصادر الشعر الجاهلي (٥١) .

(٢) مصادر الشعر الجاهلي (٥١) .

(٣) دراسة في أدب المخطوطات العربية (١١) .

(٤) حياة محمد لموير (i , pp , v iii) ، وتاريخ الطبري (Annales) ، (١ : ١٠٨٤ - ١٠٨٨) .

(٥) الفهرست (٧) .

(٦) طبقات ابن سعد (١ : ١ : ٣٨) .

الإسلام كانت خالية من أي تقدم ثقافي ملموس لدرجة أنهم اطلقوا عليها « أيام الجاهلية » ووضعوا نظرية تدل على أن المثقفين في بداية الإسلام كانوا قلة قليلة لدرجة أنهم كانوا يعدون على أصابع اليد ، ويذكر دكتور حميد الله العالم المسلم المعاصر بأنه كان هناك من خمسة عشر إلى عشرين رجلا متعلماً من أهل مكة بينما في المدينة كان العدد أقل بكثير . ولكن طبقا لتقرير البلاذري الذي يبدو أنه كان أول المصادر بالنسبة لتقرير حميد الله فهو يؤكد أنهم كانوا سبعة عشر رجلا وذكرهم بأسمائهم (١) .

وأسماء المتعلمين في المدينة ذُكروا بأسمائهم وعددهم ، إذ يعتقد دكتور زبير صدّيقي - وهو عالم هنديّ معاصرَ - أنَّ عدد عرب المدينة الذين استطاعوا الكتابة كانوا أقلّ من اثني عشر رجلاً (٢) ، ويبدو أنّه توصل إلى هذه النتيجة بناءً على تقرير لأبن سعد الذي ذكرتسعة أسماء من هؤلاء الأشخاص (٣).

---

(١) وأسماء المتعلمين الذين ذكرهم البلاذري حسب ترتيبهم هم :

(١) عمر بن الخطاب (٢) علي بن أبي طالب (٣) عثمان بن عفان
(٤) أبو عبيدة بن الجراح (٥) طلحه بن عبد الله (٦) زايد بن أبي سفيان
(٧) أبو حذيفة بن عتبة (٨) حاطب بن عمرو (٩) أبو سلامة بن أبي سفيان
(١٠) أبان بن سعيد (١١) خالد بن سعيد (١٢) عبد الله بن سعد
(١٣) حويطب بن عبد العزى (١٤) أبو سفيان بن حرب (١٥) معاوية بن أبي سفيان
(١٦) جهيم بن الصلت (١٧) العلاء بن حضرمي

(٢) أدب الحديث (٤١)

(٣) طبقات ابن سعد (٣ : ٢ : ٢٣ ، ٥٩ ، ٧٩ ، ٩١ ، ١٠٠ ، ١٣٦ ، ١٤٢ ، ١٤٨) ، وهذه الأسماء كما ذكرت : أبو عبس بن جبر ، أبيّ بن كعب ، عبد الله بن رواحة ، أوسى بن خوالي ، حدير ، منذر بن عمرو ، أسيد بن حدير ، سعد بن عبادة ، ورافع بن مالك .

ولكن إذا ألقينا نظرة على التاريخ الأدبي والثقافي للعرب قبل الإسلام، فيمكن أن نتوقع أن يكون عدد المتعلمين أكثر من الأعداد المذكورة سابقا ، فعلاوة على الشعر كان هناك وصف المعارك ، وعلم الأنساب ، والأدب الجاهلي ، والديني في هذه الفترة ، كل هذا يشير إلى مرحلة متقدمة من الأدب للعرب قبل الإسلام ، وسوف نحصي بعض السجلات المكتوبة لهذه الفترة لنبيِّنَ مآثر العرب في مجال الأدب .

٣ - السجلات المكتوبة لعرب ما قبل الإسلام :

أ - الصحيفة ، والمجلة ، والرَّوْسَم :

في فترة ما قبل الإسلام كانت الأقوال المأثورة ، والأمثال ، والحكمة المأخوذة من الأقوال ، والأحداث العظيمة تسجل بالمداد الأبيض والأسود ، وأوعية هذه المعلومات كانت تعرف **بالصحيفة** ، وجمعها : **صحف** ، **ومجلة** وجمعها : **مجلات** ، وروسم ، وجمعه : **رواسم** ، واستخدم النابغة الذبياني لفظ **المجلة** ليشير إلى رسالة معلم ديني [١] .

في حين يشير القرآن إلى مخطوطات إبراهيم وموسى بقوله : « صحف إبراهيم وموسى » [٢] .

وهذا يبين أن كلا من رسائل المسيح ، ومخطوطات إبراهيم وموسى تم الاحتفاظ بها في شكلٍ مكتوب .

ومن المتعارف عليه في تلك الأيام تسجيل الأقوال المأثورة والأمثال في **الصحيفة** ، أو **المجلة** .

---

(١) دراسة في أدب البرديات العربية : نبيهة عبود (١ : ٤٨)

(٢) القرآن الكريم (٨٧ : ١٩)

وفي الواقع فإنَّ تسجيل السنن النبوية بعد ذلك في الصحف ، والمجلات كان استمراراً للطريقة البدوية القديمة في الاحتفاظِ بالأقوال المأثورة (١) .

والأقوال المأثورة والتي كانت تسمى عادة **حكمة** كان متعارفا عليها في عَصْرِ النبي ﷺ ، لأنَّه كان من الطبيعي مقارنتها بتعاليم محمد ﷺ ، والقصة التالية تعطينا مثالاً لذلك : فقد ذكر أن محمداً ﷺ دعا سويد بن الصامت لاعتناق الإسلام ، ورفض سويد دعوته قائلا : « ما عندك هو ما عندي » وعندَ سُؤَالِه عما عِنْدَهُ ذكَرَ أنَّ عِنْدَهُ **مجلة** لقمان = وكانت هذه **المجلة** عبارة عن نسخَة مخطوطة باليد لحِكَمِ وأمْثَالِ لقمان ، ثم طلب منه النبي ﷺ أن يَقْرَأَ هذه المجلة ، وعندما قرأها ذكَرَ له النبي ﷺ أنه يملك ما هو أغلى وأثمن من المجلة ، ألا وهو « القرآن الكريم » (٢) .

ويتضح من هذه القصة أن الأقوال المأثورة للقمان احتُفِظَ بها في كُتَيب سُمِّيَ « **مجلة لقمان** » ، هذا الكتاب ربما كان منتشرا في القرن الأول من الهجرة لأنه ذكر عن العالم وهب بن منبه المتوفى سنه ١١٦ هـ أنه قَرَأَ فصولا عديدة من هذا الكتاب (٣) .

وناهيك عن **مجلة لقمان** نجد مراجع من **الصحف** الأخرى **والمجلات** التي تحتوي على الأقوال المأثورة = (**الحكمة**) لأشخاص غير مشهورين ؛ فعلى سبيل المثال نجد أن بشير بن كعب كان عنده **صحيفة** تحتوي على

(١) إن صحيفة الصحابة كانت معروفة أما بالنسبة للمجلة ، وجمعها مجلات والتي كانت تحتوي على أقوال النبي ﷺ ونجد تقريرا يقول أن أنس بن مالك المتوفى سنة ٩٣ هـ دَوَّن سنن النبي ﷺ ، وأعطى مجلته هذه (كتيب مكتوب في صحيفة من الورق العريض) إلى تلاميذه لينسخوها ويحفظوها .

(٢) تاريخ الطبري (١ : ١٢٠٨) ، وسيرة ابن هشام (٢٨٣ - ٢٨٥)

(٣) كتاب المعارف لابن قتيبة (٢٧) .

الأقوال المأثورة ويذكر أنه ذات مرة عندما روى عمران بن حصين (المتوفي سنة ٥٢ هـ) قولاً للنبي ﷺ قارنه بشير بن كعب بالحكمة الموجودة في صحيفته ، وحينئذ عاتبه عمران قائلا : « مالي أراك كلما رويت لك قولاً للنبي ﷺ ، تتلو عليَّ من صحيفتك ؟! » [١] .

واستمرت عادة تسجيل **الحكمة في الصحيفة** لفترة طويلة بعد ذلك ولهذا روي أن معاوية طلب من أحد رجال حاشيته « حبيب بن مسلمة الفهري » أن يدوِّنَ ذلك في كتابه لأنَّها حكمة [٢] .

وبالنسبة للصحف التي كانت منتشره عند العرب قبل ظهور الإسلام ، يحسم القرآن الكريم هذه القضية بشهادته « صحف إبراهيم وموسي » [٣] .

ويقول ابن المنجم في هذه القضية ويكتب في سنة (١٣١) هـ ، قائلاً : بأن هذا الكتاب كان موجوداً بين اليهود والعرب [٤] .

ومرجعه في ذلك القرآن الذي يقول إن الكتاب كان معروفا عند العرب .

وبغض النظر عن **المجلة والصحيفة** ، فإن ذكر الكتب المعروفة **كالروس** وجمعه **رواسم** ، هذه الكتب احتوت على قوانين عرفية معينة للمجتمع العربي [٥] .

---

(١) صحيح البخاري (٤ : ١٣٩) في كتاب الأدب .

(٢) العقد الفريد (٤ : ١١٠) .

(٣) القرآن الكريم (٨٧ : ١٩) .

(٤) نشأة الكتابة من مجلة (jouRNAL oF the AsiATic SocieTy of BengAL) ، صفحة (٣٧٨) .

(٥) لسان العرب (١٢ : ٢٤١) jones , WiLLiaMs , on the , Arabic ASiATiC ReSeaRChes , p : 15

ومن الجدير بالذكر أن نقول إن **الصحيفة والمجلة** ليستا بالضرورة كتيبا في حجم المخطوطة . فقد كان استخدامهما أرحب مجالا لتشرحا فكرة ، أو مجموعة أفكار ، أو حتى كتابا ، وبالنسبة **للمجلة** ذكر أن النبي ﷺ قال : « كل كتاب عند العرب كان مجلة » [(١)] .

ب - النصوص الدينية :

(*) التوراة والإنجيل :

تشير المصادر إلى وجود كثير من النُّصوص الدينية المعينة قبل الإسلام عند العرب [(٢)] ، وأهم وثيقة في هذا المجال هي الترجمة العربية للميثاق أو العهد القديم والجديد .

وعلى الرغم من عدم تأكدنا ما إذا كانت الترجمة العربية للإنجيل كانت متوفرة للعرب في القرن السابع والثامن الميلادي أم لا ؟ [(٣)] .

---

(١) النهاية لابن الأثير (١ : ٢٠١)

(٢) الحيوان (١ : ٦٩ - ٧٠ ، ٨٨) ، وفجر الإسلام لأحمد أمين (١٩٩)

(٣) والسؤال : هل كان هناك ترجمة عربية للإنجيل وقت ظهور الإسلام ؟ وأن هذه الترجمة كانت غير مشوهة ؟

في حين يعتقد « ARTHER VOObus » بوجود هذه الترجمة للإنجيل قبل ظهور الإسلام ، وهي التي قام « GOSPeL » بنقلها ، فقد شك « GRAV » بوجود مثل هذه الترجمة قبل القرن التاسع الميلادي .

(cf . Papyri , i , p . 50, referring Arthur Voobus , Studies in the History of the Gospel Text in Syriac (Corpus scriptorum Christianorum orientalium : Subsidia III { Louvairn , 1951 }) pp . 6 - 9 , 156 - 136 ; and Georg Graf , Geschichte der Christlichen arabischen Literatur I (Citta del Vaticano , 1944 , pp. 27 - 52 .) .

=

ومع أننا عرفنا بوجود وثائق خاصة بالديانة المسيحية ، واليهودية قبل ظهور الإسلام في الجزيرة العربية بوقتٍ كبير ، فإنَّ رواية امتلاك الفاروق عمر «لكتاب دانيال » (١) وتوبيخ النبي ﷺ يبين أن هذه الأشياء كانت متداولة قبل ظهور الإسلام .

وهذا الأدب الديني الذي كان موجوداً بشكلٍ مكتوب يمكن استنتاجهُ من التقرير الآتي حيث ذُكر عن عبد الله بن عمرو بن العاص أنه كان يملك عددا من الكتب خاصاً بأهل الكتاب التي اعتاد أن يدرسها باهتمام كبير (٢) ، يبدو أن هذه الكتب كانت عبارة عن صحيفة من الورق كبير الحجم تحتوي على أجزاء من الإنجيل . ومن الصعب أن نقول ما إذا كانت هذه الكتب قد كتبت بالعربية أو بالسريانية ، ولكن الاحتمال الأكبر أنها كتبت بالعربية بسبب وجود المبشرين المسيحين الذين يتكلمون اللغة العربية في المنطقة .

= وهكذا يعتقد بعض العلماء أن أول ترجمة عربية للمخطوطة المسيحية « الإنجيل » بدأ في القرن الثامن الميلادي .

(C F . KiLgour , The Cospel in many years , pp. 10 - 11)

ويتفق (M . j . deGoeje) مع (NOLDeKe) الذي علق قائلاً : « لا توجد ترجمة للإنجيل ، أو جزء منه سواء في حياة النبي ﷺ أو في حياة أجداده » .

(C F . SeMiTic StuDies , ed . G . A . KohuT , BeRLin , 1897 , p . 185) .

أما بخصوص دراسات « Gibson » و « GoTze » في هذا الموضوع تقول نبيهة عبود : « إن نتائج دراستهما حددت بدء تطور الأدب العربي المسيحي في حوالي القرن السابع الميلادي على الأقل ، ولكن لأن هذه النتائج مجرد دليل بلغة قديمة ، فلا تعدّ بالتالي كنتيجة نهائية (دراسة في أدب البرديات) ، ص (١ : ٤٨).

(١) سنن الدارمي (١ : ١١٥ - ١١٦)

(٢) طبقات ابن سعد (٤ : ٢ : ٢) و (٧ : ٢ : ١٨٩)

ووجدنا مراجع لمجموعة من الناس اعتادوا أن يكتبوا وينقلوا نصوصاً من التوراة والإنجيل (١) - ومع أن هذه النصوص كانت مجرد أجزاء إلا أنه تبين أن هذه المخطوطات كانت مدونه كتابةً .

ولنأخذ بعض الأمثلة لذلك فلم يقرأ مالك بن دينار المتوفى (سنة ١٣٠ هـ) التوراة فحسب بل كثيراً ما نقل أجزاءً من الإنجيل باللغة العربية (٢) .

ولم يكن ورقة بن نوفل مجرد قارىء للكتب فحسب (٣) ، بل كان لديه أجزاء منسوخة من الإنجيل (٤) .

ونقل ابن اسحق العديد من الأمثال التي من الواضح أنها كانت من الإنجيل (٥) .

* كتاب دانيال :

ومن بين النصوص الدينية لهذه الفترة كان **كتاب دانيال** الذي يحتوي على كثير من الأشياء ، وكثير من الكتابات التاريخية المشكوك في صحتها ، وكان هذا الكتاب مشهورا في حياة النبي ﷺ .

ومن المحتمل أنه كان الكتاب الذي نَسَخَهُ « عمر » وتَعرَّضَ بسببه لغضب النبي ﷺ .

وقصة ذلك أنَّ عمر نسخَ كتاباً للمعتقدين في هذه المخطوطات ، ونَقَلَهُ

---

(١) طبقات ابن سعد (٧ : ١ : ١٦١) ، والحلية (٢ : ٤٥) .

(٢) حلية الأولياء (٢ : ٣٥٨ - ٣٥٩) .

(٣) سيرة ابن هشام (١ : ١٢١ ، ١٤٣ ، ١٤٩ ، ١٥٣ ، ٢٠٥) .

(٤) صحيح ابن حبان (١ : ٣٢) .

(٥) السيرة (١ : ١٤٩ - ١٥٠) .

على جلدٍ أحمر ، وأحضره للنبي ﷺ ، فمجرد أن رأه النبي ﷺ في يد عمر، غَضِبَ وَوَبَّخَ عمر لِنَسْخِهِ هذه المخطوطة بدلا من نقله القرآن [١] .

وعلى الرغم من أن هذه القصة لا تعطينا مؤشراً بأنَّ هذا الكتاب الذي نَسَخَهُ « عمر » كان كتاب دانيال أم لا ؟ . فإنها تُوحي بذلك ورواها « الفاروق عمر » نفسه عندما كان خليفةً ، وتم إثارتها في مناسبة مماثلة إذْ حَدَثَ ذات مرة أنَّ رجلاً من قبيلة عبد القَيْس نَسَخَ نُسْخَةً من **كتاب دانيال** وعندما علم عمر ذلك استدعاه وطلب منه أنَ يمزق هذا الكتاب وهدده بعقابٍ شديد لو أنه رأى شخصاً آخر قرأه ، ثم روى عمر قصتة [٢] التي تشير إلى ذلك وربما يكون قد حَدَث هذا ليبيِّنَ أنَّ النبي ﷺ لم يوافق على هذه التصرفات ، أو ربّما ليؤكد على أن الرجل أي عمر كان يتصرف وفقا لسنَّةِ النبي ﷺ .

وعلى أي حال ، من الواضح من هذه القصة أنَّ **كتابَ دانيال** وُجِدَ بشكلٍ مكتوب في فترة ظهور الإسلام ، إذ لم يكن قبل ظهور الإسلام .

ووجد مرجع آخر لهذا الكتاب في تقريرٍ ذكرَهُ عَمْرو بن ميمون المتوفى (سنة ٧٤هـ) . حيث قال : كنت جالساً في صحبة العديد من الأصدقاء في الكوفة عندما جاء رجل ومعه هذا الكتاب « وسأله الحاضرون : » «ما هذا الكتاب » ؟ وأجاب « **كتاب دانيال** » [٣]

إن هذه التقارير التي تشير بوضوح إلى هذا الكتاب وجدت لتبين أن

---

(١) سنن الدارمي (١ : ١١٥ - ١١٦) ، وتقييد العلم (٥٢)

(٢) تقييد العلم (٥١ - ٥٢) ، مقدمة ابن خلدون (٤٣٦) ، ونشأة الكتابة ص (٣١٢) من مجلة المجتمع الآسيوي في البنفال بالانجليزية . راجع المصادر .

(٣) المصدر السابق ص (٣١٢) ، وتقييد العلم (٥٦ - ٥٧)

كتاب دانيال في كل الحالات كان موجوداً في حياة محمد (عليه الصلاة والسلام) لأنه اذا كان موجوداً في عهد عمر فمن باب أولى أن يكون موجوداً في حياة النبي ﷺ ، فضلاً عن أن العصر الذي سبق النبي ﷺ كان أكثر ملائمةً لهذا النوع من الأداب عن العصر الذي تلاه .

ويجب أن نضع في أذهاننا أن كتاب دانيال الذي يتناول تفسير الأحلام بصفة خاصة يختلف عن الكتاب الذي ناقشناه قبل ذلك تفصيلا ، هذا الكتاب لم يوجد في عهد النبي ﷺ ، طبقا لأبحاث شبرنجر (SPRengeR)

* * * « كتاب إنوخ » :

لقد وجد كتاب ديني آخر في حقبة ما قبل الإسلام يسمى **كتاب إنوخ** . ويرى شبرنجر أن ترجمة هذا الكتاب إلى اللغة العربية تمت قبل عصر النبي ﷺ (٢) .

جـ - كتب أهل الحنيفية والصابئة :

قد يكون من الغريب أن نتساءل من هم المتحنفون (٣) ؟ يرى البعض أنّهم طائفة من الموحدين الذين ظهروا في الجزيرة العربية ولم يكونوا يهوداً أو مسيحين (٤) ، ولكن طبقاً للآيات القرآنية يقول « البروفيسور . وات » WATT

---

(١) المصدر السابق ص (٣٧٦)

(٢) نشأة الكتابة من مجلة المجتمع الآسيوي البنفال (JASB) ص (٣٧٦)

(٣) المتحنف هو من يميل إلى الحق ، ويستقبل قبلة البيت الحرام ، على ملة إبراهيم عليه السلام . المترجم .

(٤) محمد ومكة ، تأليف « WATT » ، ص (١٦٢) ، وصحيح البخاري (٣ : ١٦) في مناقب الأنصار .

« أن المتحنفين » هم أتباع ديانة مثالية جديدة ظهرت في الجزيرة العربية فهم ليسوا بطائفة ولا ضرب من الناس لهم وزن تاريخي هام ! (١) .

فإذا نحينا جانباً هذا السؤال عنهم وعن ما إذا كانوا مسيحين أو يهوداً وموحدين ، فالمؤكد أنهم مجموعة من الرجال يحملون معتقدات معينة ، وعن هذه المجموعة من الرجال (سواءً أسميناهم « المتحنفون » أو نسبناهم إلى أي اسم آخر ذكر أنهم كانوا يملكون أنواعا « من الكتيبات المكتوبة بالعبرية والسريانية والعربية » ، ويذكر الذهبي (٢) أنهم اعتادوا أن يسافروا من مكان إلى آخر بحثا عن المعلومات الدينية للديانات اليهودية والمسيحية ، ويوضح هذا التقرير أن دعوتهم الدينية كانت بين المسيحيين واليهود العرب قبل الإسلام ، ويبدو أن المتحنفين كانوا مهتمين بالمعلومات الدينية ، وكان لديهم بعض السجلات المكتوبة (٣) .

وذكر أيضا أن الصابئة كانوا أيضا يحوزون بعض الكتب عن معتقداتهم وكانوا يشكلون مجتمعاً صغيرا معلنين إيمانهم بالتوحيد القائم أساساً على الفلسفة اليونانية (٤) ، وكانت فرصتهم في امتلاك بعض الكتيبات أعظم من غيرهم وذلك طبقا لتعريف كلمة « صابىء » ، وهذا المصطلح الذي عُرفوا به كان حرفيا يعني الشخص الذي يقرأ ويكتب الكتب » (٥) .

---

(١) محمد ومكة « WAtt » ، ص (١٦٢) ، عالم الإسلام (٢٠ : ١٢٤) ، طبعة (١٩٣٠)

(٢) سير أعلام النبلاء (١ : ٨٦)

(٣) المصدر السابق .

(٤) محمد ومكة لـ : « WAtt » ، ص (٢٨)

(٥) دراسة في أدب البرديات العربية (٢ : ٦) ، و (Referring HAmAdA-ni,s AL - IKLiL , p : 17)

٤ - مزيد من الأدلة على معرفة المنطقة العربية للكتابة قبل الإسلام :

أ - مدراس :

مدراس ، أو مدراش كان مكانا يتم فيه تعلم الديانة اليهودية وفن الكتابة ، وكان تعلم اللغة جزءاً من المنهج أيضاً [١] .

وكان أبو حارثة الذي كان معروفاً بمعلوماته الدينية الغزيرة في الامبراطورية الرومانية [٢] قد قرأ الكتب اليونانية ، في حين تعلم زيد بن ثابت اللغة العبرية في هذا المدراس [٣] ، ويقال إن النبي ﷺ ، وأبا بكر ، وعمر قد زاروا مدراساً يهودياً في المدينة [٤] .

ولو ألقينا نظرة على وظيفة هذا المدراس يمكن أن نستنتج مباشرة أن الكثير من الأدب المكتوب في ذلك الوقت كان من إنتاج هذه المؤسسة الدينية التربوية ، ويبين أيضا المناخ الأدبي الذي كان سائداً في الجزيرة العربية قبل الإسلام .

ويمكن لنا أن نستنتج من المعلومات التي هيأتها لنا المصادر التاريخية، في ذلك الموقف بأنَّ الكتابة كانت مستخدمة في فجر الإسلام وكذلك الإشارة إلى كُتَّاب النبي ﷺ ، والكاتبات من النساء في الحقبة الإسلامية الأولى يعطينا دليلا قاطعا على شيوع الكتابة في الفترة الأولى من ظهور

(١) فتح الباري (٤ : ١٧١)
(٢) السيرة (١ : ٤٠)
(٣) دراسة في أدب البرديات العربية (٢ : ٢٥٨)
(٤) السيرة (٣٨٣ ، ٣٨٨ ، ٣٩٤) ، وصحيح البخاري (٢ : ٢٩٤) في كتاب الجزية .

الإسلام ، ومصطلح « كامل » الذي انطبق على هؤلاء الذين عرفوا فن الكتابة يعطينا دليلا آخر على مكانة الأدباء في هذه الفترة .

ب - كُتَّاب النبي ﷺ :

بدون الدخول في جدل عقيم عما هل إذا كان محمد ﷺ كان متعلما أم لا [١] ؟ سنلقي نظرة على الصحابة المتعلمين الذين كانوا مهتمين بكتابة القرآن الكريم ، فإنَّ بعض الكُتاب كانوا بارعين في فن الكتابة عن كُتاب ما قبل الإسلام وتعلم آخرون الكتابة بعد ذلك ونجد قائمة طويلة من الكتبة الدائمين والمؤقتين في **التراتيب الإدارية للكتاني** [٢] حيث ذكرأسماء لإثنين وأربعين كاتباً .

ويزودنا دكتور حميد الله في كتابه **الوثائق السياسية** بأسماء أكثر من خمسين كاتباً [٣] هذه القائمة الطويلة من كتاب محمد ﷺ يعطينا انطباعاً بأن الأدب عموماً والكتابة بصفة خاصة لم تكن مجهولة للعرب كلية ، وفي الواقع أن بعض الكتاب تعلموا فن الكتابة بعد ظهور الإسلام فقط واصحبوا بارعين كما لو كانوا كتبة مخضرمين ويعكس هذا المناخ العام لأدب الجزيرة العربية لأنه بدونه كان انجاز هؤلاء الكتاب سيكون تقريبا مستحيلا .

---

(١) يشهد القرآن بأمية محمد ﷺ (انظر القرآن الكريم : ٢٩ : ٤٧) على الرغم من أنه كان من السهل بالنسبة لمحمد ﷺ أن يتعلم القراءة والكتابة ، ومع هذا ظل أميا طوال حياته ، أما عن سبب إصراره على أن يظل أميا فيرجع إلي محاولته إثبات صدق الأصل القرآني . وانظر العقد الفريد (٤ : ٢٤٥) ، علوم الحديث لابن الصلاح (١٥ - ١٦) ، وغيرها .

(٢) التراتيب الإدارية (١ : ١١٥) ، وعلوم الحديث لابن الصلاح (١٧)

(٣) الوثائق السياسية في أكثر من موضع .

ج - الكاتبات من النساء :

ولو ألقينا نظرة على قائمة هؤلاء الذين عرفوا القراءة والكتابة من النساء ، سنصادف أسماء العديد من النساء المتعلمات في هذه الفترة ، ومن بين مشاهير الكاتبات سنجد حَفْصَةَ ، أم كلثوم ، الشفاء بنت عبد الله (كانت معلمة لحفصة) ، عائشة بنت سعد ، أم سلمى ، فاطمة بنت الخطاب ، خديجة ، كريمة بنت المقداد [(١)] .

والأغلبية من هؤلاء النساء تعلمن فن الكتابة قبل الإسلام ، وهذا يبين أن الكتابة في هذه الفترة كانت شائعة جداً حتى بين النساء ، وإلى حد أن معظم الطبقات الفقيرة والمعدمة من المجتمع الجاهلي استطاعت أن تتعلم القراءة والكتابة .

ويستشهد البلاذري بقصة طريفة تبين أن الكتابة كانت شائعة بين النساء في هذا العصر ، وذكر أن امرأةً متزوجة تسمى شُمَيْلَة كتبت رسالة حب على الرمال ، وعندما رآها زوجها طلقها ، ثم تزوجت هذه المرأة مرة ثانية من محبوبها [(٢)] .

وإذا كانت هذه القصة صادقة فإنها تعكس بوضوح انتشار عادة الكتابة بين العرب قبل الإسلام .

د - تدريس فن الكتابة :

من الواضح أن **الكتابة** درسها بجدية قلة قليلة من المهتمين بهذا الفن قبل الإسلام ، ونجد بعض المراجع لمدرسي وتلاميذ هذا الفن ، ولنأخذ مثالا

---

(١) فتوح البلدان (٤٥٨) .

(٢) دراسة في أدب البرديات (٢ : ٦) ، أنساب الأشراف (١ : ١٣٧) .

لذلك ، عَمْرو بن زرارة [١] المعروف بالكاتب ، وجفينة [٢] ذكر أنهما كانا كاتبين ومعلمين لهذا الفن من الكتابة .

وذكر أيضاً أن عدي بن زيد العبادي أرسل إلى الكُتّاب ليتعلم هذا الفن [٣] .

ومن المصادفة أيضاً أن يشير التقرير التالي أيضاً الى وجود المدارس العامة في الجزيرة العربية قبل الاسلام ، ووجود هذه المدارس في هذه الفترة دليل أيضاً يؤكد حقيقة أننا وجدنا العديد من المراجع لمعلمين في المصادر الأولى [٤] .

هـ - الكامل :

إن مصطلح **كامل** الذي وُجِدَ في الأدب الجاهلي ، وفي الأدب الإسلامي في مراحله المبكرة يبين بما لا يدع مجالا للشك أن الكتابة كان ينظر إليها نظرة تبجيل واحترام ، ففي هذا العصر كان الرجل الذي يظهر براعة في التجارة أو السباحة أو الكتابة يحظي بلقب شرفي وهو « **الكامل** » [٥] .

ومن بين هؤلاء الرجال كان سعد بن عبادة [٦] ، أُسَيْد بن حُضير [٧] ،

(١) مصادر الشعر الجاهلي (٥٠) .

(٢) طبقات ابن سعد (٣ : ١ : ٢٥٨) .

(٣) الأغاني (٢ : ١٠١) .

(٤) المحبر (٤٧٥) .

(٥) طبقات ابن سعد (٣ : ٢ : ٩١ ، ١٣٦ ، ١٤٢ ، ١٤٨) ، فتوح البلدان (٤٥٩) ، الأغاني (٣ : ٢٥) ، حيث ذكر أن الكامل يشمل أيضاً صفات الشعر والشجاعة .

(٦) طبقات ابن سعد (٣ : ٢ : ١٤٢) ، فتوح البلدان (٤٥٩) .

(٧) طبقات ابن سعد (٣ : ٢ : ١٣٦) ، فتوح البلدان (٤٥٩) .

عبد الله بن أبيّ [١] ، أوس بن خولي [٢] ، سويد بن الصامت [٣] ، حضير الكتائب [٤] ، ورافع بن مالك [٥] .

وعلى الرغم من أن التاريخ لم يحتفظ لنا بسجلات مكتوبة عن هؤلاء الرجال . فالاحتمال الأكبر لتميزهم وتركهم بعض السجلات المكتوبة وارد بدرجة كبيرة ، فاللقب الذي سبق أسماءهم يؤكد هذا الاحتمال .

و - المعاهدات والإتفاقات بين القبائل :

من بين النصوص المكتوبة بحق لنا أن نذكر معاهدات القبائل واتفاقياتها والتي احتفظ ببعضها منذ عهد بعيد ؛ **فوثيقة مقاطعة محمد ﷺ** وعائلته [٦] المعروفة باسم **صحيفة وكتاب** من الجائز أن تكون آخر سلسلة المعاهدات المكتوبة .

وكذا نص الاتفاق القبائلى بين قحطان وربيعة ذكره الدينوري [٧] فضلا عن هذا نجد مراجع للمعاهدة بين خزاعة وعبد المطلب [٨] ، ويقال أن هذه الوثائق وجدت معلقة في الكعبة ، ثم وجدت بعد ذلك في عائلة خزاعة

---

(١) فتوح البلدان (٤٥٩) .

(٢) طبقات ابن سعد (٣ : ٢ : ٩١) ، وفتوح البلدان (٤٥٩) .

(٣) فتوح البلدان (٤٥٩) ، الأغاني (٣ : ٢٥) ، السيرة (٢٨٤) .

(٤) طبقات ابن سعد (٣ : ٢ : ١٣٦) ، فتوح البلدان (٤٦٠) .

(٥) طبقات ابن سعد (٣ : ٢ : ١٤٨) ، فتوح البلدان (٤٦٠) .

(٦) طبقات ابن سعد (١ : ١ : ١٣٩ - ١٤٠) ، تاريخ الطبري (١:١١٨٩) ، السيرة (٢٣٠) .

(٧) الأخبار الطوال (٣٥٣ - ٣٥٤) .

(٨) مصادر الشعر الجاهلي (٦٦) .

ويقال أنهم احضروها للنبي ﷺ بمناسبة توقيع صلح الحديبية وقرأها أبيّ بن كعب للنبي ﷺ (١) .

إن وجود مثل هذه الاتفاقيات القبائلية مكتوبة يوضح وضوحاً تاماً أن الكتابة كانت للعرب البدو في حقبة ما قبل الإسلام .

ز - النقوش : الكتابة بالنقش :

ومصدر آخر هام للمعلومات المتعلقة بالكتابة العربية في فترة ما قبل الإسلام هي النقوش الأولية والتي لم يكتشف بعضها إلا منذ وقت قريب ، ويشير أسد في كتابه **مصادر الشعر الجاهلي** إلى ثمانية من هذه النقوش (٢) ، في حين يعتبر (Rosenthal) أن النقش على مقبرة إمرؤ القيس والمؤرخ سنة ٣٢٨ م هو أقدم النقوش العربية المحتفظ بها (٣) .

ويشير أسد إلى نقشٍ أَقْدَمَ من هذا بكثير ، حيث أنه يرجع إلى القرن الثالث الميلادي ، ويشير أيضاً إلى نقش مؤرخ سنة ٢١٠ م ، وُجِدَ في وادي المكتب في طور سيناء (٤) . ويعتبر أسد هذا النقش من أقدم النقوش .

ويشير الأزرقي إلى العديد من النقوش على أحجار الكعبة ، وبعض هذه النقوش لم تكتشف إلا حين إعادة بناءها (٥) ، وذكر أيضاً عدداً من

---

(١) مصادر الشعر الجاهلي (٦٦) ، الوثائق السياسية ، رقم (١٧١) .

(٢) مصادر الشعر الجاهلي (٢٥ - ٣١) .

(٣) Rosenthal, Franz : History Of Muslim Historiography (17) .

(٤) مصادر الشعر الجاهلي (٢٥ - ٢٦) .

(٥) أخبار مكة (١:٣٧، ١١١) ، (٢:٢٢٧) وأيضاً انظر النهاية (١:٣١٢) .

النقوش التي نقشت على **الألواح والأحجار** ووجدت على الهضبات ، وفي أماكن أخرى (١) .

ويطيب لنا هنا أن نؤكد أنَّ الأزرقي يعد واحداً من أصدق المؤرخين فيما يتعلق بالنقوش التي وجدت في مكة ، وعن صدق أبحاثه ودقتها يعلق Rosenthal قائلا : « من المؤكد أنه يمكن أن نشير إلى حالات تتسم بالتناول الدقيق والتاريخي للنقوش من المؤرخين المسلمين ... وخير مثال على هذا المؤرخ لتاريخ مكة ، وهو الأزرقي ، فقد نقل نقوش مباني مكة بطريقة صادقة وصحيحة (٢) .

إن التقارير السابقة والمتعلقة بنقوش مكة تبين بوضوح انتشار الكتابة العربية في الجزيرة العربية قبل الإسلام .

ح - الشعر وتاريخ مآثر الحرب ، وعلم أنساب القبيلة :

ونأتي أخيراً إلى أغنى ميراث للعرب البدو ألا وهو الشعر الذي كان تلقائياً أساساً ثم سُجِّلَ بطريقة منظمة في أواخر فترة الأمويين وفي بداية عصر العباسيين .

لقد راود معظم العلماء الشكوك حَوْلَ مدى صدق الشعر الشفهي التلقائي المنقول من العصر الجاهلي حتى العصر الأموي والعباسي وشكوكهم هذه لها ما يبررها إلى حدٍّ ما ، لأنَّ القليل جدا من هذا الشعر الجاهلي وخاصة الجزء المكتوب فيه والذي كان غير ذي أهمية في الدلالة هو الذي عاش حتى يومنا هذا ولكن تم نشر الشعر البدوي باعـتباره إنتاج فترة ما بعد

(١) أخبار مكة (١ : ١٤٩ - ١٦٠ ، ٢٧٠) و (٢ : ٢٣٣) .

(٢) Rosenthal, Franz : History Of Muslim Historogriaphy (112) .

ظهور الإسلام لأنه ببساطة من غير المنطقي أن يتم نقل هذا الشعر شفهياً ، ومع هذا الإنتاج الضخم كان من غير المتصور أن ينسب هذا الشعر إلى فترة ما قبل الإسلام .

وعلاوة على الذاكرة الحافظة القوية التي يتمتع بها العرب حقيقة واقعة لا يمكن تجاهلها مطلقا ، ففي الواقع أن الذاكرة واحدة من المصادر الحقيقية لحفظ المعلومات .

أما بخصوص تدوين الشعر في هذه الفترة فيقال أنَّ قبائل معينة اعتادت أن تسجل قصائد شعراء قبائلها (١) ، ومن المعروف أيضاً أن بعض الشعر الجاهلي نقش بحروف من ذهب ، وعلق على أبواب الكعبة كتحفة رائعة تمثل إنتاج السنة التي أبْدع فيها (٢) .

ولهذا فقد عرفنا أن عدداً قليلا جدا إن لم يكن كل الأعمال الشعرية في الجاهلية تم تدوينها ، وقد جمع ناصر الأسد في كتابه : « مصادر الشعر الجاهلي » حوالى عشرين مرجعاً من كافة أنواع القصائد لتسجيل الشعر الجاهلي (٣) ويعتقد Krenkow « كرنكو » أيضاً أن بعض هذه النصوص حفظها الشعراء الجاهليون (٤) .

بالإضافة إلى الشعر ، فإنَّ عِلْمَ الأنْساب القَبلِية ، والتأريخ لحروب

---

(١) مصادر الشعر الجاهلي (١٠٧ - ١٣٣) .

(٢) المفضليات (١٠) ، والعقد الفريد (١١٩) .

(٣) مصادر الشر الجاهلي (١٢٢ - ١٣٣) .

(٤) Krenkow, " The use of writing for the preservation of ancient arabic poetry" , A Volume of Oriental Studies to E.G.Browne, Edited by J.W.Arnold,PP. 261 268 .

القبائل (**أيام العرب**) شكلت أيضاً جزأً من المواد المكتوبة للعرب البدو [١] .

ط - الخطابات الشخصية :

ومن بين النصوص المكتوبة لفترة الجاهلية كانت أيضاً الخطابات الشخصية التي كانت يتم تبادلها بين البدو المتعلمين [٢] .

ولنأخذ مثلاً لذلك : فقد كتب حنظلة بن أبي سفيان إلى والده في اليمن بأن محمدا بن عبد الله ﷺ دعا الناس إلى عبادة الله [٣] .

وكتب أيضاً قصى بن كلاب إلى أخيه رزاح يطلب منه المساعدة [٤] .

ووجدنا أيضاً مرجعا للخطابات المتبادلة بين السموأل وحارث بن أبي شمر الفساني [٥] .

ي - التسجيل بين حين وآخر :

ولنا أن نذكر أيضاً التسجيل الذي كان يتم من حين لآخر للأمثال [٦] ، وللأحداث التاريخية [٧] ، الدَّيْن [٨] ، خطابات العفو العام [٩] وذلك في فترة ما قبل الإسلام .

---

(١) طبقات ابن سعد (٤ : ١ : ٣٢ - ٣٣) .

(٢) صبح الأعش (٦ : ٤٦٨) .

(٣) الأغاني (٦ : ٢٥٠) .

(٤) السيرة (٧٥) .

(٥) الأغاني (٩ : ٩٩) .

(٦) تأويل مختلف الحديث لابن قتيبة (١٣٧).

(٧) صبح الأعشى (٦ : ٤٦٨) ، المصادر التاريخية (١٤٤) .

(٨) الوثائق السياسية ، رقم (١٨١) ، مصادر الشعر الجاهلي (٧٠) .

(٩) الأغاني (١١ : ١٢٠) .

وهذه التسجيلات كان من المتوقع أن تكون أكثر في المدن التجارية مثل مكة عن أي مدينة أخرى حيث كانت الصفقات تتم ربما بطريقة شفهية أي دون عقد مكتوب .

وتزودنا المناقشة السابقة فكرة ما عن المناخ الثقافي أو الأدبي في فترة ما قبل الإسلام (١) .

ففي ضوء المعلومات يبدو لنا بما لا يدع مجالا للشك أنه كان يوجد حوالي سبعين متعلماً في مكة عند ظهور الإسلام ، وفي الواقع أن هذا ضئيل لا يتناسب مع الإنجاز الأدبي للناس قبيل ظهور الإسلام ، ولم يكن المناخ الأدبي ضئيلاً إلى هذا الحد الذي صوره أوائل المؤرخين والاكتشافات المستمرة لأوراق البردي ، والنقوش .

والأبحاث الحديثة في هذه الفترة الموغلة في القدم يدحض الإدعاء بالجهل المطبق لمجتمع الجزيرة العربية قبل الإسلام (٢) .

والآن لا يحق لنا أن ننكر انجازاتهم الدينية والثقافية والأدبية وخاصة في وجود دليل واضح وهو الخاص بتأثير الديانة اليهودية ، والديانة المسيحية على هذا المجتمع ، ويخبرنا الحديث بأن اليهود اعتادوا أن يقرءوا اجزاء من التوراة ويترجموها إلى اللغة العربية للبدو والمتحدثين

---

(١) فتوح البلدان (٤٥٧) ، العقد الفريد (٤ : ٢٤٢ - ٢٤٣) .

(٢) وقد تم في هذا الوقت اكتشاف بعض البرديات من عصر عمر بن الخطاب ، وبعض النقوش من عصر معاوية

(cf . George C. Miles, " Early Islamic Inscriptions near Ta'if in the Hijaz ", Journal of the Near Eastern Studies, October, 1948, p. 240 ; Adolf Grohmann, From the world of Arabic Papy ri, Cairo, 1952, P. 82 ; and Tadrib, 152.).

بالعربية [١] ، وذكر أن أمية بن أبي الصلت [٢] ، والنضر بن الحارث [٣] كان لديهما معلومات عن الإنجيل [٤] .

أما من ناحية الحياة الإجتماعية للعرب قبل الإسلام فقد ذكر أن العرب كان لديهم قوانين معينة اعتادوا أن يسيروا وفقاً لها ، ومع أن كل قبيلة كان لها قوانينها الخاصة [٥] .إلا انهم تمسّكوا بروحِ القانون عموماً ، ويشير المرجع السابق المكتوب علِى **الروسم** إلى وجود قوانين قبلية معينة .

والقول بأنَّ العرب لم يكن لديهم ميراث من النثر الأدبي قبل الإسلام [٦] واضح من ادعاء هشام بن محمد بن السائب الكلبي بحصوله على مادة كتابة (**كتاب الأنساب**) من كتاب وُجِدَ في الحيرة [٧] . وقول هشام هذا أدى إلى إيمان رشيد رضا الصحيح بأن مصطلح **الأمية** لا يمكن أن يكون شاملا لكل العرب كما ذكر البعض [٨] .

---

(١) صحيح البخاري (٣ : ٩٨) في كتاب التفسير ، و (٤ : ٤٤١) في الاعتصام بالسنة .

(٢) كتاب الحيوان (١ : ٣٢٠) .

(٣) استخدم النضر بن الحارث الكتابة قبل الإسلام . السيرة لابن هشام (٢٣٥) .

(٤) السيرة (١٩١ - ١٩٢ ، ٢٣٥ - ٢٣٦ ، ٤٥٨) .

(٥) مر معنا كلمات الشاعر لبيد : « ولكل قوم سُنَّة وإمامها » ، ويعني بذلك أن لكل قبيلة زعيمها الخاص ، وقوانينها . الشعراء السبع (١٢٣) .

(٦) جولد تسيهر : دراسات إسلامية (٢ : ٢٠٤ - ٢٠٥ / ١٩٠ - ١٩١) ، ونشأة الكتابة في المجلة الآسيوية للبنغال (JASB) - ١٨٥٦ ، ص (٣٧٥ - ٣٧٨) .

(٧) المنار (١٠ : ٧٤٦) .

(٨) علوم الحديث لابن الصلاح (١٥ - ١٦) و Grunebaum, Medieval Islam. (98) .

وفي الواقع فإنَّ الكثير من مصادر مواد الكتابة ، وأوعية من السجلات المكتوبة المذكورة في القرآن ، وكثيراً من أدب ما قبل الاسلام فقد يؤكد أن الكتابة كانت شائعة في عهد ما قبل الإسلام ، فضلا عن أوعية مثل **الكتاب** ، **الصحيفة** ، **المجلة** (١) ..الخ وأدوات الكتابة مثل العلم ، البَرْدي ، الحبر ، المحابر ، السجلات ، الألواح ، الأختام ، وعشرات من الأشياء الأخرى المتعلقة بالسجلات المكتوبة .

وهذه القائمة الطويلة من مواد الكتابة (٢) يعطينا دليلاً كافياً على أنَّ فرضنا بأنَّ الكتابة كانت موجودة وسائدة في المجتمع البدوي قبل الإسلام صحيحاً .

ومصطلح الحديث المعروف « **متن** » يوضح أن استخدام الكتابة كان موجودا قبل الإسلام ، فكلمة **متن** التي استخدمت بعد ظهور الإسلام (في مقابل الاسناد) في الأحاديث تعد كلمة من كلمات ما قبل الإسلام (٣) (العصر الجاهلي) ، وفي الجاهلية وجدت هذه الكلمة في « نص مكتوب » (٤) .

واستخدمها « لبيد » بهذا المعنى عندما ندب حظه في وفاة محبوبته فقال : « إن دموعَهُ المنهمرة مثل السيل تزيل الغبار من على جسدها الذي يبرق كما لو كان كتابا « **كالزبور** » يتجدد متنه وأقلامه (٥) .

---

(١) انظر الفصل الخامس من هذا الكتاب ، لأجل معرفة المصطلحات التي استخدمت في الكتابة ، وأدواتها .

(٢) مصادر الشعر الجاهلي (٥٩ - ١٠٣) .

(٣) دراسات إسلامية لجولد تسيهر (٢ : ٦ - ٧ / ٢٠) .

(٤) وهذا يوضح أن معنى مصطلح « متن » بعد ظهور الإسلام (نص الحديث) قد اقتبس من فترة ما قبل الإسلام .

(٥) الشعراء السبع (٩٤) .

فاستخدم كلمة **متون** ومفردها **متن** مقترنة (بالزبور) (الكتب) ، وفي هذه السطور يطرح بما لا يدع مجالا لأدنى شك وجود الكتابة في مجتمع الجزيرة العربية قبل الإسلام .

وإشارة إلى وجود المادة المكتوبة قبل الحقبة الإسلامية يذكر جين بول « أن فؤاد سزكين » أحضر نسخة من موسوعة جولد تسيهر في تعيين التواريخ الدقيقة للأحداث وفقا لترتيبها الزمني ، وأعلن رأيه صراحة في أن الكتابة كانت اكثر شيوعاً واستخداما في حقبة ما قبل الإسلام بأكثر مما فهمه جولد تسيهر » (١) .

٥ - مكانة الكتابة بعد الإسلام :

لقد رأينا أن الكتابة كانت معروفة في شبه جزيرة العرب عندما ظهر محمد ﷺ ، فهل من غير الطبيعي أن يرغب المهتدون الى الدين الجديد في أن يسجلوا أقوال زعيمهم الديني كتابةً ، خاصة أنه شجعهم على ذلك ؟

من المؤكد أن الإجابة على هذا السؤال هي بالإيجاب ، فقد أعطى الصحابة اهتماماً لتعاليم النبي ﷺ يفوق الوصف ، ولم يحاولوا أن يتعلموا ذلك فحسب بل نشروه بين إخوانهم في الدين ، ونشر هذه التعاليم كان جزءاً من رسالة النبي ﷺ والتي أنجزها الصحابة على أكمل وجه ، وفضلا عن هذه المهمة اتخذ الصحابة الترتيبات اللازمة لحفظ هذه التعليمات شفاهة وكتابة ، ولأن العرب كانوا يمتلكون ذاكرة قوية فقد كانوا أفذاذاً في تلك الدرجة ، إنهم كانوا يتعلمون الآلاف من الآيات القرآنية بعد سماعها مرة وأخرى ، أما بالنسبة لعادة الكتابة فقد كان لديهم نزعة بطبيعتهم في تسجيل الأقوال المأثورة للقمان ، وآخرون منهم واعتادوا كتابة شعر شعراء

---

(١) فؤاد سزكين : تاريخ التراث العربي (١ : ٥٣ - ٨٣) باللغة الألمانية .

قبائلهم ، وأنسابها ، وتاريخ حروبها ، وعليه فقد كانت الطريقتان مهيئتين لهم لحفظ تعاليم النبي ﷺ .

وعلى الرغم من هذه الحقيقة الدامغة ، إلا أنه يعتقد بوجه عام أن السنن كانت تحفظ في الذاكرة فقط ، ولم تنقل إلى الكتب إلا بعد حوالي قرن [١] ، وهذا الافتراض غير منطقي إنطلاقا من أنه إذا كانت الأمثال وحكم لقمان تم تسجيلها كتابة ، فمن باب أولى أن تسجل أقوال محمد ﷺ بالمداد الأبيض والأسود ، ومن الجدير بالذكر هنا أن نشير إلى عبارة « Robson » وهو عالم معاصر في الحديث إذ أنه يتفق مع « Sprenger » حيث قال : إن « Sprenger » علق بمنطقية على ذلك ، وذكر أنه كان قد اقتنع بأنه لم يتم إخراج كتاب واقعي وحقيقي قبل عام ١٢٠ هـ ، ولكنه مع ذلك لم يقتنع بأن علماء الحديث والسنة قبل هذا كان لديهم الثقة التامة في ذاكرتهم ، وبالتالي لم يكتبوا أي أحاديث أو أقوال » [٢] .

وتعليق « Guillaume's » على هذا الموضوع أيضاً يستحق الذكر إذ أنه يقول : « كان من المهم للغاية أن يتعلق الصحابة بكل لفظ ينطقه النبي ﷺ وبالتالى تعوّد هؤلاء الصحابة الذين كان بامكانهم أن يقرءوا

---

(١) أضواء على السنة المحمدية لأبي رية (٢٠٧) ، قوت القلوب للمكي (١ : ١٥٩) ، الحديث والمحدثون لأبي زهو (١٢٧) ، فجر الإسلام (٢٢١) ، قواعد التحديث (٤٥ - ٤٦) ، فتح الباري (١ : ١٧) في المقدمة ، تذكرة الحفاظ (١: ١٥١) ، وفتح الباري أيضاً (١ : ٢١٨) ، خطط المقريزي (٢ : ٣٣٣) ، كشف الظنون (١ : ٦٣٧) ، مجلة المنار (١٠ : ٧٦٨) ، تاريخ الأدب العربي لينكلسون (١٤٤) ، مقدمة تقييد العلم (٧) ، السنة قبل التدوين (٤٠) .

(٢) Robson : " Tradition , the second Foundation of Islam Muslim word , XLI : i (January, 1951) p : 25 .

ويكتبوا أن يسجلوا كلماته ليعيدوها على مسامع أصحاب الصوت العالي من الكفار ليعرفوا ماذا قال ، ولم يكن هناك أي دليل يثبت أن تسجيل هذه الأقوال في ذلك الوقت المبكر كان موضعا للاعتراض من النبي ﷺ (١) .

إن الاكتشافات الحديثة لوثائق عصر النبي ﷺ متناقضة مع نظرية تأخر تسجيل الحديث ، ويمكن أن نؤكد الآن أن الحديث كان يكتب في حياة النبي ﷺ وفي الواقع أن مسألة النقل المكتوب للحديث ارتبطت بشدة بالتطور التاريخي لممارسة الكتابة ذاتها .

ولقد رأينا أن ممارسة الكتابة بدأ قبل ظهور الإسلام بوقت كبير ، ووجدت اهتماماً كبيراً في ظل الإسلام . وتقدم هذا الفن تقدماً كبيراً أثناء حياة النبي ﷺ وبعد وفاته ، ولقد تأثر النبي ﷺ في أول نزول الوحي بأن أول القضايا كانت متعلقة بالقراءة والكتابة (٢) ، ولهذا خطط لسياسة تربوية صحيحة ونفذها بحماس عظيم ، وفي سعيه لتنفيذ هذه السياسة افتتح المدارس وعين المدرسين ووظف الكتبة ليدونوا الوحي (٣) وأرسل المدرسين إلى الأقاليم المختلفة من الامبراطورية الإسلامية (٤) .

وفي البداية لم يكن هناك مبان منفصلة مخصصة للمدارس ، فالبيوت الخاصة بالصحابة ، والمساجد كانت تؤدى هذا الغرض ، وكان بيت الأرقم (٥) ،

---

(١) المصدر السابق ، (١٧) .

(٢) القرآن الكريم (٩٦ : ١ : ٥) إقرأ ، القلم .

(٣) تراوح عدد الكتبة من ٤٠ - ٥٠ كاتباً ، التراتيب الإدارية (١ : ١١٥) .

(٤) لقد عُرِفَ « مصعب بن عمير » بأنه « مقرئ » وأرسل ليعلم أهل المدينة حتى قبل فترة الهجرة ، السيرة (١ : ٢٨٩ - ٢٩٠) ، وطبقات ابن سعد (٣:١:٨٣).

(٥) تاريخ الطبري (١ : ٢٣٣٠) ، أخبار مكة (٢ : ٢١٠) .

ومخرمة بن نوفل [١] تعد نماذج لهذه المدارس يدرس فيها العلم ، وكان بيت الأرقم مركزاً للتربية الدينية في مكة ، أما بيت مخرمة المعروف **بدار القراء** فكان نوعا من المدارس المقامة في المدينة [٢] .

وفضلا عن **دار القراء** كان هناك تسعة [٣] مساجد في المدينة والتي كانت تستخدم ليلاً كمدارس ، أما بخصوص المدارس العامة فلم يأت لها ذكر في المراجع عدا واحدة افتتحت في السنة الثانية للهجرة [٤] ، في حين أننا نجد مراجع عن المدرسين الذين عينهم النبي ﷺ ، ومن أشهرهم عبادة ابن الصامت [٥] ، عبد الله بن سعيد بن العاص [٦] ، سعد بن الربيع الخزرجي [٧] ، بشير بن سعد بن ثعلبة [٨] ، أبان بن سعيد بن العاص [٩] مصعب بن عمير [١٠] ، وابن أم مكتوم [١١] .

ومن بين المدرسين الذين أرسلوا إلى المدن المختلفة الرفاق السبعون الذين

---

(١) طبقات ابن سعد (٤ : ١ : ١٥٠) .

(٢) طبقات ابن سعد (٤ : ١ : ١٥٠) .

(٣) أنساب الأشراف (١ : ٢٧٣) .

(٤) طبقات ابن سعد (٤ : ١ : ١٥٠) .

(٥) التراتيب الإدارية (١ : ٤٨) .

(٦) أسد الغابة (٣ : ١٧٥) ، حيث عرف قبل الإسلام بالكاتب .

(٧) طبقات ابن سعد (٣ : ٢ : ٧٧) .

(٨) طبقات ابن سعد (٣ : ٢ : ٨٣) .

(٩) فتوح البلدان (٤٥٧) .

(١٠) السيرة (٢٨٩ - ٢٩٠) ، وابن سعد (١ : ١ : ١٥٨) ، (٣:١:٨٣).

(١١) طبقات ابن سعد (١ : ١ : ١٥٨) .

قتلوا في بئر معونة [١] وهم في طريقهم إلى الناس في نجد [٢] ، وأرسل آخرون إلى نجران [٣] ، وإلى اليمن [٤] وكان أشهر هؤلاء المعلمين : معاذ بن جبل الذي عين موجها للمدارس ، وأرسل الى اليمن حيث تنقل متجولا من بلدة إلى أخرى [٥] .

ومع أن النبي ﷺ نفسه ظل أميا [٦] إلا أنه شجع الآخرين لا لكي يتعلموا اللغة العربية فحسب بل ليتعلموا أيضاً اللغات الأخرى ، فعلى سبيل المثال طلب من زيد بن ثابت أن يتعلم العبرية والسريانية [٧] ، وينسب الى النبي ﷺ عدداً من الأحاديث التي تبين تشجيعه لهذا الاتجاه نحو القراءة والكتابة [٨] ، وفي حديث له ذكر أنه كان يوجه الأطفال لاكتساب المعرفة من جيرانهم [٩] ، وفي رواية أخرى طلب منهم أن يتعلموا دروسهم في المساجد القائمة في الشوارع التي يقطنون فيها [١٠].

---

(١) السيرة (٦٤٨) .

(٢) طبقات ابن سعد (٣ : ١ : ٣٦ ، ٣٨) .

(٣) طبقات ابن سعد (٣ : ١ : ٢٩٩) .

(٤) كتاب الكني للدولابي (١ : ١٩) .

(٥) تاريخ الطبري (١ : ١٨٥٢ - ١٨٥٣ ، ١٩٨١) ، والسيرة (٨٨٦ - ٨٨٧ ، ٩٥٦ - ٩٥٧) ، وحلية الأولياء (١ : ٢٤٠ - ٢٤١) .

(٦) واعتقد بعض علماء المسلمين مثل أبي الوليد (المتوفى سنة ٤٧٤ هـ) والذهبي (المتوفى سنة ٧٤٨ هـ) أن النبي ﷺ كان بإمكانه ان يقرأ كلمة أو كلمتين ، ولكنهم كانوا محل نقد بالغ من إخوانهم المسلمين . تذكرة الحفاظ (٢ : ٢٧٧) .

(٧) طبقات ابن سعد (٢ : ٢ : ١١٥) ، وتاريخ الطبري (١ : ١٤٦٠) .

(٨) جامع بيان العلم ، الفصل الخاص بالعلم (١ : ٧ - ٥٥) .

(٩) صحيفة همام بن منبه (٢) ، والتراتيب الإدارية (١ : ٤١ - ٤٢) .

(١٠) صحيفة همام بن منبه (٢) .

وفي حديث آخر يقول : « إن التعليم المجاني هو واجب كل شخص متعلم ، ومن يحتفظ لنفسه بعلم فقد ارتكب خطيئة يستحق عليها العقاب [(١)] .

وعن الكتابة يقول النبي ﷺ : إن تعلم الكتابة هو واجب الأب تجاه ولده [(٢)] ، وأعطى نصائح عديدة بخصوص الكتابة مثل تجفيف مداد النصوص المكتوبة بعد كتابتها [(٣)] ، ومراجعتها بعد استكمالها [(٤)] ووضع النقط على الحروف [(٥)] .

وفي بعض من تعليماته يطلب من زيد بن ثابت أن يضع قلمه على أذنه أثناء النسخ في الإملاء ويذكر أنه قال لمعاوية : « لا يا معاوية ، ضع القطن في المحبرة (لتشرب الحبر) ، وسن قلمك بميل » .

---

(١) جامع بيان العلم (١ : ٣-٥) ، ونص الحديث « من كتم علماً ألجمه الله بلجام من نار يوم القيامة » (المترجم) .

(٢) التراتيب الإدارية (٢ : ٢٣٩ - ٢٤٠) .

(٣) أدب الإملاء والاستملاء للسمعاني (١٧٤) ، مجمع الأمثال للميداني (٢:٤٧) .

(٤) أدب الكتاب للصولي (١٦٥) .

(٥) كان يعتقد بصفة عامة أن تمييز الحروف بوضع النقط على الحروف الهجائية لم تأخذ الشكل المتعارف عليه حاليا إلا في منتصف القرن الأول من الهجرة ، ولكن السيوطي يعتقد أن وضع النقط على الحروف تم في حياة النبي ﷺ وطبقا لرواية ، حميد الله الذي يقول « إن أقدم وثيقة من البردي مؤرخة سنة ٢٢ هـ وموضح بها النقط المميزة للحروف مثل « خ ، ذ ، ز ، ش ، ن » وثبت صحة وجهة النظر السابقة باكتشاف مخطوطات من القرن الثالث الهجري بخصوص ذلك ، وفي ضوء المعلومات السابقة من المؤكد أن الحروف كانت توضع عليها النقط أثناء حياة النبي ﷺ وبالتالي صحة تعليماته بخصوص ذلك .

تدريب الراوي (١٥٢) ، أدب الكتاب (٥٧) ، مصادر الشعر الجاهلي (٢٥-٣١) .

وعلاوة على هذه التعليمات المباشرة التي أصدرها بخصوص الكتابة (١) فقد اتخذ بعض الخطوات العملية ليعرف مجتمعه بفن الكتابة ويبسطها . وطلب من الشفاء بنت عبد الله أن تعلم زوجته حفصة (٢) فن الكتابة باعتبارها واحدة من النساء الكاتبات قبل الإسلام ، وقصة أسرى غزوة بدر الذين ارتبط فك أسرهم بتعليم فن الكتابة لعشرة أطفال بالنسبة لكل أسير معروفة للجميع (٣) ، وقبول النبي ﷺ لهذه الخدمة في مقابل فك الأسر يظهر اهتمامه الكبير الذي اعتاد أن يعطيه للكتابة ، علاوة على أنه ألح على زيد بن ثابت أن يتعلم كتابة العبرية والسريانية (٤) .

إن ما عرضناه في الواقع هو خلاصة السياسة التعليمية للنبي ﷺ والتي أدت إلى شيوع القراءة والكتابة بوضوح في الجزيرة العربية (٥) ومع أن الاهتمام كان مركزا على التربية الدينية فإن فن الكتابة حَظِيَ أيضاً باهتمام عظيم .

---

(١) عيون الأخبار (١ : ٤٢) ، الوزراء والكتاب (١٢) .

(٢) فتوح البلدان (٤٥٨) .

(٣) طبقات ابن سعد (٢ : ١ : ١٤) ، الأموال (١١٥ - ١١٦) ، قصة فارس (١ : ٢٦١) .

(٤) طبقات ابن سعد (٢ : ٢ : ١١٥) ، وتاريخ الطبري (١ : ١٤٦٠) .

(٥) ويجب الا نستنتج من هذا أن معرفة القراءة والكتابة قد تطورت إلى حد الكمال في تلك المرحلة ، لأننا نجد مراجع تبين أنه حتى رؤساء قبائل بعينها لم يعرفوا القراءة والكتابة كما في حالة نمير بن تولب رئيس قبيلة عقل في اليمن الذي لم يستطع أن يقرأ العقد الذي بعث به النبي ﷺ إليه ، وأعطاه لشخص من سوق المدينة ليقرأه له .

الأموال (١١ - ١٢) ، طبقات ابن سعد (١ : ٢ :٣٠) ، صبح الأعشى (١٣: ٣٢٩ - ٣٣٠) ، الوثائق السياسية رقم (٢٣٣) .

ومنذ أن وصل النبي ﷺ إلى المدينة فصاعداً وجدنا أن الكتابة وظفت لكل الأغراض الدينية والتجارية ، والإدارية ، والسياسية ؛ ففي المجال الديني استخدمت الكتابة في التسجيل وبخاصة تدوين الوحي .

وكان النبي ﷺ يعين الكتبة لهذا الغرض (١) ، وبعضهم كان كَتَبَة دائمين ، والبعض الآخر كان موسميا ، وتم تعيين كَتَبَةً لكثير من الأغراض الإدارية الأخرى مطابقة لتنظيمات رؤساء القبائل (٢) . والاحتفاظ بسجلات للمنتجات الزراعية ، والزكاة ، والضرائب الأخرى (٣) ، والكاتب الذي لديه خبرة باللغات الأجنبية كان مسئولاً عن تبادل الرسائل مع غير العرب (٤) وخصص كاتب لكتابة التفاصيل الخاصة بنصيب النبي ﷺ في الغنائم (٥) ، وعين آخر للرد على الكتب والرسائل وذلك لمدة ثلاثة أيام في حالة غياب الكاتب الدائم المختص بهذا الغرض (٦) ، وكان هذا الكاتب الدائم مختصاً أيضاً بحمل ختم النبي ﷺ (٧) .

وبسبب النشاط الكبير الذي شَهِدَتْهُ هذه الفترة في معرفة القراءة والكتابة كان من الطبيعي أن يحتفظ بسنن وأحاديث في شكل مكتوب ، وعليه فقد سجل الصحابة عدداً ضخماً من الأحاديث في صحفهم ، وعلى

(١) طبقات ابن سعد (١ : ٢ : ١٥ ، ١٦٢) .

(٢) تاريخ الطبري (٢ : ٨٣٦) .

(٣) تاريخ الطبري (٢ : ٨٣٦) ، والوزراء والكتاب (١٢ - ١٣) ، والتراتيب الإدارية (١ : ١٢١ - ١٢٤) ، والعقد الفريد (٤ : ٢٤٦) .

(٤) صبح الأعشى (١ : ١٦٥) ، والعقد الفريد (٤ : ٢٤٦) .

(٥) العقد الفريد (٤ : ٢٤٦) ، والوزراء (١٢) .

(٦) العقد الفريد (٤ : ٢٤٦ - ٢٤٧) ، والوزراء (١٢ - ١٣) .

(٧) العقد الفريد (٤ : ٢٤٧) ، والوزراء (١٣) ، والمعارف (١٠٧) .

الرغم من اتباعهم الطريقة القديمة في حفظ المعلومات بالذاكرة فقد حفظوا سنة النبي ﷺ مشافهة ، ولهذا فتسجيل سنن النبي ﷺ وأحاديثه تم حفظاً وكتابة .

إنَّ دَوْرَ الذاكرة والكتابة فيما يتعلق بشكل وتسجيل الحديث كان مْوضعَ نقاشٍ طويل ، وقد بذلت محاولات للتأكيد الشديد على دور كل منهما مقابل الأخرى ، ولهذا كان من الغريب أن نفضل الذاكرة كوسيلة لحفظ الحديث ، واكثر من هذا اعتُقد أن الكتابة يتم اللجوء اليها كوسيلة مساعدة للذاكرة فحسب ، ولم يصبح للكتابة اليد العليا إلا مع نهاية القرن الأول الهجرى .

ومع أن المحصلة العامة هي أن الكتابة كان عليها أن تناضل لتأخذ مكانة مرموقة ويعترف بها فلا يمكن التسليم بأن الذاكرة كانت في أي مرحلة من المراحل الوعاء الحافظ الوحيد للحديث ، وفي الواقع فإنَّ تسجيل السنن والأحاديث كان يتم بالوسيلتين سواء عن طريق الذاكرة أو عن طريق الكتابة .

٦ - الكتابة والذاكرة :

إن الوسيلتين الأساسيتين في حفظ المعلومات كانتا الذاكرة والكتابة ، ومسألة تفضيل إحداهما عن الأخرى كانت دائما موضع جدال ، ودارت مناقشات عقيمة لإثبات التفاضل بينهما .

ومن الأمور الثابتة بحق من العصور القديمة حتى وقتنا الحالي أن الذاكرة كانت تعد شكلا مفضلا لحفظ المعرفة والكتابة ، من جهه أخرى فقد استخدمت كوسيلة مساعدة أو موجهة للذاكرة لا بديلاً لها ، ولهذا يقول : « ALBRiGhT » إنَّ الكتابة استخدمت في تسجيل الآثار القديمة التقليدية حيث كان من المتوقع أن يحفظ التلميذ أسماء هومر وفيرحل [١] .

---

(١) ALBRight : SToNe Age (64) .

وقال سقراط (٣٩٩ - ٤٦٩ ق.م) أو أحد مدرسيه منذ زمن طويل : « إنه لا يحب أن يرى أفكاره مسجلة على جلود الحيوانات الميتة بدلاً من حفظها في قلب الإنسان وعقله » (١) .

وفي الهند كانت التعليمات الدينية بصة خاصة والتربية بصفة عامة تنقل شفاهاً من العصور القديمة فصاعدا ، ويقول « WiNTERNiTZ » : هل بدون الكتيب أو الكتاب يستطيع المرء أن يتعلم ؟ على العكس فيمكن للمرء أن يتعلم اليوم من منطق لسان مُدَرِّسه كما كان يحدث منذ آلاف السنين » (٢) .

ومع أن الكتابة استخدمت في عهد البوذيين فالملك أمشوكا (٢٣٧ - ٢٧٤ ق.م) الذي نقش التعليمات الدينية على الصخور وعلى الأعمدة في الهند ، فإن الهندوس التزموا بالكتابة لأول مرة في القرن الثامن والتاسع بعد الميلاد ، وذلك في كتابة كتبهم المقدسة الهندوسية (٣) .

ولهذا نرى أنه حتى مع معرفة الكتابة في هذا القطر فإن الذاكرة كانت تستخدم في التربية الدينية ، والرحالة الصيني « YUen chwang » الذي زار الهند في القرن السابع الميلادي سَجَّلَ أنَّ التعاليم الشفهية والأحاديث الشفهية لعبت دوراً هاما حتى حوالي القرنين : الحادي عشر والثاني عشر الميلادي ، أي أنها لم تستخدم فترة طويلة إلا بعد إدخال الكتابة للأغراض الأدبية (٤) وتعليمات « الڤيدأ » (٥) في الهند استمر تعليمها من خلال التعاليم الشفهية لا من خلال الكتب ، لأنَّ الكتابة في ذلك الوقت كانت

---

(١) Ghury : Learned TRADiTions ns (23 - 24) .

(٢) الأدب الهندي (٣٤)

(٣) LEARNED TRADITION

(٤) المصدر السابق ، ص (٢٣ - ٢٤)

(٥) هي كتب الهندوس الدينيه الأربعة أو واحد منها . (المترجم) .

تعد شيئا غير مرغوب فيه ، أما عن كيفية توصيل تعاليم « الفيدا » في ذلك الوقت فقد كان يتم شفهيا ولم يتم تعليمها كتابة إلا بعد أن أصبحت الكتابة ممارسة منظمة ، بل وقسمت إلى اثني عشر جزءاً (١) .

ويقول كبير معلمي « الڤيدا سايانا » : إن نص « الفيدا » كان يتم تعليمه من خلال شفاه المدرس ، وكان هذا النص يروق للأذن لا للعين ، ولهذا لم يكن هناك حاجة للجوء إلى الكتابة (٢) .

أما العرب الذين تَمَيَّزوا بامتلاكهم ذاكرة حافظة ممتازة فيقال إنه كان لهم نفس وجهة النظر السابقة تجاه الكتابة ، وعلى الرغم من انتشار كتابة الأقوال المأثورة ، والشعر ، ومعلومات أخرى في **المجلة** ، **والروسم** ، **والصحيفة** في العصر الجاهلي ، إلا أنَّ الثقافة العربية كانت شفهية أساساً ، وتميز العرب بقدرة فائقة في الحفظ معروفة للطلاب من دارسي التاريخ.

ونحن نعرف جيداً أنَّ العربَ قبل الإسلام قد اعتادُوا أنْ يَحْفَظُوا عن ظهر قلب جداول الأنساب والقصائد الطويلة الخاصة بالأعمال الحربية لقبيلتهم ، وحتى بَعْدَ ظهورِ الإسلام ، فإنَّ ذاكرتهم التصويرية لا تبارى على مدار التاريخ .

إن حماداً المتوفى سنة ١٥٦ هـ ، ومن رواة الشعر الجاهلي استطاعَ أن يحفظ ما لايقل عن مئة قصيدة وأكثر في كل حرف من حروف الهجاء في اللغة العربية (٣) ، أما الشّعبي (المتوفى سنة ١٠٧ هـ) فيقول : إنه عرف العديد من أبيات الشعر وحفظها عن ظهر قلب ، وكان بإمكانه أن يستمرَّ في تلاوتها لمدة شهر دون مراجعة (٤) .

(١) المصدر السابق في الحاشية قبل السابقة ، ص (١٦)
(٢) المصدر السابق .
(٣) الأغاني (٦ : ٧١) ، تاريخ آداب اللغة العربية لجرجي زيدان (٢ : ١٢٠)
(٤) تذكرة الحفاظ (١ : ٧٩)

أما الأصمعي (المتوفى سنة ٢١٦ هـ) فقد حفظ عن ظهر قلب (١٥٠٠٠) أرجوزة من القصائد ، وأكثر من (١٢٠٠٠) بيت من الرجز [(١)] .

وعلى سبيل المثال أيضا فإنَّ أبا تمام (المتوفى سنة ٢٣٢ هـ) كان بإمكانه أن يتلو أكثر من (١٤٠٠٠) بيت من شعر الجاهلية [(٢)] ، أما أبو ضمضم فقد استطاع أن يروي مقاطع من شعر مئة من الشعراء اسمهم «عمرو» [(٣)] .

وبسبب هذه الذاكرة الخارقة للعادة ، لم يكن غريبا ألا يُظهر العرب اهتماما ملحوظاً بالكتابة ، وخاصة عندما كانت مادة الكتابة غير متوافرة بيد أنه مع ظهور الإسلام ، وبعد الموقف المشجع للنبي ﷺ واتجاه الاهتمام بالقراءة والكتابة تغيرت وجهات النظر لصالح الكتابة ، ولكن لم تتوقف مطلقا عادة الحفظ وبطريقة مفاجئة .

وحتى في هذا الوقت الذي أصبحت فيه الكتابة شائعة إلى حدٍّ ما ، استمرت الذاكرة تلعب دورا حيويا ؛ فسنن وأحاديث النبي ﷺ وكثير من المعلومات الأخرى الهامة كانت تحفظ في مخزن الذاكرة ، وكان يعد شرفا عظيما أن يحفظ أكبر عدد ممكن من الأحاديث والسنن في الذاكرة ، وكان الناس يتباهون بقوتهم الفائقة في الحفظ [(٤)] .

وأعمال السير الذاتية تحتوي على أسماء العشرات من علماء الحديث الذين تميزوا بحفظِ الآلاف من الآحاديث ، ومع أنَّ عَدَدَ الأحاديثِ التي

---

(١) تاريخ آداب اللغة العربية (٢ : ١١٥)

(٢) وفيات الأعيان (٣٣٥)

(٣) الشعر والشعراء (١ : ٤ - ٥)

(٤) Von Kremer ' s edition , JASB , 1856 , P : (212).

ذكَرَ علماء الأحاديث أنهم حفظوها كانت كبيرة جداً لدرجة يتعذَّرُ معها تصديقهم ، إلا أنَّ النصوص تثبت أنهم كانوا يمتلكون ذاكرةً واعيةً قويةً .

ولقد بَيَّنَتْ هذه النصوص أيضاً أنَّ حِفْظَ الأحاديث عن ظهر قلب كان يُعَدُّ مَيِّزَةً بين الدوائر الدينية .

وحقيقة أن حفظ علماء الحديث لعدد كبير من الأحاديث ليست موضع استغراب لو نظرنا إليها من منظور تاريخي ؛ فالقانون الطبيعي يقول : إنَّ الاستخدامَ المستمر للملكات إنسانية معينة يجعلها أقوى وأكثر استجابة ، ولأن العرب الأوائل أعطوا اهتماما للحفظ .

فقد نَمَتْ هذه القدرة لتصل إلى كامل قوتها ، والاستخدام المستمر لهذه الملكة شجع القدرة على الحفظ ، وأصبح العرب قادرين في النهاية على حفظِ فقرةٍ طويلة من الأحاديث ، والقصائد ، وجداول أنساب آبائهم .

وعن اهتمام الصحابة بالذاكرة يمكن أن نشير إلى أن ذاكرتهم الواعية لم تكن أقل درجة من عرب ما قبل الإسلام ، إلا أنَّهُ مع شيوع الكتابة أثناء حياة النبي ﷺ لم يعد هناك اعتماد كامل على الذاكرة ، وبَدَأَ الناسُ في فترة ما بعد الإسلام في توظيف الكتابة بصورة أكبر من ذي قبل ، ومن ثَمَّ أصبحت مَلَكَةُ الحِفْظِ عندهم أقل مما كانت عند آبائهم إلا ؛ أنهم كانوا لا يَزالونَ جزءاً من ذلك العصر ، هذا فضلا عن أنهم كانوا بسطاء وأصلهم بدوي فكانت ذاكرتهم أقوى من ذاكرة أي جنس آخر في العالم .

وعلى الرغم من ثقتهم في ذاكرتهم القوية والاعتماد الكامل عليها فلم يعيروا الكتابة اهتماماً ، ولقد رأينا وَضْعَ الكتابة قبل ظهورِ الإسلام ، وأنه تم وضعها بعد ظهور الإسلام ، ورأينا الاهتمام الذي أعطاه النبي ﷺ لها في الحقبة الأولى من الإسلام .

ومن تلك الفترة فصاعدا تقدم فَنُّ الكتابة باستمرار ، وكان هذا الفن يستخدم بصفة خاصة في الأغراض الدينية والدنيوية ، في حين استمرت الذاكرة تلعب دورا هاما في حفظِ ونقلِ الحديث ، فلم تكن أبداً الوسيلة الوحيدة في رصد المعرفة ، وفي فترة تسجيل الحديث استخدمت الكتابة جنباً إلى حنب مع الذاكرة .

ومع انتشار الإسلام حظيت الكتابة باهتمام كبير ، فَمَع بداية نزول الوصي على النبي ﷺ كان أول اهتمامه : القراءة ، والكتابة [١] وأول آية بعد الهجره طلبت من المسلمين أن يكتبوا كافة صفقاتهم سواءاً كانت صغيرة أو كبيره بالمداد الأبيض والأسود [٢] .

ووجد الكثير من الإشارات في القرآن فيما يتعلق بالكتابة وفوائدها ، وهناك ذكرٌ كثير **لكتاب** [٣] ، **وكتابة عموماً** [٤] ، **وقرطاس** [٥] ، **وقلم** [٦] **ومداد** [٧] ، **وصحف** [٨] ، وما أشبه ذلك في القرآن الكريم .

---

(١) « أقرأ باسم ربك الذي خلق ، خلق الإنسان من علق اقرأ وربك الأكرم الذي علم بالقلم علم الإنسان ما لم يعلم » العلق (١ - ٥) .

(٢) « وإن كنتم على سفر ، ولم تجدوا كاتبا فرهان مقبوضة » البقرة (٢٨٣) .

(٣) انظر لفظ (كتاب) في القرآن الكريم (٣ : ٢٣) ، والكتاب (٦ : ١٥٧) ، والكتب (٣٤ : ٤٤) ، مكتوب (٧ : ١٥٧) .

(٤) انظر « كَتَبَ » في القرآن الكريم (٩ : ٥١) ، كُتب (٢ : ١٧٨) ، يكتب (٤ : ٨١) ، يكتبون (١٠ : ٢١) ، كتب (٧ : ١٥٦) ، كاتب (٢ : ٢٨٢) .

(٥) انظر (قرطاس) في القرآن الكريم (٦ : ٧) ، قراطيس (٦ : ٩١) .

(٦) انظر (قلم) في القرآن الكريم (٦٨ : ١) ، (٩٦ : ٤) ، أقلام (٣١: ٢٧) .

(٧) انظر (مداد في القرآن الكريم (١٨ : ١٠٩) .

(٨) انظر (صحف) في القرآن الكريم (٨٠ : ١٣) ، صحفاً (٩٨ : ٢) ، الصحف (١٨ : ١٠) .

فذكرُ هذه العناصرِ وتضمنها قائمةً طويلةً من أدواتِ الكتابة ، والتأكيدُ على الكتابةِ حتى في الصفقات التجارية الصغيرة ؛ أعطى العربَ قُوَّةً دافعةً لتسجيلِ كافةِ أحاديث النبي ﷺ ، وأوصى النبي ﷺ بصورةٍ مباشرة ، وغير مباشرة باستخدامِ الكتابة ، وأعطى أوامره الواضحة للأثرياء في كتابة الوصية ، حيث قال : « ما من مسلم يملك مالا ويحدده بوصيةٍ موجبة ، فَلَنْ يُقْبَل منه أن يمرَّ ثلاث ليال دون كتابتها [1] » .

ولهذا نرى أن كلا الوسيلتين تم استعمالهما في حفظِ المعلوماتِ ، ألا وهما : الذاكرة ، والكتابة ، وكلاهما كانا متوافرين للمجتمع المسلم الفتي ، ليحفظَ سُنَّةَ النبي ﷺ .

أما عن الذاكرة فقد وَهَبَ اللّه العربَ ذاكرةً « حافظة واعية » فاستطاعوا أن يحفظوا آلاف الآحاديث عن ظهر قلب .

أما بالنسبة للكتابةِ فَقَدْ أوصى بها القرآنُ الكريم ، والنبيُّ ﷺ ، وفي ظلٍّ هذه الظروف ، فكلا المصدرين استخدما لحفظ السنة ، وبعض الصحابةِ الذين عَرَفوا الكتابة قد كتبوا الأحاديث في الصحيفة ، في حين حُفِظَت أحاديث أخرى عن ظهرِ قلب .

وفي السنوات الأخيرة أصبحت الكتابة والذاكرة سابقة لوجهات النظر ، متعارضةً فيما يتعلق بكتابة الأحاديث ، وهذا موضوع الفقرة التالية .

(أ) الجدل حول الذاكرة والكتابة :

لقد دار جدل طويل بين علماء الحديث حول تقييد أحاديث النبي ﷺ ، وهل تم ذلك مشافهةً وحفظاً ، أم كتابةً وتسجيلاً ؟ !

---

(١) طبقات ابن سعد (٤ : ١ : ١٠٨) .

إن وجهات النظر المتباينة منها كان يرى أن كتابة الحديث كانت الوسيلة التي دونت بها الأحاديث ، بينما البعض يعارض ذلك ، وكلٌ تمسك بوجهة نظره ، وفند حُجج الآخر .

فمعارضو الكتابة اعتبروا الذاكرة أصدق المصادر في حفظِ المعلومات ، واعتقدوا أن الرجل عندما يكتب شيئا بالمداد الأسود والأبيض يعتمد بشدة على المادة المكتوبة ، ولا يتذكر هذا الشيء ، وبهذه الطريقة يفشل الغرض من الكتابة .

ومن وجهة أخرى فعندما يحرم من الكتابة يضطر أن يحفظ هذه المعلومات عن ظهر قلب .

ويعتقدون أن غياب الكتب شَحَذَ الذاكرة الواعية للمرء ، ولهذا يعتبرون الذاكرة آمن الوسائل في حفظ المعلومات ، ولهذا أوصوا بها لحفظِ الحديث [(١)] ، أما بالنسبة للكتابة كوسيلة لحفظ الحديث فلم يوافقوا عليها .

وفي معارضة الكتابة حذر « ابن سيرين » المتوفى سنة ١١٠ هـ ، قائلا : « احترس من الكتابة لأن الأجيال السابقة ضلت الطريق بسبب الكتب [(٢)] » .

ويعلق « محمد بن عون » المتوفى سنة ١٥١ هـ فيقول : « هذه الكتب تقود الناس إلى الضلال [(٣)] » .

أما أحد معاصريه : « الأوزاعي » المتوفى سنة ١٥٧ هـ فيقال أنه كان له نفس الموقف بالنسبة للكتابة حيث قال : « عندما تصل المعرفة إلى الكتب تفقد نورها [(٤)] » .

---

(١) تقييد العلم (٥٨) .
(٢) طبقات ابن سعد (٧ : ١ : ١٤١) .
(٣) الموضع السابق) .
(٤) جامع بيان العلم (١: ٦٨) ، سنن الدارمي (١ : ١٢) ، تقييد العلم (٦٤) .

أما إبراهيم النخعي المتوفى سنة ٩٦ هـ فقد قال : إنه لم يسبق له كتابة أي شيء [١] و يعطينا مبررات لعدم موافقته على مبدأ الكتابة فيقول : « إنه قلَّ ما كتب انسانٌ كتاباً إلا أتكل عليه ، وقلَّ ما طلب إنسان علماً إلا آتاه الله منه ما يكفيه [٢] » .

ونقل الجاحظ عن رجل قال ليونس بن حبيب :

« إن الكتب من أسوأ أوعية المعرفة [٣] » .

ومن جهة أخرى فإنَّ الموافقين يؤكدون على أن الكتابة تتفوق على الذاكرة .

فهذا أبو قلابة المتوفى (١٠٤) هـ) ، يقول :

« الكتاب أحب إليَّ من النسيان [٤] » .

وكان مع ابن عباس (م = ٦٨ هـ) ألواحاً يكتب فيها ، وكان يقول :

« قيدوا العلم ، وتقييده كتابه [٥] » .

وقال :

« خير ما قيد به العلم الكتاب [٦] » .

وتتضح أهمية الكتاب أيضاً من نَقْلِ تَفْسِيرِ السُّوَرِ القرآنيةَ ذات الصلة

---

(١) طبقات ابن سعد (٦ : ١٨٩) ، المحدث الفاصل (٣٦ ب) .

(٢) طبقات ابن سعد . الموضع السابق .

(٣) الحيوان (١ : ٦١) .

(٤) جامع بيان العلم (١ : ٧٢) ، وتقييد العلم (١٠٣) .

(٥) تقييد العلم (٩٢) .

(٦) المصدر السابق .

الوثيقة بالكتابة ، ويعلق الطبري في معرض تفسيره للآية القرآنية « **وكانَ تَحْتَهُ كَنْزٌ لَهُمَا** [١] ». بأنَّ كلمة « الكنز » - طبقاً لآراء بعض المفسرين تشيرفي هذه الآية إلى ، صُحفٍ فيها علم مُدَوَّنٌ [٢] .

أما أبو الدرداء المتوفى (سنة ٣١ / ٣٢ هـ) فقد فَسَّرَ الآية بحديث عن النبي ﷺ ، قال :

« صحف علم خبأها لهما أبوهما [٣] » .

وأيد ابن عباس وجهة النظر هذه عندما قال : إنَّ الكَنْزَ لا يشير إلى الذَّهَبِ أو الفضة ، بل إلى كنز المعرفة [٤] .

وتعليقا على تفسير ابن عباس ، يقول الحسن بن صالح (المتوفى سنة ١٦٩ هـ) : « أي كنز أفضل من العلم ! [٥] » .

وبتفسير كلمة كَنز بمعنى معرفة مكتوبة ، وعلم مدون ، يوضح أن أهمية الكتابة كانت موضع اهتمام القرآن الكريم ، وتُوجد بالفعل سور عديدة في القرآن لم تجز الكتابة فحسب ؛ بل أوصى باستخدامها في معاملات الحياة اليومية ، ومن الآيات التي أوضحت أهمية وضرورة الكتابة :

أ - « يا أيها الذينَ آمنوا إِذا تَدايَنْتُم بدَيْنٍ إلى أَجَلٍ مسمى فاكتبوه وليكتب بينكم كاتب بالعدل » { سورة البقرة - الآية (٢٨٢) } .

---

(١) القرآن الكريم (١٨ : ٨٣) .

(٢) تقييد العلم ، ص (١١٧) .

(٣) تقييد العلم ، ص (١١٧) .

(٤) الموضع السابق حيث قال : « صحف علم » .

(٥) تقييد العلم (١١٨) .

ب - وعندما اتهم اليهود اللّه سبحانه وتعالى بجعلهم يتجنبون البنات فند اللّه سبحانه وتعالى ادعاءاتهم الكاذبة وقال : « فَأْتوا بكتابكم إن كنتم صادقين » { سورة الصافات - الآية (١٥٧) } .

جـ - وعندما أنكر اليهود نزول الوحي بكتاب من السماء على النبي ﷺ ، يقول القرآن : « وما قدروا اللّه حق قدره إذ قالوا ما أنزل اللّه على بشر من شيء ، قل من أنزل الكتاب الذى جاء به موسي نورا وهدى للناس تجعلونه قراطيس تبدونها وتخفون كثيرا » { سورة الأنعام - الآية (٩٢) } .

د - وفي معرض دَحْضِ اللّه سبحانه وتعالى لادعائهم بأن له شريك سألهم اللّه أن يأتوا بدليل « فأتْواْ بكتابكم إن كنتم صادقين { سورة الصافات - الآية (١٥٧) } ومن هنا نجد أن أهمية الكتابة كان معترفا بها بشهادة القرآن والرسول ﷺ ، والنبي ﷺ لم يشجع استخدام الكتابة فحسب ، ولكن استخدمها بنفسه في الأغراض السياسية ، والدينية ، وحذا الصحابة المتعلمون والتابعون حذو النبي ﷺ ، فسجلوا أحاديثه في « **الصحيفة** » .

- ومع أن الفاروق عمر كان يوصف بأنه واحدا من أَشَدِّ المعارضين لكتابة الحديث ، وحرق كل السجلات المكتوبة الموجودة في ذلك الوقت المتعلقةَ بالأحاديث ، إلا أننا وَجَدْنا نصوصاً جديدةً تبين اتجاهه المؤيد للكتابة ، وقصة اهتمامه بجمع مجموعة الأحاديث معروفة وموثقة ، وليس هناك سبب محدد عن تفكيره في البداية بجمع الأحاديث ثم تخليه عن هذه الفكرة ككل [١] .

ولا يمكن من هذه الرواية أن نستنتج أنَّ الفاروق عمر لم يكن راغبا في تسجيلِ الأحَاديث والاحْتِفَاظِ بها في كُتبٍ ، وإذا وضعنا نُصْبَ أعيننا

(١) طبقات ابن سعد (٣ : ١ : ٢٠٦) ، كتاب العلم لأبي خيثمة زهير بن حرب (مخطوط) ، لوحة (٤ أ) .

غيرته الدينية ، واهتمامه الشديد بالمسائل التشريعية نخرج بنتيجة متناقضة .

ويبدو أن هذا الكم الهائل من الأحاديث أثناء فترة خلافته كان سيعرض نقاء النص القرآني للخطر ، وخشي الفاروق عمر من أنَّ مجموعة الأحاديث ربما تدخل في صراعٍ مع النص القرآني ، ولهذا حظر تدوين الحديث بطريقة رسمية ، وعليه فرغم رغبته في حفظ الأحاديث في كتب لم يستطع أن يفعل ذلك باهتمام أوسع ، وعلى مستوى المجتمع ككل .

أما عن تأييده لكتابه الحديث فواضح من مقولة يقول فيها :

« قيدوا العلم بالكتاب [١] » .

ونصيحته بجمع **العلم** = (الأحاديث) ، وتعود أن ينقل **الأحاديث** بنفسه عن النبي ﷺ في كتبه الرسمية [٢] ، وجمع الوثائق الخاصة بالزكاة والخراج والمسائل المالية الأخرى [٣] ، وهو نفسه الذي أدخل نظام الدواوين في الأعمال الرسمية [٤] .

وكل هذه الحقائق تبين أنه لم يكن ضد كتابة الحديث ، أما عن سبب عدم جمعه للأحاديث فظاهر في حرصه الزائد تجاه القرآن، ولكي يحافظ على نقاء النص القرآني لم يرغب في إضفاء الصيغة المادية على السنة ويكتبها .

---

(١) جامع بيان العلم (١ : ٧٢) ، سنن الدارمي (١ : ١٢٧) ، تقييد العلم (٨٨) ، المحدث الفاصل (مخطوط) ، لوحة (٣٦ أ) .

(٢) صحيح البخاري (٤ : ٨٢ - ٨٣) في كتاب اللباس ، وسنن ابن ماجة (٢ : ١٦٦) ، والأموال (٣٦٢ - ٣٦٣ ، ٣٦٦) ، وغيرها .

(٣) سنن أبي داود (٢ : ١٣٣ - ١٣٤) ، في الزكاة ، الحديث رقم (١٥٧٠) ، كتاب الأموال (٣٦٢ - ٣٦٣ - ٣٦٦) .

(٤) طبقات ابن سعد (٣ : ٢ : ٢٠٢ - ٢٠٣) .

بالإضافة إلى الفاروق عمر ، اعتقد صحابةٌ آخرون في تفضيل الكتابة على الذاكرة ، أما الإمام علي بن أبي طالب – رضي الله عنه – فقد كان بحوزته **صحيفة** مكتوبة فيها بعض **الأحاديث** التشريعية ، وشجع على كتابة الأحاديث ، ونَصَحَ النَّاسَ بإنفاق أموالهم على شراء موادّ الكتابة [١] ليحفظوا الأحاديث فيها [٢] .

وتأثر بدعوته هذه الحارث بن عبد الله الأعور (المتوفى سنة ٦٥ هـ) فقام بشراء بعض الصحف ودوّن فيها بعض الأحاديث [٣] .

وحذا الحسن بن علي (المتوفى سنة ٥٠ هـ) حذو أبيه ، ونَصَحَ أبناءه وأبناء أخيه الحسين أنْ يَحفظوا العلم (**الحديث**) بشكلٍ مكتوب ، وأن يخصصوا سجلا دائما لذلك في بيوتهم [٤] .

أما ابن عباس (المتوفى سنة ٦٨ هـ) والذي يعدّ من أعظم مؤيدي كتابة

---

(١) تقييد العلم (٩٠ – ٩١) ، حيث روي عن الإمام علي قوله : « قيدوا العلم بالكتاب » ، وقوله : « من يشتر مني علماً بدرهم » ، قال أبو خيثمه أي : « يشتري صحيفة بدرهم يكتب فيها العلم » . (المترجم) .

وانظر أيضاً : طبقات ابن سعد (٦ : ١١٦) ، والمحدث الفاصل لوحة (٣٥ أ) من النسخة المخطوطة .

(٢) تقييد العلم (٩٠ – ٩١) ، والمحدث الفاصل (٣٥ أ) .

(٣) طبقات ابن سعد (٦ : ١١٦) .

وفي تقييد العلم ، ص (٩٠) روى الحارث عن الإمام علي أنه قال : « من يشتري مني علماً بدرهم » ، قال : « فذهبت فاشتريت صحفاً بدرهم ثم جئت بها » . (المترجم) .

(٤) سنن الدارمي (١ : ١٢٦) ، وجامع بيان العلم (١ : ٨٣) ، وتقييد العلم (٩١) .

الحديث ، فقد اعتادَ أن يَحْمِلَ معه ألواحا مكتوبة ، وأثر عنه قوله :

« قيدوا العلم بالكتاب (١) » .

وقوله :

« خير ما قيد به العلم : الكتاب (٢) » . وشجع تلاميذه على شراء مواد الكتابة ليحفظوا الأحاديث فيها (٣) .

أما أنس بن مالك (المتوفى سنة ٩٣ هـ) فكان يعتقد اعتقاداً جازما بأنّ الكتابه أفضل بكثير من الذاكرة ، واعتاد أن يقول :

« كنا لا نعد علم من لم يكتب علمه علماً (٤) » .

ويذكر أنه ذات مرة عندما سمع حديثا هاما من النبي ﷺ طَلَبَ مِنْ أُبنائِه أن يُدَوِّنوه (٥) .

وأعطى تعليمات عامة لأبنائه ليحفظوا المعرفة في كتب « قَيِّدُوا العِلْمَ بالكتاب (٦) » .

ومن الجدير بالذكر أن نُشِيرَ إلى أنّ كلمة معرفة (علم) في المقولات السابقة استخدمت بمعنى أحاديث النبي ﷺ ، لا بالمعنى الحرفي لها .

---

(١) كتاب العلم لأبي خيثمة لوحة (١١ ب) ، وتقييد العلم (٩٢) .

(٢) تقييد العلم (٩٢) . (٣) تقييد العلم (٩٢) .

(٤) تقييد العلم (٩٦) ، وينسب نفس القول لمعاوية بن قرة المتوفي (١١٣) هـ ، كما في جامع بيان العلم » ، ص (١ : ٧٤) ، وتقييد العلم (١٠٩) .

(٥) تقييد العلم (٩٦) .

(٦) تقييد العلم (٩٦ - ٩٧) ، وجامع بيان العلم (١ : ٧٣) ، وطبقات ابن سعد (٧ : ١ : ١٤) .

- ويحتفظ الأغانى برواية طريفه عن « ذي الرمة » ، فيما يختص بالكتابة والذاكرة . فيذكر أن « ذا الرمة » (المتوفى سنة ١١٧ هـ) سُئل ذات مره « أيٌ هذين التعبيرين صحيح في الهجاء :

١ - عزيراً بن الله ، أو :

٢ - عزير بن الله » ؟

وأجاب « ذو الرمة » بأن الكلمة التي تحتوي على حروف أكثر هي الصحيحة ، أي العباره الأولى ، وحينئذ سأله السائل عما إذا كان يعرف فن الكتابة (حيث يستطيع بها أن يحسب عدد الحروف التي تحتويها كل عبارة) . وعند سماع ذو الرمة هذا وضع أصبعه على فمه ، وقال : « على الرغم من معرفتي بالكتابة إلا أنني سأخفي هذه الحقيقة في هذه اللحظة ، لأننا سنعتبرها مسألة غير ذات أهمية بيننا (١) » .

إنَّ المقوله السابقه تبين بوضوح أن الصراع بين الكتابه والذاكرة لا يزال على أشده في عصر « ذي الرمة » ، مع أنه يبدو من هذا النص أن الرأي العام في ذلك الوقت كان مؤيداً للذاكرة .

ومن الواضح أيضاً أنَّ ضرورة الكتابة كانت موضع اعتراف من العلماء الذين اعتادوا أن يكتبوا ولو سرا و « ذو الرمة » نفسه الذي حاولَ أن يخفي في النص السابق معرفته بفن الكتابة ؛ ففي نص آخر يعبر عن كراهته للذين يعتمدون على الذاكرة ، ويقول لعيسى بن عمر :

اكتب شعري ، فالكتاب أعجب إليَّ من الحفظ (٢) » .

---

(١) الأغاني طبعة بولاق (١٦ : ١٢١) .

(٢) تقييد العلم (١١٩) ، وبقية الخبر قول ذي الرمة : « إن الأعرابي ينسى الكلمة قد سهرت في طلبها ليلة ، فيضع فى موقعها كلمة في وزنها ، ثم ينشده الناس ، والكتاب لا ينسى ، ولا يبدل كلاماً بكلام » . (المترجم) .

وانظر أيضاً : GuillAuvme , The Tradition of Islam الصفحة رقم (١٦) ، وكتاب الحيوان للجاحظ (١ : ٤١) .

وهذه أيضا وجهه نظرَ لآخر الشعراء المخضرمين من شعراء الجزيرة العربية .

أما إذا نظرنا إلى آراء أهل الحديث بخصوص الكتابه والذاكرة فيقول ابن جريج (المتوفى سنة ١٥٠ هـ) :

« اكتب ، فما قيد العلم بشيء ، مثل الكتاب [١] » .

وعلى سبيل المثال أيضاً روى معتمرين سليمان (المتوفى سنة ١٨٧ هـ) أن أباه كتب له :

« اشتر الكتب ، واكتب العلم ، فإن المال يذهب ، والعلم يبقى [٢] » .

أما الجاحظ الذي يعتبر واحداً من أعظم محبي الكتب فقد برهن على علّو شأن الكتابة عن الحفظ بالاستشهاد بالقصة القرآنية الخاصة بسليمان وملكة سبأ والتي ذكر فيها كلمات **كتاب** ، رسالة ، وعلم مراراً وتكرارا ، وذُكِرَ أيضاً في ، القرآن الكريم أنه قد تم تبادل الخطابات بين سليمان وأهل سبأ[٣] .

ومن كل هذا يستنتج الجاحظ أن الكتابة أفضل من الرسائل الشفهية وأدلى الجاحظ بدلوه في أهمية الكتابة وتفوقها على الذاكرة [٤] حين قال : « إذ لم تصنف وتجمع الكتب ، فستبطل المعرفة وتتعرض للضياع ،

---

(١) تقييد العلم (١١٢ - ١١٣) .

(٢) تقييد العلم (١١٢) ، وجامع بيان العلم (١ : ٥٨) ، والمحدث الفاصل (٣٥ ب) .

(٣) يقول القرآن الكريم « اذهب بكتابي هذا فَألْقه إليهم ، ثم تول عنهم فأنظر ماذا يرجعون ، قالت يأيها الملأ إني ألقى إلى كتاب كَريم إنه من سليمان وإنه بسم الله الرحمن الرحيم » القرآن الكريم (٢٧ : ٢٨ - ٣٠) .

(٤) الحيوان : (١ : ٩٧) .

وستتغلب ملكة النسيان على ملكة الحفظ [١] » ، واستشهد بهذه الصفة في كتابة « الحيوان » الذي بين فيه أيضاً أهمية الكتابة حين قال : « اللوح الأسود أفضل من اللوح الأبيض [٢] » .

أما ابن الصلاح (المتوفى سنة ٦٤٣ هـ) فيعتبر الكتب من أفضل الأوعية في حفظ المعرفة ، ويشير إلى جمع الحديث ويقول : « إذا لم تجمع الأحاديث في كتب ستضيع [٣] » .

ب - المؤيدون والمعارضون لكتابة الحديث :

إنَّ قضية تفوق الحفظ على الكتابة أو العكس ظلّت قضية قائمة وبدون حل لفترة طويلة ، وكانت موضعا لنقاش طويل مع نهاية القرن الأول من الهجرة ، والآراء المتضاربة في تأييد أو مناهضة الكتابة والحفظ تمثل وجهات نظر لفريقين متنافسين من علماء الحديث في الحقبة الإسلامية الأولى ، ويمكن أن تقسم هؤلاء العلماء إلى مجموعتين :

مجموعة مؤيدة لكتابة الحديث ، ومجموعة رافضة لذلك ، على الرغم من أن الأغلبية كانت هي المؤيدة لكتابة الحديث في بعض مراحل حياتهم .

وهؤلاء الذين رفضوا تدوين الحديث إما انتقلوا بعد ذلك إلى الجناح المؤيد للكتابة وذلك في أواخر حياتهم ، وإما ندموا لعدم كتابتهم الحديث

---

(١) الحيوان (١ : ٤٧) .

(٢) الحيوان (١ : ٥٨) .

(٣) Robson , TRADITION , the second Foundation of Islam , Muslim World XLI : I (January , 1951) P : 26 .

وانظر علوم الحديث لابن الصلاح ، طبعة حلب (١٣٥٠ هـ) = (١٩٣١) م . ص (٧١) .

في بداية حياتهم ، ومع هذا فقد ظلت فئة قليلة معارضة لكتابة الحديث حتى نهاية حياتهم لأنهم كانوا مقتنعين بوجهة نظرهم بأنهم إذا أقدموا على هذا سيهدموا ما تم كتابته بالفعل (١) ، بيد أن كل هذا حدث بدافع من الإخلاص الكامل للعقيدة ، ومن بين هذه المجموعة قام بعض علماء الحديث إما بالتخلص ، من المجموعات المكتوبة بأنفسهم أو تركوا وصية لأبنائهم ليدفنوا أو يحرقوا هذه الكنوز المكتوبة .

وبعض أئمة الحديث كتبوا الأحاديث بغرض الحفظ وهؤلاء العلماء تخلصوا أيضاً من المجموعات المكتوبة بعد أن أصبحوا من مؤيدي الحفظ . ولأن هؤلاء العلماء كتبوا بالفعل الأحاديث فهم لا يعدون معارضين لكتابة الحديث .

ولهذا فعلماء الحديث يمكن تقسيمهم إلى فئتين كبيرتين :

الأولى : المعارضون لكتابة الحديث :

إن هذه المجموعة من العلماء عارضوا كتابة الحديث ، وفضلوا النقل الشفهي للحديث فقط ، ومع مرور الزمن فإنّ عدد هؤلاء العلماء أخذ يتناقص بسبب انتقالهم التدريجي للمعسكر المنافس من المؤيدين .

الثانية : المؤيدون لكتابة الحديث :

أما المجموعة الثانية التي فَضّلت الكتابة على الذاكرة فقد تبنت فكرة تدوين الحديث ، وبدأ عدد من علماء هذه المجموعة يتزايد باستمرار ، وذلك لأنّ العلماء كانوا - بعد ذلك - يؤيدون وجهة نظر هذه المجموعة بعد إدراك أهمية الكتابة .

---

(١) HISTORICAL SOURCES , (114 - 115)

فالعلماء الذين فضلوا كتابة الحديث عن الحفظ ، والعلماء الذين لم يمارسوا كتابة الحديث بطريقة عملية وندموا لعدم قيامهم بذلك ولهذا انضموا في آخريات حياتهم إلى هذه المجموعة .

ونحن نجد أن قائمة المؤيدين ضمت في ثناياها فئة وجدت أسماؤها مع المجموعتين ، ويرجع هذا إلى حقيقة المقولات المتناقضة التي وصلت إلينا عن آرائهم .

ولنأخذ مثالا لذلك ، فعلماء مثل سعيد بن جبير (المتوفى سنة ٩٤ هـ) وسعيد بن المسيب (المتوفى سنة ٩٤ هـ) وعامر بن شراحيل الشعبي (المتوفى سنة ١٠٥ هـ) ، كانوا يعدون من معارضي كتابه الحديث حسب رواية : ابن سعد [١] ، والخطيب البغدادي [٢] ، وابن عبد البر [٣] ، وطاش كبرى زادة [٤] بصفة خاصة ، بينما يعتبرهم أخرون من مؤيدي كتابة الحديث [٥] .

ويُحكى عن سعيد بن جبيرأنه دَوَّنَ الحديث عن ابن عباس ، وذكر أنه كان معنياً بكتابة الحديث لدرجه أنه أثناء رحلة له سَمَع بعض الأحاديث من ابن عباس ، وابن عمر ، واعتاد أن يدونها وهو على واسطة رحله ، في طريقه إلى البيت الحرام . وينقلها في مذكراته بعد ذلك [٦] .

(١) طبقات ابن سعد (٦ : ١٧٩)
(٢) تقييد العلم (٢٠)
(٣) جامع بيان العلم (١ : ٧٦)
(٤) سفر السعادة (٢ : ٢٣٣)
(٥) طبقات ابن سعد (٦ : ١٧٩) ، تقييد العلم (١٠٠ ، ١٠٣) ، جامع بيان العلم (١ : ٧٢) ، علوم الحديث لابن الصلاح (٤٣) ، بحوث في تاريخ السنة المشرفة (١٤٨) .
(٦) المحدث الفاصل (٧٧ ب) ، طبقات ابن سعد (٦ : ١٧٩) ، تقييد العلم (١٠٣) ، جامع بيان العلم (١ : ٧٢) .

وفي نص آخر ذُكِرَ أنَّهُ قال : كنت أكتب عند ابن عباس مايمليه في كراستي ، وعلى سعف النخل ، بل وحتى على حذائه [في ألواحي ، في صحيفتي ، وفي سُعف النخيل وفي نعلي ، وفي ظهر نعلي] (١) .

وهو نفسه لم يعترض عندما كتب تلاميذه الأحاديث عنه (٢) ، وهذا في حد ذاته دليل على اتجاهه المؤيد للكتابة .

وأما عامر الشّعْبي فكان واحداً من المهتمين الأوائل بجمع الكتب وذكر أنه كان لديه « **كتاب الفرائض** » (٣) ، « **كتاب الجراحات** » (٤) ، وأعمال « **المغازي** » (٥) وعدد من الوثائق القليلة **لأحاديث** خاصة بالمسائل التشريعة (٦) ، وعليه فذكر اسمه ضمن معارضي كتابة الحديث يعد رؤية خاطئة فلقد كان في منتهى الحرص على الاحتفاظ بسجلات مكتوبة للأحاديث لدرجة أنه طلب من تلاميذه أن يدوِّنوا كل شيء يسمعونه ، فإذا لم تتوافر لهم مادة الكتابة فليدونوا على الحائط (٧) .

أما « سعيد بن المسيّب » « والضحاك بن مزاحم » فقد كانا من المؤيدين المتحمسين (٨) لكتابة الحديث وليسا من المعارضين ، وقد ذُكِرَ عن

(١) طبقات ابن سعد (٦ : ١٧٩) ، وتقييد العلم (١٠٢) ، والمحدث الفاصل لوحة (٣٥ ب) .

(٢) تقييد العلم (١٠٣) .

(٣) تهذيب التهذيب (٩ : ١٧٧) ، وتاريخ بغداد (١٢ : ٢٣٢)

(٤) تاريخ بغداد (١٢ : ٢٣٢) .

(٥) تهذيب التهذيب (١٠ : ٤٠) ، الجرح والتعديل للرازي (٤ : ١ : ٣٦١) ، تاريخ بغداد (١٢ : ٢٣٠) .

(٦) الكفاية (٣٨٦) .

(٧) طبقات ابن سعد (٦ : ١٧٤) ، والمحدث الفاصل (٣٦ ب) .

(٨) بحوث في تاريخ السنة المشرفة ص (١٤٨) ، وجامع بيان العلم (١ : ٧٢)

الضحاك بن مزاحم أنه قال : « عندما أسمع شيئا أكتبه حتى ولو على الحائط » [١] ، وكتب تفسيراً للقرآن [٢] ، كما كتب كتابا عن المناسك لحسين بن عقيل [٣] .

وتوضح المقولة السابقة بما لا يدع مجالا للشك أنَّ أَهْلَ الحديث الذين ذكرناهم لم يكونوا من معارضي كتابة الحديث ، وينطبق هذا أيضا على أغلبية من أطلقنا عليهم : معارضي تدوين الحديث ، وبعد قراءة هذه النصوص المتضاربة عن وجهات نظر أهل الحديث بخصوص كتابة الحديث . يمكن أن نستنتج أن أحد النصوص غير صادقٍ ، أو أنَّ أئمة الحديث هؤلاء كانوا معارضين لكتابة الحديث في البداية ، ثم انتقلوا بعد ذلك إلى المجموعة المؤيدة لكتابة الحديث ، والاحتمال الثاني هو الأكثر مصداقية .

ومن بين المجموعة المؤيدة نجد أسماءً لعلماء ندموا في أواخر حياتهم لعدمِ تسجيلهم للحديث بالمداد الأسود والأبيض ، وإلى هذه الفئة تنتمي هذه الأسماء : عروة بن الزبير (المتوفى سنة ٩٤ هـ) ، ومنصور بن المعتمر (المتوفى سنة ١٣٢ هـ) [٤] .

ويذكر عن عروة بن الزبير أنه قال :

« كتبت **الحديث** ثم محوته ، فوددت أني فديته بمالي وولدي وأني لم أمحه » [٥] .

---

(١) جامع بيان العلم (١ : ٧٢)

(٢) الجرح والتعديل (١ : ٢ : ٣١٩) ، الفهرست (٥١) .

(٣) جامع بيان العلم (١ : ٧٢)

(٤) تقييد العلم (٦٠) ، جامع بيان العلم (١ : ٧٥) ، طبقات ابن سعد (٦ : ١٨٩)

(٥) المحدث الفاصل ، اللوحة (٣٥ ب) ، وتقييد العلم (٦٠) ، وجامع بيان العلم (١ : ٧٥)

ويعبر عروة بن الزبير عن خسارته بهذه الكلمات « إنني لم أكتب ولكني تعودت أن أحفظ » وأندم الآن على عدم الكتابة وحتى ولو كنت حفظت نصف ماسمعته فحسب [١] .

أما يحيى بن سعيد (المتوفى سنة ١٤٤ هـ) فيذكر عنه أنه كان يتحسر لعدم كتابته الأحاديث [٢] .

وفي نفس الوقت وجدنا في مجموعة المؤيدين الذين فضلوا الكتابة كوسيلة مساعدة للحفظ فقط أنهم استحسنوا الكتابة كوسيلة مساعدة للذاكرة ، وإلى هذه الفئة من أئمة الحديث ينتمي « مسروق بن الأجدع » [٤] (المتوفى سنة ٦٣ هـ) ، ومحمد بن سيرين [٥] (المتوفى سنة ١١٠ هـ) وخالد الحذاء [٦] (م : ١٤١) ، وعبد الرحمن بن حرملة [٧] (م - ١٤٥) وسفيان الثوري [٨] (م - ١٦١) ، وعاصم بن ضمرة [٩] (م - ١٧٤) ويبدو أن الأصل في هذه الممارسات يرجع إلى عصر النبي ﷺ لأننا وجدنا أحاديثا منوعة تجيز كتابة أحاديث النبي ﷺ بدعوى ضعف الذاكرة ، ولهذا فأبو هريرة (المتوفى سنة ٥٩ هـ) [١٠] ، وعبد الله بن عمرو بن العاص

---

(١) المحدث الفاصل اللوحة (٤٠ أ) ، وتقييد العلم (٦٠) .

(٢) تقييد العلم (١١١) ، وجامع بيان العلم (١ : ٧٤) .

(٣)

(٤) جامع بيان العلم (١ : ٦٦) ، وتقييد العلم (٥٨ - ٥٩)

(٥) طبقات ابن سعد (٧ : ١ : ١٤١) ، والمحدث الفاصل (٣٦ ب)

(٦) تقييد العلم (٥٩) ، وعلوم الحديث لابن الصلاح (٧٨)

(٧) تقييد العلم (٩٩) ، وجامع بيان العلم (١ : ٧٣) ، وتاريخ فارس (١ : ٢٧٣) ودراسات إسلامية لجولد تسيهر (٢ : ١٩٦ - ١٩٧)

(٨) سنن الدارمي (١ : ١٢٥) ، تقييد العلم (٥٨) ، وعلوم الحديث (٧٨)

(٩) تقييد العلم (٥٩) ، وعلوم الحديث (٧٨)

(١٠) طبقات ابن سعد (٤ : ٢ : ٥٦)

(المتوفى سنة ٦٥ هـ) [١] ، ورافع بن خديج [٢] (المتوفي سنة ٧٤هـ) والأنصاري [٣] الذي لم يعرف اسمه الأول ، وبعض الصحابة مجهولي الاسم [٤] ، وكل هؤلاء تقدموا بشكوى إلى النبي ﷺ بأنهم لا يملكون ذاكرة قوية ليتذكروا أقواله ، وطلبوا منه الاذن بتسجيلِ أقواله كِتَابَةً .

وليس معنى هذا أن التصريح بكتابة الحديث لا يُعطى إلا في حالة ضعف الذاكرة ، لأنَّنا رأينا في حالة « أبي شاة » اليمني الذي تلقى نصيحة النبي ﷺ كتابةً لم تطرح مسألة الذاكرة على الإطلاق ، فقد كان لهذا الرجل مطلباً متواضعاً هو أن يتلقى هذه النصيحة كتابة ، وأَمَرَ النبي ﷺ شخصا ما ليكتبها له [٥] .

ج - أصل منشأ الجدل حول الكتابة والذاكرة :

تثار هذه القضية بالشكل الآتي : متى بدأ الجدل حول الكتابة والذاكرة ؟

فطبقًا لرواية « GUiLLaume » فإنَّ هذا الجدل يعود إلى العصر الذي بدأ فيه « الجرح والتعديل » ، يأخذ مساره [٦] ويرى شبرنجر « Sprenger » أنَّ عام (٦٠) هـ هو التاريخ المحتمل لإثارة هذا الخلاف حول شرعية كتابة

---

(١) تأويل مختلف الحديث لابن قتيبة (٣٦٥) ، وسنن الدارمي (١ : ١٢٥) ، وجامع بيان العلم (١ : ٧٣) ، وطبقات ابن سعد (٧ : ٢ : ١٨٩) ، والمحدث الفاصل (٣٤ أ) = مخطوط .

(٢) تقييد العلم (٧٢) ، مجلة المنار (١٠ : ٧٦٣) ، والمحدث الفاصل (٣٥ أ)

(٣) تقييد العلم (٦٥ - ٦٧) ، صحيفة همام بن منبه لحميد الله (٢١ - ٢٢) ، والمحدث الفاصل (٣٥ أ)

(٤) تقييد العلم (٦٥ - ٦٦)

(٥) المحدث الفاصل مخطوط (٣٤ أ)

(٦) GuiLLaume : the TRADiTions oF isLam (17)

الحديث [١] ، ولكن أكثر الاحتمالات قبولاً هو أن منشأ هذا الخلاف يرجع إلى عَهْدِ خِلافة الفاروق عمر [٢] ، لأنه من أجل الحفاظ على نقاء القرآن الكريم منع تدوين الأحاديث ، بل وحرق بعض المحفوظات بعد صدور أمره هذا [٣] .

ومنع عمر اعطاء اهتمامات أكبر أثناء خلافته لجمع النصوص الحديثية حتى لا تشبه القرآن الكريم يشير ضمناً إلى أن الحديث كان قد كُتبَ عندما أصدر عمر أوامره بالمنع من جمعه كما جُمع القرآن الكريم ، وهذا أدى إلى الخلاف في الرأي بين الصحابة والتابعين :

(فبعضهم) تمسك بالأوامر الصادرة ، وتخلّى عن كتابة الحديث .

(وآخرون) استمروا في كتابة الحديث سراً مخالفين مخالفة تامةً الأوامر الرسمية .

وبهذه الطريقة أصبحت أوامر الفاروق عمر بالتخلي عن كتابة الحديث نقطة البداية في هذا الجدل .

أما بالنسبة لحفظِ الحديث لكونه ضرورة فلم يكن هنالك خلاف حول هذه القضية في ذلك الوقت لأن الفاروق عمر نفسه اتخذ خطوات عملية في الحفاظ على الحديث ، ونشر سُنَّة النبي ﷺ ولكن الخلاف الأساسي كان حول طريقة حفظه .

وفي أعقاب صدور هذه الأوامر ، تخلت فئة قليلة من الصحابة عن

---

(١) نشأة الكتابة ص (٣٨٠ - ٣٨١) بحث في جريدة البنغال الآسيوية لعام (١٨٥٦) .

(٢) تقييد العلم (٥٧) ، جامع بيان العلم (١ : ٦٤) ، مجلة المنار (١٠ : ٧٦٧)

(٣) طبقات ابن سعد (٥ : ١٤٠) ، وتقييد العلم (٥٢)

ممارسة كتابة الحديث ، ووجدنا قلة من الصحابة الذين تم وصفهم بأنهم ظلوا معارضين أقوياء لكتابة الحديث حتى نهاية حياتهم ، أما الأغلبية فبعضها التزم بالأوامر الصادرة لفترة قليلة والبعض الآخر لم يلتزم بتلك الأوامر أصلا ، وشغلوا أنفسهم بقراءة وتسجيل الحديث سرا .

وما يعجب له المرء أن عبد الله بن عمر (المتوفى سنة ٧٤ هـ) تخلى عن فكرة معارضة كتابة الحديث في أخريات حياته .

إن هذا الخلاف الذي نشأ في عَهْدِ الفاروق عمر ظَلّ قائماً لعدة قرون ، ونتيجة لهذا الخلاف وجدنا أسماء من المؤيدين والمعارضين لكتابة الحديث في القرون الثلاثة الأولى الهجرية ، بل وحتى في القرن الثالث الهجري فإن روزنثال « RosenThaL » يقول : « يبدو من المقبول أن كل فروع الأدب (بما في ذلك الأحاديث بالطبع) اعتمدت في حفظها على نصوص مكتوبة وثابتة » (١)

٧ - بين مؤيدي تدوين الحديث ومعارضيه :

بعد مناقشة قضية علو شأن الحفظ على كتابة الحديث ، أو العكس ، دعونا نلقِ نظرةً على النصوص المتضاربة المنسوبة إلى النبي ﷺ سواءاً كانت هذه النصوص مؤيدة لتدوين الأحاديث أم معارضة لتدوينها .
فالمجموعات التقليدية من الأحاديث تحتوي على أحاديث كثيرة أُذِنَ فيها النبي ﷺ بتدوين أقواله ، وفي نفس الوقت تحتوي على عدد ضخم من الأحاديث منع فيها النبي ﷺ كتابةَ الحديث ، وسوف نناقش هذه الأحاديث الآن لنشرح مدى وأسباب هذا التناقض .

(١) RosenThaL , FRanz ; the technique and APPROach of musLim scholarship . p (6) .

أ - نماذج من هذه الأمثلة :

ونحن في معرض حديثنا عن منع كتابة الحديث ، فقد نقل لنا أبو سعيد الخدري (المتوفى سنة ٧٤ هـ) قول النبي ﷺ :

« لاتكتبوا عني أي شيء سوى القرآن [١] ومن كتب عني شيئا (سمعه) عدا القرآن فليمحه » [٢] .

وفي حديث آخر ذكر أبو سعيد « أستأذنت النبي ﷺ أن يأذن لي بكتابة الحديث فأبى أن يأذن لي » [٣] .

وأعطى أبو هريرة (المتوفى سنة ٥٩ هـ) رواية أخرى حيث ذكر أن النبي ﷺ رآه ذات مرة ومعه أخرون يقرآون شيئا وباستفساره منهم عما يقرءونه ، ذكروا أنهم يقرأون أقوالاً سمعوها منه ، وعند ذلك منع النبي ﷺ عليهم كتابة هذه الأقوال [٤] .

وذكر زيد بن ثابت (المتوفى سنة ٤٥ هـ) حديثا آخر في المنع حيث روى أن النبي ﷺ لم يسمح بتدوين أقواله [٥] .

وفي مقابلة هذه الأحاديث وغيرها من الأحاديث التي تمنع الكتابة [٦]

---

(١) وفي رواية أخرى : عدا التشهد = (تقييد العلم : ٩٣) ، والرسائل (تقييد العلم : ٤٣)

(٢) سنن الدارمي (١ : ١١٩) ، وجامع بيان العلم (١ : ٦٣)

(٣) تقييد العلم (٣٢ - ٣٣) ، وسنن الدارمي (١ : ١١٩) ، جامع الترمذي (٥: ١٣٤) في كتاب العلم ، والمحدث الفاصل (٣٦ أ)

(٤) تقييد العلم (٣٣ - ٣٥)

(٥) جامع الترمذي (٥٤ : ١٣٤) في كتاب العلم .

(٦) تقييد العلم (٩٣) ، السنة ومكانتها للسباعي (٢٣٨)

فمؤيدو كتابة الحديث يستشهدون بأحاديث الرخصة في الكتابة ، حيث أعطى النبي ﷺ فيها تصريحاً بتدوين أقواله ﷺ وطبقاً لأحد الأحاديث المعروفة في هذا السياق حديث عبد الله بن عمرو بن العاص (المتوفى سنة ٦٥ هـ) في أنه سعى إلى التصريح بتدوين أحاديث النبي ﷺ التي قرأها بالنقل [(١)] .

ويذكر أيضا أنَّ رافع بن خديج (المتوفى سنة ٧٤ هـ) [(٢)] ، وأنس بن مالك (المتوفى سنة ٩١ هـ) [(٣)] حَصَلاً على تصريحٍ مماثل [(٤)] ، وكذلك أحد الصحابة من الأنصار الغير معروف اسمه [(٥)] ، وكذلك أشخاص آخرون لم تعرف أسماؤهم ، ويكثر عدد الأحاديث المصرح بها وخاصة مجموعة الأحاديث التقليدية ، والأحاديث التالية ربما تكون بمثابة أمثلة لذلك .

ففي معرض ردّ النبي ﷺ على كثيرٍ من الاستفسارات التي قدمت إليه في مناسبات مختلفة ذكر أنه قال : « احفظوا الحديث كتابة » { **قيدوا العلم بالكتاب** } [(٦)] .

---

(١) طبقات ابن سعد (٧ : ٢ : ١٨٩) ، جامع بيان العلم (١ : ٧٣) ، تقييد العلم (٦٨) ، والبيان والتبيين للجاحظ (٢ : ٤٢) ، ومجلة المنار للشيخ محمد رشيد رضا (١٠ : ٧٦٦) .

(٢) تقييد العلم (٧٢)

(٣) تقييد العلم (٦٩) ، والبيان والتبيين (٢ : ٤٢ ، ٣٩) .

(٤) تقييد العلم (٦٥ - ٦٨)

(٥) تقييد العلم (٦٥ - ٦٦)

(٦) تقييد العلم (٦٩ ، ٧٠ ، ٩٧) ، البيان والتبيين (٢ : ٤٢) ، جامع بيان العلم (١ : ٧٣) ، مجلة المنار لمنشئها محمد رشيد رضا (١٠ : ٧٦٣) ، تاريخ بغداد (١٠ : ٤٦) ، سنن الدارمي (١ : ١٢٦ - ١٢٧)

« استعن على الحفظ بيمينك » [(١)] ، يعني اكتب عني لأنه من لدن عليٍّ قدير وما يخرج من فمي إلا : الصدق » [(٢)] .

إن الأحاديث السابقة تعطينا أدلة مباشرة وغير مباشرة على موافقة النبي ﷺ على تسجيل أقواله ، ووجدت هذه الأحاديث جنبا إلى جنب مع الأحاديث التي تمنع الكتابة في مجموعة الأحاديث المعترف بها أو المقبولة .

ب - التوافق :

رأينا فيما سبق وجود نوعين من الآثار بالنسبة لتدوين الحديث :

(**أحدهما**) يسمح ، (**والآخر**) يمنع تدوين أي نص سوى القرآن الكريم ، ويبدو أن هناك تناقضاً بين هذه الآثار مما هيأ لمناقشة علمية منهجية حول هذه الأحاديث مع الطلاب المتخصصين في دراسة الحديث ، وَشَرَحَ علماء الحديث هذا التناقض بوسائل مختلفة سوف نوجزها فيما يلي:

* الحظر المؤقت ونظرية البطلان :

إن معظم المناقشات في توفيق تعارض الأحاديث دارت حول نظرية البطلان وخلاصتها :

كان المقصود - على وجه العموم - من كراهة النبي ﷺ كتابة الحديث في بادىء الأمر خشية أن يختلط بالسور القرآنية المسجلة [(٣)] ، وبعد مدة من الزمن

---

(١) جامع الترمذي (٥ : ١٣٤) في كتاب العلم .

(٢) تأويل مختلف الحديث (٣٦٥) ، سنن الدارمي (١ : ١٢٥) ، جامع بيان العلم (١ : ٧١) ، السنة ومكانتها للسباعي (٧٣) ، وتقييد العلم (٧٤ ، ٨٧ - ٨١)

(٣) الحديث والمحدثون (١٢٤) ، السنة قبل التدوين (٣٠٦) ، السنة ومكانتها (٧٢) ، تقييد العلم (٥٧ ، ٩٣)

وخاصة عندما زالَ خطر الإرتباك والتشويش ، سَمَحَ النبي ﷺ للصحابة بتدوين الأحاديث [١] ، وآثار منع تدوين الحديث لاتبين سبب ذلك ، ولكن ماذكر مجرد سبب ثانوي يمكن تفسيره بأن المنع كان سابقا في نشأنه جواز الكتابة لأقوال النبي ﷺ [٢] ، وعليه فحظر الكتابة كان مؤقتا ، ورفع هذا الحظر بجواز التدوين بعد ذلك ، والحديث الخاص بعزم النبي ﷺ على كتابة شيء ما وهو على فراش الموت [٣] يؤكد ويدعم هذه النظرية ، وبعد أن استشهد أبو زهو بهذه الحادثة ، ذكر أنها تبين بوضوح أن التصريح بتدوين الحديث يجب أن يلغي الحظر [٤] .

بيد أن الشيخ محمد رشيد رضا وأتباعه يرون أن الآثار التي منعت تدوين الأحاديث أحدث من الأخرى التي أجازت التدوين [٥] ، ووجهة نظر رشيد لم تجد التأييد الكافي ، ورفضها معظم أئمة الحديث ، بل وحتى تلميذه « الخولي » [٦] تحدى وجهة نظر أستاذه وقبل وجهة النظر التقليدية المؤيدة لتدوين الحديث والقائلة بأن الحظر سبق الجواز [٧] .

---

(١) الحديث والمحدثون (١٢٤) ، تأويل مختلف الحديث (٣٦٥ - ٣٦٦) ، علوم الحديث لابن الصلاح (٢٠ - ٢١) ، بحوث في تاريخ السنة المشرفة (١٤٥) ، السنة قبل التدوين (٣٠٦) .

(٢) FazLuR Rahman , IsLamic MeThoDoLogy HisToRY (36) . وبحوث في تاريخ السنة المشرفة (١٤٥) ، والسنة ومكانتها (٧٤)

(٣) تاريخ الطبري (١ : ١٨٠٦ - ١٨٠٧) ، وطبقات ابن سعد (٢ : ٢ : ٣٦ - ٣٨) ، وعلوم الحديث (٢٣) .

(٤) the Authevticity of the tradition LiteRATURE (52) .

(٥) مجلة المنار (١٠ : ٧٦٧)

(٦) محمد عبد العزيز الخولي في كتابه مفتاح السنة أو تاريخ فنون الحديث . (المترجم) .

(٧) بحوث في تاريخ السنة (١٤٥) ، السنة ومكانتها (٧٤) ، وفضل الرحمن في : isLAmic meThoDoLogy HisToRy (36)

وفنَّدَ السباعي أيضا آراء رشيد وقال : « إن أفكار رشيد من السهل دحضها بمجرد الإشارة إلى قول النبي ﷺ وهو على فراش الموت » (١) .

وعلاوة على نظرية البطلان التي ناقشناها فيما سبق فقد أعطيت تفسيرات أخرى لفهم البعض تناقض أحاديث النبي ﷺ فيما يتعلق بمسأله التدوين وسنناقشها هنا بالتفصيل :

** الحظر على فئة من الناس فحسب :

* مع أنَّ أمر حظر الكتابة قد تم صياغته في شكل مصطلحات عامة إلا أنه لا ينطبق إلا على بعض الصحابة فقط الذين كانوا إما قادرين على حفظ الأحاديث بطريقة جيدة ، أو أنهم لم يتدربوا بطريقة متقنة على فن الكتابة (٢) .

فالصحابة من أمثال عبد الله بن عمرو بن العاص ، وآخرين من الذين تمنوا تدوينَ أقوال النبي ﷺ كان مسموحاً لهم أن يفعلوا ذلك .

إن وجود صحف منسوبة لهؤلاء الصحابة مؤشر قوي لإثبات أنَّ أمْر حظر تدوين الأحاديث لم يطبق على هؤلاء الصحابة .

إنَّ تصريحَ النبي ﷺ بكتابة تعليماته ونصائحه « لأبي شاة » (٣) يبين أن كتابة الحديث لم يفرض عليها الحظر كلية ، إذاً فهذا التضارب لابد أن مرده يرجع إلى سبب محدد سنناقشه الآن .

يعلق ابن قتيبة (م - ٢٧٦) في معرض شرحه للتعارض الواضح بين

(١) The AuTheNticity of the TRADiTion LiTERAtuRe , (54) .
(٢) السنة قبل التدوين (٣٠٨)
(٣) المحدث الفاصل (٣٤ أ) ، جامع بيان العلم (١ : ٧٠) ، تقييد العلم (٨٦) السنة قبل التدوين (٣٠٨)

ماهو مصرح بكتابته من الأحاديث ، وبين المحظور ، بقوله : إن أمر المنع إما ألغى بالتصريح الأخير بالكتابة فكان آخر الأمرين ، أو أن هذا التصريح كان خاصاً بعبد الله بن عمرو بن العاص لأنه اعتادَ أن يكتبَ بالسريانية وبالعربية ، في حين كان الصحابة الآخرون باستثناء واحد أو اثنين على درجةٍ تؤهلهم للكتابة (١) ، وبمعنى آخر : أن هذا المنع لم يكن دائما ، ولا عاماً ومن جهة أخرى فالأحاديث المصرح بتدوينها تعطي انطباعاً بأن التصريح بالكتابة مُنِحَ لهؤلاء الذين شكوا من ضعف ذاكرتهم ، ولهذا فيمكن أن نستنتج أنَّ هؤلاء الذين استطاعوا حفظ أقوال النبي ﷺ في الذاكرة لم يكن مسموحاً لهم بالكتابة .

ومع أن هذه النتيجة من المتعذر الدفاع عنها على أساس أنَّ « أبا شاة » سُمِحَ له بالكتابة ، على الرغم من أنه لم يَشْكُ من ضَعْفِ ذاكرته .

*** * * حظر التدوين الرسمي :**

إنَّ تحريم النبي ﷺ لتدوين أقواله لا يبدو أنه يشير إلى التدوين بصفة عامة ، لأنه على الأقل كانت هناك فئة قليلة من الصحابة كتبوا بالفعل أقواله ﷺ ، ولكن هذا يعني منع الناس إلى حد ما من تخصيص سجل رسمي لأقواله ﷺ على غرار القرآن (٢) . وهذا يتضح من الأثر التالي :

{ لا تتخذوا للأحاديث كراريس ككراريس المصحف } (٣) .

وربما يرجع هذا الحظر على التدوين الرسمي أنه لا يوجد قاعدة محددة يمكن أن تتخذ أساساً لحفظ أحاديث النبي ﷺ ولكن الحقيقة أنه

---

(١) تأويل مختلف الحديث (٣٦٥ - ٣٦٦) ، تقييد العلم (٩)

(٢) The AuTheNticity of the TRADiTion LiTeRAtuRe , (54)

(٣) السنة ومكانتها (٧٤) ، وتقييد العلم (٤٧)

قلت : هذا الأثر منسوب للضحاك . (المترجم) .

بعيدا عن أي محاولة جماعية محددة لتقنين أقواله وأفعاله ﷺ فإنَّ الصحابة احتفظوا بأحاديث مكتوبة على الأقل لإطلاعهم الشخصي [١] .

*** * * حظر تسجيل القرآن والحديث على نفس الصحيفة :**

يعتقد أنَّ الحظر كان يشير إلى منع تدوين الحديث على نفس الصحيفة التي اعتادوا أن يدونوا عليها القرآن [٢] ، ويبدو أن هذا التفسير مقنعاً لأنه ذكر كلمة قرآن مرتين في نص منع كتابة الحديث [٣] وأكثر من هذا فحقيقة أن السور القرآنية كانت لا تزال في مرحلة التنزيل والوحى ولم يكتمل بعد نَصُّه النهائي ، وكان عرضةً للاختلاط بأقوال النبي ﷺ { لأنه كان الناطق بلسان كل من القرآن والحديث } يجعل التفسير السابق مقبولاً.

وعلى الرغم من أننا لا نعرف تحديداً متى بدأ منع التدوين على نفس الصحيفة ، إلا أن الحدث التاريخي الذي حصل في السنة السابعة والثامنة من الهجرة يعطينا التاريخ المحتمل لصدور أمر المنع ، ويذكر أنَّ بعض البحارة اليمنيين زاروا النبي ﷺ واعتنقوا الإسلام ، وكان بعضهم يعرف القراءة والكتابة ، فأعطاهم النبي ﷺ نسخاً قليلة من بعض السور القرآنية ليقرأوها ويحفظوها عن ظهر قلب ، وحدث أن قام بعض رجالهم بكتابة أقوال النبي ﷺ على هوامش صفحات النسخ القرآنية التي معهم ، وهنا منعهم النبي ﷺ من تسجيل أقواله على هذه النسخ [٤] .

---

(١) السنة ومكانتها (٧٤) ، و
the Authencity of the tradition literature , (54) .

(٢) علوم الحديث لابن الصلاح (٢٠) ، الحديث والمحدثون (١٢٤) ،
the Authencity of tradition literature (51)

(٣) ويقول الحديث « لاتكتبوا عنى أى شيء عدا القرآن ، ومن كتب شيئاً عني عدا القرآن فليمحه » انظرجامع بيان العلم (١ : ٦٣) .

(٤) صحيفة همام بن منبه (٦٤)

وفي ضوء الأحداث التاريخية السابقة يمكن أن نقول : إن المقولات التي حرمت كتابة الأحاديث ، على الرغم من صياغتها بشكل عام ، فإنها تشير إلى تحريم كتابة الحديث على نفس الصحيفة التي كتب عليها القرآن . والمنع كان في الواقع ضمانا لعدم اختلاط ماهو غير قرآني بما هو قرآني ، حتى لايحدث اختلاط في عقل القارىء .

والحديث السابق أيضا يعطينا تاريخ محتمل لمنشأ منع كتابة الحديث[1] .

ج - الغرض من حظر الكتابة :

مما لا شكّ فيه أنّ هناك شبه إجماع على أنّ منع كتابة الحديث قد نُسِخَ بالتصريح بجوازِ كتابتة وتم كتابة بعض أحاديث النبي ﷺ في أخريات حياته .

والسؤال الذي يطرح نفسه الآن : لماذا لم يمنع النبي ﷺ كتابة أقواله بطريقة حاسمة ؟

يختلف العلماء حول تحقيق دوافع النبي ﷺ في ذلك ، ولكن الأسباب المحتملة المتعلقة بكراهة كتابة الأحاديث سنوضحها كالآتي :

* المحافظة على نقاء النص القرآني :

يقال إن الدافع الأساسي وراء تحريم النبي ﷺ لكتابة أقواله ، هو المحافظة على نَقاءِ النصِّ القرآنيّ [2] ، ففي المرحلة الأولى من نزول الوحي كان هناك خَوف من أن كلماتِ النبي ﷺ ربما تختلط بالنصوص القرآنية ، وهذا الغرض كان قائماً على سَببين منطقين :

(أولهما) أن كلمات النبي ﷺ كانت تعتبرأقوالاً مأثورة بالنسبة

---

(١) السنة ومكانتها (٧٢) ، تذكرة الحفاظ (٣ : ١٥٢)

(٢) السنة ومكانتها (٧٢) ، وتقييد العلم (٥٧ ، ٩٣) ، وتذكرة الحفاظ (١٥٢:٣)

للصحابة المخلصين الذين تمنوا أن يكتبوها بعد كتابة الحكمة في العصر الجاهلي ، ولأن الناطق بلسان كل من القرآن والحديث كان نفس الشخص وهو النبي ﷺ ، فكان هناك احتمال بأن بعض العبارات القرآنية تؤخذ على أنها أقوال النبي ﷺ .

(ثانيهما) : لقد تعود بعض الصحابة أن يكتبوا أحيانا كلمات النبي ﷺ على فراغ هوامش نفس الصحيفة التي كُتبَ عليها القرآن ، ولهذا كان هناك احتمال كبيرِ أن يختلط النص القرآني بأحاديث النبي ﷺ ، ولهذا منع كتابة الأحاديث .

- وفضلا عن هذا كان هناك أشخاص قلة فقط في ذلك الوقت هم الذين يملكون فطنة التمييز بين الآيات القرآنية وأقواله النبي ﷺ ، وفي ظل هذه الظروف حظر النبي ﷺ على أصحابه تدوين أقواله في هذه المرحلة المبكرة.

** عدم التنافس مع القرآن :

من المحتمل أن التحريم بكتابة الحديث كان يقصد به الحفاظ على هيئة وشكل الأحاديث باعتبارها أقل منزلةً وشأنا من النص القرآني (١) أو كما قال براون : « بسبب الخوف من أن تستغل الأحاديث بصورة تضر كتاب الله كنصوص هذه الأحاديث التي تعد غير جوهرية بالنسبة للقرآن » ولهذا كان المنع (٢) .

ونحن نعرف أنه لم يكن هناك قيود على كتابة القرآن بل على العكس كان يعين الكتبة لكتابة الوحي ، إلا أنَّ وضع الحديث كان مختلفا ، فكان لايعطي نفس الأهمية التي حَظِيَ بها القرآن لأنه لو تم اعطاء نفس

---

(١) المحدث الفاصل (٣٧ أ)

(٢) تاريخ فارس (١ : ٢٧٣)

الاهتمام للأحاديث ، فستدخل في منافسة وصراع مع القرآن . ولهذا لم يكن هناك أي تسجيل رسمي للأحاديث وعليه منع النبي ﷺ كتابة أقواله.

* * عدم انصراف الناس عن القرآن :

طبقا لما ذكَرَهُ بعضُ أئمَّةِ الحديث ، كان الغَرَضُ من منع كتابة الأحاديث هو الحفاظ على الاهتمام النشط من جانب الذين هداهم الله إلى القرآن (١) أخيراً ، ولأنَّ القرآن كان لايزال في مرحلة الوحي ولم يجمع بعد ، فكان ينبغي أن يعطي مزيداً من الاهتمام للقرآن عن أحاديث الرسول ﷺ ، هذا فضلا عن أن كلمات النبي ﷺ كان لها نفس القدر وكانت تعد أقوالاً مأثورة ، فكان تسجيلها وكتابتها خاصة بعد تقليد تسجيل الأقوال والحكم المأثورة في العصر الجاهلي ، من المحتمل أن يصرِفَ اهتمامَ المسلمين عن المصدر الأول للتشريع ، ألا وهو القرآن الكريم ، ولهذا منع النبي ﷺ الصحابة من أن تعطي للحديث نفس الاهتمام القوي مما يؤدي إلى إهمال القرآن (٢) ، وعلى النقيض فبينما اتخذت الترتيبات الرسمية لتسجيل الوحي منع الصحابة من تسجيل أقواله ﷺ ، وتبنى أبو بكر وعمر نفس السياسة في إعطاء مزيدٍ من الاهتمام للقرآن ، فالخليفة عمر على سبيل المثال منع أثناء خلافته مجموعة من الصحابة من قراءة الحديث على قُرَّاءِ القرآن من العراق ، خشيةَ أن يهتموا بالحديث ويبعدوا عن القرآن (٣) .

واهتمَّ عمر شخصيا مدة طويلة نسبيا بفكرة تجميع مجموعة الأحاديث الموثقة ، ولكنه تخلى عنها بعد ذلك (٤) ربما معتقداً أنه تؤدي إلى بُعْدِ النّاس عن القرآن .

---

(١) تقييد العلم ، وبحوث في تاريخ السنة المشرفة (١٤٤ - ١٤٥)

(٢) المحدث الفاصل = مخطوط (٣٧ أ)

(٣) جامع بيان العلم (٢ : ١٢٠ - ١٢١) ، توجيه النظر (١٨)

(٤) كتاب العلم لأبي خيثمة ، زهيربن حرب ، لوحة (٤ أ) ، وطبقات ابن سعد (٣ : ١ : ٢٠٦)

٨ - صحة النصوص المقيدة للكتابة :

لقد حَدَّدَ أئمة الحديث الأسباب المحتملة لكراهة النبي ﷺ كتابة الحديث على فرض أن هذه الأحاديث صادقة وصدرت عن النبي ﷺ ، ولكن إذا نظرنا إلى الأحاديث المقيدة للكتابة نظرةً نقدية ، فيبدو أن هذه **الأحاديث** باستثناء واحدٍ تفتقر إلى الرواة الصادقين ، ومن ثَمَّ فهي عرضة لأن تكون موضع رفض .

إن رواة **الأحاديث** المقيدة للكتابة هم : أبو سعيد الخدري ، وأبو هريرة ، وزيد بن ثابت ؛ فحديث أبي سعيد الخدري كانت له روايتان :

(الأولى) : نقلها أحد الرواة غير الصادقين يسمى عبد الرحمن بن زيد أحد الضعفاء [١] ومن ثم فهذه الرواية غير مقبولة [٢] .

(أما الناقل الثاني) الأساسي فهو أبو هريرة وكان في إسناد روايته عبد الرحمن هذا فهذا الحديث أيضاً ضعيف وفقا لهذه القاعدة ويمكن أن نعتبره حديثا غير صادق .

وأخيراً رواية زيد بن ثابت التي تعد نوعا من الحديث المرسل [٣] والتي لايمكن أن تسمى أحاديث موثقة وصحيحة [٤] فضلا عن أن زيدا نفسه كان

---

(١) طبقا لكلمات ابن حبان عنه : كان ممن يقلب الأخبار ، وهو لا يعلم ، حتى كَثُرَ ذلك في روايته من رفع المراسيل ، واسناد الموقوف ، فاستحقَّ الترك . تهذيب التهذيب (٦ : ١٧٨ - ١٧٩)

(٢) تأتي بعد قليل الرواية الثانية لحديث أبي سعيد الخدري . (المترجم) .

(٣) الحديث المرسل هو الذي إسناده غير كامل ، حيث يسقط منه اسم الصحابي ، فيعرف بالمرسل . قواعد التحديث (١١٤)

(٤) يقول مسلم : الحديث المرسل غير مقبول . مقدمة الصحيح (١٥)

من المؤيدين لكتابة الحديث . إذا فكيف يروي أحاديثا تمنع الكتابة عن النبي ﷺ ؟

بهذا يبقى لنا رواية أبي سعيد الخدري التي تستحق النظر والدراسة ومع أن هذه الرواية قد أعلن البخاري عدم صدقها ، إلا أن هذا الحديث اعتبره بعض الثقات الآخرين بما فيهم مسلم صحيحاً (١) ، إذن فهي الرواية الوحيدة التي تتمثل فيها **الأحاديث** المانعة للكتابة ، ويمكن أن يكون لهذه الرواية العديد من التفسيرات .

ففضلا عن نظرية البطلان والتي طبقا لها يُنْسخ هذا الحديث بالأحاديث التي تلت ذلك ، وصرحَ فيها بالكتابة ، يمكن شرح الرواية السابقة من عدة زوايا كذلك .

ففي إحدى الروايات يقول أبو سعيد :

« استأذنتُ رسول الله ﷺ أن يأذن لي أن أكتب الحديث فلم يأذن لي » وقال البخاري : « فأبى أن يأذن لي » (٢)

وفى مقابل هذا وجدنا حديثاً يسمح فيه النبى ﷺ لعبد الله بن عمرو ابن العاص ليكتب الحديث عنه (٣) وبمقارنة هذين الحديثين بصفة خاصة وكل الأحاديث المصرح فيها بالكتابة والغير مصرح فيها بصفة عامة ،

---

(١) الباعث الحثيث (١٤٩) ، فتح الباري (١ : ٢١٨) ، علوم الحديث لابن الصلاح (٢٠) ، تقييد العلم (٢٩ - ٣٢) .

(٢) سنن الدارمي (١ : ١١٩) السنة قبل التدرين (٣٠٦) المحدث الفاصل (٣٦ أ) ، تقييد العلم (٣٢ - ٣٣) ، جامع الترمذي (١٠ : ١٣٣ - ١٣٤) في كتاب العلم .

(٣) المحدث الفاصل (٣٤أ) ، وأنظر أيضاً : « تقييد العلم » (٦٩)

ويمكن أن نستنتج أنه فى حين صُرح لبعض الصحابة بالكتابة ، لم يصرح لآخرين ، ولسوء الطالع فإن حديث أبى سعيد وقع فى الفئة الثانية ، وهذا يثبت أن حظر الكتابة لم يكن يأتي حالٍ من الأحوال أمرا مطلقا .

وفى رواية أخرى يقول أبو سعيد الخدري - رضي الله عنه - : اعتدنا ألا نكتب شيئاً سوى القرآن والتشهد (١) » ففي هذه الرواية ضمٌ التشهد وضمنَ النصوص المسموح بكتابتها ، ولأن التشهد ليس حديثا ولا نصا قرآنيا وسُمِحَ بتدوينه ، إذاً فلا يمكن أن ندعي أن النبي ﷺ منع تدوين أي شيئ عدا القرآن الكريم ، ولهذا فالنقد الموضوعي المبني على متن الحديث يبرهن على ضعف هذه الرواية .

ومن الجدير بالذكر أن نشير إلى أن أبا سعيد الخدري - رضي الله عنه- في الوقت الذي رَفَض أن يملي أحاديث النبي ﷺ لتلاميذه لم ينقل الأحاديث التى حظر فيها الكتابة من النبى ﷺ وقال { عندما سأله تلاميذه أن يكتبوا عنه (٢) } :

« تريدون أن تجعلوها مصاحف ! فإنٌ نبيكم ﷺ ، كان يحدثنا فاحفظوا منا كما حفظنا » (٣) .

ويبدو من حديث أبى سعيد أن عدم كتابة الحديث كان بالنسبة له مسألة شخصية ، ولم تكن بأوامر النبي ﷺ .

وهذا دليل آخر على حقيقة أن الحديث المانع للكتابة ، والذي رواه على مسئوليته يعد حديثا خاصاً به ، وليس لعامة المسلمين .

---

(١) تقييد العلم (٩٣) .

(٢) الزيادة ليست فى الأصل ، وأضفتها لتوضيح النص التالي . (المترجم) .

(٣) جامع بيان العلم (١ : ٦٤) ، علوم الحديث لابن الصلاح (٢٠) ، تقييد العلم (٣٦ - ٣٨) كتاب العلم لأبي خيثمة (٨ب) ، المحدث الفاصل (٣٦أ) .

وفى ضوء المناقشة السابقة يمكن أن نقول : إنه من غير المحتمل أن يكون النبي ﷺ أصدر أمراً مشدداً بخصوص عدم كتابة أقواله ، والحقيقة الجلية أنه شجع القراءة والكتابة ، وأرسل الخطابات ، وأصدر النشرات ، وأملى بعض القوانين ، ووصف وصفاً كاملاً ، ونحن نميل إلى الإعتقاد بأنَّهُ حتى لو كان هناك أوامر بكراهة كتابة الحديث في البداية فإنها اختفت بعد ذلك ، وأسباب كراهة كتابة الحديث فى البداية يجب أن نبحث عنها فى موضوع آخر غير حديث النبي ﷺ .

٩ - أسباب كراهة تدوين الحديث :

إنَّ الدراسة الجادة لأحاديث النبي ﷺ التي حظر فيها كتابة أقواله ، وكذا مقولات أئمة الحديث ، تكشف عن حقيقة هامة ، وهي أنَّ الإتجاه المعارض لكتابة الحديث والذي استمر وقتا من الزمن لم يكن نتيجة لتحريم النبي ﷺ لتدوين أقواله [١] .

وكان من جهة أخرى نتيجة لعوامل متعددة يمكن توضيحها فى النقاط الآتية [٢] .

١ - الخوف من أن أقوال وكلمات النبي ﷺ قد تدنس وأن الكتب التى سجلت فيها هذه الأقوال ربما لا تعامل بنفس التقدير والإجلال [٣] .

---

(١) يرى موير (Muir) أن قصة منع كتابة الحديث غير جديرة بالثقة . أنظر : value of early mAhometAn historical sources , (114)

(٢) لأنني أوجز العوامل المسؤولة عن الاتجاه المعارض لكتابة الحديث ببعض النقاط التي سبق أن ذكرتها ، لا أجد مناصا فى إعادة سردها ملخصة هنا .

(٣) المحدث الفاصل (٣٧ أ) و HISTO RY OF PERSIA (1:273)

و MUSLIM THEOLOGY (76)

٢ - الخوف من أن أحاديث النبي ﷺ تضاهي كتاب الله وتحوز اهتماماً خاصاً تجعل الناس ينكبون عليها ويتركون كتاب الله [١] .

٣ - ولكونه أدباً دينيا ، فمن المفترض أن يُحفظ عن ظهر قلب بعد التعود على اكتساب التعاليم الدينية شفهيا .

٤ - الخوف من أنّ الكاتب الذي يعتمد على الكتابة ينسى محتويات النص [٢] ، واعتقد العرب الذين لم يوافقوا على كتابة الأحاديث ورأوا أنه من الأفضل الحفاظ على الأحاديث من خلال الحفظ ، فهم كانوا من الرأى القائل بأنّ المعلومات التى تدون تكون عرضة للنسيان ، لأن الكاتب الذي لديه الثقة بأنه سوف يتعلم هذه الأحاديث في المستقبل لا يكون لديه غالبا النية فى أن يمارس ذلك في المستقبل ، فالشاعر الخليل [٣] (المتوفى ١٧٠/١٧٥هـ) عبر عن آرائهم بهذه الكلمات « إن المعرفة ليست ما تحتويه الكتب ، ولكن ما وقر في الصدر » .

ليس بعلمٍ ما حوى القمطر   ما العلم إلا ما حَواه الصدر [٤]

---

(١) تقييد العلم (٤٩ - ٥١) ، والمصدران المذكوران في الحاشية السابقة .

(٢) صحيح ابن حبان (٦٣:١) ، وتقييد العلم (٩ - ١٠) ، وجامع بيان العلم (٦٨:١) ، ومجلة المنار لمنشئتها السيد محمد رشيد رضا (٧٥٨:١٠) ، وطبقات ابن سعد (١٨٩:٤) وكشف انطنون (٣٣:١) ، والمحدث الفاصل (٣٧ أ) ، والسنة قبل التدوين (٣٠٨) .

(٣) هو الخليل بن أحمد الأزدي اليحمدي ، كان إماماً في النحو ، وهو مستنبط علم العروض . (المترجم) .

(٤) المحدث الفاصل (٣٧ ب) ، جامع بيان العلم (٦٨:١) ، مجلة المنار (٧٥٨ :١٠) .

٥ - الخوف من أن تصل أقوال النبى ﷺ الشريفة إلى أيد غير أمينة[١] ، ويترتب على هذا الغرض أن عددا من أئمة الحديث إما حرقوا ما يتعلق بهم ، أو تخلصوا من محفوظاتهم بدفنها ، أو تركوا وصيةً يطلبون فيها من أتباعهم أن يفعلوا ذلك ، ولكن لو كان عندهم ثقة من أن الكتب ستصل إلى أيدٍ أمينة بعد موتهم فلن يتخلصوا من كتاباتهم ،

ويمكن أن نستشهد بمثال رواه لنا أبو قلابة (المتوفى سنة ١٠٤ هـ) الذى تَرَكَ وصيةً وهو على فراش الموت يقول فيها : « أرسل كتبى إلى أيوب (المتوفى سنة ١٣١ هـ) ، أو احرقها » [٢] .

٦ - الخوف من أن يضل الناس أو يحذوا حذو هؤلاء الذين لجأوا إلى كتابة الكتب الدينية في العصور القديمة [٣] . وقد ذُكِر هذا فى البيان لابن سيرين (المتوفى سنة ١١٠هـ) « احترس من الكتب فقد ضل أجدادك الطريق بسبب الكتب » [٤]

ويقول ابن عون أيضا : (المتوفى سنة ١٥١ هـ) أحسب هذه الكتب ستضل الناس » [٥] .

وأخيرا فقد ذكر أن ابن عُلية البصري (المتوفى سنة ٢٠٠ هـ) ذكر أن الصحابة لم يوافقوا على الكتابة لأن آباءهم ضلوا الطريق عندما اتخذوا الكتب .

(١) تقييد العلم (٦١) .

(٢) طبقات ابن سعد (١٣٥:١:٧)

(٣) تقييد العلم (٥٧) .

(٤) تقييد العلم (٥٧) ، وقد ذكر النص بالمعنى .

(٥) الموضع السابق .

(٧) الخوف من أن يختلط النص القرآني بالحديث ويُحْدِث هذا تشويشا في ذهن القارىء [١] .

(٨) الخوف أن تصرف الأحاديث اهتمام الناس عن القرآن [٢] .

(٩) ويذكر لنا حسن بن عبد الرحمن الرامهرمزي (المتوفى سنة ٣٦٠ هـ) عدة أسباب لعدم موافقة المسلمين الأوائل على كتابة الحديث .

(منها) قرب عهدهم من النبي ﷺ [٣] .

(ومنها) تقارب الإسناد [٤]

(منها) قرب الحوادث [٥] .

(ومنها) : قلة الإختلاف والواقعات وتمكنهم من الرجوع إلى الثقات [٦] .

(ومنها أن النبي ﷺ كان وثيق الصلة بالصحابة فلم يشعروا على الإطلاق أنهم بحاجة إلى كتابة أقواله ﷺ في كتبٍ ، فكان بإمكانهم أن يستشيروه في كافة مشكلاتهم اليومية ، فضلا عن أنه كان يوجد ثقاة صادقون بين الصحابة أنفسهم يمكن استشارتهم فيما يتعلق بأحاديث [٧] النبى ﷺ زد على ذلك أنه نادراً ما كان يحدث خلاف بين

(١) جامع بيان العلم (١: ٦٨) و (٢:١٢١) ، تقييد العلم (٩، ١٢ ، ٥٧) .
(٢) تقييد العلم (٥٧) ، المحدث الفاصل (٣٧أ) ، تذكرة الحفاظ (٣:١٥٢) .
(٣) المحدث الفاصل (٣٧أ) ، كشف الظنون (١:٣٣) ، تقييد العلم (٩) .
(٤) المصادر الثلاثة السابقة .
(٥) كشف الظنون (١:٣٣)
(٦) المصدر السابق .
(٧) المصدر السابق أيضاً .

المشرعين حول المسائل التشريعية في ذلك الوقت ، ولهذا لم يكن هناك محاولة جماعية لتنظيم القوانين الإسلامية فى هذه المرحلة (١) .

١ - لقد خشى الصحابة أن تختلط آراؤهم الشخصية بأحاديث النبى ﷺ ولهذا توقفوا عن كتابة الأحاديث (٢) ، وخشي شباب الصحابة والتابعين أن تختلط آراؤهم الشخصية بخصوص بعض المسائل التشريعية بأحاديث النبي ﷺ ولهذا ترددوا في كتابة وتسجيل الأحاديث ، ولقد وجدنا أن زيد ابن ثابت الذي وُضِعَ خطأً فى فئة معارضي كتابة الأحاديث كان في الواقع من مؤيدي كتابة حديثِ النبى ﷺ ، وأما تردده في كتابة الأحاديث فكان مرده إلى حرصه الشديد خشية أن يؤخذ رأيه خطأً على أنه حديث للنبى ﷺ ، وهذا واضح من اتجاهه الذى أظهره فى بلاط مروان وذلك عندما جعله يروي الأحاديث وأجلس كاتبا وراء ستار لكي يكتب ما يقوله دون علم زيد ، وحينئذ طلب منه زيد أن يمحو هذه الأحاديث لأنه من الجائز أن تكون حوت بعضاً من آرائه (٣) .

وكان هذا أيضاً اتجاه سعيد بن المسيب (المتوفى سنة ٩٤ هـ) الذي مزق بعض أوراق صحيفته خشية أن تكون قد احتوت على بعض آرائه (٤) .

١١ - أما عن الذاكرة الحافظة القوية (٥) التي أوسعناها بحثا ومناقشة فمن الجدير بالذكر أن نقول هنا : إن العرب كانوا في الواقع جنساً يجيد

---

(١) كشف الظنون (١ : ٣٣) ، ويقول (Robson) : إن الحديث هو الدعامة الثانية في الإسلام . عالم الإسلام عدد كانون الثاني ١٩٥١ ، ص (٢٥) .

(٢) علوم الحديث لابن الصلاح (٤٢)، جامع بيان العلم (٢ : ١٣٤ - ١٣٥).

(٣) طبقات ابن سعد (٢ : ٢ : ١١٧) ، تقييد العلم (٢٠) .

(٤) جامع بيان العلم (٢ : ١٤٤) ، تقييد العلم (٢٠) .

(٥) مناهل العرفان (٢٨٦) ، قواعد التحديث (٤٥ - ٤٦) .

الكلام ، ولهذا احتفظوا بمعلوماتهم في خزائن القلوب الآمنة ، على الرغم من أن الكتابة كانت معروفة لهم ، وفي ظل هذه الظروف كانت كراهتهم لكتابة أحاديث النبي ﷺ معروفة تماماً .

١٢ - قلة الكتبة : على الرغم من حقيقة معرفة العرب لفن الكتابة قبل الإسلام بوقت طويل وأعطى النبي ﷺ اهتماماً يفوق الوصف لتقدم هذا الفن وتطوره ، إلا أنَّ عددَ الكتبة من الصحابة المتمكنين من فن الكتابة كان لا يزال محدوداً . ولهذا فأحد الأسباب التي أدت إلى عدم كتابة الحديث كان بدون مبالغة ندرة الكَتَبَةَ في تلك العصور القديمة (١) .

١٣ ـ غموض الكتابة العربية : الخوف من أن يظل نص الحديث غامضا كان اعتقادا أدى إلى تشجيع العرب ، على تسجيل أحاديث النبي ﷺ ويعبر عن ذلك ماكدونلد MACDONALD بقوله : « إن السمة الخاصة والمتميزة بالصعوبة للكتابة العربية وخاصة عند كتابتها بدون نقط مميزة لها ، جعلها غير واضحة إذ لم تكن مستحيلة في فهم نصوص الأحاديث (٢) » على الرغم من أن استخدام النقط كان مستخدما منذ وقت مبكر في عصر النبي ﷺ نفسه (٣) .

١٤ - منع الفاروق عمر : وعامل رئيسي آخر لعدم تدوين أحاديث النبي ﷺ في وقت مبكر كان الأمر المشدد الذي أصدره عمر بمنع الصحابة من تسجيل أقوال النبي ﷺ ووجدنا أن الفاروق عمر أثناء خلافته نفذ هذا الأمر بنجاح ، وفي سعيه لتنفيذ سياسته حرق بعضا من مجموعات

---

(١) فتح الباري (٤) ، قواعد التحديث (٤٥ - ٤٦) .

(٢) Muslim Theology (76)

(٣) صحيفة همام بن منبه ، ص (٩) ، رقم (٢) .

الأحاديث المكتوبة ، ولهذا فتسجيل أحاديث النبي ﷺ في عهد عمر تم بمعدل متواضع للغاية .

ولا نجد غضاضة هنا في أن نناقش وجهة نظر شبرنجر (Sprenger) بخصوص هدف الفاروق عمر من إصدار أمر منع كتابة الأحاديث فقد ذكر « أن الفاروق عمر لم يهدف إلى تعليم العرب البدو فحسب ، بل تمنى أن يحافظ على شجاعتهم الجبارة وإيمانهم الديني القوي ليجعلهم حكاماً للعالم ، والكتابة واتساع المعرفة لا تتناسب مع الهدف الذي سعي من أجله » .

وأضاف قائلا : بأن الفاروق عمر أراد أن يميز العرب عن الأمم الأخرى ، وتمنى أن تكون الطريقة العربية في حفظ معتقداتهم مختلفة عن طريقة اليهود والمسيحين ، وعليه فإن (Sprenger) يرى أن العرب نصحهم عمر بحفظ التعاليم الدينية شفهيا على خلاف ما درج عليه اليهود والمسيحيون الذين استخدموا الكتابة لهذا الغرض . ويعتقد (Sprenger) أنه لتحقيق الهدف الذي ذكرناه سابقا منع الفاروق عمر رفاقه من الصحابة من تسجيل أحاديث النبي ﷺ » [١] .

وإذا تناولنا هذا الموضوع من منظور تاريخي ، فإن هدف عمر من التصدي لكتابة الحديث لا يبدو أنه يتفق والرؤيا التي طرحها (Sprenger) ، وفي الواقع أنَّ منعه عمل مجموعة متميزة من الحديث [٢] كانت خارجة تماماً عن الاعتبارات الدينية [٣] . فقد كان هدفه الخاص من جمع أقوال وأفعال النبي ﷺ في شكل مكتوب والتضرع إلى الله في أن يجعل هدفه هذا

(١) Origin Of Writing ... JAsb xxv, 1856, p .(379)

(٢) طبقات ابن سعد (٣ : ١ : ٢٠٦) ، (٥ : ١٤٠) .

(٣) طبقات ابن سعد (٣ : ١ : ٢٠٦) ، (٥ : : ١٤٠) ودراسة في أدب البرديات (١ : ٧) .

قدوة [١] عامة للمسلمين فمقولته هذه مؤيدة لتسجيل الأحاديث [٢] واهتمامه الشخصي بدراسة ونشر تعاليم النبي ﷺ [٣] كل هذا يؤكد على أنه لم يكن ضد الكتابة كما ذكر ، وما يمكن أن نقوله عموماً عن سياسته في هذه الناحية : هو أنه كان حريصاً على إضفاء جلالة للقرآن والاحتفاظ بعلو شأنه ومنزلته عن الحديث ، وتعليماته إلى المجموعة التي ذهبت إلى العراق بالأ يرووا أحاديث كثيرة على قراء القرآن ، ففي تلك المدينة [٤] تبين أنه كان مهتماً أساساً بالمحافظة على النص القرآني ولم يرغب في أن يعطي الحديث مكانة ومنزلة لا يستحقها . والحقيقة أنه منع الناس من إعطاء نفسي الاهتمام لدراسة الحديث ونقله لأنه كان يفترض سبقاً أن شيوع وانتشار الحديث بهذه الدرجة ربما يؤثر على مكانة ووضع القرآن .

وبالنظر إلى الاهتمام الذي أولاه الفاروق عمر بنشر المعرفة الدينية وذلك من خلال تعيين المدرسين في المدن [٥] المختلفة . فيبدوا أنه من غير المنطقي أن يحرم العرب من المعرفة فما بالك بأقوال النبي ﷺ . وعلى النقيض من ذلك فقد شجع عمر العرب على أن يسلحوا أنفسهم بالمعرفة

---

(١) كتاب العلم لأبي خيثمة لوحه (٤ أ) ، طبقات ابن سعد (٣:٢:٦٠٢)

(٢) يذكر عن الفاروق عمر قوله : « قيدوا العلم بالكتب » انظر المحدث الفاصل (٣٦ أ) ، جامع بيان العلم (١ : ٧٢) ، العلم لأبي خيثمة (٢ ب) ، تقييد العلم (٨٨) . سنن الدارمي (١ : ١٢٧) .

(٣) سنن الدارمي (١ : ٨٥) ، طبقات ابن سعد (٣ : ١ : ٢٠١ ، ٢٤٣) ، جامع بيان العلم (٢ : ١٢٢ - ١٢٣) ، تقييد العلم (٨٨) .

(٤) جامع بيان العلم (٢ : ١٢٠ - ١٢١) ، المحدث الفاصل (٦٥ ب) ، تذكرة الحفاظ (١ : ٧) و (٣ : ١٥٢) .

(٥) طبقات ابن سعد (٣ : ١ : ٢٠٢ ، ٢٤٣) .

وقال : « **تفقهوا قبل أن تسودوا** » ويعني بهذا أن يطوروا ملكة فهمهم قبل أن يصبحوا قادة [١] ، أما بالنسبة لتعليماته فيما يتعلق بالكتابة فقد ذكر أنه قال : « قيدوا العلم بالكتاب »[٢] .

أما عن سبب منعه لكتابة الحديث فلم يكن بسبب الحفاظ على نقاء النص القرآني فحسبَ بل يرجع إلى رغبته في الحفاظ على الأدب الإسلامي الذي أُخرِجَ في هذه الفترة نقياً خالياً من الروايات التاريخية ، وإذا أنتقلنا إلى اهتمامه بالحديث . فيبدو أنه كان قلقا على هذه الكثرة من الأحاديث المتعلقة بالمعتقد والديانة ، وهذا الكم من الأحاديث التي أُسِئ فهمها ونقلها وكانت عُرضة للتزييف .

وكانت هذه النوعية من أحاديث الترغيب والترهيب شائعة بين عامة الناس ، ولهذا حَذَّرَ الناس ومنعهم من نشر هذه النوعية من الأحاديث لأن هذا سيصرفهم عن القرآن .

وعلى الرغم من أن مصطلح المنع قد تم صياغته بصورة عامة ، إلا أنه يبدو أنه كان يشير بذلك إلى هذه النوعية من الأحاديث الغير صحيحة . وهذا الاتجاه أوضحه أبن عبد البر الذي قال : « إن منع الفاروق عمر يرجع إلى تلك الأحاديث التي لا يمكن استخدامها للأغراض التشريعية ولا تصلح لأن تكون سنة مما لا يفيد حكما ولا يكون سنة » [٣] .

ومن الأهمية بمكان أن نلاحظ أن تحريم عمر يشير إلى الرواية أي رواية

---

(١) سنن الدارمي (١ : ٧٩) ، كتاب العلم لأبي خيثمة (٢ ب) .

(٢) المحدث الفاصل (٣٦ أ) ، جامع بيان العلم (١ : ٧٢) كتاب العلم (٢ب) ، تقييد العلم (٨٨) ، وسنن الدارمي (١ : ١٢٧) .

(٣) جامع بيان العلم (٢ : ١٢١) .

الحديث لا إلى كتابته ، فضلا عن أن التحريم لم يكن جامعاً مانعاً ، فقد قال : « أقلوا الرواية » وهذا يعني أن يقللوا من عدد الأحاديث [١] التي يروونها ، ويقال أن النص الذي ذكر فيه أنه سَجَنَ الرواة كثيري الرواية من الأحاديث ، يشير إلى الرواية لا الكتابة .

ويبدو من كل هذا أن الفاروق عمر كان مؤيدا لتسجيل الحديث ، على الرغم من أنه لم يدعم ذلك خشية أن يصرف انتباه الناس عن دراسة القرآن ، ومن المؤكد أيضاً أن موقفه المعارض للكتابة لم يكن قائماً على أساس منع النبي ﷺ تسجيل الحديث كتابةً ، لأنه لو كانت هذه هي القضية لكان النبي ﷺ عبَّر عنها صراحة ، ولهذا فقد كانت مناقشة فعاله تلك التي تناولنا فيها أحاديث النبي ﷺ التي منع فيها الكتابة باعتبارها أحاديث غير متعلقة بالأحكام الشرعية .

ووجدنا عوامل عديدة غير أحاديث منع الكتابة تعد مسئولة عن هذا الموقف المعارض لكتابة الأحاديث بين المسلمين الأوائل ، وفي حين يعارض بعض الرجال الكتابة لأنهم يعتبرونها وعاءً رديئا للمعرفة [٢] اعتقد أخرون أنهم لو كتبوا فلن يتحقق الهدف من الكتابة ، لأنَّ الكاتب بعد أن يضع محتويات مادته في شكل كتابي سيعتمد اعتماداً كاملاً على النص المكتوب وينسى محتوياته [٣] ، بالإضافة إلى أنَّ الكتابة لم تكن موضعاً لقبول بعض العلماء الذين خشوا لو أنَّ الأحاديث المكتوبة وصلت إلى أيدٍ غير أمينة ، وما يمكن أن تتعرض له حينئذ من سوء استخدامها ، ولهذا

---

(١) المحدث الفاصل (٦٥ ب) ، جامع بيان العلم (٢ : ١٢١) .

(٢) أثر عن سفيان الثوري ذم الاتكال على الكتاب ، وأمره بالحفظ وقال : « بئس مستودع العلم القراطيس » . انظر تقييد العلم (٥٨) .

(٣) علوم الحديث لابن الصلاح (٧٨) .

وجدنا أن المعارضين بدلا من أن يستشهدوا بنصوص من الأحاديث المانعة للكتابة والتي ذكرها النبي ﷺ ، أعطوا أسباباً شخصية لعدم موافقتهم على كتابة الحديث .

وأياً كانت الأساب التي أدت إلى كراهية كتابة الحديث ، فمما لا شك فيه أن هذه النظرة المعارضة للكتابة استمرت فترة طويلة ، على الرغم من أن بعض الرجال استمروا في الكتابة أثناء هذه الفترة ، ويبدو أن هذه النظرة المعارضة استمرت لعدة عقود بعد خلافة الفاروق أي لحوالي ثلاثة أرباع القرن الأول الهجري ، ومنذ ذلك الحين فصاعداً أخذت الكتابة مكانتها ، ومع نهاية القرن الأول الهجري ، وفي الربع الأول من القرن الثاني الهجري أصبحت الكتابة عموماً مفضلة على الحفظ ، ويعدّ عصر الزهري هو العصر الذهبي للكتابة [(١)] .

وفي الواقع فإنّ مكانة الكتابة أصبحت موضعاً للاعتراف الفعلي في نهاية العقد الأخير من القرن الأول الهجري ، ويمكن أن نستدلّ على هذا من تعليق أبي طالب المكي الذي قال : « إن الكتابة أصبحت موجودة بالفعل بعد موت الحسن (المتوفى سنة ١١٠ هـ) وابن المسيب (المتوفى سنة ٩٤ هـ) [(٢)] .

ومع هذا لا يستطيع المرء أن يسلم بأن الكتابة كانت مختفية طوال فترة تفضيل النقل الشفهي للحديث ، ففي الواقع أننا عرفنا أن الانتقال المستمر والمكتوب للحديث بدأ من وقت مبكر ، بل وحتي في الوقت الذي كانت فيه الكتابة تعدّ جريمة لا تغتفر ، كان بعض العلماء يكتبون سراً .

* * *

(١) دراسة فى أدب البرديات العربية (٢ : ١٨٤) .
(٢) قوت القلوب للمكي (٢ : ٣٧) .

الفصل الرابع

نظرية التدوين المتأخر للحديث

أولاً : الأسس التي قامت عليها هذه النظرية

١ - منع النبي ﷺ من كتابة الأحاديث

٢ - حرق الصحف المكتوبة وإتلافها .

٣ - إساءة تفسير بعض المصطلحات وبعض الأقوال

- صحيفة ومصحف

- تحديث ، تدوين ، جمع ، رواية .....

أ - التحديث ومشتقاته

ب - جمع ورواية

ج - أخبرنا ، ومصطلحات أخرى

د - ذكر ، وقال

هـ - تدوين ، تصنيف

و - أقوال عن رواة الحديث ، وأخرى خاصة بهم

٤ - وجهة نظر متحاملة على فترة الجاهلية ، وعصر الأمويين

ثانياً : كتابة الحديث في فجر الإسلام

١ - الكتابة بغرض الحفظ

٢ - الكتابة لباعث ديني وتشريعي

٣ - الكتابة لمعرفة السيرة النبوية

٤ - الكتابة العارضة للاستشهاد بالمراسلات

٥ - الكتابة للاستخدام الشخصي - أحاديث متفرقة

٦ - مادة كتابات النبي ﷺ الخاصة

٧ - الكتابة العارضة من طلاب الحديث

٨ - الكتابة المقصودة لصالح الأجيال القادمة - المجموعات الكبرى

ثالثاً : الخاتمة والنتيجة .

الفصل الرابع
نظرية التدوين المتأخر للحديث
الأسس التي قامت عليها هذه النظرية

لقد أشرنا في الفصل السابق إلى الإعتقاد الخاطئ بأن نقل الحديث ظل يتم شفهيا لحوالي مائة سنة بعد الهجرة ، ولم يتم تسجيل لحديث كتابة إلا مع نهاية القرن الأول . ولأن مسألة كتابة الحديث مسألة هامة فمن الضروري أن نناقش الأسس التي قامت عليها نظرية التسجيل المتأخر للحديث (١) .

وهناك عوامل كثيرة تعلي من شأن وأهمية هذه النظرية من أهمها :

١ - تحريم النبي ﷺ لكتابة الحديث .

٢ - حرق الصحف المكتوبة .

٣ - إساءة تفسير مصطلحات بعينها وكذلك مقولات .

٤ - وجهات النظر المتحاملة على العصر الجاهلي ، وعلى حكم الأمويين ..... وسنتناول هذه النقاط تفصيلا :

---

(١) قواعد التحديث (٤٥ - ٤٦) ، فتح الباري . المقدمة (١: ١٧) ، تذكرة الحفاظ (١ : ١٥١) ، قوت القلوب (١ : ١٥٩) ، خطط المقريزي (٢:٣٣٣) ، أضواء على السنة لأبي رية (٢٠٧) ، كشف الظنون (١ : ٦٣٧) ، الحديث والمحدثون (١٢٧) ، السنة ومكانتها (٤٠) ، مجلة المنار (١٠ : ٧٦٨) ، تقييد العلم (٧) ، فجر الإسلام (٢٢١) .

١ - منع النبي ﷺ لكتابة الحديث :

إن هناك اعتقاداً عاماً بأنَّ الصحابة والتابعين تخلوا عن كتابة الحديث بسبب الأمر الصادر من النبي ﷺ بالنهي في هذه الناحية .

ولكننا قد رأينا بالفعل أن الأحاديث الناهية عن الكتابة إما تم نسخها بسبب الأحاديث التي ذكرت بعد ذلك وأجازت كتابته ، فرغبة النبي ﷺ في أن يسجل شيئاً ما وهو على فراش الموت يعطينا دليلا مقنعاً بموافقته على تدوين الأحاديث ، فضلا عن هذا فوجود الصحيفة في الحقبة الإسلامية الأولى ، واكتشاف نصوص مكتوبة بالفعل يبرهن على زيف الاعتقاد بأن النبي ﷺ كان معارضاً لتدوين الحديث .

زد على كل هذا أنَّ هؤلاء الذين كانوا قد وقفوا في معارضة كتابة الحديث كانت لهم أسبابهم الشخصية في ذلك ، بل وحتى الفاروق عمر الذي كان يعد من أشد معارضي الكتابة لم ينقل أو يستشهد بأي حديث للنبي ﷺ يؤيد وجهة نظره المعارضة للتسجيل .

ولهذا ، فمن الخطأ أن نعتقد أن الأحاديث الناهية عن الكتابة قد أوقفت النمو المتزايد لنقل الأحاديث كتابة .

٢ - حرق الصحف المكتوبة ، أو إتلافها :

من الواقع تاريخيا أن مجموعة أدب الأحاديث تخلّص منها أصحاب المخطوطات أنفُسهم أو أتباعهم ، ومن بين الذين تخلصوا من مخطوطاتهم بأنفسهم نذكر هذه الأسماء : عبيدة بن قيس (المتوفى سنة ٧٢ هـ) [١] ،

(١) طبقات ابن سعد (٦ : ٦٣) ، سنن الدارمي (١ : ١٣١) ، جامع بيان العلم (١ : ٦٧) .

عيسي بن يونس (المتوفى سنة ١٨٧ هـ) [١] ، أبو عمرو بن العلاء (المتوفى سنة ١٥٤ / ١٥٩ هـ) [٢] ، عروة بن الزبير (المتوفى سنة ٩٣هـ) [٣] ، أبو سليمان الداراني [٤] ، أحمد بن أبى الهواري [٥] ، محمد بن عبيد الله [٦] ، أبو موسى [٧] ، سفيان الثوري [٨] ، داود الطائي [٩] ، بشر الحافي [١٠] ، أبو حيان التوحيدي [١١] ، ويوسف بن أسباط [١٢] .

ومن بين هؤلاء الذين تركوا وصايا لأتباعهم إما بالتخلص من مخطوطاتهم بطريقة معينة ، أو تسليمها إلى أشخاص بعينهم ، نجدُ هذه الأسماء : الحسن البصري (المتوفى سنة ١١٠هـ) [١٣] ، طاووس [١٤] ، عبيدة

(١) تقييد العلم (٦٢) .

(٢) الحيوان (١ : ٣٢١) ، معجم الأدباء (٥ : ٣٨٩) .

(٣) طبقات ابن سعد (٥ : ١٣٣) .

(٤) معجم الأدباء (٥ : ٣٨٩) .

(٥) عيون الأخبار (٥٢) .

(٦) طبقات ابن سعد (٦ : ٢٥٥) .

(٧) طبقات ابن سعد (٤ : ٢ : ٨٣) .

(٨) يقال إنه مزق آلاف الأجزاء وبعثرها في الهواء ، معجم الأدباء (٥:٣٨٩) .

(٩) المتوفى (١٦٥ هـ) ، عرف بتاج الأمة ، ورمى كتبه في البحر ، معجم الأدباء (٥ : ٣٨٩) ، المعارف (٢٧١) ، أدب البرديات العربية (٢ : ٦٢) .

(١٠) تاريخ بغداد (٧ : ٦٧) .

(١١) معجم الأدباء (٥ : ٣٨٦) .

(١٢) معجم الأدباء (٥ : ٣٨٩) .

(١٣) طبقات ابن سعد (٧ : ١ : ١٢٧) Ruth : Arabic books and libraries in umayyad . PERiod & Ajsl, lii (249) .

(١٤) طبقات ابن سعد (٥ : ٣٩٣) ، تقييد العلم (٦١) .

(المتوفى سنة ٧٢ هـ)[١] ، شعبة [٢] ، أبو قلابة (المتوفى سنة ١٠٥هـ) [٣] ، بشر بن الحارث [٤] ، أبو السعيد السيرافي [٥] ، سفيان الثوري (المتوفى سنة ١٦١ هـ) [٦] ، ابن الجعاني (المتوفى سنة ٣٥٥) [٧] ، وأبو كريب (المتوفى سنة ٢٤٨ هـ) [٨] .

لقد اتخذ تخريب هذا الكنز الأدبي أشكالا مختلفة ، فإما بحرقها أو دفنها ، أو محوها ، أو طمسها ، أو بإلقائها في الماء ، وهذه الممارسة التي اتخذت شكلها الأساسي في عصر الصحابة (وطبقا لإحدى الروايات في حياة النبي ﷺ) [٩] . قد استمرت لحقبة متأخره جداً تصل إلى حوالي سنة ٤٠٠ هـ عندما قام أبو حيان التوحيدي المقيم في بغداد بالتخلص من كتبه ، وبرر تصرفه هذا بالاستشهاد بسُنَّةِ بعض السلف [١٠] .

---

(١) تقييد العلم (٦٢) ، كتاب العلم لأبي خيثمة (٩ ب) .

(٢) تقييد العلم (٦٢) .

(٣) تقييد العلم (٦٢) ، وطبقات ابن سعد (٧ : ١ : ١٣٥) ، وتذكرة الحفاظ (١ : ٨٨) ، والمحدث الفاصل (٥١ أ) .

(٤) تقييد العلم (٦٢ - ٦٣) .

(٥) معجم الأدباء (٥ : ٣٨٩) .

(٦) الفهرست (٣١٥) ، المعارف (١٧٠) .

(٧) تذكرة الحفاظ (٣ : ١٣١) .

(٨) تذكرة الحفاظ (٢ : ٧٣) .

(٩) صحيفة همام بن منبه (٣٧) ، تدوين حديث (٢٤٩) .

(١٠) معجم الأدباء (٥ : ٣٨٦) والكتب العربية والمكتبات في عصر بني أمية لمؤلفه (Ruth) ، ص (٢٥٠) .

ومن الجدير بالذكر أن نلاحظ أنه نادراً ما أوضح هؤلاء المخربون لمخطوطاتهم أسبابا محدده لتخلصهم من كتاباتهم ، ولهذا فأعمال هؤلاء المؤلفين ، وجامعي الأحاديث تم تفسيرها بوسائل مختلفة ، وحدد أئمة الحديث والمحدثون أسباب ذلك طبقا لآرائهم .

أما مؤيدو نظرية تأخر تسجيل الحديث فقد اعتقدوا أن هذا التخريب تم وفقا لسياسة ورغبة النبي ﷺ وأصحابه الذين لم يرغبوا في إعطاء الحديث صفه الإستمرارية والشمول بمعني أن يصبح أمراً عاماً دائماً (١) . وطبقا لهذا الافتراض فقد ادعوا أن الأحاديث إما غير مكتوبة في البداية ، وأما إذا كانت مكتوبة فقد تخلص منها جامعوا الأحاديث أنفسهم ، ولهذا فلم يكن هناك أي مجموعة من مجموعات الأحاديث حتى القرن الثاني الهجرى .

إن هذا الإفتراض الزائف لا تدعمه أي أسانيد ولا إحساس عام بذلك ، وإذا تناولنا هذه المسألة من الناحية التاريخية فإنّ هذه الأحاديث لم تكتب في حياة النبي ﷺ فحسب ، بل في الفترات الأولى من رسالته أيضاً ، ولقد أشرنا بما فيه الكفاية إلى الصحف الخاصة بالصحابة ، وإتجاه النبي ﷺ ، المؤيد للكتابة ، أما من ناحية التقنين الرسمي للحديث فلم يتم بطبيعة الحال ، بيد أننا يجب أن نضع نصب أعيننا أن القرآن نفسه لم يقنن إلا في عهد عثمان ، لكن هل معنى ذلك أن القرآن لم يكتب حتى خلافة عثمان ، فلو أقررنا بذلك ، لناقضنا كل الحقائق التاريخية ، فإن الوحي كان من المعتاد كتابته وتسجيله على ألواح منفصلة وتم تجميعه مؤخراً في شكل كتاب ، ولهذا يجب أن نكون على استعداد للإيمان بأن الأحاديث حتى لو لم تدون بصورة رسمية إلا أنها دونت بطريقة خاصة في حياة النبي ﷺ .

---

(١) مجلة المنار (١٠ : ٧٦٧) ، و Authenticity (51)

إن تسجيل حديث النبي ﷺ من جانب الصحابة لم يكن مفاجأة لأن الناس الذين كان بإمكانهم أن يدونوا الشعر ، والأمثال ، وعلم الانساب ، وأقوال لقمان ، وغير ذلك ، فما الذي يمنعهم من تدوين أقوال النبي ﷺ ؟!

ولهذا لا يستطيع المرء أن يبرهن على أن الأحاديث لم تكن مكتوبة في البداية .

أما بالنسبة للتخلص من السجلات المكتوبة من أئمة الحديث أنفسهم ، فليس هناك خلاف حول ذلك ، لأنه من المعروف بما لا يدع مجالا للشك أن الفاروق عمر ، وعبد الله بن مسعود حرقوا (١) وتخلصوا (٢) من كافة المواد المكتوبة المتصلة بهم ، بل وأصدر عبد الله بن مسعود أمراً عاماً بحرق كل ما هو مكتوب في ذلك الوقت .

ومن المعروف أن عدداً آخر من الصحابة والتابعين إما حرقوا أو طمسوا السجلات المكتوبة (٣) بأنفسهم وإما تركوا وصية بذلك ، وعلى الرغم من كل هذه الحقائق فإنه من غير المنطقي أن تكون كل المادة المكتوبة للحديث قد تم التخلص منها كلية .

ولو أجرينا دراسة موضوعية للأحاديث المتعلقة بإتلاف الصحف

---

(١) يقال إن الفاروق عمر حرق كتب صبيغ بن عيسي

أنظر : دراسة في أدب المخطوطات العربية (١ : ٢٠) ، ميزان الاعتدال (٢:٢٧٦) .

وفي نصوص إتلاف الكتب عموماً انظر : تقييد العلم (٥٢) ، طبقات ابن سعد (٥ : ١٤٠) ، تدوين حديث (٣٩٨ - ٣٩٩) .

(٢) تقييد العلم (٥٣ - ٥٦) .

(٣) تقييد العلم (٥٣) ، تدوين حديث (٤٠٠) ، جامع بيان العلم (١: ٦٥).

المخطوطة قد يمكن أن نتوصل إلى نتيجة مفادها أن كافة أعمال العلماء كان دافعها الإخلاص ، ففي حين أتلف الفاروق عمر ، وعبد الله ابن مسعود الأحاديث المكتوبة خشية الدخول في مضاهاة مع القرآن ، أما العلماء المحدثون فكانت لهم دوافعهم المختلفة وجميعها كان بدافع الإخلاص ، وقام جميعهم بإتلاف مخطوطاتهم في مرحلة متأخرة من أعمارهم خشية أن تصل مخطوطاتهم بعد موتهم إلى أيد غير أمينة ويساء استخدامها [١] .

وفي الواقع فإنهم ظلوا مترددين بالنسبة لهذا الكنز الثمين حتى أخريات حياتهم فقد تمنوا أن يحتفظوا بمخطوطاتهم شريطة أن تصل إلى علماء أكفاء ، والخوف هو الذي جعلهم يتخذون هذا القرار المؤلم بتخريب مخطوطاتهم ، وكان هذا هو الملاذ الأخير الذي يمكن أن يلجأوا إليه ، والرغبة التي لم تتحقق لأبي قلابة (المتوفى سنة ١٠٤ هـ) تبين بوضوح هذه النقطة ، ففي وصيته لأحد تلاميذه المقربين = أيوب السختياني (المتوفي سنة ١٣١ هـ) يقول : « أرسلوا كتبي إلى أيوب لو كان حيا ، وإذا لم يكن حيا فاحرقوها [٢] » .

وكذلك عبيدة بن قيس (المتوفى سنة ٧٢ هـ) ، بعد أن أتلف كتبه ، قال : « أخشي أن يليها أحد بعدي ، فيضعها في غير مواضعها »[٣] .

وأخفى العلماء أحيانا مخطوطاتهم خوفا من المسئولية وعندما زال هذا

---

(١) تقييد العلم (٦١) .

(٢) طبقات ابن سعد (٧ : ١ : ١٣٥) ، وتذكرة الحفاظ (١ : ٨٨) .

(٣) جامع بيان العلم (١ : ٦٧) ، سنن الدارمي (١ : ١٣١) ، وطبقات ابن سعد (٦ : ٦٣) ، وتقييد العلم (٦١) .

الخوف تخلصوا منها ، ويذكر أن سفيان الثوري (المتوفى سنة ١٦١ هـ) فعل ذلك [١] .

وأيا ما كانت الدوافع وراء هذا الإتلاف ، فالحقيقة التي لا يمكن إنكارها أن عدداً ضخما من مجموعة الأحاديث قد تم التخلص منها في الحقبة الإسلامية الأولى ، ولكن هذا لا يعني أن يترتب عليه فقدان كلي لكافة الأحاديث كما ذكرنا سابقا .

وقد عرفنا أن أغلبية العلماء تخلصوا من مخطوطاتهم فى أخريات حياتهم ، وهذا يوضح أنه كان هناك وقت كاف فى متناولهم لنقلِ الأحاديث لتلاميذهم ، وهناك احتمال قوي أنّ بعضاً من هؤلاء التلاميذ دمجوا بعضا من مخطوطات مشايخهم فى كتبهم ، ومن المحتمل أيضا أنهم خصصوا نسخة مستقلة من مخطوطات مشايخهم واحتفظ بها بعضهم . وبهذه الطريقة ، فإنه فى حاله إتلاف مشايخهم لمخطوطاتهم ، فإن محتويات هذه المخطوطات ظلت مع تلاميذهم .

ويذكر أن بعض المخطوطات تم أكتشافها بالصدفة ، وتم حفظها ، ومنها على سبيل المثال كتاب « اختلاف الفقهاء » للطبري الذى وجد مدفونا بعد موته [٢] كما أن بعض المجموعات الأخرى من الأحاديث المكتوبة حفظها تلاميذ الكتاب أو أقاربهم ، وخاصة هؤلاء الكتاب الذين كانوا يكتبون بغرض الحفظ ، ومن أمثال هؤلاء سعيد بن جبير (المتوفى سنة ٩٥ هـ) وعبد الرحمن بن عبد الله بن مسعود كأمثلة يمكن الاستشهاد بها في هذا السياق ، واحتفظ عبد الرحمن بن عبد الله بن مسعود بكتاب شيخه

(١) مقدمة الجرح والتعديل (١١٥) .

(٢) دراسة فى أدب المخطوطات (٢ : ٦٢) ، وراجع اختلاف الفقهاء للطبرى تحقيق فريد ريشى كرن .

ابن عمر [١] ، فى حين يذكر أن ابن عمر احتفظ بكتاب والد تلميذه ، يعنى عبد الله بن مسعود (المتوفى سنة ٣٢ هـ) [٢] .

وهكذا نرى أنه حتى فى حاله إتلاف المخطوطات أو عندما كانت هناك رغبة فى أن تظل مخطوطاتهم غير مكتوبة ، فقد احتفظوا إلى حد ما ببعض مخطوطاتهم كتابة ، ولهذا فمن الخطأ أن نذكر أن التدوين المتأخر للحديث يرجع إلى عملية الإتلاف هذه ، وبالتالي لم تكن هناك ماده متوفرة **للأحاديث** المكتوبة .

٣- إساءة تفسير مصطلحات ومقولات بعينها :

إنَّ نظرية التسجيل المتأخر للحديث قائمة أيضا على التفسير الخاطىء لكلمات معينة مستخدمة فى سياق كتابة الأحاديث ، وتشتمل هذه الكلمات على أسماء وأفعال تبين أدوات ومواد الكتابة التى من شأنها أن توضح وسيلة وأسلوب تسجيل الأحاديث ، ومن هذه الأدوات نذكر : **صحيفة ، نسخة ، دفتر ، لوح ، رسالة ، أو كتاب .**

أما الأفعال التي تضمنتها القائمة فهى : سَمِعَ عَرَضَ ، أُخْبَرَ ، حدَّث ، جَمَعَ ، دوَّن ، ومشتقاتها .

وبعض هذه الكلمات السابقة التي تم استعارتها من لغات أخرى تنقل معانٍ مختلفة في سياقات مختلفة ، ولو تم ترجمتها باعتبارها تنقل معنى واحداً فحسب باستمرار فإنَّ هذا سيؤدى إلى الارتباك وإساءة التفسير ، ولنأخذ على سبيل المثال كلمة « **صحيفة** » فقد تم ترجمتها حرفيا على أساس أنها جزء من مادة مكتوبة ، ولكن فى الحقبة الأولى من الأدب

(١) تقييد العلم (٤٤) .

(٢) جامع بيان العلم (١ : ٧٢) .

الإسلامي كانت ، لا تقتصر دائماً على هذا المعنى المحدود ، بل كانت تستخدم بمعنى : خطاب ، وكتيب ، أو كتاب ، ولهذا ففى حاله ترجمتها لكل هذه المعانى سيؤدى باستمرار إلى الخطأ والتضليل عن المعنى المقصود .

فلو بدأنا بكلمه صحيفة التي أشرنا إليها فيما سبق سنأخذ عددا من هذه المصطلحات ونناقش معانيها لنبين أن نظرية التسجيل المتأخر للحديث قائمة على أساس تفسير خاطىء ، أو ترجمة خاطئة .

١ - صحيفة ومصحف :

إن كلمة صحيفة جمها صحف {جزء ، صفحة من الورق - أو من كتاب} كانت معروفة عند العرب حتى قبل الإسلام [١] ، ووردت كثيراً فى الأدب الإسلامى . بالإضافه إلى أن الإشارات القرآنية (**صحف ابراهيم وموسى**) [٢] ، وذُكرت صُحف الصحابة في مجموعات الأحاديث التى تم العثور على بعضها مؤخرا ، ووجدت هذه الكلمة أيضا فى بعض الأعمال التاريخية ، وكذلك أعمال السيرة [٣] .

ويُعتقد عموما أن كلمة صحيفة تحمل معنى جزء واحد من مادة مكتوبة كان يستخدم في الحقبة الإسلامية الأولى ، ولكن إذا ألقينا نظرة فاحصة على طبيعة ومحتوى صحف ما بعد ظهور الإسلام ، سنصل إلى نتيجة مفادها أن هذه الكلمة لا يمكن أن تكون قاصرة على هذا المعنى الذى

---

(١) الشعر والشعراء لابن قتيبة (١ : ١٥٢) ، مصادر الشعر الجاهلى وقيمتها التاريخية (٧٠ ، ٧١ ، ١٣٣) .

(٢) إن كلمة (صحف) فى صيغة الجمع وردت فى ثمان مواضع من القرآن الكريم (٢٠ : ١٣٣) ، (٥٣ : ٣٦) ، (٧٤ : ٥٢) ، (٨٠ : ١٣) ، (٨١ : ١٠) ، (٨٧ : ١٨) ، (٨٧ : ١٩) ، (٩٨ : ٢) .

(٣) فى تاريخ الطبرى فى مواضع كثيرة ، وفى كتب السير أيضاً .

استخدم سابقا ، ويبدو أن هذه الكلمه وظِّفت بصورة أكثر رحابة واتساعا إذا أنها كانت تعني أيضا المجموعات الضخمة من الأحاديث ، إذاً فهي لم تشر إلى جزء من مادة فحسب ، بل أشارت إلى مذكرة ، وكراسة ، بل وحتى كتاب في حجم المخطوطة .

ومن الواضح أن **الصحيفة** كان يقصد بها أكثر من جزء من أجزاء المادة المكتوبة ، وهذا جلي من أحاديث تقول إن صحيفة همام بن منبه ، وعبد الله ابن عمرو بن عَمْر العاص إحتوتا ما يقرب من (١٣٨) [١] إلى (١٠٠٠) [٢] حديث ، ولو كانت هذه الأحاديث صحيحة كما جاءت بحالتها الأخيرة على الأقل فيصبح من الصعب إذا لم يكن من المستحيل أنَّ هذا العدد الضخم من الأحاديث يمكن كتابته على صحيفة تحتوى على صفحة واحدة من الورق.

وهناك أيضاً صحف جابر بن عبد الله [٣] ، وسليمان بن قيس اليشكرى [٤] ، وابن عمر [٥] ، والصحيفة الخاصة بالحسن البصرى [٦] ،

---

(١) تهذيب التهذيب (١ : ٣١٦) ، صحيفة همام بن منبه (٢٩ ـ ٤٧) .

(٢) أسد الغابة (٣ : ٢٣٣ - ٩٣٤) ، السنة قبل التدوين (٣٤٩ - ٣٥٠) ، دراسة فى أدب البرديان العربية (٢ : ٥٨) ، مباحث علمية نشر دائرة المعارف بحيدر آباد (٢١٨) .

(٣) طبقات ابن سعد (٧ : ٣٤٤) ، تهذيب التهذيب (٤ : ٢١٥) ، دراسات إسلامية لجولد تسيهر (٢ : ١٠ / ٢٣) ، جامع الترمذى (٦ : ٥٢) ، فى كتاب البيوع ، صحيفة همام بن منبه (٢١٨) .

(٤) تهذيب التهذيب (٤ : ٢١٥) ، صحيفة همام (٢٧) ، جامع الترمذى (٦ : ٥٢) فى البيوع .

(٥) الكفاية (٣٢٩) ، تقييد العلم (١٠٣) .

(٦) طبقات ابن سعد (٧ : ٢ : ١١٦) ، سنن الدارمى (١ : ١٢١) ، جامع بيان العلم (١ : ٧٤ - ٧٥) .

وابن عباس [١] ، وحُجر بن عدى [٢] ، والصحيفة اليرموكية الخاصة بعبد الله بن عمرو بن العاص [٣] ، كانت جميعها صحف كبيرة لدرجةيتعذر معها حفظ هذه المحتويات فى جزء واحد .

ولهذا فترجمتها لكلمة **صحيفة** على أساس أنها جزء واحد من المادة المكتوبة تعد ترجمةً خاطئة ، بل وحتى **صحيفة** الإمام علي ، فقد احتوت على القواعد المنظمة لإطلاق سراحِ السجناء ، وجروح تعذيب الأشخاص ، وأعمار الجمال بغرضِ تنظيم الضرائب ، وكذلك مسائل قانونية أخرى [٤] لا يمكن أن تحتويها صحيفة تتكون من جزء واحد من الورق ، علاوةً على أن التفسير الكامل لسعيد بن جبير [٥] ، ومجموعة الثلاث مئة حديث للزهرى [٦] ، والمعروفة باسم صحيفة كانتا من الضخامة لدرجة يصعب معها جمعهما معاً في مخطوطه ورقية واحدة .

ويمكن أن نستنتج أيضا أن الصحيفة تعني أكثر من مخطوطة ورقية واحدة من أحاديث أخرى ، حيث تم استخدامها في سياق القرآن ، فقد ذُكر

---

(١) تهذيب التهذيب (١٠ : ٤١٣) ، طبقات ابن سعد (٢ : ٢ : ١٢٣) ، و (٥ : ٢١٦) .

(٢) طبقات ابن سعد (٦ : ١٥٤) .

(٣) تدوين حديث ص (٦٧) .

(٤) جامع بيان العلم (١ : ٧١) ، تقييد العلم (٨٨ - ٨٩) ، السنة ومكانتها (٧٤) ، أنساب الأشراف (١ : ٥٢٥) ، مسند الطيالسى (٢ : ١٠٤) فى كتاب الديات ، كتاب الأم للشافعى (٦ : ٣) و (٧ : ٢٩٢) .

(٥) الجرح والتعديل (٣ : ١ : ٣٣٢) .

(٦) تاريخ بغداد (١٤ : ٨٧) .

أن صحيفة الخليفة أبي بكر ، وفاطمة أخت عمر احتوت على تسعة وعشرين فصلاً من القرآن بصفه خاصة [١] .

وإذا القينا نظرة على حجم هذه الفصول يمكن للمرء بسهوله أن يستنتج أن الصحيفة موضع دراستنا لا بد أنها كانت تحتوى على العشرات من الصفحات لأنه لا يمكن أن تضم مخطوطة ورقية واحده كل هذه النصوص القرآنية . وأيضا النسخة القرآنية الخاصة بحفصة والتى ضمت أجزاءاً كبيرة من النصوص القرآنية . إذا لم يكن القرآن كله كانت أيضا معروفة باسم صحيفة [٢] .

من كل هذا يتضح أن الصحيفة تشير إلى العديد من المخطوطات الورقية المكتوبة لا إلى مخطوطة واحدة .

وفى الواقع أوضحت كلمة **صحيفة** التى استخدمت في سياق الحديث أنها ضمت مجموعة الأحاديث الصغيرة والكبيرة على السواء ، ومع أن بعض مجموعات الأحاديث في عصر الصحابة كان من المتوقع أن يكون صغيراً ، فإن هناك احتمالاً قويا بأن مجموعات الأحاديث التي تلت ذلك كان كبيرا ، وعلى سبيل المثال فإن صحيفة عبد اللّه بن عَمْرو بن العاص الذى ذكر أنه كتب كل شيء سَمِعَهُ من النبى - صلى اللّه عليه وسلم - على الرغم من احتجاج الصحابة ، ويقول النص أنه جمع (١٠٠٠) **حديث** ، ضمهم فى صحيفة كبيرة يمكن بسهوله أن نسميها كتاباً .

---

(١) دراسة أدب البرديات العربية (٢ : ٥٧ - ٥٨) ، السيرة (١ : ٢٢٦) ، طبقات ابن سعد (٨ : ٥٦) ، حلية الأولياء (٢ : ٥٠ - ٥١) ، صحيح البخاري (٣ : ٣٩٣) فى كتاب فضائل القرآن .

(٢) حلية الأولياء (٢ : ٥١) ، فتح الباري (٩ : ٩ - ١٩) ، صحيح البخارى (٣ : ٣٩٣) في فضائل القرآن .

وعرفنا أيضا الحجم التقريبى لصحف خالد بن معدان ، وخالد بن أبي عمران ، والحسن البصري ، ووهب بن منبِّه ، وحميد الطويل ، والزهرى [(١)] . وبعد قراءة عن حجم هذه الصحف يمكن أن نستنتج بسهولة أن هذا المصطلح يشير إلى حجم الكتاب أو الكتيب في فجر الإسلام .

ويبدو أن متوسط حجم الصحيفة كان في حجم صحف هذه الأيام بالنسبة لأصولها مع بعض الاستثناء بالنسبة للصحف الخاصة بمجموعة الأحاديث ، ومع هذا فيبدو أنه في النصف الثانى من القرن الأول ، فإن حجم الصحيفة كان أكبر من صحف الحقبة الإسلامية الأولى ، لأن الصحابة كانوا قد بدأوا في نسخ مجموعة أحاديث الصحابة الآخرين وبدأوا في القيام برحلات طويلة لهذا الغرض ، وفضلاً عن هذا فقد كان الصحابة في هذه الفترة متحمسين لأن ينسخوا المخطوطات بأكملها ليخرجوا مجموعة أكبر حجما من الأحاديث .

وأخذت الرحلة ، ونظام الإسناد دوراً هاماً في تطوير عملية نقل الحديث ، فقد سافر علماء الحديث إلى أبعد الأماكن ، وأرحبها لا ليكونوا على علم بالأحاديث التي لا يعرفونها فحسب ، بل ليؤكدوا على صدق هذه الأحاديث ، وكان محصلة هذه الرحلات المضنية أن يتم وضعها بشكل مكتوب في صحيفة ، بل وعلاوة على هذا دوَّنوا أحاديثهم مسلسلة بأسماء الرواة ، ونتيجة لهذا أصبح حجم مجموعة أحاديثهم متضخما بصورة كبيرة ومن الجدير بالذكر أن نلاحظ أن هذه المجموعات الضخمة من الأحاديث عرفت باسم **صحيفة** أيضا ، وهو نفس المصطلح الذى استخدم المذكرات البسيطة المكتوبة على مخطوطة ورقية واحدة أو أكثر .

---

(١) دراسة فى أدب البرديات العربية (١ : ٢٢) و (٢ : ٥٨) .

ومن هنا يمكن أن نقول : أن **الصحيفة** في الحقبه الإسلامية الأولى استخدمت بمعنى كتاب لا مذكرة فحسب كما كان يعتقد بصفة عامة [(١)] ، والافتراض بأن مجموعة أحاديث الحقبة الأولى من الإسلام كانت مجرد مذكرات لاكتيبات يمكن تفنيده على أساس أن ما وجد في فجر الإسلام كان مجرد مسوَّدة مذكرات ثم تمَّ نقلها بعد ذلك فى شكل سجلات دائمة عرفت باسم كتب ، وصحيفة [(٢)] .

ويبدو أن الصحابة والتابعين اعتادوا أن يحتفظوا بالأحاديث بفرض الحفظ ، وبهدف التسجيل الدائم ، وعلى الرغم من أننا نجد العديد من الأحاديث تروي أن شخصا أو مجموعة أشخاص من جيل الصحابة والتابعين احتفظوا•بسجلات مكتوبه بغرض الحفظ ولم تصادفنا أحاديث تذكر تحديد بواعث أخرى لتدوين الحديث اللهم إلا بفرض الحفظ من أجل فائدة الأجيال القادمة ، وهذا الباعث يمكن أن نستنتجه من مقولات وممارسات أئمة الحديث ، ولقد عرفنا أن عبد الله بن عَمْرو بن العاص كان لديه صحيفة ضخمة والتى من المؤكد أنها من أجل صالح الأجيال القادمة ، وقد أنبأنا عبد الله أيضا عن عادة صحابة آخرين فى تسجيل أحاديث النبى - صلى الله عليه وسلم - [(٣)] . والروايات عن إتلاف عمر السجلات وآخرين معه تبين أن مادة الأحاديث التى اتلفت كانت محفوظه بالفعل كسجل دائم .

---

(١) دراسات إسلامية لجولد تسيهر (٢ : ١٩٦) ، و JASB لعام ١٨٥٦ ، ص (٢.٣) ، ومشكاة المصابيح طبعة (رويسون) .

(٢) تهذيب التهذيب (٩ : ٩٧) ، وتقييد العلم (١١٢) .

(٣) جامع بيان العلم (١ : ٧٤) ، تدوين حديث (٢٤٧) ، تقييد العلم (٩٨) .

إن امتلاك بعض العلماء لنصوص مكتوبة دائمة واضح وجلى من الرواية الآتية :

لقد روى ذات مره ابن مسعود حديثا وحينئذ قال له ابنه عبد الرحمن : « إنك لم ترو الحديث بطريقة صحيحة » .

فسأله والده : « ما الذى جعلك تقول هذا » ؟

ورد الابن : « لأن هذا الحديث أصله المكتوب معي » .

وعليه أمر الأب ولده أن يحضر له الصحيفة ، وعندما أحضرها له قام بمحوه من صحيفته [1] .

وحقيقة أن العلماء أتلفوا مخطوطاتهم فى أخريات حياتهم توضح أيضا أنه على الرغم من أنهم عقدوا العزم على الاحتفاظ بسجل من أجل ذريتهم ، ولأنهم لم يجدوا أشخاصاً مخلصين وأكفاء للعناية بمخطوطاتهم ، فقاموا بحرقِ أو دفن أو محو هذه الكنوز الثمينة .

ولقد عرفنا أن الصحابة في تلك الأيام لم يحفظوا الأحاديث عن ظهر قلب ، أو يدونوا مسوّدة من أجل الحفظ فحسب ، بل نقلوا هذه الأحاديث في سجلات دائمة لا بد أن بعضهم أمْلَى الأحاديث لتلاميذه من هذه السجلات المكتوبة ، ولنأخذ مثالا على هذا أبو هريرة الذى اعتاد أن يحفظ الأحاديث عن ظهر قلب [2] ، وعبد اللّه بن عَمْرو بن العاص ، وآخرون كتبوا الأحاديث في صحفهم بغرض الحفظ أو كسجلٍّ دائم [3] ، ومن وجهة أخرى

(١) تقييد العلم (٣٩) .

(٢) طبقات ابن سعد (٤ : ٢ : ٥٤) ، أدب الحديث لزبير صدّيقى ص (٢٨) ، وتقييد العلم (٨٢ – ٨٤) .

(٣) تقييد العلم (٨١ ، ٨٢ ، ١١٢) ، مسند أحمد طبعة أحمد شاكر (١٠ – ٢٠ – ٢٢) ، تدوين حديث (٢٥٩) .

أملى واثلة بن الأسقع (المتوفى سنة ٨٣ هـ) تلك الأحاديث لتلاميذه الذين حفظوها كتابةً (١) .

كما أن بعض أئمة الحديث مثل حماد بن سلمة (المتوفى سنة ١٦٧ هـ) ، والأعمش ، وابن ادريس هم أوّل من حَفِظوا الأحاديث بعد سماعها من مشايخهم ، وعند عودتهم إلى بيوتهم دونوها (٢) .

ويصف ابن ادريس ما فعلوه بهذه الكلمات : « إنني لم أكتب الأحاديث (أثناء محاضرة أو درس) الأعمش - وحصين ، وليث ، ولكن اعتدتُ أن أحفظها بالذاكرة ، وأثناء عودتي إلى البيت أقوم بتدوين هذه الأحاديث » (٣) ونصح ابن ادريس أبناءه أن يحذوا حَذوه في كتابة الأحاديث (٤) .

ويبدو من رواية أخرى أن كتابة الأحاديث كان شائعا بين عددٍ من الصحابة وخاصة الدارسين ، ويروى لنا عبد الله بن عَمْرو بن العاص وهو في ريعان شبابه رواية في هذا الشأن ويذكر : أنه ذات مره روى بعض الصحابه عدداً من أحاديث النبي - صلى الله عليه وسلم - شفاهة وتعجب النبي ﷺ من ذاكرتهم القوية (٥) ، ولهذا سألهم عبد الله : كيف تحدثون عن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وقد سمعتم ما قال ، وأنتم تنهمكون في الحديث عن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وحينئذ قال عبد الله : « فضحكوا وقالوا : يا ابن أخينا (٦) كل ما سمعناه منك

---

(١) الإملاء (١٣) ، تقييد العلم (٩٩) ، ميزان الاعتدال (٤ : ١٤٥) ، رقم (٨٦٥٨) .

(٢) ، (٣) ، (٤) تقييد العلم (١١٢) .

(٥) وقال لهم محذراً إياهم : « من كذب عليَّ ، فليتبوأ مقعده من النار » . (المترجم) .

(٦) فى رواية : يا ابن أختنا . المحدث الفاصل (٣٦ أ) .

محفوظ معنا كتابة (إن كلَّ ما سمعناه منه هو عندنا في كتـاب) [١] .

وبسبب انتشار هذه العادات ، فقد أنجز الصحابه والتابعون هذه المجموعة من الأحاديث ، وعرفت هذه المجموعات باسم كتاب وصحيفة . وسوف نناقش مصطلح كتاب تفصيلا في فصل بعنوان السجلات الأولية [٢] .

فموضع بحثنا واهتمامنا في هذا الفصل هو مصطلح « **صحيفة** » وسوف نطرح بعض الأمثلة لنبين أن هذا المصطلح كان يستخدم بمعنى كتاب :

لقد ذكر في نص عن كتابات ابن عباس (المتوفى سنة ٦٨ هـ) والتى كانت تعادل حمل جمل [٣] بأن مولاه وتلميذه « كريب » قام بحفظها ، ثم أودعها « كريب » لدى موسى بن عقبة ، وعندما احتاج على بن عبد اللّه حفيد ابن عباس إلى كتاب ، فإنه كتب إلى كريب يطلب منه هذا الكتاب (**الصحيفة**) وقام كريب بنسخه وأرسله له [٤] .

ونرى بوضوح أنَّ كلمات **صحيفة** أو **كتاب** في النص السابق تم استخدامهما كمترادفين بمعنى : « **كتاب** » .

٢ - وفى مناقشة بخصوص الأشكال المختلفة لأخذ الحديث : (تحمل الحديث) يشير ابن جريج إشارة عارضةً إلى مصطلح صحيفة ، وقصد به كتاب .

---

(١) تقييد العلم (٩٨) ، تدوين حديث (٢٤٧) ، المحدث الفاصل (٣٦ أ) .

قلت : هذه الرواية ضعيفة في إسنادها إسحق بن يحيى بن طلحة ، وهو متروك الحديث على ما ورد فى مجمع الزوائد (١ : ١٥٢) . (المترجم) .

(٢) انظره فى الفصل الخامس .

(٣)أى تساوى . . ٦٠ مثقال . أنظر (JASB , XXV , 1856 , P : 325) .

(٤) شذرات الذهب (١ : ١١٤) ، طبقات ابن سعد (٥ : ٢١٦) ، تقييد العلم (١٣٦) .

وفي معرض رده على سؤال بخصوص كتابة الحديث ، وذلك من شيخه ، فقال : « هناك خلاف في الرأى بين العلماء حول الأحاديث المروية من الصحيفة ، وفي استخدام تعبير : أُحَدِّثُ « أي أروي مشافهة » [1] .

٣ - في تقرير آخر استخدم ابن جريج نفسه لفظ « صحيفةً » لكتاب هشام بن عروة ، واستخدم هذا المصطلح في سياق المناقشة المتعلقة بنقل الحديث من كتاب شيخ لم يجز رواية كتابه .

ذكر الواقدى أنه ذات مره ذهب ابن جريج إلى هشام بن عروة ، وسَأله : « هل الصحيفة التي عنده وموجودة لدى أشخاص آخرون تحتوى على أحاديثه » ؟

وقال هشام : « نعم » ، وبالتالي قال الواقدى : « سمعت ابن جريج » يقول :

هشام ، أخبرت من هشام = حدثنا هشام [2] .

وهذا النص الذي يوضح أن ابن جريج قَرَأَ كتاب هشام ، وروى محتوياته على مسئوليته بدون الحصول على إجازة من هشام برواية كتابه ، وقد ذكر ابن جريج بطريقة عارضة لكلمة صحيفة بمعنى كتاب ، ونظراً للسمعة التي عرف بها هشام من احتفاظه بعدد من الكتب المكتوبة ، يمكن أن نقول بثقة لا يشوبها أدنى شك : بأنَّ الصحيفة المذكورة في النص السابق تشير إلى أحد كتبه ، لا مجرد مذكرات فحسب .

ومن كل ما ذكرناه من صحف معروفة للصحابة وما أوضحناه فيما سبق يتضح أن الصحيفة في فجر الإسلام كان يُقْصَدُ بها مخطوطة في حجم

---

(١) طبقات ابن سعد (٥ : ٣٦١) .

(٢) طبقات ابن سعد (٥ : ٣٦٢) ، وجامع الترمذى (١٣ : ٣٢٨) فى كتاب العلل ، والمعارف لابن قتيبة (١٦٧) .

الكتاب ، ووجدت أيضا إشارات أوضحت أن الصحيفة مجرد مذكرة صغيرة الحجم ، ويبدو أن هذا المصطلح استخدِم للإثنين معاً أى بمعنى مذكرة ، وكتاب ووجدنا العديد من النصوص التى تحمل التفسيرين ، وسوف نعرض هنا أيضا لبعض الأمثلة :

١ - ذات مرة أنبأ مولى حُجر بن عدى سيده أن ابن حجر يتوضأ بعد عودته من الخلاء ، { واستفسر بصورة مباشرة عن قواعد الطهارة } ، ولكى يستشهد بحديث للنبى - صلى الله عليه وسلم -في هذا السياق قال لمولاه : « أحْضِر لي **الصحيفة** من الكوَّة .

وأحضر الخادم الصحيفة وقرأ منها حديثاً متعلقاً بهذا الموضوع مسنداً إلى علي بن أبى طالب (١) .

ومع أن كلمة **صحيفة** في هذه الرواية يمكن أن تشير إلى مذكرة فحسب ، لأنه يقال أن حجراً روى أحاديث عن الإمام علي (٢) ، وكان لديه مجموعة صغيرة مكتوبة من الأحاديث .

وهناك احتمال أيضاً أنه كتب مجموعة ضخمة من الأحاديث عن علي لدرجة أنها يمكن أن تشكل مخطوطاً في حجم الكتاب ، والكلمة بذلك؛ يمكن أن تحمل التفسيرين أي بمعنى رسالة وكتاب .

٢ - ويذكر أن علقمة (المتوفى سنة ٧١ هـ) أَحْضَرَ صحيفة إلى عبد الله بن مسعود ، وقال : « يا أبا عبد الرحمن ! انظر فيها ، فإن فيها أحاديثا حساناً » .

أما ابن مسعود الذى كان يعد من المعارضين للكتابة فعندما رأى هذه

---

(١) طبقات ابن سعد (٦ : ١٥٤) .

(٢) طبقات ابن سعد الموضع السابق .

الصحيفة في يده أخذها منه ، وقام بطمسها ومحوها ، ناصحاً علقمة أن يركز على السور القرآنية بدلاً من الإنشغال فيما هو غير قرآني (١) .

وكلمة **صحيفة** التى وجدت في هذه الرواية تحمل المعنيين أي الكتاب والمذكرة .

٣ - وفي رواية أخرى يقال : أن الأسود (المتوفى ٧٤ / ٧٥) ، وعلقمة وجدا صحيفة ، وأحضراها إلى عبد الله بن مسعود الذى قام بدوره بمحوها (٢) .

ويمكن ترجمة **صحيفة** هنا بمعنى : كتاب ، وكذلك مذكرة .

٤ - ويذكر أن ابن مسعود تخلص من وثيقة أخرى (**صحيفة**) احتوت على أقوال أبي الدرداء ، وقصصه { كلام من كلام أبي الدرداء وقصص من قصصه } (٣) .

ومن الواضح أنَّ هذه الصحيفة كانت عبارة عن رسالة صغيرة تحتوى على أقوالِ أبي الدرداء ، ولكن نظراً لنشاطه الأدبي ، فيمكن أن تكون مجموعة كبيرة من الأحاديث ، فضلاً عن أن النص يقول أن الصحيفة لم تحتو على أقوال أبي الدرداء فحسب بل ضمت قصصه أيضاً .

ولأن هذه الصحيفة ضمت موضوعات كثيرة قَلَّ عدد هذه المخطوطات الورقية أو كثر ، فإن الوثيقة (**الصحيفة**) يمكن تفسيرها على أساس أنها مذكره أو كتاب .

٥ - وأتلف ابن مسعود أكثر من صحيفة يمكن اعتبارها كتاباً أو رسالة .

---

(١) تقييد العلم (٥٤) .

(٢) تقييد العلم (٥٤) ، جامع بيان العلم (١ : ٦٦) .

(٣) تقييد العلم (٥٤) .

وذكر سليم بن الأسود أنه ، وعبد الله بن مرداس رأيا صحيفة في حوزة رجل من قبيلة النخع ، وطبقا لهذا النص فقد احتوت هذه الصحيفة قصصاً وحكايات من القرآن (١) ، وقام ابن مسعود الذي وَصَفَ محتوياتها أنها فتنة وضلال وبدعة بإتلاف هذه الوثيقة (٢) .

وبعد قراءة محتويات هذه الصحيفة ، يمكن للمرء أن يستنتج أنها كانت في حجم الكتاب ، على الرغم من أن هناك احتمالاً قويا بأن تكون كتيباً .

أما عن مسألة التنبؤ بأنها كانت في حجم الكتاب يمكن استخلاصه من مقولة ابن مرداس الذى يقول « لقد اشتريت بعض الصحف بعد دفعي بعض النقود » (٣) .

ويبدو أن هذا كان كتاباً كبيراً مكتوباً على ورق عريض ، واشتراه ابن مرداس لأنه كان مهتماً بذلك .

وفى ضوء الأمثلة التى استشهدنا بها ، يمكن أن نستنتج أن مصطلح **الصحيفة** لا يمكن أن يُقْصَدَ به مذكرة فحسب ، لقد كان ذلك في الحقيقة المعنى الوحيد الذى استخدم فيه لفظ « **صحيفة** » في فجْر الإسلام ، وهى حرفيا يعنى مخطوطة ورقية واحدة من مواد الكتابة ، و لهذا فقد أشار هذا اللفظ إلى رسالة ، واستخدم أيضا بمعنى عدد من المخطوطات الورقية . لمادة مكتوبة ، ولهذا كان يقصد به **خطبة** ، **رسالة** ، أو **بحث** ، أو **مذكرة** ، ونادراً ما استخدم بمعنى مخطوط في حجم كتاب ، أما الصحيفة التي يقصد بها كتاب فواضحة تمام الوضوح من الفصل المُعَنْوَنَ باسم ابن عبد البر : « جامع

(١) تقييد العلم (٥٥ - ٥٦) .

(٢) تقييد العلم (٥٥) .

(٣) نشأة الكتابة فى مجلة البغال الآسيوية (JQSB , XXV , 1856 , P : 312) ، وتقييد العلم (٥٥) ، مع تباين قراءة (اشترى) بدلاً من (اشتريت) .

بيان العلم » ، والذى يقع في أصل عن كراهية كتابة الأحاديث وحفظها في كتب (**باب كراهية كتابة العلم وتقييده في الصحف**) [١] .

ومن الجدير بالذكر أن نلاحظ أن الصحف في العصور القديمة كانت تجمع وتحفظ في أوعية مختلفة مثل : الجراب ، أو حباب وهى عبارة عن إناء كبير ، والجوال [٢] إلخ .

ويمكن أن نجد قائمة بهذه الأوعية من خلال إشارات متفرقة فيما تهيأ لنا من أدب الحديث .

وذكرت بنيهة عبود أكثر من عشرين وعاءاً وفقا لترتيبهم الأبجدي باللغة العربية ولم يعط مقابلهم باللغة الإنجليزية [٣] .

ومما هو جدير بالذكر أن الصحف لم تكن في شكل يسهل طيه وبالتالي يمكن للمدرسين أن يوزعوها بسهولة بين طلابهم للقراءة ، وأغراض النسخ ،

---

(١) جامع بيان العلم (١ : ٦٣) .

(٢) واستمرت هذه العادات حتى حكم المنصور العباسي ففى مطلع فترة حكم المنصور تذكر الأستاذة عبود : « إن خالد البرمكي أدخل نظام الدفتر في شكل مخطوطة في مقابل الوثائق المستخدمة منذ فترة مبكرة في التنظيمات الإدارية .

انظر : دراسة فى أدب المخطوطات العربية (٢ : ٥٩ - ٦٠) ، ولطائف المعارف (٢٠) .

(٣) أما الأوعية الأساسية التى تم جمعها عشوائيا من أعمال الأحاديث التي توفرت لنا فهي : التابوت ، التليس ، الجراب ، والاضبارة ، الجوال ، الحبّ ، الحقيبة ، الحزمة ، الخرج ، الخريطة ، الصرة ، رزمة ، ذيل السفط (التابوت) ، الصندوق ، الصفن ، السنارة ، الطبق ، العدل القفة ، القمطر ، القوسرة ، الكيس ، وداره ، النمط ، حقِّه .

انظر درسة فى أدب البرديات : ص (٢ : ٤٣) .

بل وحتى محفوظات ، قد امتلك قليل من معتنقى الإسلام الأوائل عدداً منها (١) .

وقد قرأنا قصة إعتناق عمر للإسلام حيث وجدنا أن أخته فاطمة وزوجها سعيد كانا يستمعان إلى السورة رقم عشرين عندما دخل عليهم عمر بيتهم ، وتخبرنا القصة بأن المخطوطة كان يتلوها مولى بني الخطاب ويذكر في هذه القصة أن الفاروق عمر أراد أن يرى هذه الصحيفة التي يقرءون منها ، ولم تُعْطَ له إلا بعد أن تَطَهَّرَ ، وعليه ، فقد اعتنق الإسلام .

واضح من النص السابق أن بعض أجزاء القرآن في عَصْرِ النبى - صلى الله عليه وسلم - والتي كتبت على مخطوطات ورقيه مختلفة من مواد الكتابة مثل - الجلد ، سعف النخيل والعظم الكتفي .. إلخ . كانت لدى معتنقي الإسلام .

ولا يمكن أن نستنتج من الرواية السابقة بأن الصحيفة موضع دراستنا لم تكن مجرد مخطوط واحد من مادة الكتابة ، لأنه يقال : أن المخطوطة التى تحتوى على عشرين جزءاً من القرآن لا يمكن كتابتها على مخطوطة واحدة ، والاستنتاج الوحيد الذى يمكن أن نخرج به أن **الصحيفة** تشير إلى مخطوطة واسعة من مادة الكتابة حيث كتبت فيها السور القرآنية .

ونتوقف هنا لنقول : إذا كانت المخطوطات القرآنية لم تقيد في شكل كتاب ، فالاحتمالا الأقوى أن الأحاديث حفظت في مخطوطات واسعة ، والمعروفة عملياً باسم **صحف** جمع صحيفة .

ويقول ابن تغرى بَرْدي : « يتضح من هذه المخطوطات الغير مرتبة ، والموثقة أن الصحابة اعتادوا أن ينقلوا العلم ومعه على سبيل المثال الأثر :

---

(١) نهاية الأرب (١٦ : ٢٥٣ - ٢٥٨) .

(كانوا يروون العلم عن الصحف الصحيحة الغير مرتبة) [(١)] .

ولقد رأينا أن **الصحيفة** وجمعها **صُحف** كان يقصد بها في المرحلة المبكرة من الإسلام مجموعة من المخطوطات العريضة يُكتَب فيها القرآن والحديث .

ولا نستبعد هنا إحتمال أن الصحيفة استخدمت بمعناها الحرفي على أساس أنها مخطوطة ورقية واحدة ، ولنأخذ مثالاً على ذلك ، فالوثيقة التى دعت إلى مقاطعة النبي – صلى الله عليه وسلم – ومؤيديه وضعت فى الأصل على أنها صحيفة [(٢)] ، وبالنظر إلى محتويات هذه الوثيقة ، يمكن أن نستنتج أن مخطوطة ورقية واحدة تكفي لتدوين هذه الوثيقة ، ولهذا يبدو أن الصحيفة تشير إلى جزء واحد من مادة الكتابة ، وهذا واضح من نص آخر وجد في السيرة يقول : « أن عمر كتب سورة معينة من القرآن [(٣)] وأرسلها إلى هشام بن العاص [(٤)] ومن هنا يبدو أن محتوى سورة واحدة مليء بها مخطوطة واحدة والتي استخدم من أجل كتابتها صحيفة .

ويذكر ابن سعد أيضاً الصحيفة التى ضمت حديثاً واحداً [(٥)] فمن الواضح أن الصحيفة كانت تتكون من مخطوطة ورقية واحدة ، لا كتاب .

---

(١) النجوم الزاهرة (١ : ٣٥١) ، وتاريخ الخلفاء للسيوطي (١٠١) .

(٢) السيرة (٢٣٠) ، طبقات ابن سعد (١ : ١ : ١٣٨) .

(٣) ويقول القرآن الكريم « واتبعوا أحسن ما أنزل اليكم من ربكم من قبل أن يأتيكم العذاب بغتة وأنتم لا تشعرون » . القرآن الكريم (٣٩ : ٥٥) .

(٤) السيرة (٢٣٠) .

(٥) ونص الحديث هو : « من سن سنَّة حسنة ، فله أجرها ، ومن ابتدع بدعة تصب عليه اللعنة من الله وملائكته ومن العالمين » . طبقات ابن سعد (٥ : ١٧٧).

والصحيفة التي كانت تعني مخطوطة ورقية واحدة من مادة الكتابة تتضح في النص الآتى : في يوم من الأيام عزم الإمام علي ، أن يدوّن بعض الأحاديث ، فأحضر الحارث الأعور عدداً من الأوراق ، ويتضح من هذه الرواية أن استخدام كلمة صحف في صيغة الجمع وذكر كلمة « أحاديث عديدة [١] » (علمًا كثيراً) يبين أن عدداً من المخطوطات الواسعة تم إحضارها لتدوين الأقوال التي رواها علّي . ومن هنا فمعنى صحيفة هنا أنها مخطوطة عريضة .

وبالنسبة للمعنى المعروف على أساس أنها « مخطوطة واحدة » من مواد الكتابة ، فقد تم استخدام الصحيفة للرسائل التي تغطي مساحة صفحة ، وسوف نستشهد ببعض الأمثلة ، فرسالة حاطب التى احتوت إفشاء معلومات سرية عن نية النبي صلى الله عليه وسلم للهجوم على مكة، والتي أرسلت سراً وحملتها امرأة من أهل المدينة إلى أهل مكة ، والتى اعترض عليها علي ، والزبير ، وُصِفَتْ في الأصل على أنها صحيفة [٢].

وقد عرفنا أن الرسالة تم إخفاؤها فى خصيلات شَعْر هذه المرأة ، وتم اكتشاف هذا بعد بحث طويل ، وهذه الرواية توضح أن محتوى هذه الرسالة كان مختصراً ، وغطت مساحة لا تزيد عن مخطوطة ورقية واحدة حتى يمكن إخفاؤها بسهولة في شَعْر المرأة ، ومن ثَمَّ سميت هذه الرسالة صحيفة .

واستشهد البخاري بحديث وجد فيه كلمة صحيفة بمعنى خطاب ، وبالإشارة إلى رواية قديمة يذكر أن النبي صلى الله عليه وسلم أشار

(١) طبقات ابن سعد (٦ : ١١٦) ، تدوين حديث (٤٢٣) .

(٢) صحيح البخارى (٣ : ١٣٧) ، فى المغازى ، والمغازى للواقدى (٤٠٧).

إلى الرجل الذى من حين لآخر يرفع من البحر قطعة من الخشب ويجد تحتها بعض النقود ومعها صحيفة (في حجم الخطاب) [١] ، واللقب الذى ينطبق على مصطلح في مثل هذه الوثيقة كان ربما بسبب إختصار محتوياتها والذى يمكن تغطيته في مساحة لا تزيد عن الصفحة .

واستشهد الجاحظ بجزء من شِعْر أبي وجزة (المتوفى سنة ١٣٠ هـ) وذيّله بتعليق منه :

إن الشاعر هو الذى قال هذه الكلمات ، مشيراً إلى الصحيفة (الرسالة) ، والذى حقق [٢] له الحصول على ستين وسقاً من التمر [٣] .

والخطابات التى أعطاها عَمرو بن هند للمتلَمس وَطَرفة بن العبد وصُفِت أيضاً باسم صحيفة [٤] .

فمصطلح صحيفة وجد أيضاً في **حديث قرطاس** ، وهو الحديث المتعلق برغبة النبى صلى الله عليه وسلم في تسجيل شيء وهو على فراش المرض، وبالنظر إلى هذه الأحاديث يخرج المرء بالاعتقاد بأن كلمة صحيفة في هذه المناسبة إستخدمت بمعنى مخطوطة واحدة من مادة الكتابة .

والأحاديث المختلفة من هذا السياق ذكرت بالتبادل كلمتي : صحيفة ، وكتف ، كما استخدمها النبى - صلى الله عليه وسلم - في هذه

---

(١) صحيح البخارى (٢ : ٩٤) ، فى كتاب اللقطة .

(٢) مكيال للحبوب يساوي (٦٠) صاعاً . أى حمولة جمل . قلت : الصاع يساوى (٢٧٥١) غراماً ، والوسق يعادل (١٦٥) كيلو غرام . (المترجم) .

(٣) الحيوان (١ : ٩٦) .

(٤) الشعر والشعراء (١ : ١٣٣ - ١٣٤) ، الأغانى طبعة رودلف (٢١ : ١٩٤ - ١٩٧) ، ولأجل التوسع راجع فى الفصل السابق تحت عنوان : وضع الكتابة العربية لدى ظهور الإسلام .

المناسبة ، وفي التفسيرات ذُكر أنه سأل عن المحبرة ، والصحيفة [١] ، ولكن في إحدى الروايات وجد أن الصحيفة مرتبطة بكلمة كتف [٢] (عظمة الكتف كانت تستخدم عموماً في الكتابة) وتلك الرواية الثابتة رواها ابن عباس الذي انضم أيضاً إلى الأغلبية من ناقلي الحديث الذين ايَّدوا الروايةَ الأولى للنبى ﷺ ، والبديل لكلمة **صحيفة** وهى كلمة **كتف** في الرواية الثانية تقول : أن كلا البديلين استخدمهما النبى صلى الله عليه وسلم بل وحتى إذا كان الكتف هو الذي سأل عنه ، وعلى الرغم من أن كلمة صحيفة ذكرت عموماً ، فإن هذا الكتف يبين ما طلبه النبى ﷺ كان مادة واحدة من مادة الكتابة ، وهذا بدوره يبرهنُ على أنَّ الصحيفَةَ التى طلبها النبى ﷺ وهو على فراش الموت والتى ارتبطت بكلمة محبرة تشير إلى مخطوطة واحدة من مادة الكتابة ، وإذا لم يكن هذا هو الصحيح ، لما استخدم ابن عباس مصطلح كتف في صورة المفرد .

وفي إحدى الروايات الأخرى لابن عباس ، يقول أن النبي ﷺ تمنى أن يملي ثلاثة بدائل [٣] ، ذكر ابن عباس إثنين منها ، والذى رأي أيضاً أن الكتابة على الصحيفة كانت مختصرة ، واستلزمَتْ كلمة مخطوطة في هذا السياق ، أن هناك احتمالاً قوياً أن تكون مخطوطة واحدة من مادة الكتابة .

ولقد رأينا أن كلمة صحيفة في سياقات معينة أشارَتْ إلى مخطوطة من مادة الكتابة ، ولكن ليسَ هذا هو المعنى الوحيد لهذا المصطلح ؛ فقد استخدم هذا المصطلح أيضًا فيما هو أكثر من مخطوطة واحدة ، فهناك جمع من السجلات الأولية المكتوبة مثل : الخطابات الدورية الرسمية - العقود

---

(١) طبقات ابن سعد (٢ : ٢ : ٣٦ - ٣٨) .

(٢) طبقات ابن سعد (٢ : ٢ : ٣٧) .

(٣) طبقات ابن سعد (٢ : ٢ : ٣٦) .

- المعاهدات ، والتي في الأعم الغالب تغطي علي الأقل مساحة صفحة أو صفحتين ، ولكن لا تصل في حجمها إلى حجم مذكرة ، أو كتاب في حجم عدة مخطوطات ، والتي تمت الإشارة إلى نشأتها على أنها صحف [(١)] ، ولهذا فمعاهدة صلح الحديبية والتي غطت مساحة صفحة أو ثلاث صفحات ذكرت على أنها صحيفة في صيغة المفرد [(٢)] ، وعلى سبيل المثال فكثير من توجيهات النبي ﷺ [(٣)] بخصوص الزكاة ، والمعاهدات ، والمواثيق [(٤)] التي أعطاها لجيرانه من قبائل المدينة [(٥)] ، هناك احتمال قوى أن تكون كتبت على صفحتين وعُرِفَت باسم : صحيفة .

إنّ دستورَ المدينة والذى يعد أحد الوثائق الهامة لعصر النبى ﷺ وُصِفَ على أنَّهُ صحيفة [(٦)] ، فكلمة « صحيفة » التي استخدمت هنا تشير بوضوح إلى معاهدات ، واتفاقيات مماثلة ، وتشير أيضاً إلى وثائق تغطي مساحة عدد قليل من الصفحات .

وتشير الصحيفة أيضاً إلى مذكرة صغيرة استخدمت مؤقتاً لتسجيل الحديث ، ويبدو أن هذه المذكرات حفظها الطلاب ودَوّنوها لمشايخهم ، ومن هذه المسوّدات أخرج الطلاب نسخهم بعد ذلك . ووجدنا العديد من الروايات التي تذكر أن التلاميذ سجلوا أحاديث مدرسيهم في مذكرة (**صحيفة**) ، وعندما تكتمل هذه الصحيفة فإنهم يدونون على سُعف النخل ، وعلى نعالهم ،

---

(١) السيرة (١ : ٣٤٢ - ٣٤٤ ، ٧٤٩) ، المغازى للواقدى (٣٨٨) .

(٢) السيرة (٢ : ٧٤٩) ، والمغازى (٣٨٨) .

(٣) المغازى (٤٢٤) .

(٤) المغازى (٤٢٤) .

(٥) المغازى (٤٢٤) .

(٦) السيرة (٣٤٢ - ٣٤٤) .

وعند عودتهم إلى منازلهم ينقلون كل هذه المادة المكتوبة في كراساتهم الخاصة .

ولا بأس أن نسوق مثالاً على هذا في رواية سعيد بن جبير ، حيث قال :

« عندما ترددت على ابن عباس (أحضر دروسه) ، كنت اكتب في كراستى (**فى صحيفتى**) حتى تمتلىء عن آخرها ، ثم أكتب على نعلي حتى لا يبقى به أي فراغ ، ثم أكتب على سُعفي [(١)] » .

وفي رواية أخرى يقول ابن جبير : « إعتدت أن أدون عن ابن عمر مسائل متضاربة بهدف مناقشتها معه ، أي مع ابن عمر . ولكن لو عرف أننى أملك كتاباً (أدون فيها هذه النقاط) لكانت الفيصل فيما بيني وبينه » [(٢)] .

ويذكر أن الزهري حَمَلَ عدداً من الألواح والصحف أثناء دروسه فى الحديث [(٣)] .

وربما كانت موادُّ الكتابة هذه تستخدم كمسودة ، ويخرج من هذا بنسخة عند عودته للبيت .

إنَّ عادة نقل المسودة في الكتب الخاصة استمرت لفترة طويلة ، ولقد عرفنا على سبيل المثال أن كيسان (المتوفى بعد سنة ١٤٠ هـ) اعتاد أن يدوِّنَ

---

(١) طبقات ابن سعد (٦ : ١٧٩) ، صحيفة همام بن منبه (٣٥) ، سنن الدارمى (١ : ١٢٨) .

(٢) طبقات ابن سعد (٦ : ١٧٩) ، تقييد العلم (٤٤) ، جامع بيان العلم (١ : ٦٦) .

(٣) تذكرة الحفاظ (١ : ١٠٩) " DURI, A.A : " Al-Zuhri P : (2)

الأحاديث على الألواح ، ثم ينقلها بعد ذلك في دفتر ، وهو مصطلح يستخدم للتعبير عن الكتاب [١] .

ويقال أيضاً أن مخطوطة « الدارقطني » « العلل الواردة في الأحاديث النبوية » كتبت أولاً على رقع (نوع من الورق العريض) ثم نُقِلَتْ إلى الأجزاء (نوع من الورق أكثر إتساعاً) [٢] .

ويتضح من المناقشة السابقة أن كلمة صحيفة استخدمت بمعانٍ مختلفة في مناسبات مختلفة ، ففي حين أنها أشارت إلى صفحة واحدة من مادة الكتابة ، أشارت في مواضع أخرى إلى العديد من الصفحات ، ولا تعني في كل الأحوال أنها مخطوطة في حجم كتاب ، وبالتالي فإنَّ هذه الكلمة يمكن ترجمتها بمعنى خطاب ، كراسة ، كتاب ، وذلك طبقاً لمحتوياتها .

ويبدو أن مصطلح صحيفة استخدم بمعنى **مصحف** والذي يشير في استخدامه للقرآن الكريم [٣]

وعلى المستوي الحرفي فالصحيفة تعني مجموعة من صفحات الورق ، أو المخطوطات الورقية ، وكما أنها تشير أيضاً إلى مخطوطة في حجم الكتاب ،

---

(١) الإملاء (٩٢) .

(٢) تاريخ بغداد (١٢ : ٣٧ - ٣٨) .

(٣) وظل القرآن فترة طويلة معروفاً باسم : كتاب ، طالما لم يبوب ويصنف ، واستخدم هذا المصطلح في القرآن نفسه . انظر القرآن الكريم ، (٢ : ١) ، (١٨٥:٢) ، (٦ : ١٩) ، (١٠ : ١) ، (١٦ : ٨٩) ، وغيرها ، وبعد عملية التصنيف والتبويب سمي مصحفاً ، ويقال أن أبا بكر هو أول من أسماه مصحفاً . تاريخ الخلفاء للسيوطي (٧٧) .

ولهذا فإن مجموعة أحاديث خالد بن معدان الحمصي (المتوفى سنة ١٠٣/١٠٤ هـ) عرفت باسم « **مصحف** » (١) .

ومثل ذلك فمجموعة أعمال الحديث للأعرج وصفت بأنها « مصاحف » جمع مصحف (٢) .

ويسمي الجاحظ أجزاء كتاب الحيوان بالمصحف (٣) .

وكذا فإن أبا سعيد الخدري والذي يعد من الشخصيات الرئيسية في كراهية كتابة الحديث ذكر أنه استعمل كلمة **مصحف** ، بمعني كتاب ، فيذكر أن أبا نضرة وزميله طلبا أن يملي عليهما الحديث ، فقال أبو سعيد : « لا نُكتبكم شيئاً ، أتجعلونه مصاحف تقرأونها وقد كان نبيكم ﷺ يحدثنا ، فنحفظ عنه ، فاحفظوا عنا كما حفظنا عن نبيكم ﷺ »(٤) .

ويغفل مؤيدو نظرية تأخير تسجيل الحديث حقيقة أن مصطلحي : **صحيفة** ، **ومصاحف** قد استعملا في معان مختلفة ، وفي سياقات مختلفة ، وفسروا هذه الكلمات بمعني خاص ، أي بمعنى مذكرة ، أو كراسة باستمرار ، وطبقاً لهذا التفسير فقد توصلوا إلى نتيجة مؤداها أنه لم يكن هناك مجموعة كبيرة من الأحاديث في البداية ، ومن الجدير بالذكر أن نلاحظ أن مصطلحات (٥) أخرى مشابهة مثل : دفتر ، نسخة ، ديوان ، كراسة ، بل وحتي : كتاب ،

---

(١) تذكرة الحفاظ (١ : ٩٣) ، مجلة المنار لمنشئها الشيخ محمد رشيد رضا (١٠ : ١٠ ، ٧٥٤) ، تهذيب التهذيب (٣ : ١١٩) .

(٢) تقييد العلم (٥٩) .

(٣) الحيوان (١ : ٣٨٩) ، (٢ : ٣٧٥) ، (٣ : ٥٣٩) ، (٤ : ٤٩٢).

(٤) تقييد العلم (٣٦) ، جامع بيان العلم (١ : ٦٤) .

(٥) انظر في الفصل الخامس حيث يتناول التدوين الحقيقي للحديث .

والتي وظفت بمعني رسائل ، وكتب ، وفسرها العلماء بهذا المعني السابق ، وبهذه الطريقة فهذه المصطلحات مرت بنفس مصير الصحيفة والمصحف ، وفُسِّرَتْ بمعني محدود أيضاً .

- **تحديث ، تدوين ، جمع ، رواية ... إلخ**

بغض النظر عن عدم دقة تفسير مصطلحات صحيفة ، ودفتر ...الخ . فمؤيدو نظرية التسجيل المتأخر للحديث لم يستوعبوا أفعالاً مثل : **جَمَعَ** ، **ذَكَرَ** ، **دَوَّن** ، **صنَّف** ، ومشتقاتها ، وهذا بدوره قادهم إلى الاعتقاد بأنَّ نقل الحديث استمرَّ مشافهة حتى وقتٍ متأخرٍ يصل إلى منتصف القرن الثاني الهجري ، بل أن عالماً مثل « Mingana » ذهب أبعد من ذلك فقال : إن تسجيل الحديث كتابة قد تم من جانب جامعي المجموعات التقليدية في القرن الثالث الهجرى (١) ، ويبدو أن هذه النتيجة التي خرج بها مبنية على فرض أن أفعال : روى ، حدث ، وجمع تعني النقل الشفهي فحسب ، ويقول في ذلك : « لاتشير التعبيرات إلى وثائق مكتوبة وضعت أمام الراوي (٢) .

وفي الواقع فإنَّ « Mangana » ومؤيديه لم يدركوا فهم معني المصطلحات ، ومن ثم توصلوا إلى نتيجة خاطئة .

ولقد رأينا بالفعل أنَّ أسماء : صحيفة ، دفتر ، نسخة ، وكثير من المصطلحات الأساسية المماثلة التي استخدمت في سياق الكتابة وحفظ الحديث ، وصفت بمعانٍ مختلفة أي بمعني مذكرة ، خطاب ، كتاب ، ورأينا أيضاً أن زعماء نظرية تأخير تسجيل الحديث أغفلوا هذا المعني للمصطلح

---

(١) و (٢) : Mingana : on important manucspft of the traditions of Bukhari , p : (21)

. وفسروه بمعني مذكرة أو كراسة فحسب ، ومما هو جدير بالذكر أن رواية الأفعال ومشتقاتها والتي استخدمت في سياق تسجيل الحديث زادت أو قلت لا تغير في الموضوع شيئاً ، فالافعال (وبالتالي مشتقاتها) والتي أسئ تفسيرها عموماً هي : تحديث ، إخبار ، جَمعْ ، رواية ، تدوين ، تصنيف ، ذكر ، قول ، عَنْعَنَ .

وزعماء نظرية التدوين المتأخر للحديث فسروا هذه الأفعال بمعني النقل الشفهي ، وهذا الفرض صحيح في جانب واحد فقط من جوانبه ، لأن هذه الأفعال استخدمت أيضاً في النقل الكتابي كما هو واضح من هذه المناقشة .

أ) التحديث ومشتقاته :

إن أحد الأشكال المختلفة لتعليم علم الحديث (تحمل الحديث [١]) هو السمع من خلال الاتصال شفاهة بالمدرس ، والمعروف عملياً بمعنى علم الحديث ، أي بالمعني السماعي ، وفي هذا النوع من الحديث يروي الشيخ إما من ذاكرته ، أو من كتاب الحديث شفهيا ، والتلميذ يستمع ، إليه وبالتالي عندما يروي هذا التلميذ لتلاميذه هو الأحاديث التي تعلمها يستخدم صيغة : حدثني ، أو حادثني ، ويقول : (روى لي ، أو رُوي لنا) بصفة خاصة ، وهذا المصطلح في وسيلته الخاصة في النقل يتضمن عموماً أن التلميذ يسمع الحديث من شيخه مشافهةً حتى ولو استخدم المدرس كتاباً ، ولكن هذا مجرد معني واحد للمصطلح ، لقد استخدمت الكلمة بمعانٍ مختلفة كذلك ، بحيث أنها تضمنت النقل الكتابي ، ورأينا حين ناقشنا

(١) أما الطرق الأخرى لتعلم الحديث فهي عرض ، (أي القراءة على المعلم) ، إجازة (السماح بالنقل) ، المناولة (أي تسليم المخطوطة لنقلها دون إتصال مباشر) ، مكاتبة (أي إستلام المخطوطة من خلال المراسلات) إعلام (الشهادة) وجادة (أي إيجاد المخطوطة بعد وفاة المؤلف) . قواعد التحديث (١٨٧ - ١٨٨).

معني صحيفة أن ابن جريج (المتوفى سنة ١٥٠ هـ) روي حديثاً من كتاب هشام بن عروة ، واستخدم مصطلح : حدثنا ، ورأينا أن ابن جريج في هذا المثال لم يطلب من هشام إذناً ليروي أحاديثا على مسئوليته ، وتأكد منه فحسب ما إذا كان الكتاب يحتوي على أحاديث رواها هشام ، ومن جهة أخري فبدلاً من أن يعطي له هشام تصريحاً بالنقل على مسئوليته ، أكد ببساطة أن هذه الأحاديث رواها بنفسه [١] ليخبر المستفسر بأنَّ كتاباً معينا يتم نقله دون قوله : « إروِه على مسئوليتي » كان معروفاً عملياً بالعلم [٢] ، وهو عمليات تحمل الحديث .

إذا وضعنا هذا التعريف في الإعتبار ، يمكن أن نقول أن مصطلح حدثنا استخدم في العلم الذي يركز على النقل الشفهي ، ولا يتضمن بالضرورة الاتصال الشفهي .

وهناك وسيلة أخرى لأخذ الحديث وهي الوجادة (أي إيجاد المخطوطة) حيث ينقل الحديث من المخطوطة التي وجدتَ بعد موت الكاتب ، وفي هذه

---

(١) قاعدة عامة : إن نقل الحديث بدون تصريح من المعلم يعد أمراً غير مقبول ، ولكن في حالة العلم حيث يتم إحضار المخطوطة للمعلم الذي يردها إلى التلاميذ بعد قراءتها قراءة دقيقة ، فإن هذا يتضمن أن هذا التلميذ حصل على موافقة ضمنية ليروي على مسئوليته ، ويمكن أن نستشهد بهذا المثال : قال عبيد الله بن عمر : «أحضرنا كتاباً إلى زهير يحتوي على أحاديثه فتساءل (أي زهير) يا أبا بكر هل هذه أحاديثك ؟ ثم أخذها ونظر فيها ، وردها قائلاً : « نعم إنها أحاديثي ، ثم أخذناها منه ورويناها على مسئوليتنا على الرغم من أنه لم يقرأها لنا ، ولم نحصل منه على إجازة بنقلها على مسؤوليته : كل ما حصلنا عليه ، هو تأكيده لنا أنها أحاديثه » وأمثلة أخرى كثيرة نقلها لنا الخطيب البغدادي تبين أن حادثني لاتقتصر على النقل الشفهي فحسب » . المحدث الفاصل (٤٦ ب) .

(٢) قواعد التحديث (١٨٨) ، Technical Ter ms (2 : 1068)

النوعية من النقل استخدم أيضاً صيغة حدثنا [١] ، والتي لايمكن تفسيرها على أن الراوي روى مشافهةً ، بل على العكس فإنها تشير إلى نصوص مكتوبة ، ولنأخذ مثالاً على هذا : ذات مره توصل إسحاق بن رشيد (المتوفى أثناء حكم المنصور) إلى رأي ، وبدأ في رواية أحاديث الزهري مستخدماً صيغة : حدثنا الزهري ، وعندما شك الناس في مسألة سماعه عن الزهري سألوه أين قابلت الزهري وسمعت منه هذه الأحاديث ؟ وردَّ إسحاق : بأنه لم يقابل الزهري ، بيد أنه وجد الكتاب الذي يروى منه عن الزهري في القدس [٢] .

ونلاحظ أنه على الرغم من حقيقة أن الراوي لم يقابل الشيخ ليسمع منه ، استخدم مصطلح : حدثنا ، ليبين الطريقة التي يروي بها هذه الأحاديث ، ولهذا وجدنا أن مصطلح : حدثنا ، لا يشير إلى النقل الشفهي ، بل إلى الأحاديث المكتوبة ، فكلمة : حدثني ، أو حدثنا كانتا تستعملا عندما يقرأ الطالب ويسترجع مخطوطة ما سواء أكانت الكتابة بطريق الاملاء ، أو بطريق النسخ من نصوص صحيحة عن الشيخ [٣] ، والذي بدوره يسمح له بنقل الحديث على مسئوليته ، والذي يعرف عملياً باسم عرض (إسترجاع الشئ) وتسمى هذه الطريقة بالاسترجاع ، وكانت معروفة في عصر الزهري ، ونجد من هذه الطريقة أيضاً أنه على الرغم من أن الطالب

---

(١) لقد عرفت الوجادة بأن يجد المرء حديثاً أو كتاباً بخط آخر بإسناده ، فله أن يروي عنه على سبيل الحكاية ، فيقول : « وجدت بخط فلان ، حدثنا فلان ... » ، وله أن يقول : « قال فلان » إذا لم يكن فيه تدليس يوهم اللقي ، أما روايته بـ «حدثنا» أو « أخبرنا » أو نحو ذلك مما يدل على اتصال السند فلا يجوز . (المترجم) .

(٢) نشأة الكتابة في مجلة : JAsb XXV , 1856 , p (328)

(٣) معرفة علوم الحديث للحاكم (٢٥٦ - ٢٥٨) .

يستفيد من النص المكتوب إلا أنه يستخدم صيغة : حدثني ، أو حدثنا ، وقد ذكر هذه المقولة عطاء بن أبي رباح الذي قال في رده على سؤال ابن جريج عن الصيغة التي يجب أن يستخدمها ليسترجع أحاديثه قال له : « قل : حدثنا عطاء [1] » وفي ضوء هذه المقولة الواضحة لعطاء (المتوفى سنة ١١٧هـ) يمكن أن نقول : أن مصطلحي حدثني ، وحدثنا لا يتضمنا بالضرورة النقل الشفهى للحديث .

ورأينا أن مصطلح : حدثنا ، استعمل في طريق السماع للعلم ، والوجادة ، والعرض ، لتعلم الأحاديث حيث تم النقل من خلال نص مكتوب ، ومن الجدير بالذكر أن نلاحظ هنا أن هذا المصطلح استخدم في طريقه المخاطبة ، والتي فيها يتم تلقي الأحاديث من خلال المراسلة ، ووفقاً لهذه الطريقة ، فالحديث المتعلق بالمخطوطة والذي تم الحصول عليه من خلال المراسلة أحياناً كان يتم بين الشيخ والتلميذ ، وموافقة الشيخ على نقل أحاديثه متضَمَّنَةً في هذا النوع من النقل ، ولهذا فالطالب غير مُطالب بأن يأخذ تصريحاً رسمياً من الشيخ عندما يمكن له مقابلته ، وهذا الحوار بين شعبة والمنصور يلقي الضوء بما فيه الكفاية على هذه القضية .

قال شعبة : كتب إليَّ المنصور بحديث ، ثم لقيته بعد ذلك فسألته عن ذلك الحديث ، فقال لي : ألم أحدثك به ؟ إذا كتبت به إليك فقد حدثتك [2] . فإن هذا يتضمن أنني رويته إليك (إذا كتبته إليك فقد حدثتك) .

واستشهد الرامهرمزي والحاكم بأمثلة عديدة حيث لوحظ أن الرواة رووا

---

(١) المحدث الفاصل (٤٤أ) .

(٢) المحدث الفاصل (٤٣ ب و ٤٤ أ ، ٤٨ أ) ، ومعرفة علوم الحديث للحاكم ، ص (٢٦١) .

الأحاديث بصيغة : حدثني أو حدثنا على الرغم من أنهم لم يقابلوا شيوخهم ولكن اطلعوا على كتبهم [١] .

وفي ضوء المناقشة السابقة يمكن أن نقول : إن مصطلح : حدثنا ، لا يُستلزم بالضرورة ليؤكد النقل الشفهي ، فقد استخدم هذا المصطلح لكلا النوعين : النقل الشفهي والكتابي ، ولهذا إذا فسرنا الفعل **حدَّث** ، ومشتقاته : **حدثني** ، **وحدثنا** بمعني التحصيل الشفهي بناء على هذا التفسير الخاطئ ، بأنه لا يوجد حديث واحد بالمجموعات التقليدية من الأحاديث يعد تفسيراً خاطئاً ومرجوحاً ومزيفاً .

إن الخطأ في تناول الكلمة بمعني الاتصال المباشر مردّهُ إلى تجاهل الحقيقة التاريخية بأنه في الفترات الأولى من الاسلام كانت العادة هي الاشارة إلى كُتَّاب الحديث لا إلى أعمالهم [٢] . ولهذا فمؤيدوا التدوين المتأخر للحديث فشلوا في أن يجدوا أسماء الكتب ، واعتقدوا خطأً أن المخطوطات تم تعلمها عن ظهر قلب ، وعليه فنشأت نظرية أن الأحاديث ظلت غير مكتوبة حى وقت متأخر يصل إلى القرن الثاني أو الثالث الهجرى .

ب) - جمع - ورواية :

إن هناك بعضاً من الكلمات الأخرى التي أسئ فُهْمُها تَعد أفعالا أساسية في كتابة الحديث وروايته مثل : جمع ، وروى . لقد اعتقد أصحاب نظرية

---

(١) المحدث الفاصل (٤٣ أ - ٤٧ ب) ، معرفة علوم الحديث للحاكم (٢١٠-٢١١) .

(٢) Gerhardsson , Birger : Memory and Maniscripts , p : (198)

ومقال : نشأة الكتابة في مجلة شرق البنغال الآسيوية (JAsB) ، سنة ١٨٥٦ ، ص (١٠٩) ، ودراسة في أدب المخطوطات العربية (١ : ١٠ ، ٢٤) .

النقل الشفهي للحديث بأنَّ هذه الأفعال تتضمن النقل الشفهي فحسب ، في حين أن الحقيقة أن كليهما استخدما للأحاديث المكتوبة أيضاً ، وسوف نرى فيما بعد أن هذه المصطلحات لم تكن مقتصرة على بيان النقل الشفهي فحسب .

ان لفظ « جَمَعَ » والذي يعني أن واحداً ما جَمَعَ ، لا خِلافَ على أنها مرادف للفعل « حَفِظَ » [١] والذي يعني أن واحداً ما حَفِظَ على الرغم من أن هذا المعني الأولى لهذا الفعل يعني جمعه في صورة مكتوبة ، مع أنه من غير المناسب أن نقول أن الكلمة تتضمن المعنيين ، وهما : الحفظ والكتابة ، ولكي يتاح لنا أن نعرف أي المعنيين كان مقصوداً فإن هذا يعتمد على النص ، وعلى سبيل المثال ؛ فعبارة « جمع ديوان العرب »[٢] إستخدمت للمعنى الثاني وهو الكتابة ، وفسرت بطريقة لم يجانبها الصواب بمعني كتابة وتسجيل ، شعر وتاريخ ، وأنساب ، ولهجات العرب لا حفظ هذه السجلات ، وأصبح هذا التفسير مقبولاً ، ومرد ذلك يرجع في الواقع إلى حقيقة أن هذه السجلات المكتوبة وصلت بالفعل إلى يد الراوي حماد (المتوفى سنة ١٥٦ هـ) وجنَّاد [٣] ، ومن المحتمل أن الوليد الذي كان يرعي الشعراء والعلماء قد جمع هذه المواد كتابة في فترة حكمه ، ولهذا يتضح أن الفعل جمع بمعناه الواسع « أنه جمع بشكل مكتوب » .

---

(١) Jeffery : Material for the History of the text of the Quran , (7) .

(٢) Papyri (1 : 18)

(٣) Papyri (1 : 18) والفهرست (١٣٤) .

والكلمة بهذا المعني إستخدمت في سياق جمع العلماء لمجموعات الأحاديث المكتوبة ، وإذا نظرنا إلى عبارة « أحوال من جمع المسند »[1] والتي استخدمت في ترجمة نعيم بن حماد فإن الفعل جمع يجب أن يفسر على أنه : جَمْعُ ، لا حِفْظُ .

وبسبب هذا المعني فإن العبارات التي كانت تعنون بها مجموعات الأحاديث هي : جَمْع ، مجموعة ، مجموعات ، وعلى سبيل المثال ، فالقرآن معروف بأنه جمع للمحفوظات المكتوبة المتفرقة والتي جمعت معاً في نسخة واحدة .

من هنا ، فإن الفعل : « جَمَعَ » يجب أن يفسر على أنَّ واحداً ما جَمَعَ، لا حَفِظَ ، ولهذا فعندما نجد المصطلح في سياق مساهمة أئمة الحديث في جَمْع الأحاديث ، يجب أن نفترض بصفةٍ عامة أن مجموعة خاصة من أئمة الأحاديث قد جمعوا الحديث بصورة مكتوبة ، لا عن طريق الحفظ ، وأن الفعل (روي) الذي يشير بوضوح إلى النقل الشفهي كثيراً ما استخدم ليشير إلى قنوات للكتابة من خلالها ثم نقل الحديث .

إنَّ الواقدي صاحب كتاب المغازي ذلك الكتاب المشهور الذي نُشِر بعد وفاة مؤلفه بفترة طويلة ، ووجدنا فيه أسماءً لمجموعةٍ متوالية من العلماء الذين دَوَّنُوا كتاباً كاملاً من عصر المؤلف حتى نشر الكتاب لأول مرة ، ولكي نشير إلى القنوات التي من خلالها تلقى الراوي النص من سلفه ، وكلمة رَوَىَ التي استخدمت تتضمن بوضوح الاتصال المباشر ، ولكن هناك احتمالاً قوياً بأن العمل الكامل حُفِظ في الذاكرة جيلاً بعد جيل ، ثم تم روايته شفهيا إلى العلماء المتعاقبين ، والاحتمال الأقوى أن النص كُتِبَ ثم

---

(١) تذكرة الحفاظ (٢ : ٧) .

نُقِلَ من خلال قراءة الكاتب لطلابه ، والذين بدورهم دونوه ، ولكن استخدموا تعبير رَوِيَ ، فلفظ (رَوَى) الذي استخدم في هذا التعبيز لا يبين النقل الشفهي للحديث ، ولكن بالأحرى يبين النقل الكتابى .

وعن مناقشة معني هذا المصطلح يقول « Von Kremer » : إن كلمة روى في إسناد هذا الكتاب لا يمكن أن تأخذ معنى الرواية الشفهية ، وأوضح هذه النقطة تفصيلاً قائلاً : « يبدو أن ابن الطراح ، الكاتب » هو أول من هيأ أوعيةً مناسبةً للحديث والتي وضع منها الواقدي كتابة : حيث رتب الاحداث زمنيا وأعاد تشكيلها مسلسلة كما حدث في سرد غزوات الرسول ﷺ دون انقطاع ، ونحن نفترض أن معني رواية الذي إستخدم في النص العربي لا يمكن أن يكون معناها : الرواية الشفهية [١] .

ولهذا نرى أن مصطلح روى مثل جَمَعَ لا يشير إلى النقل الشفهي للحديث فحسب ، بل النقل الكتابي أيضاً .

ج - أخبرنا ومصطلحات أخرى :

عن ، أخبرني ، وأخبرنا ، ومصطلحات أخرى أسيء فهمها ، وفسرت بمعني الاتصال الشفهي ، وهذا التفسير صحيح في جانب واحدٍ منه ، لأن هذه المصطلحات تضمن النقل الشفهي والكتابي للحديث ، على الرغم من أنها أساساً لا يمكن أن تكون مجرد حديث أو كلام ، وفي استخدام الإسناد فإنها تشير إلى قناة الكتابة التي من خلالها انتقل الحديث من راوٍ لآخر .

إن المصطلحين الأولين في الحقيقة مرادفان لكلمتي : حدثني ، وحادثني ، على الرغم من أن بعض العلماء حاولوا أن يميزوا بينهما بالقول بأن مصطلح :

---

(١) مقدمة المغازي ، ص (٧) .

« أخبرنا » استخدم في السماع ، بينما « حدثنا » استخدم في طريقة العرض والقراءات في نقل الأحاديث . وبمعني آخر ، عندما يقرأ الشيخ ، على طلابه من كتابه أو من ذاكرته ، وعندما ينقل طالب من طالب آخر فيجب أن يستخدم صيغة « حدثنا » ، ومن جهة أخرى عندما يقرأ الطالب على شيخه من مخطوطة منسوخة من كتاب الشيخ نفسه ، أو من إملائه ، والشيخ في هذه الحالة يستمع ويعطي موافقته ، والطالب أثناء نقله الحديث إلى أخصٍ تلاميذه يستخدم صيغة « أخبرنا » (١) ، ولكن هذا الفَرق غير واضح (٢) بطريقة قاطعة ، فكلا المصطلحين يمكن إستخدام أحدهما مكان الآخر ، واستخدام حدثنا ، وأخبرنا يوضحان طريقتي السماع والعرض ، وفي الواقع فإن السبب الأساسي لاستخدام هذه المصطلحات لم يكن لتحديد طريقة نقل الحديث أساساً أو لتأكيد أنَّ النقل كان بالأحرى بصورةٍ مباشرة أي شفهياً .

وقد رأينا أنه على الرغم من حقيقة أنَّ صيغة « حدثنا » تعني حرفيا : النقل الشفهي ، وتستخدم لتبين أيضاً أن النقل كان من نصٍّ مكتوب ، وبالمثل فمصطلح « أخبرنا » (٣) يتضمن النقل الكتابي كذلك ، ولنأخذ مثالاً على ذلك ، لقد أملى حميد الطويل حديثاً لتلميذه من كتابه ، وعندما نقل التلميذ هذا الحديث لمريده الخاص ، إستخدم الصيغة المتعارف عليها أخبرنا ولم يشر إلى كتاب معلمه .

إن صيغة (عَنْ) افترض أيضاً أنها تبين أن النقل تم شفهيا ، ولكن

---

(١) قواعد التحديث (٢٠٧ - ٢٠٨) ، المحدث الفاصل (٤٤ ب - ٤٦ ب).

(٢) قواعد التحديث (٢٠٧ - ٢٠٨) ، الكفاية (٤٣٨ - ٤٤٥) ، وتهذيب التهذيب (٢ : ٤٤٢) .

(٣) المسند (٣ : ٢٤٣) .

هذا التأكيد يعدّ نصف الحقيقة فحسب ، ونجد إشارات كثيرة في مجموعة الأحاديث التي تبين أن الرواة رووا الأحاديث من كتب المشايخ ، ولكن هذا يتضمن صيغة (عن) والأسماء المشهورة التي استخدمت هذا المصطلح كثيرة ، وكثيراً ما كانوا محل نقد بسبب هذا هم : عمرو بن شعيب (المتوفى سنة ١١٨هـ) الذي روى الأحاديث من كتب جَدِّه بصيغة (عَنْ)[١]

فضلاً عن أخبرني ، وأخبرنا ، وعَنْ ، وصيغة أنبأنا سمعت وحفظت والتي تضمن بوضوح الاتصال الشفهي المباشر إستخدمت أيضاً في النقل كتابة .

د - ذكر ، وقال

على المستوي الحرفي فالفعل « ذَكَرَ » مرادف للفعل « قال » ، وكلاهما يشير إلى الإتصال الشفهي . ولكن اعتاد الكتاب في الماضي البعيد أن يستخدموا هذه المصطلحات في السجلات المكتوبة ، وفي كثيرٍ من السياقات الأخري ، فالفعل « قال » إستخدم عندما أشار الكاتب إلى كتابه الخاص ، في حين أن « ذكر » عندما يستشهد من عمل كاتب آخر ، ولهذا فالعبارات ، قال ابن إسحاق ، وقال وَهْب ، إستخدمهما الكاتبان نفسهما ليشيرا إلى كتبهم ، وهما كتابا « السيرة » و « التيجان » بصفة خاصة .

ومن جهة أخرى يوضح الفعل « ذَكَرَ » أن الراوي أو الكاتب يشير إلى عملٍ مكتوب لشخص آخر ، وعموماً ففي الحالتين لا يمكن أن يقتصر معنى المصطلحين على النقل الشفهي فحسب ، إن ابن إسحاق الذي كان يستخدم **« قال ابن إسحاق »** في كتابه « السيرة » لم يكن مهتما بالنقل الشفهي ،

(١) تهذيب التهذيب (٨ : ٤٩ ، ٥٠ ، ٥٣) .

فقد لجأ إلى المصادر المكتوبة والمتوفرة في ذلك الوقت والتي وجدها في مكتبات بيع الكتب ، وذلك من أجل مادة كتابه الشهير [١] .

هـ) تدوين ، وتصنيف :

إن الفعلين دوّن (بمعني أن واحداً ما جمع) ، وصنّف (بمعني أن واحداً ما صنف) قد أسيئ تفسيرهما ليعنيا (كتب) ، وطبقاً لذلك ، فالمقولة « أول من دوّن العلم ابن شهاب الزهري » [٢] . تم ترجمتها خطأً بمعني : أول من كتب العلم (الحديث) كان ابن شهاب الزهري ، وانطلاقاً من هذا التفسير الخاطئ انبثقت نظرية أن كتابة الحديث بدأت متأخرة للغاية حتى عصر الزهري في نهاية القرن الأول ، أو بداية القرن الثاني الهجري ، ويبدو أنه قولٌ صادق بحق لأنَّ مصطلح « **دوّن** » استخدم ليشير إلى تجميع وتصنيف النصوص المكتوبة بالفعل ، لا إلى عملية الكتابة للمرة الأولى ، ولهذا فالمقولة السابقة يجب تفسيرها على أساس أن أول من صنف المجموعات المكتوبة من الأحاديث كان ابن شهاب الزهري ، وأن شهرته نهضت على تناوله المكثف للمجموعات المكتوبة من الأحاديث ، وعلى أنه تناول معالجة هذا بطريقة منظمة ، وألقي الضوء على مخطوطات لعدد كبير من مجموعات الأحاديث استوعبتها هذه المخطوطات وشكلت مجموعة ضخمة من الأحاديث .

ولا يساورنا الشك في أن الزهري ومعاصريه تلقوا بعض الأحاديث مشافهة أيضاً ، ولكن استفادتهم الأساسية كانت من مجموعات الأحاديث

---

(١) تاريخ بغداد (١ : ٢٢٩ - ٢٣٢)

(٢) جامع بيان العلم (١ : ٧٣) ، قواعد التحديث (٤٦) ، صفة الصفوة (٢:٧٨) .

المكتوبة بالفعل ، ومن هنا ذاع صيت الزهري باعتباره أول من صنف العلم ، يعني « الحديث » .

وكذا فإنَّ الفعل : « دَوَّنَ » الذي يشير إلى التصنيف أكثر من إشارته إلى الكتابة وُظفَ في سياق آخر من جانب بعض أئمة الأحاديث اللامعين ، ويقال على سبيل المثال ، أن مالكا ، وابن أبي وهب دَوَّنا الأحاديث في المدينة ، وكذلك ابن جريج ، وابن عيينة في مكة ، والثوري في الكوفه وربيع بن صبيح في البصرة [(١)] ، ويبدو أن العلماء المذكورين قد دونوا أحاديثهم من مصادر مكتوبة بالفعل وأقاموا شهرتهم كثقات في مجال الحديث في هذه المدن بالذات .

وفي مقولة وُجِدَتْ في الفهرست ، يبدو أن الفعل « دوّن » يعني الكتابة لأول مرة ، ولكن في مقولة أخرى بخصوص هذا المصطلح وجدنا اعتراضاً على هذا التفسير ، وتناولنا المقولتين لنوضح معني هذا المصطلح ، وذات مره سأل معاوية الذي كان متأثراً للغاية بعلم ومعرفة عبيد بن شَرِيَّة [(٢)] عن العرب وتاريخهم ، بخصوص الملوك العرب ، وغير العرب ، وعن بعض الأحداث التاريخية ، وعندما أطْلَعَ عبيد معاوية على هذه المعلومات ، أمر معاوية بتدوين هذه المعلومات ، ونسبها إلى عبيد بن شَرِيَّة [(٣)] .

---

(١) حجة الله البالغة (١ : ٣٣١ - ٣٣٢) .

(٢) هو عبيد بن شرّية الجرهمي : راوية من المعمرين إن صح خبره فهو أول من صنف الكتب من العرب و استحضره معاوية من صنعاء إلى دمشق ، فسأله عن أخبار العرب الأقدمين وملوكهم ، فحدثه ، فأمر معاوية بتدوين أخباره ، فأملى كتابين سُمي أحدهما « كتاب الملوك وأخبار الماضين » ، طبع مع كتاب « التيجان وملوك حمير » تحت عنوان : أخبار عبيد بن شرية في أخبار اليمن وأشعارها وأنسابها ، والثاني كتاب الأمثال ، وعاش إلى أيام عبد الملك بن مروان . وتوفي نحو سنة (٦٧) هـ . المترجم .

(٣) الفهرست (١٣٢) .

فكلمة **يدون** في هذه الرواية يبدو أنها تعني الكتابة لأول مرة ، ولكن في رواية أخرى تَصِفُ نفس هذا التدوين الحادث حيث نجد أن الفعل « دوّن » يعني التسجيل من نص مكتوب ، ففي الرواية الثانية طلب معاوية من كتبته أن يأخذوا هذه المعلومات (يقيدوها) ثم يدونوها (١) ، وكما رأينا في هذا التقرير فالفعل دوّن سبقه الفعل قَيَّدَ والذي يفيد بأنه في حين يشير الفعل الثاني إلي عمل مسودة أولية ، فإن الفعل الأول يشير إلى التدوين والجمع في كتاب .

ومن هنا يبدو أن الفعل « دَوَّنَ » لا يشير إلى الكتابة لأول مرة بل على العكس يشير إلى جمع المادة المكتوبة بالفعل .

وعلى المستوى الحرفي ، فيشير تدوين إلى تقييد غير مرتب ، وإلى مخطوطات مكتوبة على وريقات عريضة ، ومن ثمَّ يجب جمعها في كتاب واحد خشية فقدها (٢) . ويحدد مصنف « تاج العروس » كلمة « دَوَّن » بمعني جَمَعَ (٣) ، في حين فسر « الفيروز أبادي » مشتقاتها : **ديوان** « بمعني جمع المخطوطات الورقية العريضة ، وسماه « الديوان مجتمع الصحف (٤) » .

وطبقا لهذا التعريف للصيغة الفعلية تدوين ، فلا يمكن النظر اليها على أنها تعني مجرد الكتابة ، فإنها تشير من جانب آخر إلى الجمع والتصنيف من نص مكتوب .

أما بالنسبة للفعل « تصنيف » فإن معناه أوسع بكثير من تدوين إذ أنه

---

(١) Papyri (1 : 10)

(٢) تقييد العلم (٨) .

(٣) تاج العروس (٩ : ٢٠٤) .

(٤) الموضع السابق .

يتضمن تصنيف مجموعة مسجلة بالفعل في أجزاء مختلفة فعلى هذا المستوى الحرفي للكلمة ، فتعبير صَنَّفَه يبين أنه بوبه إلى أنواع مختلفة ، وميز كل جزء عن الآخر ، أي جعله أصنافاً وميز بعضها عن بعض ، وبمعنى آخر : إعادة ترتيب المادة المكتوبة بالفعل [١] إلى أجزاء وفصول مختلفة [٢] .

واستخدام هذا المصطلح في سياق مجموعة الأحاديث ، يشير إلى تصنيف مادة الحديث طبقاً لمحتوياتها ، وعليه فقد تَمَّ ترتيب أعمال الحديث طبقاً للموضوع الذي عرف « بالمصَّنف » وهو على نقيض مجموعات المسند والذي يتم فيه جمع الأحاديث بترتيب رواتها عن النبي ﷺ بغض النظر عن موضوع الحديث ، وطبقاً لهذا التعريف لمصطلح « مصنف » فإن كافة مجموعات الأحاديث الصحيحة والتي تم ترتيبها طبقاً لموضوعها أُحصِيت باسم « مُصنفات » = جمع مُصَنَّف ، ووجدنا في معاجم المصنفين تعبيرات : « أول من صنف المسند [٣] » « وممن جمع وصنف » ، فالفعل صَنَّفَ الذي استخدم في هذه التعبيرات لا يتضمن مجرد الكتابة ، بل بالأحرى فإنه يعني مجموعة منسقة طبقاً لمادة الحديث ، وعلى سبيل المثال ، العبارات : « أول من صنف المسند بالكوفة [٤] » ، « أول من صنف المسند

---

(١) يذكر أن النبي ﷺ استخدم المصطلح بمعناه الحرفي (تصنيف) وطلب من جابر بن عبد الله أن يميز المجموعات بالنسبة للتمر قائلا له : « صنف تمرك » ، تاج العروس (٩ : ١٦٨) ، وصحيح البخاري (٢ : ٨٧) في كتاب « الاستقراض والديون » .

(٢) تقييد العلم (٨) .

(٣) تذكرة الحفاظ (٢ : ١٠٣ - ١٠٥) .

(٤) تذكرة الحفاظ (٢ : ١١) .

بالبصرة [١] » ، والتي استخدمها يحيى بن عبد الحميد (المتوفى سنة ٢٢٨هـ) ، ومسدد (المتوفى سنة ٢٣٨ هـ) بصفة خاصة لا يتضمن بصورة واضحة أن هؤلاء العلماء هم أول من كتب الأحاديث في مدنهم ، ولا يوضح الفعل « صَنَّفَ » الذي استخدم هنا أنهم جمعوا الأحاديث بنفس الحجم الذي استخدم فيها تعبير دوّن ، بل يعني هذا الفعل أنهم رتبوامادة مجموعات المسند في مجموعات مصنفة .

و) أقوال لأئمة الحديث ، وأقوال عن هؤلاء الأئمة :

فضلا عن سوء تناول ، وتفسير المصطلحات الاسمية والفعلية التي ناقشناها فيما سبق ، فإنَّ سوءَ فهْمٍ ، وسوء تفسير عبارات ومقولات معينة ، والتي تعطي انطباعاً بأن كتابة الاحاديث لم تكن موضعاً للقبول من جانب أئمة الحديث الأوائل وتسجيلها لم يحدث إلا بعد فترة زمنية طويلة ، ولأن هذه العبارات يمكن تفسيرها مع ، أوْ ضدٌ كتابة الحديث ، فإننا يجانبنا الصواب إذا قصرناها على المعني الأخير ، ونصدق القول عندما نقول : أن هذه العبارات كانت في جانب الكتابة أكثر من كونها ضدها كما هو واضح من بعض الأمثلة :

فعبارة : (ما رأيت في يده كتاباً قط) التي استخدمت بخصوص أحاديث مشهورة عديدة [٢] كانت تعني عموماً أن أئمة الحديث [٣] الذين

(١) تذكرة الحفاظ (٢ : ١١) .

(٢) ومن بين أئمة الاحاديث المشهورين الذين استخدمت من أجلهم هذه العبارة : إسماعيل بن عياش (انظر تاريخ بغداد : ٤ : ٢٢٤) ، سليمان بن حرب (تاريخ بغداد ٨ / ٧.) ، حماد بن زيد (تاريخ بغداد ٨ / ٤٧٥ - ٤٧٦) ، سفيان بن عُيَيْنَةَ ، (انظر تاريخ بغداد ٨ : ٤٧٥ - ٤٧٦) ، سفيان الثوري (تاريخ بغداد ٨/ ٤٧٥ - ٤٧٦) ، شعبة بن الحجاج (تاريخ بغداد ٨ / ٤٧٥) ، عبد الرحمن ابن معاذ ، (تاريخ بغداد ١٤ : ١٤.) ، يزيد بن هارون (تاريخ بغداد ٣٣٨:١٤) وابن علية (تاريخ بغداد ١ : ٢٩٦) .

(٣) Papyri : (2 : 61) .

انطبقت عليهم هذه الالقاب كانوا من معارضي كتابة الحديث ، ولكن بالنظر إلى إسهامات هؤلاء العلماء الأدبية ، ووجود مجموعة كبيرة من أحاديثهم ، يتوصل المرء إلى نتيجة مؤداها أن هذه العبارة لا تشير إلى معارضة كتابة الأحاديث ، وحقيقة أن العبارة استخدمت لتبين قوة خارقة في الحفظ من جانب علماء الحديث المعنيين بالأمر ، وتبين أن أئمة الحديث المهتمين اعتادوا أن يُملوا أو يقرأوا الأحاديث لطلابهم دون الرجوع إلى كتاب .

وعلى المستوي العملي ، فقد وظفوا الذاكرة في طريقة السماع في نَقْلِ الأحاديث ، وربما تشير هذه العباره أيضاً إلى أن راوي الحديث إما كان أميا ، أو كفيفاً ، والذين لا يستطيعون استعمال الكتب (١) ، ولهذا لم يشاهد أحد كتاباً معهم .

وجملة أخرى في هذا السياق قد تكون خاطئة ، وهي لا يَكتِب حديثه ، أو لا يُكْتَب حديثه ، والتي تحتمل تفسيرين على أساس حركة الحروف ، فالعبارة الأولى تعني أنه لا يملى أحاديثه ، أما العبارة الثانية فتعني أن حديثه لم يدوَّن ، فمعارضو كتابة الحديث تمسَّكوا بالعبارة الأولى ، وادعوا أنَّ أئمةً معينين لم تُمْلَ أحاديثُهم خوفاً من مضارٌ الكتابة ، ولكن وجود مجموعة من الأحاديث المكتوبة المنسوبة إليهم يجعل هذا التفسير غير مقبول ، ولهذا فنحن مضطرون إلى أن نأخذ بالتفسير الثاني الذي لا يقف موقفا معادياً من الكتابة كما هو واضح من هذه الرواية .

فعبارتا « يَكتب حديثه » و « لا يُكتب حديثه » تتضمنا بصفة خاصة أن بعض أئمة الحديث يُعَوِّل عليهم ، وآخرون لا يعوِّل عليهم ، ولم يتم استخدام هاتين العبارتين بالمعنى الحرفى .

---

(١) الكفاية (٣٣٨ - ٣٣٩) .

ولنأخذ مثالاً لذلك هاتين العبارتين : « كان سعيد بن جبير » « يُكتب عنه [١] » ، « كان يَكتب ويسأل ابن عمر [٢] » تعني أن سعيد بن جبير وابن عمر كانا راويين صادقين يعوّل عليهما ، والأحاديث التي كانت تروى عنهما كانت تؤخذ على أنها أحاديث صحيحة ويمكن نقلها وروايتها ، وطبقاً لذلك فعبارة : « حجة يُكتب حديثه » كانت تستخدم للثقات العدول في الأحاديث ، بينما صيغة « يُكتب حديثه ولا يحتج به [٣] » (أي أن حديثه يدوّن كمرجع للمقارنة) ولا يقدم كدليل ، وهذا يشير إلى أن بعض الثقات أقل عدولاً ، ولهذا فالثقات في الحديث الذين لا يعوّل عليهم وُصِفوا بعبارة « لا يُكتب حديثه [٤] » « أى أن هذا الحديث لا يدوّن » وهذا اللقب لايستلزم الرفض الكامل لحديث الراوي .

وفي ضوء هذا المعني العملي والذي استخدم فيه مصطلح : « يُكتب » يمكن أن نرى بسهولة أنه لا يقف موقفا مناهضاً للكتابة ، وبالتالي فتعبير (لا يُكتب حديثه) لا يمكن أن يقصد به معارضة كتابة الحديث .

ووجدنا أيضاً عدداً من المقولات الخاصة بأئمة الحديث التي تم تفسيرها خطأً بمعني الكراهية للكتابة ، على الرغم من أنَّ هذه المقولات يمكن أن تفسَّر في صالح تسجيل الأحاديث لا ضدها ، وأوضح مثال يمكن الاستشهاد به في هذا السياق مقولة « عامر الشعبي » ، ففي أحد مقولاته

---

(١) تقييد العلم (١٠٣) .

(٢) تقييد العلم (١٠٣) ، تهذيب التهذيب (٥ : ٣٢٧) .

(٣) كما هو في حالة بقية بن الوليد ، ويونس بن بكير ، الجرح (٢ : ١٢٧ - ١٢٨) ، والكفاية (٢١٢) .

(٤) كما في حالة رشدين بن سعيد ، وأبي البختري . الجرح في المقدمة (٣٢٢) ، والجرح (١ : ٥١٣) ، ولسان الميزان (٤ : ٢٣٢) ، وتاريخ بغداد (١٤: ٣٣٠) .

يذكر ما يلي : « إنني لم أكتب بالمداد الأسود ، ولم أطلب من أحد أنْ يعيد حديثاً مرتين على مسامعي [١] » وأخِذت هذه العبارة على أنها تعني كراهية كتابة الحديث ، ولهذا أعلِن أن الشعبي من معارضي كتابة الأحاديث [٢] ، ولكن لو نظرنا بدقة إلى هذه المقولة سنتوصل إلى نتيجة مؤداها أن هذه المقولة لم تطرح مسألة نقل الحديث ، ولكنها توضح فقط الذاكرة الحافظة القوية الواعية للشعبي الذي استطاع - وفقاً لهذه المقولة - أن يتعلم حفظ الحديث عن ظهر قلب ، بمجرد سماعه مرة واحدة ، ولهذا فمن الخطل أن نفسر المقولة بمعني كراهية الشعبي لتسجيل الحديث .

وربما مردّ هذا الخطل إلى الجزء الأول من المقولة وهو : « لم اكتب بالمداد الأسود » ولكن لو نظرنا إلى العبارة كاملة فإن مثل هذا التفسير لن نُقْدِم عليه .

إن الشعبي لم يكن معارضاً لكتابة الحديث وهذا واضح من مقولته التي طلب فيها من تلميذه أن يدون كل شئ يسمعه منه لا علَى مواد الكتابة فحسب ، بل وحتى على الجدران « حتى يتسنى له نقلها بالطبع في سجلات حاضرة [٣] إذا لم تتوافر مواد الكتابة » ، وكثيرٌ من المقولات الأخرى للشعبي تشهد باتجاهه المؤيد للكتابة منها : « أن الكتاب هو سجل المعرفة [٤] » ، « إن أعظم الرواة هو الدفتر (الكتاب) [٥] » .

(١) طبقات ابن سعد (٦ : ١٧٤) ، جامع بيان العلم (١ : ٧٦) ، تاريخ بغداد (١٢ : ٢٢٩) ، العلم لأبي خيثمة (٤ أ) ، المحدث الفاصل (٣٦ب) .
(٢) تقييد العلم (٤٨) ، السنة قبل التدوين (٣٢٣) .
(٣) طبقات ابن سعد (١٧٤:٦) ، تقييد العلم (..١) ، المحدث الفاصل (٣٦أ).
(٤) جامع بيان العلم (٧٥:١) ، تقييد العلم (٩٩) ، المحدث الفاصل (٣٥ب).
(٥) Papyri (2 : 228) .

ودراسات إسلامية لجولد تسهير (٢ : ١٩٩ / ١٨٥) .

ولهذا يمكن أن نستنتج أن مقولة الشعبي « ما كتبت سوداء في بيضاء قَطُّ » أى أنني لم أكتب بالمداد الأسود على اللوح الأبيض ، لا تبرهن على كراهيته للكتابة ؛ بل على العكس فقد شجع نقل الحديث كما هو واضح من هذه المقولات .

ولكي نجمل القول فيما يتعلق بإساءة تفسير وتناول مصطلحات معينة سواء أكانت على مستوي الإسم أم الفعل ، مثل صحيفة ، ومصحف ، وحدثنا ، وجمع ، وكذلك مقولات بعينها كما هو حادث في مقولات ، الشعبي ، هي العوامل الأساسية لمولد نظرية التسجيل المتأخر للحديث .

٤) وجهة نظر متحاملة على حقبة الجاهلية وعلى عصر الأمويين :

وهناك عامل آخر مسئول عن ظهور نظرية التسجيل المتأخر للحديث ؛ ألا وهو انتشار وجهات نظر متحاملة من جانب العلماء المحدثين بخصوص حقبة ما قبل الاسلام وعصر الأمويين ، وعلى الرغم من وجود أدب ديني وغير ديني [١] أشرنا إليه فيما سبق ، وعلى الرغم من الأدلة القوية بالنسبة لتوظيف الكتابة في المجتمع العربي قبل الإسلام ، إلا أنه في الغالب قد وصفت هذه الفترة بأنها فترة ظلام ، وغالباً ما يعتقد أن الحقبة التي سبقت الإسلام تكاد تخلو من أي انجازٍ أدبي ، أو ثقافي من أي نوع ، بل وحتى « ابن خلدون » لم يتردد في وصف عرب ما قبل الإسلام بأنهم مجتمع متخلف للغاية ، وقد تم كل هذا في معرض إعلاء شأن الإسلام ، وبيان فضله في إحداث تغيير جوهري في حياة العرب البدو .

وفي الواقع أننا نتجاهل الحقائق التاريخية ، ولا نكون موضوعيين إذا أنكرنا كافة انجازات الجنس العربي مهما كان تواضعهما ، فمواصفات

(١) تقدم بحثه في الفصل الثالث في الموضوع الخاص بالكتابة العربية قبل الإسلام .

العرب ، من مروءة ، وكرم ، وذاكرة واعية لا تبارى ، وشعرٍ ، وتاريخٍ يدل على انجازات ثقافية وأخلاقية وأدبية لمجتمع ماقبل الإسلام ، فكيف ننكر هذه الحقائق التاريخية وننظر إلى عرب ما قبل الإسلام على أنهم أميون وَجهَلَةٌ ، وجنسٌ غير آدمي ونعرف جيداً أن النبي ﷺ نفسه أبقي على بعض العادات غير الإسلامية حتى بعد انتشار الإسلام [١] ، أليس معني هذا وجود بعض الثقافات لدي المجتمع البدوي ؟

وينكر أصحاب نظرية التسجيل المتأخر للحديث هذه الحقائق ويعتبرون عرب ما قبل الإسلام جنساً أميا متخلفاً ، ويتجاهلون الأدب العربي الذي كان سائداً قبل الإسلام ، ويعتقدون أنه لم يوجد أدب مكتوب قبل الإسلام وادعوا أيضاً أنه لم يوجد سوى سبعة عشر أديباً عشية ظهور الإسلام ، وبناءً على هذه الافتراضات ، أكدوا على أن تسجيل الحديث لم يكن ممكنا على الأقل إلا بعد عدة أجيال بعد وفاة محمد ﷺ ، وهكذا نرى أنهم أسسوا نظريتهم على معتقد خاطئ ، بأن عرب ما قبل الإسلام كانوا جهلة وأميين ، هذا الإدعاء الذي فندناه بالفعل في الفصل السابق .

ولا يقلل مؤيدو هذه النظرية من انجازات عرب ما قبل الإسلام فحسب ، بل ينكرون الإنجازات الأدبية والثقافية من جانب الحكام الأمويين في ذلك الوقت ، ولكي يبين المؤرخون علوَّ شأنِ العباسيين عن الأمويين ، فقد تجاهلوا تجاهلاً تاماً الانجازات الفكرية للأمويين ، على الرغم من أن الأمويين كانوا مهتمين للغاية بمجال الحديث ، وتولوا مسئولية الحديث وجمعه ، ويزعم أصحاب هذه النظرية أن كتابة الحديث لم تبدأ إلا في عهد حكم العباسيين وطبقا لما تزعمه هذه النظرية فإنَّ معني هذا أن الأحاديث

---

(١) الأصنام لابن الكلبي (١٩ ، ٢٠ ، ٤٨) ، المحبر لابن حبيب (٢٣٦ ، ٣٠٩ ، ٣١٠ ، ٣١١ ، ٣١٩ ، ٣٢١ ، ٣٢٢ ، ٣٢٩) .

كان عليها أن تنتظر أكثر من مائة سنة قبل أن يتم جمعها في كتب ، ويعتقد أصحاب هذه النظرية أنه على مدار القرن الأول الهجري ، كانت الأحاديث تُنْقَل شفهياً ، وعلى الرغم من أن هذا الادعاء كان هَدَفُهُ إعلاء شأن العباسيين المفترض أنهم رعاة العلم ، ففي معرض وصفهم للإنجازات المتميزة للفترة من عَصْرِ المنصور إلى المأمون ، أَشَارَ المؤرخون المتحيزون إشارات ضئيلة إلى القاعدة الثقافية التي أرسى دعائمها الأمويون ، فإنجازات وإسهامات الخلفاء الأمويين الذين اهتموا اهتماما شخصيا بالأدب الديني - خاصة - الأحاديث التي كانت موضع تجاهل تام ، والانجازات العظيمة التي أنجزها العلماء الذين عاشوا في تلك الفترة لم يُعْتَرَف بها .

وفي الواقع أنَّ المؤرخين والعلماء الجاحدين لإنجازات العصر الأموي كانوا معارضين حتى في الاعتراف بالإنجارات الواضحة للأمويين وينسبون هذا الفَضْلَ لهم ، وعلى سبيل المثال يقول الجاحظ : « لم يظهر بين الأمويين عالمٌ واحدٌ تَفَوَّق في التشريع ، والحديث ، والتعليق على النصوص القرآنية وتفسيرها »[١] ، وهذه المقولة الجائرة من الجاحظ تعكس الاتجاه المعارض للأمويين في عصره ، ومع هذا فإن الجاحظ وهو العالم المؤيد للعصر العباسي لم يعترف بإسهامات عمر بن عبد العزيز في مجال الحديث في تلك الفترة [٢] ، ولكن كقاعدة عامة فإن إنجازات الأمويين تم تجاهلها تجاهلا تاما من معارضي الأمويين ومن مؤيدي العباسيين من العلماء والمؤرخين .

وإذا قصرنا أنفسنا على بحث قضية تسجيل الأحاديث نجد أن الدعاية

---

(١) Papyri (1 : 19) .

(٢) Papyri (1 : 19) .

التي روجها معارضوا الأمويين جعلت بعض العلماء يعتقدون أن نقل الحديث أثناء العصر الأموي كان شفهيا ، ولم تبدأ عملية الكتابة إلا في العصر العباسي ، وتطورت هذه النظرية بسهولة بعرض وتقديم الروايات المؤيدة لما توفر من أدب وكان من إنتاج العصر العباسي . ولسوء الطالع ، فكافة نصوص الأدب الأموي إما اندثرت وإما ظلت مجهولة ، ولهذا لم يتم استخراجها للتصدي لادعاءات العباسيين ، وعلى الرغم من هذا فإن أحدث الأبحاث ساعدتنا على أن ننظر إلى هذه القضية بموضوعية ، والآن يمكن أن نقول بثقة : إنه بفضل إكتشاف العديد من التسجيلات المبكرة عرفنا أن كتابة الحديث بدأت قبل أن يصل العباسيون إلى الحكم بفترة طويلة ، بل وحتى قبل العصر الأموي وبدءاً من عصر الصحابة .

ونجمل القول بأننا يمكن أن نقول ونحن مطمئنون : بأنه إذا تجاهلوا إنجازات فترة الجاهلية ليعلوا من شأن الدين الإسلامي ، فبنفس الطريقة ، استخفوا بإسهامات الأمويين ليبرهنوا على علو شأن العباسيين عن الأمويين وطبقا لوجهة النظر هذه ظهرت هذه النظرية التي تدعي بأن نقل الحديث ظل شفهيا لمدة ما يقرب من قرن أي حتى وصل العباسيون إلى الحكم ، وقاموا بعملية الكتابة .

وهكذا رأينا أن نظرية التسجيل المتأخر للحديث كانت قائمة أساساً على وجهة نظر منحازة من جانب مؤرخي العصر العباسي وعلمائهم .

ثانيا : كتابة الحديث في فجر الإسلام :

بعد أن رأينا زيف افتراض أن الأحاديث بدأ تسجيلها بعد قرن فقط ، فدعونا نلقِ نظرة على عصر النبي ﷺ والصحابة ، ونرى فيما إذا كان ترتيباً من نوع ما اتخذ لحفظ الحديث كتابة بالمداد الأسود على ألواح بيضاء .

والسؤال الرئيسي الذي نطرحه في سياق كتابة الحديث هو : « هل كانت هناك ضرورة لكتابة الحديث ؟ » والإجابة على هذا السؤال ربما تبدو سهلة وبسيطة بالنسبة للعقل المتنور الذي سوف يرد قائلا : « إذا كانت سُنَّةُ النبي ﷺ قد تم حفظها ، فإنَّ الأحاديث لا مناص من أنها دونت » .

ولكن هذه الإجابة تضع في اعتبارها أفضلية الكتابة عن كافة أشكال الحفظ . ومما لا شك فيه أن العديد من أشكال الأدب الديني ، والأدب الجاهلي لحقبة ما قبل وما بعد الإسلام كانت مكتوبة بالمداد الأسود ، والحقيقة المعروفة أنَّ الذاكرة لا الكتابة كانت الوعاء الرئيسي لحفظ المعرفة في تلك الأيام .

وعلاوة على ذلك ، فعدم توافر الورق ، ونقص مواد الكتابة جعلت عملية الكتابة عبئا ثقيلا ، وفي ظل هذه الظروف فإنه من الخطأ أن نعتقد أن كتابة السنة كان لا مناص منها ، ومما لا شك فيه أن الكتابة كانت كثيراً ما تستخدم في تسجيل الأحاديث ، ولكن لم تكن الوسيلة الوحيدة لحفظ السنة والأحاديث ، وكانت العادة السائدة في تلك الأيام ، أن الذاكرة هي المستخدمة في هذا الغرض .

وفي الحقيقة أن كلا من الذاكرة ، والكتابة كانتا مستخدمتين في تسجيل أقوال النبي ﷺ وكان هذا مسايراً تماماً لعادة ما قبل الإسلام في حفظ الشعر والأنساب وتواريخ المعارك وتسجيل الأقوال المأثورة وقليل من التعاليم الدينية في المجلة والصحيفة .

وقد وظف المسلمون الأوائل الطريقتين في حفظ أقوال النبي ﷺ وأفعاله ، وبعد انتشار الإسلام ، زاد الاهتمام بالكتابة عن الذاكرة ، ووجدنا أن القرآن لم يشر (بطريقة مباشرة) إلى الكتابة بإعطائنا قائمة كاملة من مواد الكتابة فحسب ؛ بل حث على تسجيل معظم الأحاديث الهامة بالمداد

الأسود ، وفي هذه الناحية حثَّ النبي ﷺ على الكتابة لدرجة أنه لم يدون القرآن كاملا فحسب ، بل كل المعاهدات ، والعقود ، والمراسلات الرسمية كانت تتم كتابةً .

وحينئذ يُثار سؤالٌ :

إلى أي درجة استخدمت الكتابة في حفظ أحاديث النبي ﷺ حيث يُعْتقد عموماً أن معظم مادة الحديث تم تعلمها حفظا عن ظهر قلب ؟ إن وجهة النظر هذه تستخف بخدمات الكُتَّاب الأوائل للحديث ، ولكن إذا نظرنا إلى هذه القضية بموضوعية ، فيمكن أَن نرى أَن الكتابة استخدمت بدءاً من عصر النبي ﷺ فصاعدا في تسجيل الأحاديث ، ومع أنه لم تتخذ أي ترتيبات رسمية لتدوين أحاديث النبي ﷺ إلا أن التسجيل المتفرق حدث بأشكال مختلفة ، وسوف نبينه هنا تفصيلا :

(١) الكتابة من الذاكرة :

من المعروف أن العرب الذين تمتعوا بذاكرة حافظة واعية استخدموا الكتابة كوسيلة مساعدة للذاكرة ، ولأن النبي ﷺ أدخل على مجتمعهم قوانين منظمة للحياة ، كان يُنْظر إليها باحترام شديد ، وكانت كلماته وأفعاله لها معني كبيراً عند العرب الأوائل ، ولهذا كان من الطبيعي أن تعاليم الدين الجديد ، وأقوال النبي ﷺ تحفظ ،وفوق كل هذا كان هناك أمرٌ محددٌ من النبي ﷺ للإتصال ، ونقل تعاليمه إلى هؤلاء الذين لا يستطيعون الإتصال به [١] ، وقد أعطي هذا دفعة قوية لتذكرة هذه الأقوال والأفعال ، ولكي يتسنى له تنفيذ هذا الأمر وظفوا كافة الوسائل لنشر هذه

---

(١) جامع الترمذي (١ : ١٣٦ - ١٣٧) ، في كتاب العلم ، جامع بيان العلم (١ : ٣٩) ، (٢ : ١٢٤) معرفة علوم الحديث (٢٧) .

التعاليم وهؤلاء الذين لديهم معرفة بالكتابة كتبوا هذه التعليمات بالمداد الأسود واعتمد آخرون على الذاكرة فحسب ، ورووا الأحاديث المحفوظة لزملائهم ليدونوها بالطبع ، وكان هناك آخرون كتبوا الأحاديث ليحفظوها وخاصة بعد إتلاف السجلات المكتوبة . وتبين هذه الحقيقة أن الأحاديث كانت في العادة تكتب بالمداد الأسود ، على الرغم من اندثار بعض السجلات المكتوبة مؤخراً .

(٢) الباعث الديني والتشريعي :

إن الأحاديث كُتِبْت أيضاً لأنها احتوت على بعضِ القواعدِ الدينيةِ ، لأن الصحابة كان يملؤهم الحماس بهذا الدين الجديد ، وكانوا حريصين على أن يتعلموا كل قاعدة ليطبقوها في صلواتهم ، وكان هذا يتم مشافهة وذلك رغبةً في مزيد من الدقة ، وبسبب طول بعض النصوص فقد تم كتابة هذه الصيغ لتُحفظ ، والتشهد خير مثال لذلك (١) .

والنبي ﷺ أملَى بعض قواعد الإسلام وسلمها للوفودِ التي قَدِمت من أماكن بعيدة (٢) .

وعند فتح مكة أُعْطي « أبوشاة » نسخة من أقوال النبي ﷺ لأنها كانت تحتوي على بعض الشروط والأحكام الشريعية (٣) .

وعلاوة على ذلك ، فالقوانين الخاصة بالزكاة ، ودية القتيل كانت ترسل كتابة إلى الولاة الكثيرين أثناء حياة النبي ﷺ (٤) .

---

(١) تقييد العلم (٩٣) .

(٢) طبقات ابن سعد (١ : ٢ : ١٥ - ٣٨) .

(٣) جامع بيان العلم (١ : ٧٠) ، المحدث الفاصل (٣٤ أ) .

(٤) فتوح البلدان (٨٠ - ٨٣) .

وأشار سفيان الثَّوْري إلى هذا الباعث الديني والتشريعي عندما قال : « إن أحد الأسباب التي جعلته يكتب الأحاديث هو أنها من الدين » [١] : أي من أجل أن يحتفظ . بسجل للقوانين الدينية ، ويبدو أن الباعث الأوّلي وراء هذه المجموعة من الأحاديث كان دائما تشريعياً .

ويقول « Jeffery » : « إن المجموعة الكاملة من الأحاديث والخاصة بتسجيل أقوال وأفعال النبي ﷺ كانت مصنَّفَة أساساً بغرض التشريع »[٢] .

ويعتقد « Gibb » أيضا « إن أول مجموعة من الأحاديث كانت لأغراض تشريعية » [٣] .

٣ - من أجل معرفة تاريخ حياة النبي ﷺ :

إن بعض المؤمنين الذين تأثروا بالشخصية المؤثرة للنبي ﷺ كانوا حريصين على معرفة بل وحتى تسجيل كل صغيرة وكبيرة في حياة محمد ﷺ فكانوا يرقبونه من أجل هذا الغرض : في بيته ، وفي السوق ، وفي المسجد ، وفي ميدان المعركة ، ودونوا كثيرا من التفصيلات عن حياة النبي ﷺ .

ويقول « Gibb » : « إن السمة الخاصة للنشاط الديني في القرن الأول الهجري كان جمع ونقل التفاصيل عن حياة النبي ﷺ وأعماله[٤] .

وهذه السجلات المكتوبة عن حياة النبي ﷺ يوما بيوم كونت مؤخراً مـادة الحديث .

---

(١) جامع بيان العلم (١ : ٧٦) .

(٢) jeffery : Reader of IslAm . (283) .

(٣) MohemmAdAnism 7 & .

(٤) MohemmAdAnizm (7) .

وعلى الرغم من الأعمال الكاملة : عن السيرة الذاتية للنبي ﷺ التي ظهرت في وقت متأخر ، على الرغم من أن هذه الأعمال مع كافة الاحتمالات كانت قائمة أصلاً على مجموعات مكتوبة لتاريخ النبي ﷺ ، وقد بدأت تظهر أول الأعمال عن السيرة الذاتية للنبي ﷺ بَدْءاً من عصر الصحابة .

فعرُوة (المتوفَّى سنة ٩٣ هـ) في كتابه عن السيرة الذاتية للنبي ﷺ ذكر أسماء الثقات الذين استقى منهم معلوماته . ومن المحتمل أنه تلقى بعض هذه المعلومات كتابة ، لأن الرسائل ، والنشرات عن الأعمال الأولية من السيرة ذُكِر أنها كتبت قبل عروة . ونجد إشارات عن « مذكرات خاصة بخدم النبي [(١)] » وكتاب عن سفراء النبي ﷺ لدى الحكام والرؤساء [(٢)] » .

وعلق « البروفسور Watt » قائلا : « في حين أن الإعداد لمادة كتاب (المغازي) هو الشغل الشاغل للعلماء ، فإنَّ حفظَه حتى يجمعه العلماء ينبغي أن يكون عمل المسلمين بصفة عامة أو على الأقل بعض المسلمين [(٣)] » .

٤ - النقل مصادفةً بالمراسلة :

أحيانا كانت تنقل الأحاديث في خطابات خاصة ، وكان هذا يتم إما رداً على أسئلة عن أحكام النبي ﷺ في مشكلة معينة وإما في اذعان لرجاء بإرسال حديث للنبي ﷺ وإما نقلت بعض الأحاديث مصادفة كذلك ، وسوف نعرض لبعض الأمثله لنوضح تلك الحالات :

---

(١) طبقات ابن سعد (١ : ٢ : ١٧٩ - ١٨٠) .

(٢) تاريخ الطبري (١ : ١٥٦٠) .

(٣) Watt : H ISTORIANS of the Middle East , (27)

ويقول : هذه المواد صاغها واستخدمها ابن اسحق فيما بعد .

أ) فقد كتب معاوية للمغيرة بن شعبة يطلب منه بعض الأحاديث واستجاب المغيرة لطلب معاوية وأرسل له بعض الأحاديث بالبريد [١] .

ب) وكتب ابن عباس لأبي موسى الأشعري يستفسر منه عن بعض الأحاديث وأرسلها له بالبريد [٢] .

جـ) وسأل ابن أبي مُليكة (المتوفى سنة ١١٧ هـ) ابن عباس ليرسل له بعض الأحاديث غير المعروفة له واستجاب الأخير لرجائه وأرسل له بعض الأحاديث في كتاب [٣] .

وفي رواية أخرى أن ابن عباس أرسل حديثا واحداً خاصا طلبه ابنُ مُليكة نفسه ومضمون الحديث كان : « عن القسم الذي يقسم به المُدَعى عليه في الخلافات التشريعية [٤] » .

د) وأرسل « أبو بكرة » هذا الحديث إلى ابنه « لقد أوضح رسول الله ﷺ « لا يحق لمسلم أن يفصِل في قضية بين خصُم وهو في حاله غضب [٥] ».

وأحيانا اعتاد السائل أن يأتي إلى الصحابة بخصوص أحاديث معينة ، هذه الأحاديث كانت تنقل عادة بالمداد الأسود في خطابات . ولنأخذ مثالا ذلك ،

---

(١) صحيح البخاري (٤ : ٤٢٣) ، في الاعتصام بالسنة .

(٢) مسند الطيالسي (٢ : ٧١) .

(٣) صحيح مسلم (١ : ٧) في المقدمة .

(٤) سنن أبي داود (٣ : ٤٢٣) في الأقضية ، حديث رقم (٣٦١٩) .

(٥) صحيح البخاري (٤ : ٣٨٨) في الأحكام ، وجامع الترمذي (٦ : ٧٧ - ٧٨) في الأحكام ، وسنن أبي داود (٣ : ٤١١) ، في الأقضية ، حديث رقم (٣٥٨٩) .

فقد كتب زياد بن أبي سفيان إلى عائشة ليتأكد ما إذا كان حديثا معينا (المنقول في الكتاب) رواه ابن عباس بشكله الصحيح التام أم لا ؟ ، فعائشة التي أخبرت السائل بأن أبن عباس أساء نقل الحديث عن النبي ﷺ أرسلت الرواية الصحيحة للحديث (١) .

وكان هدىُ النبي ﷺ في مجالات الحياة المختلفة يُذكر في المراسلات ؛ فعلى سبيل المثال أُرسل خطاب إلى « سالم أبو النضر » ذلك العبد الذي أُعتِق وكاتب ، احتوى على توجيهات النبي ﷺ التي أعطيت للمسلمين في المعارك الخاصة ضد الأعداء ، وأرسل هذا الخطاب عبد الله بن أبي أوفى ليرفع من الروح المعنوية لسالم الذي كان ذاهبا ليحارب ضد الروم (٢) .

بالأضافة إلى المراسلات التي أشرنا إليها فيما سبق فنذكر قائمة جمعناها بطريقة عشوائية مما توفر لنا من مصادر الحقبة الأولى للإسلام بأسماء المرسِلين والمستقبلِين لخطابات تحتوي على أحاديث النبي ﷺ .

اسم المرسِل	اسم المرسَل إليه
١ - عبد الله بن هرمز (المتوفى سنة . . ١ هـ)	تميم الجيشاني (٣)
٢ - عبد الله بن عمر (المتوفى سنة ٧٤ هـ)	عبد العزيز بن مروان (٤)

(١) صحيح البخاري (١ : ٤٢٧) ، في كتاب الحج .
(٢) صحيح البخاري (٢ : ٢٥٣ - ٢٥٤) في كتاب الجهاد .
(٣) المسند (٢ : ٥٣١) .
(٤) طبقات ابن سعد (٤ : ١ : ١١٠ - ١١١)

اسم المرسل	اسم المرسل إليه
٣ - عبد الله بن الزبير (المتوفى سنة ٧٣ هـ)	عبد الله بن عتبة بن مسعود [(١)]
٤ - أبو موسى الأشعري (المتوفى سنة ٥١ هـ)	عبد الله بن مسعود [(٢)]
٥ - أبو عثمان النهدي (المتوفى سنة ٩٥ هـ)	سليمان التيمي [(٣)]
٦ - عطاء بن رباح (المتوفى سنة ١١٧ هـ)	يزيد بن أبي حبيب [(٤)]
٧ - ضحاك بن قيس بن خالد (المتوفى سنة ٦٥ هـ)	قيس بن الهيثم [(٥)]
٨ - إبراهيم النخعي (المتوفى سنة ١٥١ هـ)	قتادة وآخرون [(٦)]

---

(١) المسند (٤ : ٤)
(٢) المسند (٤ : ٣٩٦ ، ٤١٤) .
(٣) صحيح البخاري (٤ : ١١٥ - ١١٦) في كتاب الأدب .
(٤) صحيح البخاري (٢:٤٣) في كتاب البيوع و (٣:٢٤.) في كتاب التفسير .
(٥) المسند (٣ : ٤٥٣) ، أسد الغابة (٣:٣٧) ، الإصابة (٢:٢.٧) ترجمة رقم (١٤٦٩)
(٦) المحدث الفاصل (٤٨ ب) .

اسم المرسل	اسم المرسل إليه
٩ - جرير بن عبد الله (المتوفى سنة ١٥١ هـ)	معاوية [١]
١٠ - خالد بن أبي عمران (المتوفى سنة ١٢٥ هـ)	يحي بن سعيد [٢]
١١ - نافع (العبد الذي أعتقه ابن عمر) (المتوفى سنة ١١٧ هـ)	أيوب السختياني [٣]
١٢ - نعمان بن بشير (المتوفى سنة ٦٤ هـ)	قيس بن الهيثم [٤]
١٣ - قتادة (المتوفى ستة ١١٧ هـ)	الأوزاعي [٥]
١٤ - سلمان الفارسي (المتوفى سنة ٣٦ / ٣٢ هـ)	أبو الدرداء [٦]

---

(١) المسند (٤ : ٣٦١)

(٢) المحدث الفاصل (٤٨ ب)

(٣) الكفاية (٤٨٨) ، المحدث الفاصل (٤٨ ب) .

(٤) المسند (٤ : ٢٧٧)

(٥) المحدث الفاصل (٤٨ ب)

(٦) الميزان (٤ : ٥٤٦) ، رقم (١٠٣٧٥)

اسم المرسل	اسم المرسل اليه
١٥ - عمر بن عبد الله بن الأرقم	عبد الله بن عتبة (المتوفى سنة ٧٤ هـ)(١)
١٦ - عمر بن الخطاب (المتوفى سنة ٢٣ هـ)	أبو عبيدة بن الجراح (٢)
١٧ - زيد بن أرقم (المتوفى سنة ٦٦هـ)	أنس بن مالك (٣)
١٨ - الزهري (المتوفى سنة ١٢٤ هـ)	رزيق بن حكيم (٤)
١٩ - الزهري (المتوفى سنة ١٢٤ هـ)	جعفر بن ربيعة (٥)

٥- التسجيل بغرض الاستخدام الخاص :

لقد رغب بعض الصحابة أن يكون لديهم سجل مكتوب لأقواله ومواعظه وذلك بسبب أهمية كلمات النبي ﷺ وأعماله وقد رأينا أن « أبا شاه »

(١) صحيح البخاري (٣ : ٦٢ - ٦٣) في كتاب المغازي .
(٢) سنن ابن ماجه (٢ : ١٦٦) في كتاب الفرائض .
(٣) تهذيب التهذيب (٣ : ٣٩٤) .
(٤) صحيح البخاري (١ : ٢٢٧ - ٢٢٨) في كتاب الجمعه .
(٥) صحيح البخاري (١ : ٢١٨)

طلب من النبي ﷺ أن يكون لديه نسخة مكتوبة من مواعظه ، وعلاوة على هذا ، فلأن العرب كانت لديهم نزعة طبيعية لتسجيل الأقوال المأثورة والأمثال ، فوجدنا من العرب من دون سجلاً أو أكثر من هذه الأقوال التي تروق له ، وأعطانا ابن سعيد مثلا لذلك حين ذكر أن حبيب بن ثابت (المتوفى سنة ١١٩ هـ) قال : « لم يكن لدي أي مادة مكتوبة على الإطلاق عدا حديث واحد احتفظت به على صندوقي الخشبي [١] »

وعلى سبيل المثال ، عندما سمع أنس « عتبان » يروي حديثاً وراق له هذا الحديث ، دَوَّنَهُ بعد أن أخذ موافقة صاحبه [٢] .

٦ - الماده المكتوبة والخاصة بالنبي ﷺ :

ولقد حفظت بعض الأحاديث مباشرة في المراسلات الرسمية للنبي ﷺ ومن بين هذه المراسلات التي يمكن أن نذكرها ، العقود ، المعاهدات ، الاتفاقات ، والنشرات لحكام الأقاليم ، والخطابات إلى مشايخ القبائل ، والحكام الآخرين ، واحتوت بعض الكتب أحكاماً معينةٍ خاصة بالزكاة والشعائر الدينية .

٧ - التسجيل الثانوى من جانب طلاب الحديث :

مِن الجدير بالذكر أن نلاحظ أنه أثناء حياة النبي ﷺ كانت التعاليم التي تُعطى لمعتنقي الدين الإسلامي الجدد تشمل القرآن والحديث ، وعلى الرغم من عدم توفر مبان مدرسية في البداية ، إلا أن مجالس العلم كانت تقام في المساجد وفي البيوت الخاصة ، وتذكر المصادر المختلفة أن العديد من

---

(١) طبقات ابن سعد (٦ : ٢٢٣) .

(٢) المحدث الفاصل (١٣٥) .

الحلقات الدراسية والمحاضرات (المجالس) وكثيرا من حلقات الاستماع والمحاضرات حيث كانت التربية الدينية التي تدرس تعرف باسم العلم . هذا العلم الذي كان يشير في تلك الأيام إلى كل فرع من فروع المعرفة الدينية وهي : القرآن ، الحديث ، الفقه ، التفسير ، ومن الضروري أن كل هذه العلوم كانت تتضمن الحديث أيضاً الذي هو محل دراستنا هنا . وعليه يمكن أن نقول : إن الحديث لم يكن موضع اهتمام عام من جانب الصحابة فحسب ، بل أُخِذت هذه المسألة بجدية أيضاً .

إن كثيراً من الحلقات الدراسية الخاصة كانت تقام لبعض الطلاب مهما كان عددهم صغيراً . وأثناء هذه الحلقات الدراسية (حلقة - جمع حلقات) ، هناك احتمال قوي بأن الأحاديث سُجِلت بالمداد الأسود على ألواح بيضاء والاستدلال على هذا يمكن استنتاجه من القصة التي رواها لنا عبد الله بن عمرو بن العاص (١) ، وهذه الرواية يمكن إثبات صحتها عن تقرير آخر مشابه يقول : إن واثلة بن الأسقع (المتوفى سنة ٨٣ هـ) وهو واحد من الصحابة اعتاد أن يملي الأحاديث على طلابه في تلك المرحلة المبكرة (٢) .

وعلاوة على هذا وجدنا إشارة إلى حلقات دراسة الأحاديث من جانب الصحابة أمثال أُبَيّ بن كعب (المتوفى سنة ٢٢ هـ) (٣) ، عبد الله بن مسعود (المتوفى سنة ٣٢ هـ) (٤) ، عبادة بن الصامت (المتوفى سنة ٣٤ هـ) (٥) ،

---

(١) انظر الفقرة الخاصة بالصحيفة والمصحف في هذا الفصل .

(٢) الإملاء (١٣) ، الميزان (٤ : ١٤٥) ، رقم (٨٦٥٨) ، تقييد العلم (٩٩) ، الآداب الشرعية لابن مفلح .

(٣) طبقات ابن سعد (٣ : ٢ : ٦١) .

(٤) طبقات ابن سعد (٣ : ١ : ١١٠) و (٣ : ٢ : ٦١) .

(٥) التراتيب الإدارية (١ : ٤٨) ، Papyri (2 : 14)

عمران بن حصين (المتوفى سنة ٥٢ هـ) [١] ، أبو هريرة (المتوفى سنة ٥٩ هـ) [٢] ، عبد الله بن عمرو بن العاص (المتوفى سنة ٦٥ هـ)[٣] ، عبد الله بن عباس [٣] (المتوفى سنة ٦٨ هـ) ، وجابر بن عبد الله (المتوفى سنة ٧٨ هـ) [٥] ، وهؤلاء كانوا يُعلمون بانتظام علم الحديث لطلابهم .

وعندما نأتي إلى فترة التابعين ، نجد ذكراً لحلقات دراسة الحديث لسعيد ابن المسيب (المتوفى سنة ٩٤) [٦] ، مجاهد بن جبر (المتوفى سنة ١٠٣ هـ) [٧] ، مكحول الدمشقي (المتوفى سنة ١١٢ هـ) [٨] ، عتبة ابن أبي رابح (المتوفي سنة ١١٤ هـ) [٩] ، ونافع العبد الذي أعتقه ابن عمر ، (المتوفى سنة ١١٩ هـ) [١٠] .

وكانت الحلقات الدراسية ، ومجالس الدراسة . لهما سابقة

---

(١) طبقات ابن سعد (٤ : ٢ : ٢٩) .

(٢) سير أعلام النبلاء (٢ : ٤٣٣ ، ٤٣٦ ، ٤٤٠ ، ٤٤١) .

(٣) طبقات ابن سعد (٤ : ٢ : ١٢ - ١٣) .

(٤) طبقات ابن سعد (٢ : ١ : ١٢١ ، ١٢٢) و (٦ : ٧٩) ، والكنى (٢: ١٢٦) ، وتاريخ بغداد (١ : ١٧٥) ، وسير النبلاء (٣ : ٢٣٥) .

(٥) تهذيب التهذيب (٢ : ٤٣) .

(٦) طبقات ابن سعد (٥ : ٩٦ ، ٩٨) .

(٧) طبقات ابن سعد (٥ : ٣٤٤) .

(٨) الكفاية (٣٨٥ ، ٣٨٧) .

(٩) الكفاية (٣٨٥) .

(١٠) الكفاية (٣٨٥) ، الإملاء (١٣) .

في حياة النبي ﷺ نفسه الذي اعتاد أن يعلم الصحابة وهم جلوس في حلقة (١) ، وحدد يوماً خاصا من كل أسبوع ليعلم النساء (٢) .

والحقيقة أن الصحابة والتابعين الذين اعتادوا أن يعقدوا الحلقات الدراسية الخاصة ويُعَدون ثقات في الحديث يجعلنا نعتقد إما أن هؤلاء الصحابة كانت لديهم أحاديث مكتوبة ليرووا منها لطلابهم ، وإما أنهم اعتادوا أن يَرْووا من ذاكرتهم وفي كلتا الحالتين فإنّ طلابهم لابُدّ أنهم دَوَّنوا ما سمعوه ، وكذلك ذكر الصحيفة والكتب بأسمائهم وبأسماء طلابهم يعطينا دليلا جازماً ، بأن مجموعة كبيرة من الأحاديث قد دونت في هذه الحلقات الدراسية .

٨ - تسجيل متعمد من أجل صالح الأجيال القادمة « مجموعة كبيرة »

وفضلاً عن التسجيل غير الرسمي الذي ذكرناه فيما سبق ، فيبدو أن جمع الأحاديث ، قد تَمَّ عن عمدٍ كذلك ، فالصحابة أمثال عبد الله بن عمرو ابن العاص ، عبد الله بن عباس ، أنس بن مالك كتبوا الأحاديث ربما من منطلق البحث والدراسة ، ويمكن أن نضيف إلى هذه القائمة من جامعي الأحاديث الهامة عمرو بن حازم الأنصاري (المتوفى سنة ٥٣ هـ) ، أبو اليسر كعب بن عمرو (ت ٥٥) ومسروق بن الأجدع (ت ٦٣) وعمرو ابن مأمون الأوْدي (المتوفى سنة ٧٤ هـ) . وكل هؤلاء قد جمعوا الحديث بهدف الدراسة والبحث ويذكر أن هذه الأحاديث قد جمعت في الصحيفة ، **الدفتر ، المجلة ، الصكاك ، والنسخة** ... الخ وعلى الرغم من أننا لا نعرف مدى حجم هذه المجموعات ، الا أن هناك إحتمالا قويا في أن بعضها كان كبيراً لدرجة أنه يمكن تسميتها « المجلدات ، والكتب » .

---

(١) صحيح البخاري (١ : ٢٧ . ٢٨) في كتاب العلم .

(٢) صحيح البخاري (١ : ٣٨) في كتاب العلم .

ثالثا : النتيجة :

لقد رأينا في الفقرات السابقة أن حفظ الأحاديث لم يعتمد على الذاكرة فقط بل على النقيض تم تسجيلها بالمداد الأسود ، ثم تم ضمها بعد ذلك في مجموعات كبيرة من الأحاديث ، وعلى الرغم من أنه لم يكن هناك تنظيم رسمي لتسجيل الأحاديث ، إلا أن الصحابة تأثروا بشخصية النبي ﷺ المؤثرة ، وأدركوا أهمية سنته التي أكد عليها القرآن والنبي ﷺ نفسه ، وبمبادرة منهم قاموا بحفظ أقوال محمد ﷺ وأفعاله ، وموافقاته الضمنية في مواقف معينة .

الفصل الخامس : الكتابات المبكرة

أولاً : مقدمة = أوعية الحديث

أ - كتاب وصحيفة

ب - نسخه

جـ - دفتر

د - قرطاس وطومار

هـ - جزء

و - كراسة

هـ - مصطلحات وأوعية أخرى

ثانيا : التدوينات الحقيقية

١ - التسجيل الرسمى أثناء حياة النبي ﷺ

أ - القضايا المالية والشرعية

١ - كتاب الصدقة

٢ - قواعد الزكاة ومصطلحات قانونية في شكل كتب

ب - القضايا السياسية والإدارية

١ - المعاهدات والمواثيق والاتفاقيات

٢ - العقود ، وقرارات العفو العام ، ومنح الأراضي

٣ - تعليمات إلى الموظفين المدنيين

٤ - كتب إلى القبائل ، ومشايخ القبائل .

٥ - كتب إلى حكام الدول المجاورة

٦ - الإحصاء   ٧ - سجلات الحرب

٨ - قائمة بأسماء الرسل والسفراء

جـ - الشئون التجارية والمعاملات الأخرى

د - أحاديث المناسبات ، وأحاديث متفرقة

٢ - التسجيلات غير الرسمية

أ - صحيفة ونسخة الصحابة والتابعين

ب - سجلات مكتوبة أخرى خاصة بالصحابة

جـ - سجلات أخرى مكتوبة خاصة بالتابعين والعلماء الأوائل

الفصل الخامس

السجلات الأولية

١) مقدمة : أوعية الحديث

يُعتقد عموماً أن الأحاديث ظلت في ذاكرة الناس لما يقرب من قرن على الأقل بعد موت النبي ﷺ ولم تسجل الا بعد ما يربو عن قرن ، وعن السنة التي بدأت فيها عملية التسجيل اختلفت الآراء وتباينت ، فطبقاً لأحد الروايات « أن التسجيل لم يتم الاّ بعد وفاة ابن المسيب (المتوفى سنة ١٠٥ هـ) وبعد التابعين الثقات [١] »

ويقال : « أن أول شخص جمع الحديث بشكل مكتوب ابن شهاب الزهري (المتوفى سنة ١٢٤ هـ) [٢] » .

وكما يقول الذهبي : « أن الأحاديث جمعت وصنفت في سنة ١٣٢هـ [٣] »

ويقال أيضاً : إن هؤلاء الذين كتبوا الكتب ينتمون إلى فترة ما بعد سنة ١٢٠ هـ [٤] .

---

(١) قوت القلوب (١ : ١٥٩) .

(٢) جامع بيان العلم (١ : ٧٣ ، ٧٦) ، صفة الصفوة (٢ : ٧٨) ، قواعد التحديث (٤٦) ، الخطط للمقريزي (٢ : ٣٣٣) .

(٣) النجوم الزاهرة (١ : ٣٥١) .

(٤) قوت القلوب (١ : ١٥٩) ، تاريخ الخلفاء (٢٦١) ، النجوم الزاهرة (٣٥١:١) ، كشف الظنون (١ : ٢٦) .

وفي رأى ابن حجر : « إن أحاديث النبي ﷺ لم تجمع وترتب في كتب الا في نهاية عصر الصحابة والتابعين الكبار [(١)] »

ويعلق الجاحظ في كتابه « الرسائل » : لو أن الجيل الذي جمع القرآن في شكل كتاب ، قد قام بجمع مجموعة أحاديث النبي ﷺ فلن يجرؤ أحد (في رأى الجاحظ) على أن يستفسر عن صحة هذه الأحاديث [(٢)] .

وعلى سبيل المثال فالكاتب الهندي المعاصر - حسن صديق - يقول : « إن الصحابة والتابعين كانوا في غير حاجة إلى جمع العلم الشرعي والحكمة أي مادة الحديث » [(٣)] .

وتبعه الكتاني قائلاً : « إن الصحابة والتابعين لم يكتبوا أحاديث عدا كتاب « الصدقة » وعدداً من المعاهدات التي لم تكتشف الاً بعد بحث[(٤)].

وأخيراً يقول المعاصر « أبو رية » : « إن مهمة جمع السنة بدأت لأول مرة بين سنة . ١٢ هـ - إلى سنة . ١٥ هـ » [(٥)] .

ويتفق العلماء الغربيون مع وجهة النظر هذه ويرون أن أول تسجيل للحديث كان مع بداية القرن الثاني الهجري [(٦)] ، وفي حين يقول « فنسنك » : « أن اكبر مجموعة من مادة الحديث والتي وجدت كمجموعة مقبولة ومعترف

---

(١) فتح الباري (المقدمة) = (١ : ١٧ ، ٢١٨) .

(٢) رسائل الجاحظ ط . القاهرة (١٩٣٣) ص (١١٩ - ١٢٣) و Papyri , P = (1 : 8) .

(٣) أبجد العلوم (١١٠) .

(٤) الرسالة المستطرفة (٣) .

(٥) أضواء على السنة لأبي رية (٢٢٦) .

(٦) Creed , (59)

بها تبدأ من فترة لا تقل عن بداية القرن الثاني الهجري »يعلق برنارد لويس قائلاً : « إن جمع وتسجيل الحديث لم يحدث الا بعد أجيال عديدة من وفاة النبي ﷺ [1] .

وفي حين أن « لويس » هو الوحيد الذي أشار ضمنا إلى أن هذه العملية بدأت منذ سنة ١٢. هـ وذلك في مقولته السابقة .

أما « جلوم » فكان أكثر تحديداً في أبحاثه عندما قال : « إن جمع الاحاديث المعترف بها يؤرخ له بدءاً من وصول العباسيين إلى الحكم [2] » أي بعد سنة ١٣٢ هـ .

ويقول العالم « Peterson » في أحدث أعماله « على ومعاوية » : « إن نقل الحديث على كافة الوجوه لم يدون كتابة الا في أواخر عصر الأمويين [3] » أما بخصوص الكتب المستقلة الأخرى أي التي ليس لها علاقة بالحديث فيقول : إنها تنتمي إلى العصر العباسي الأول .

« وعلى الرغم من أنه ذكر أنه من بين هذه الكتب الأعمال التاريخية فقط ، وتلك الأعمال طبقاً لروايته لم تتم إلا في فترة جمع كتب الحديث ، ويقول : « لم يتأخر كثيراً كتابة الكتب (مفرد كتاب) التي تتناول بطريقة علمية : الخبر [4] » ،أضاف « وفهرست العناوين في أدب وصف الكتب وتعريفها - أخبار - صفين ، كتاب النهروان ، كتاب كربلاء ... الخ يعطينا

---

(١) ARabs in History . (36) .

(٢) Traditions (3 7).

(٣) Ali and Muawiya . (178) .

(٤) Ali and Muawiya . (17) .

دليلاً مادياً بأن الرسائل المكتوبة والنشرات كان الأسلوب المتبع في التعبير بدءاً من منتصف القرن الثامن (١) .

ولكن على النقيض من هذه الآراء وجدنا تقارير تبين أن الأحاديث كانت مسجلة منذ عصر النبي (٢) .

وفي حين أن « Margoliouth » فحسب هو الذي اعتقد بأن بعض مراسلات النبي ﷺ (٢) ، من الجائز أن يكون النبي ﷺ هو الذي أملاها ، يؤكد « Macdonald » « أن بعض كتاب سيرته من بين أصحابه هم الذين تمسكوا بكلماته كما جاءت (٣) » بينما يشكك « Muir » إلى حد بعيد ويقول : « هناك احتمال غير يقيني بأن أقوال النبي ﷺ قد دونت أثناء حياته ، ومن هذا المصدر نُسِخت ونُشِرت بعد ذلك (٤) .

ربينت أبحاث « Sprenger » بوضوح أن عادة التسجيل وجدت في الواقع في حياة النبي ﷺ وبعد وفاته (٥) بينما يعتقد « HoroviTz » في صدق صحف التابعين فحسب (٦) .

---

(١) Ali and MuaWiya . (17 - 18) .

(٢) Mohammed (12 - 13) .

(٣) Muslim Theology

(٤) Mahomet , I , P , xxx ii

(٥) Origin of WRiTing , Jasb xxv , (303 - 329) and (375 - 381) .

(٦) ويقول : « لو أن المعلومات عن أحاديث عدد من صحابة النبي ﷺ سجلت على الأوراق (الصحف) أو في كتب مشكوك في صحتها إلى حد ما ، فمما لاشك فيه أن هذه السجلات المكتوبة لم تعد نادرة في جيل التابعين الذين استقوا هذه المعلومات من الصحابة .

وذكر « جولد تسيهر » أكثر من اثنتي عشرة صحيفة للصحابة واعتبرها صحف صادقة [١] .

وحدد « Sprenger » ثلاثة أسماء مشهورة في ذلك وهم : أنس ابن مالك ، ابن عباس ، عبد الله بن عمرو بن العاص ككتاب لأحاديث النبي ﷺ في كراسات خاصة [٢] .

وفضلا عن الأسماء الثلاثة المذكورة ، هناك اسم رابع وهو أبو هريرة ويعد هؤلاء الاربعة أشهر جامعي الأحاديث في حياة النبي ﷺ حتى يومنا هذا ، ولكن بعد ذلك ضاعفت « نبيهة عبود » هذا الرقم في مجموعة أعمالها البارزة في الحديث ووصلت بعدد جامعي الأحاديث إلى ثمانية ، ولكن ألقت الضوء على أسماء عديدة من كتاب الأحاديث ، وفي هذا العمل أكدت على السجلات المكتوبة لهؤلاء الثمانية [٣] فضلاً عن صحابة أخرين لا يقلون عنهم شهرة ، وأكدت على أن عملية النقل كانت تتم شفهيا ركتابة إلى الأجيال اللاحقة وقامت هذه الأجيال بدورها بنقل هذا الميراث إلى من تبعهم . وأضافت أن هذه العادة استمرت حتى تم استيعاب المادة بأكملها في مجموعة كبيرة لأعمال الحديث [٤] .

وعلى العموم فإن الاعتقاد الخاطىء بأن الحديث كان ينقل شفهيا على الأقل في المائة سنة الأولى [٥] ، وأن المجموعة الأولى من الأحاديث التي

---

(١) مسند الطيالسي (٢ : ٩ - ١١ / ٢٢ - ٢٤) .

(٢) Origiar of weriting , Jasb xxv , (380) .

(٣) Papyri (2 : 11)

(٤) Papyri (2 : 39 - 40)

(٥) أضواء على السنة لأبي رية (٢٠٧) ، قوت القلوب (١ : ١٥٩) ، الحديث والمحدثون (١٢٧) ، فجر الإسلام (٢٢١) ، قواعد التحديث (٤٥ - ٤٦) ، فتح الباري (المقدمة) (١ : ١٧) ، تذكرة الحفاظ (١ : ١٥١) ، فتح الباري (١ : ٢١٨) ، الخطط (٢ : ٣٣٣) ، كشف الظنون (١ : ٦٣٧) ، السنة ومكانتها (٤٠) ، مجلة المنار (١٠ : ٧٦٨) ، قصة الأدب (١٤٤) ، تقييد العلم (٧) .

جمعها الزهري (المتوفى سنة ١٢٤ هـ) [١] والتي أوضحناها بالفعل فيما سبق [٢] تبين أن هذه النظرية كانت قائمة على مفاهيم خاطئة وبالتالي فمن المتعذر الدفاع عنها . والحقيقة أن تسجيل الحديث والسنة على الرغم من أن هذه العملية لم تأخذ الشكل الرقمي إلاَّ أنها بدأت بحق من عصر النبي ﷺ أما بالنسبة لعملية النقل فقد تمت بالوسيلتين شفهيا وكتابة جيلا بعد جيل ، حتى وصلت إلى شكلها النهائي في المجموعة التقليدية الكاملة من الأحاديث .

ويمكن أن نبرهن على أن الأحاديث بدأ تسجيلها بحق من عصر النبي ﷺ بالرجوع إلى النشاط الأدبي والسجلات المكتوبة بالفعل من خلال المصادر المتوفرة من أعمال الصحابة ، والتابعين وأتباع التابعين . ولكن قبل أن نتناول هذه السجلات الموغلة في القدم من المهم للغاية أنْ نؤكد على أن إنكار أي وجود لعادة تسجيل الحديث في حياة النبي ﷺ والصحابة شيء ، وإنكار وجود هذه السجلات حتى يومنا هذا شيء آخر مختلفٌ تماماً . بالنسبه للقضيه الأولى ، يكاد أن يكون هناك إجماع على الاعتراف بأن هذه العادة كانت موجودة بالفعل [٣] .

وقد أشار « جولد تسيهر » إلى عدد قليل من السجلات المكتوبة لهذه الفترة [٤] أما القضية الثانية فهى محل جدل : بينما يعتقد العلماء المسلمون عموما - باستثناء قلة قليلة - بأنها عاشت حتى الآن ، ويعتبرون

---

(١) جامع بيان العلم (١ : ٧٣) ، قواعد التحديث (٧٦) ، صفة الصفوة (٢ : ٧٨) .

(٢) في الفصل السابق .

(٣) W . Mvir : Mahomet , i , p . XXXv

(٤) مسند الطيالسي (٢ : ٩ - ١١ / ٢٢ - ٢٤) .

مجموعة الأحاديث الحالية صادقة وسجلات حقيقية لأفعال النبي ﷺ وأقواله ، فإن المستشرقين الغربيين توصلوا إلى نتيجة مؤداها بأنه لا يوجد حديث واحد يمكن أن يثبت وجود سجل صادق لأعمال النبي ﷺ ، وعلى سبيل المثال يقول « Muir » : « لا يمكن أن نؤكد بثقة ولا حتى مجرد احتمال بتسجيل أي حديث حتى نهاية القرن الأول الهجري تقريباً (١) » .

وأكد « شاخت » بأن هذه الأحاديث لا يمكن أن نردها إلى النبي ﷺ ويقول : « بصفة عامة فإن الأحاديث من الصحابة والتابعين كانت أسبق من أحاديث النبي ﷺ (٢) » .

ويرى « جولد تسيهر » أن أدب الحديث هو تسجيل للتطورات الدينية ، والسياسية والإجتماعية للحقبة الأولى من الإسلام (٣) ، ويقصد بهذا أن ينفي وجود سجلات قديمة باقية حتى يومنا هذا .

إن أساس التشكيك حول صدق أحاديث النبي ﷺ من العلماء الغربيين لا وجود لها في أي مجموعة من الأحاديث الأصلية على الإطلاق . ولكن مع اكتشاف صحيفة « همام بن منبه (٤) » ، وكثير من الأحاديث المكتوبة على ورق البردي (٥) ، أعَادَ العلماء الغربيون النظر في وجهات نظرهم وحدث تعديل طفيف في وجهات نظرهم . ولهذا فالعالم المعاصر « James Robson » لا يتفق مع « Horovitz » في القول بأن

---

(١) Mahomet , i . p : XXXV

(٢) منشأ الشريعة الإسلامية لشاخت ، ص (٣) .

(٣) مسند الطيالسي (٢ : ٥ / ١٩) .

(٤) تهذيب التهذيب (١١ : ٢٧) ، صحيفة همام بن منبه لحميد الله ط . دمشق (١٩٥٣) .

(٥) Papyri , (1 : 32 - 33 , 38 - 40 , 57 - 58 , (61 - 52) . ومواضع أخرى ، وبرديات مطبوعة أخرى .

بعض الرجال جمعوا مجموعة صغيرة من الأحاديث للاستخدام الشخصي (١) ، بل ذهب خطوةً أبعد من ذلك بكثير وقال : « إن مادة مجموعة الأحاديث كانت مندمجة في الأعمال المتأخرة (٢) » .

أما « Nabia Abbott » فبعد أن وجدت في المجموعة المصنفة من الأحاديث العديد من الأحاديث المشابهة تماماً لهذه المجموعة والمحرره على ورق بردي توصلت إلى النتيجة التاليه : « إن عدداً من التسجيلات بدأت في حياة محمد ﷺ وسجلات أخرى وصلت إلى القمة نتيجة للنشاط الأدبي للزهري وطلابه وكثيرٍ من العلماء الآخرين من عصره حفظت هذه المواد باستمرار كتابةً دون لمسات تعديلية أو ببعض اللمسات التعديلية (٣).

إن اكتشاف صحيفة همام والوثائق البردية أعطى شهادة موثقة بصدق مجموعات الحديث الحالية ، وأثبت أن عادة كتابة الحديث كانت قائمة منذ فجر الإسلام . ويمكن اثبات هذا بالرجوع إلى السجلات المكتوبة لكل جيل بدءاً من عصر النبي ﷺ .

ومن الضروري أن نشير إلى أن المصادر تشير عموماً إلى الكتاب أكثر من إشارتها إلى الأعمال (٤) وذلك في معرض تناولنا للنشاط الأدبي للفترة السابقة للفترة التقليدية وهذه هى النقطة التى أثارها « Muir » الذي شكك في وجود سجلات أوليه على أساس أن طبيعة ومحتوى هذه

---

(١) « Earliest biographies ... » lc , (1 : 536)

(٢) مشكاة المصابيح (١ : ٣) .

(٣) تذكرة الحفاظ (١ : ٩٧ - ١٠١ ، ١٥٠ - ١٥١) Papyri , (2 : 82)

(٤) Papyri (1 : 24) , Origin of Writing , Jasb , XXV , 1856 , P : 381 Manuscript , 198 .

السجلات لم يذكر (١) ، وفي الواقع أن طريقة الإشارة إلى المؤلف أكثر من الإشارة إلى الكتاب لا يقتصر على أدب الحديث فحسب . وهذه العاده عموماً كانت شائعه في كثير من الآداب أيضاً . وعلى سببيل المثال ينقل . الخطيب البغدادي من كتاب « طبقات » لخليفة بن خياط ، ولكن يشير إلى المؤلف (٢) .

وقبل أن نتناول النشاط الأدبي لعلماء الحديث كأفراد وتسجيل الحديث كذلك . من الضروري أن نشرح معنى وأهمية المصطلحات المختلفة التي استخدمت كأوعية لمادة الحديث ، ففضلاً عن مصطلح صحيفة الذي ناقشناه فيما سبق (٣) ، هناك العديد من المصطلحات الأخرى التي تأخذ معانى مختلفة باختلاف النص ولأن دلالته غير ثابتة ، فلا يمكن اطلاق معنى معين ثابت على مصطلح معين . ولهذا فنفس الكلمة استخدمت لتشير إلى أحجام متباينة لمجموعات الأحاديث . وعلى سبيل المثال فكلمة كتاب يمكن أن تعني مخطوطه في حجم كتاب أو رسالة أو حتى خطاب يحتوي على مجرد حديث . إن النص هو الذي يحدد أو يحقق بالتجربة دلالة اللفظ .

وفضلاً عن كلمات صحيفة وكتاب ، فكثيرٌ من المصطلحات الأخرى مثل كُرُاسة ، نسخة ، جزء وجدت متداولة في أدب الحديث ، وسوف نتناول كافة هذه المصطلحات تفصيلاً لنناقش معانيها واستخداماتها .

١ - كتاب وصحيفة : -

فمصطلح صحيفة كوعاء للحديث ، قد تناولناها بالتفصيل في الفصل

---

(١) Mahomet I : PP , XXXIII - XXXIV

(٢) تاريخ بغداد (١٠ : ٤٠١) .

(٣) انظر في الفصل الرابع في هذا الكتاب ، العنصر الخاص بالمصطلحات والمقولات المعينة .

السابق [١] ، أما مصطلح كتاب من حيث معانيه واستخدامه فهو موضع بحثنا .

فعلى المستوى الحرفي : فالمصدر من كتب يعني . جمع [٢] ومصطلح كتاب يشير إلى تكتل الحروف الهجائية « كما نسمي مجموعة من الخيول كتيبة » ويقول القلقشندي : « إن مجموعة الحروف الهجائية تتجمع معاً في قطعه مكتوبه تعرف باسم كتابة » [٣] ولهذا ، فوفقاً لهذا المعنى فأى مادة مكتوبه سوف تسمى كتاباً .

ومع أن الكلمة استخدمت عموماً في معنيين أساسيين (أ) الخطاب الخاص والرسمي (ب) والكتاب الذي يضم النشرة ، المذكرة ، والرسالة .

ولنأخذ بعض الأمثلة ، الخطاب الذي سلمه عمرو بن هند [٤] إلى طرفة والمتلمس ، والخطاب الذي أرسله حاطب بن أبي بلتعة إلى قريش يخبرهم فيه عن نية النبي ﷺ في الهجوم على مكة [٥] .

والخطاب السري الذي أرسله النبي ﷺ إلى سهيل بن عمرو [٦] ، وخطاب النبي ﷺ إلى أبي بصير الذي يسمح له فيه بالعودة إلى المدينة [٧] ،

---

(١) انظر في الفصل الرابع تحت عنوان « مخطوطة بمصطلحات ومقولات معينة .

(٢) النهاية (٧ : ١) ، صبح الأعشى (١ : ٣٢ - ٣٣) ، المفضليات (١ : ٧١٥) .

(٣) صبح الأعشى (١ : ٣٢ - ٣٣) .

(٤) الأغاني طبعة (رودلف) (٢١ - ١٩٤ / ١٩٥) ، سنن أبي داود (٢ : ١٥٧) ، في كتاب الزكاة ، حديث رقم (١٦٢٩) .

(٥) السيرة (٨.٩) ، طبقات ابن سعد (٢ : ١ : ٩٧) .

(٦) أخبار مكة (٢ : ٤.) .

(٧) السيرة (٧٥٢ - ٧٥٣) .

وخطاب بُجير بن زهير إلى أخيه كعب بن زهير ، يخبره بحقيقة من سيقتلهم محمد ﷺ بسبب هجائهم له (١) . خطاب رئيس قبيلة الغساسنة إلى كعب ابن مالك يطلب منه أن يترك محمداً ﷺ وينضم إليه كتعبير عن غضب النبي ﷺ على كعب (٢) ، والخطاب المذيل بالختم والذي أعطاه النبي ﷺ لعبد اللّه بن جحش وطلب منه الاَّ يفتحه إلاَّ بعد مرور يومين من رحلته (٣) . وكافة هذه الخطابات وجدت في المصادر بمعنى الكتاب .

وتناول القرآن أيضاً كلمة كتاب بمعنى خطاب وذلك في سياق قصة سليمان وملكه سبأ وذكر أن سليمان قال : « اذهب بكتابي هذا فألقهْ إليهم » وعندما وصل الخطاب إلى الملكة . خاطبت رعاياها قائلة : « يا أيها الملأ إني ألقى إليَّ كتاب كريم » (٤) .

وفضلاً عن الخطابات الشخصية ، هناك الخطابات الرسمية ذات الصبغة السياسية مثل خطابات المعاهدات ، وخطابات العفو العام بالنسبة للمهتدين إلى الدين ، وكل هذه الخطابات عرفت باسم كتاب . ولنأخذ مثالاً على ذلك ، فيذكر أن النعمان أصدر خطاباً للعفو عن حارث بن ظالم (٥) في عصر ما قبل الإسلام . ونال سراقة بن مالك خطاباً مشابهاً بالعفو عنه أثناء هجرة النبي ﷺ إلى المدينة (٦) .

---

(١) السيرة (٨٨٧) .

(٢) نتيجة لعدم مشاركة كعب في غزوة تبوك ، فلم يقطع النبي ﷺ كافة علاقاته به فحسب بل أمر المسلمين جميعاً بمقاطعته وبالتالي قاطعة كل السكان المسلمين في المدينة . ومع هذا فهى مقاطعة إجتماعية مؤقتة لأنه بعد هذا الألم القاسي سامحه اللّه . وسامحه النبي ﷺ كذلك . السيرة (٩١١) ، تفسير الطبري (٤ : ٥٥٢) .

(٣) الكفاية (٩١١) ، السيرة (٤٢٣ - ٤٢٤) ، تاريخ الطبري (١ : ١٢٧٣ - ١٢٧٤) .

(٤) القرآن الكريم (٢٧ : ٢٨ ، ٢٩) ، كتاب الحيوان (١ : ٩٧) .

(٥) الأغاني (١١ : ١٢.) .

(٦) السيرة (٣٣٢) ، المسند (٤ : ١٧٦) .

وإلى هذا الحدّ كانَ الاهتمامُ بالنوعِ الثاني من الخطاباب ، حيثُ تَذْكُرُ المصادر المختلفة أنَّ النبي ﷺ كَتَبَ العديد من هذه الخطابات إلى رؤساء القبائل المجاورة ، وإلى قادة العالم الكبار يدعوهم إلى اعتناقِ الدين الإسلامي (١) ، وهذه الخطابات أشِيرَ إليها باعتبارها : **كتاباً** .

وإذا انتقلنا إلى المعنى الثاني لمطلح كتاب ، ألا وهو (الكتاب) بمعناه الحقيقي ، فيجب أنْ نُؤَكِّدَ على أنَّ الكلمة بهذا المعنى كانَ لها استخدامات واسعة ، فهي تتضمن بمعناها دستوراً ، معاهدةً ، عقداً ، رسالة ، كتيباً ، ومخطوطةً في حجم كتاب ، والمعنى الحقيقي لها يمكن تحقيقهُ فقط عند الرجوعِ إلى المحتوى .

وعلى الرغم من أنَّه في حالات عديدة يساعد النص في تحديد ما إذا كان هذا المصطلح يشيرُ إلى كتاب بكل ما في هذه الكلمة من معنى ، أو مجرد كراسة ، إلا أنَّ هذا المعنى - في كثير من الحالات - ظلَّ غامضاً بالنسبة لمعنى « **كتاب** » أو معنى « **صحيفة** » (٢) ، مما جعلَ بعض العلماء يفسرون الكلمة بمعناها التصغيري ، ويصيغون نظرية أن **المحدثين** الأوائل كانت لديهم سجلات مكتوبة من النوع الصغير فحسب ، وهذه النتيجة التي تَوَصَّلُوا إليها مردّها إلى تفسيرهم لكلمة كتاب باستمرار بهذا المعنى الخاص ، على الرغم من حقيقة أنَّ الكلمة استخدمت في معانٍ مختلفة باختلافِ النُّصوصِ كما رأينا .

ولنبدأ بالمصطلح الذي طُبِّقَ في الوثائقِ التي لم تكن تتجاوز عدة وريقات مثل : الاتفاقات القبلية ، العقود ، المعاهدات . النشرات الدورية

(١) طبقات ابن سعد (١ : ٢ : ١٥ - ٣٨) وما بعدها .

(٢) انظر ما تقدم في الفصل الرابع تحت عنوان : « صحيفة ، ومصحف » .

التي تحتوي على الشئون الإدارية والقانونية ، ولهذا فوثيقة مقاطعة النبي ﷺ وعائلته (١) وصُلح الحديبية (٢) ، عقود تسليم الأراضي لأفراد كثيرين ممنوحة من النبي ﷺ (٣) والخطاب الذي أُرْسِلَ إلى اليمن والذي يحتوي على قواعد الزكاة (٤) والخطاب الذي أرسل إلى عمرو بن حازم والذي يحتوي على قوانين متعلقة بدية القتيل (٥) ، والخطاب الذي أرسل إلى علاء بن الحضرمي والذي يحتوي على قواعد عن زكاة الحيوانات (٦) ، وعقد المكاتبة (٧) بين أبي أيوب الأنصاري وعبده أفلح (٨) ، والمنح التي وَهَبَها النبي ﷺ كتابةً بامتيازات معينة لأناس عديدة (٩) والإتفاقية التي وقعت بين قبيله خزاعة وعبد المطلب بن هشام (١٠) والاتفاقية بين النبي ﷺ وبين أهل غطفان (١١) ، والعقد المكتوب بين النبي ﷺ والعداء بن

(١) طبقات ابن سعد (١ : ١ : ١٣٩ - ١٤٠) ، وتاريخ الطبري (١ : ١١٨٩) .

(٢) السيرة . ٧٤٧ - ٧٤٨) ، وطبقات ابن سعد (٢ : ١ : ٧٣ - ٧٤) .

(٣) مثل تسليم الأرض لزيد الخير .

(٤) طبقات ابن سعد (١ : ٢ : ١٩ - ٢٠) و (٥ : ٣٨٦ - ٣٨٧) ، وسيرة ابن هشام (٩٥٥ - ٩٥٧) .

(٥) السيرة (٩٦١ - ٩٦٢) ، الوثائق السياسية رقم (١٠٥) ، سنن النسائي في القسامة (٨ : ٥٨ - ٦٠) ، الموطأ (٤ : ١٧٥ - ١٧٦) ، في العقول ، وتاريخ الطبري (١ : ١٧٢٧ - ١٧٢٩) ، اختلاف الحديث للشافعي (١٧ - ١٨) .

(٦) طبقات ابن سعد (١ : ٢ : ١٩) و ٤ : ٢ : ٧٦) .

(٧) لأن عتق العبيد كان يتم بشروط ينص عليها في وثيقة كتابةً .

(٨) ابن سعد (٥ : ٦٢) .

(٩) مثل كتاب وائل بن حجر الحضرمي .

(١٠) الوثائق السياسية ، رقم (١٧١) ، وتاريخ الطبري (١ : ١٠٨٨) .

(١١) السيرة (٦٧٦) ، وتاريخ الطبري (١ : ١٤٧٤) .

خالد بن هوذة [١] ، وكتب النبي ﷺ التي أُرْسِلَتْ إلى القبائل المختلفة والتي صنعت قوانين مثل : الصدقات وغيرها [٢] ، معاهدة السلام بين بني ضمره والمسلمين [٣] ، ودستور المدينة [٤] ، نشرات أبي بكر والمختومة بخاتم النبي ﷺ والتي أرسلت إلى أنس بن مالك والتي تضمنت قواعد خاصة بالزكاة [٥] ، الوقف الذي أوصى به عمر بن عبد العزيز ، والذي منح فيه بيتاً في مكة للحجيج [٦] . وكثير من الوثائق المكتوبة والتي وُصِفَتْ في المصادر على أنها **كتاب** .

وبعد قراءة محتويات الوثائق المذكورة يمكن للمرءِ بسهولة أن يتوصّلَ إلى نتيجةٍ مفادها : أنَّ الوثائق غطت أربعَ أو خمسَ صفحات على الأكثر ، ولأنها عرفت بالكتاب ، فيمكن أن نستنتجَ أن الكتاب مثل الصحيفة والتي كانت تعرف في فجر الإسلام كوثيقة مكتوبة تحتوي على عدة صفحاتَ ، ولهذا فالكلمة يمكن أن تنطبق على النشرة ، وعلى المذكرة كما قال جولد تسيهر وآخرون .

ولكن عندما نفسر هذه الكلمة بهذا المعنى السابق فإنها لا يمكن أن

---

(١) طبقات ابن سعد (٧ : ١ : ٣٦) .

(٢) كالرسائل المعطاة للمطرف بن الكاهن الباهلي . طبقات ابن سعد (١ : ٢ : ٣٣ ، ٤٩) ، نهاية الأرب (١٧ : ٥ .) ، والنهشل بن مالك الوائلي . طبقات ابن سعد (١ : ٢ : ٣٣) ، ونهاية الأرب (١٧ : ٥ .) ، ولقبيلة أسلم . طبقات ابن سعد (١ : ٢ : ٨٢) .

(٣) الوثائق السياسية ، وثيقة رقم (١٥٩) ، الروض الأنف (٢ : ٥٨ - ٥٩) .

(٤) السيرة (١د٣ - ٣٤٤) ، الوثائق السياسية ، وثيقة رقم (١) ، المغازي (١٧٧) .

(٥) تقييد العلم (٨٧) ، مسند الإمام أحمد (١ : ١١) .

(٦) أخبار مكة (٢ : ١٩٤) .

تكون صحيحة ، لأنّها تشير أيضاً إلى وثيقة أكبر إلى حد ما ، لدرجة أنها تصل إلى حجم مخطوطة في حجم كتاب مثلاً ، والقرآن الكريم أيضا تناولها بمعنى كتاب [(١)] .

وفي فترة ما قبلَ الإسلام ، كان ديوان - (مجموعة قصائد) - شعراء القبائلِ من النَّوْعِ الكبير ، وقد عرفَ باسم « **كتاب** » .

ولنأخذ بعض مجموعة القصائد الخاصة بكل قبيلة ، مثل قبيلة فزارة [(٢)] ، بني يشكر [(٣)] ، بني عقيل [(٤)] ، بني أسد [(٥)] ، طيء [(٦)] ، بني سالم [(٧)] ، فكل هذه القصائد عُرِفَتْ باسم « **كتاب** » .

وهذه المقتطفات الأدبية المحتوية على مجموعة من القصائد لا لكل شاعرٍ على حدة فحسب ، ولكن لمجموعةٍ منهم ، والتي كانت تخصُّ قبائل معينة لا بدَّ أنها كانت من الحجم الكبير والحقيقة أنَّ تسمية هذه القصائد باسم « **كتاب** » يوضح أن المصطلح لا يشير إلى « المذكرات » فحسب ، بل إلى حجم أكبر من المخطوطات .

---

(١) القرآن الكريم (٢ : ٤٤ ، ٥٣ ، ٧٨) و (٣ : ٣ ، ٧ ، ١٩) ، و (٤ : ٤٤) ، ويزها .

قلت انظر المعجم المفهرس مادة « كتاب » ، فقد ذكرت الكلمة أكثر من مئتي مرة . (المترجم) .

(٢) المؤتلف والمختلف للآمدي (٦٥ - ٧٦) .

(٣) المؤتلف والمختلف للآمدي (١٨٦) .

(٤) المؤتلف والمختلف للآمدي (١١٨) .

(٥) المؤتلف والمختلف للآمدي (٣٤) .

(٦) المؤتلف والمختلف للآمدي (١٤٨) .

(٧) المؤتلف والمختلف للآمدي (١٧٦) .

ومجموعة أخرى من الإنتاجِ الأدبِّي والتي عُرِفَت باسم « **كتاب** » كونت الأدبَّ الدينيَّ ، وحكمَ وأُمْثَالَ فترة ما قبلَ الإسلام ، والقرآن يتناول التوراة والإنجيل باسم « كتاب » (١) ، ويسمى أتباع هذه الديانات باسم « أهل الكتاب » (٢) ، وفضلا عن أن موسى وعِيسى عليهما السلام اللذين تنسب إليهما هذه الكتب بصفة خاصة (٣) ، اعترف القرآن بأنبياء آخرين (دون أسماء محددة) وبكتبهم المقدسة التي عرفت باسم « **كتاب** » (٤) .

وفي العصورِ الأولى كانت الحِكْمَةُ ، والأقوالُ المأثورةُ تُحْفَظُ كتابةً (٥) ، وكان المصطلح المتعارف عليه « مجلة » والذي كان يضم مادةً مكتوبة ، غالباً ما يستخدم بالتبادل مع كلمة « **كتاب** » وكما أكَّدَ النبي ﷺ على هذه الحقيقة بقوله : « بالنسبة للعرب فكل كتابٍ هو مجلة » (٦) .

إنَّ تسميةَ القرآن الكريم : « للتوراة والإنجيل ، وأدب الأمثال باسمِ « **كتاب** » يشيرُ إلى أنَّ هذا الكتاب لا بدّ أن يكون في حَجْمِ الكتبِ الكبيرة ، وعلى الرغم من أنه لا يمكن أن نقول : هل هذه الكتب المقدسة مصنفة في كتاب في عصور ما قبل الإسلام أم لا ، إلا أنه من الواضح أنَّه عندما يشيرُ القرآن إلى هذه الكتب المقدسة بلفظ : « كتاب » ، فإنَّ

(١) القرآن الكريم (٢ : ٧٨ - ٧٩) .

(٢) القرآن الكريم (٣ : ١١٠) ، (٤ : ١٥٣) ، (٥ : ١٥ ، ٦٨) ، (٢٩ : ٤٦) ، (٥٧ : ٢٩) .

(٣) القرآن الكريم (٢ : ٨٧) ، (١٧ : ٢) ، (٢٣ : ٤٩) ، (٢٥ : ٣٥) ، (٤٦ : ١٢) .

(٤) القرآن الكريم (٥ : ٤٨) ، (٢٩ : ٢٧) ، (٤٣ : ٢١) .

(٥) دراسات إسلامية لجولد تسيهر (٢ : ٩ / ٢٢) .

(٦) النهاية لابن الأثير (١ : ٢٠١) .

هذا يعني الكتاب ككل لا كأجزاء [١] ، ولهذا يبدو أنَّ كلمةٍ « **كتاب** » في هذا الوقت المبكر كانت تستخدم للمخطوطة التي هى في حجم كتاب أيضاً .

وعلى الرغم من أنَّه لم يَبْقَ أي أثر من أدب الأمثال القديم حتى يومنا هذا ، فالأمثال المنسوبة إلى أكثم بن صيفي [٢] ولقمان [٣] ، وآخرين من حكماءِ العرب [٤] تشير إلى احتمال وجود مجموعة كبيرة من الأقوال المأثورة في كتب عرفت باسم « صحيفة » أو « كتاب » ، وهذا يمكن أن يكون متوقعا في مجتمع لديه سجلات بأسماء شعراء قبائله وجداول بأنساب هذه القبائل .

وفي ضوءِ الملاحظة السابقة ، يمكن أن نقول : إن كلمة كتاب استخدمت بمعنى واسعٍ للغاية ، فهي لا تعني خطاباً فحسب أو كتيباً ، بل تعني الكتب بأحجامها الكبيرة أيضا ، وباختصار تقول « عبود » عن كلمة « كتاب » : « إنها استخدمت لتعني أي شيء مكتوب بدءاً من الخطاب ، مروراً بالكراسة ، فالكتب أو الكتاب بما فيه كتاب القرآن [٥] .

وبعد أن ناقشنا المعنى الحرفي لكلمة كتاب ، دعونا نلقِ نظرةً على

---

(١) القرآن الكريم (٦ : ١٥٥) .

(٢) جامع بيان العلم (٢ : ١٦٠) أدب المخطوطات العربية (٢ : ٧) ، سراج الملوك (١٥٧) ، حيث يستشهد المؤلف بكثير من حكم أكثم .

(٣) السيرة (٢٨٥) ، جامع بيان العلم (١ : ١٠٦ - ١٠٧) ، حلية الأولياء (٢ : ٢٨٣) و (٦ : ٣٢٠) .

(٤) جامع بيان العلم (١ : ٥٧ ، ٥٩) ، دراسة في أدب المخطوطات العربية (٢ : ٦) .

(٥) دراسة في أدب المخطوطات العربية (١ : ٢٣) .

استخداماته في أدب الحديث ، فبنظرة فاحصة فيما توفر لدينا من عناصر في هذا الموضوع ، يكشف أنَّ الكلمة استخدمت بكل المعاني المذكورة سابقاً . وإن كان أحياناً يشير إلى خطاب يحتوي على حديث أو أكثر من أحاديث النبي ﷺ ، ففي آحايين أخرى كان يحتوي على مجموعةٍ من الأحاديث ، ونادراً ما كان يشير إلى مجموعة أحاديث لعالم بعينه وسوف نسرد بعضَ الأمثلة لكل حالةٍ لنبينَ أنَّ الكلمة لا يمكن تفسيرها باستمرار بمعنى واحد .

أ) كتاب بمعنى « رسالة » :

١ - يذكر أن النبي ﷺ كَتَبَ إلى أهْلِ اليمن كتاباً احتوى على الآتي . « إنّ أكبرَ معصيةٍ عند الله يوم القيامة هي الشركُ ، وقَتْل المسلم عمداً ، والهروبُ من الجهادِ في سبيل الله وعقوقُ الوالدين » [١] .

٢ - عندما وَفَدَ نَهْشَل بن مالك الوائلي على النبي ﷺ واعتنَقَ الإسلام يذكر أن النبي ﷺ دَوَّنَ له ولمعتنقي الإسلام من أفراد القبيلة كتاباً احتوى على أحكام الإسلام وقوانين الشريعة الإسلامية [٢] .

٣ - يذكر أن النبي ﷺ كتب كتاباً للعلاء بن الحضرمي بخصوص أحكام الزكاة عن الإبل ، الماشية ، الأغنام ، الفواكه ، والبضائع [٣] ، ويقال أن الكتاب قرئ على مسمعٍ منْ أهْلِ البحرين ، وقام الحضرمي باستلام الزكاة وفقاً للأحْكامِ التي تضمَّنهَا هذا الكتاب [٤] .

---

(١) الكفاية (١٧٣) .

(٢) طبقات ابن سعد (١ : ٢ : ٣٣) . ونهاية الأرب (١٨ : ٥) .

(٣) طبقات ابن سعد (١ : ٢ : ١٩) و (٤ : ٢ : ١٧٦) .

(٤) طبقات ابن سعد (١ : ٢ : ١٩) .

٤ - وقال أبو بكر بن عبد الرحمن بن الحارث : « إن أبا رافع خادم النبي ﷺ أعطاني كتاباً يحتوي على هَدْي النبي ﷺ في استفتاح الصلاة [١] .

من الواضح بما لا يدع مجالا لأدنى شك أنَّ كلمة « **كتاب** » في كافة الأمثلة التي استشهدنا بها قد استخدم بمعنى « رسالة » تحتوي على حديث للنبي ﷺ .

ب) كتاب بمعنى كتيب :

واستخدمت كلمة « **كتاب** » أيضاً بمعنى كتيب كما هو واضح من الأمثلة التالية :

١ - ذكر ذات مرة أن كتاباً فيه بعض الأحكام الشرعية للإمام عليّ وُجد عند عبد الله بن عباس [٢] .

ولأن الإمام عليًّا كان منهمكاً في الصراعات السياسية المتعددة الأغراض وخاصة مشاركته الجادة في موقعة الجمل ، وفي حرب صفين ، يمكن أن نقول : انه لم يتوفر له الوقت الكافي ، لأن يصدر أحكاماً في مثل هذه المسائل الشرعية التي ربما تستلزم ما يساوي حجم كتاب ، والكتاب الذي أشرنا إليه في هذه الرواية لا يمكن أن يكونَ مجرد مجموعة من القواعد التشريعية .

٢ - ويذكر عَمْرو بن حازم (المتوفى سنة ٥٣ هـ) والذي عُيّن قاضياً على نجران أنه كان لديه « **كتابٌ** » يحتوي على قواعدَ خاصة ، بمواقيت الصلاة ،

---

(١) الكفاية (٤٧٢) .

(٢) صحيح مسلم (١ : ٧) .

وطرقها ، وكذلك الوضوء ، والغنائم ، وديّة القتلى [١] ، وطبقا للمحتويات التي تضمنها هذا الكتاب المذكور ، يمكن للمرء أن يستنتج أنه يجب أن يكون كتيبا صغيرا يحتوي على بعض أحاديث النبي ﷺ .

٣ - إن كلمة كتاب تشير إلى معنى كراسة كما هو واضح من الرواية التالية لمعتمر بن سليمان ، حيث يقول : « بينما كنت في الكوفه كَتَبَ لي والذي { سليمان بن طرخان } (المتوفى سنة ١٤٣ هـ) اشتر الكتبَ ودوِّن الحديثَ » [٢] .

٤ - يذكر أن أنس بن مالك (المتوفى سنة ٩١ هـ) كان لديه كتابٌ يحتوي على أحكام الزكاة ، كما أملاها له أبو بكر ، وكانت أول جملة في الكتاب تقول : « إنه يحتوي على أحكام الصدقة ، كما أوضحها رسول اللّٰه ﷺ [٣] .

وكلمة كتاب في هذا التقرير توضح أيضا أنه يشير إلى كتيب .

٥ - ويذكر أن ثمامة بن عبد اللّٰه بن أنس كان لديه كتابٌ نقله إلى حَماد ابن سلمة ، وهذا النص كما ورد يوضح حجم الكتاب المذكور [٤] .

وإذا لم نعرف ذلك ، ففي الحقيقة أنه نفس الكتيب الذي تسلمه

---

(١) الجرح والتعديل (٣ : ١ : ٢٢٤ - ٢٢٥) ، الوثائق السياسية وثيقة رقم (١.٥) ، السيرة (٩٦١ - ٩٦٢) ، تاريخ الطبري (١ : ١٧٢٧ - ١٧٢٩).

(٢) تقييد العلم (١١٢) ، جامع بيان العلم (١ : ٥٨) ، المحدث الفاصل (٣٥ ب) ، ومختلف الصحف التي وصفت ككتب .

(٣) سنن أبي داود (٢ : ١٢٩ - ١٣.) ، في كتاب الزكاة ، حديث رقم (١٥٦٧) ، وسنن ابن ماجة (١ : ٥٥١) ، في كتاب الزكاة ، وتقييد العلم (٨٧) .

(٤) الكفاية (٤٧٣) .

أنس ابن مالك - جد ثمامة بن عبد الله - مِنْ أبي بكر عندما عينه مسئولا عن الصدقات في البحرين (١) .

ولنا الحق في أن نفسر كلمة كتاب بمعنى كتاب كبير ، أو مجرد كتيب ، ولكن في حالة وجود دليل كاف يؤيد المعلومات السابقة ، فإننا نقول ونحن واثقون : أنه مجرد كتيب لأن الوثيقة في المسألة السابقة احتوت قوانين الزكاة فحسب ، ولهذا فالمصطلح المستخدم في هذه الرواية سيكون مجرد رسالة خاصة بالزكاة .

ومن الجدير بالذكر أن نشير في هذا السباق إلى أن مصطلح كتاب بمعنى كتيب لم يكن قاصرا على وثائق الحديث فحسب وذلك في فجر الإسلام ، بل كان يشير أيضا إلى تلك الكتيبات التي ضمت قضايا سياسية وتاريخية ، وعلى سبيل المثال فالتحكيم بين علي ومعاوية وُصِفَ في المصادر على أنه كتاب (٢) على الرغم من أنه أحيانا كان يطلق عليه لفظ صحيفة .

ولنأخذ مثالاً آخر ، الوثيقة التي وجدت في عائلة أبي عمرو بن حريث العذري والخاصة بالاثنى عشر وفدا من الرجال والذين وفدوا على الرسول ﷺ سنة ٩ هـ عرفت أيضاً باسم كتاب (٣) .

جـ) الكتاب بمعنى كتاب بشكله الحالي :

وننتقل الآن إلى المعنى الثالث لكلمة كتاب ألا وهو الكتاب بمعنى الكلمة ، ولنا أن نستشهد ببعض الأمثلة حيث استخدم هذا المصطلح بهذا المعنى ، وسوف نعرض لثلاثة أمثلة :

---

(١) تقييد العلم (٨٧ - ٨٩) ، صحيح البخاري (١ : ٣٦٦ - ٣٦٩) في الزكاة .

(٢) تاريخ الطبري (١ : ٣٣٣٦ - ٣٣٣٨) ، والأخبار الطوال (١٩٧) .

(٣) طبقات ابن سعد (١ : ٢ : ٦٦) .

١ - يذكر أن عبد الله بن عباس ، والذي يعد واحداً من المجتهدين في جمع الحديث ، أصيب في أخريات حياته بضعف في بصره واعتادَ النّاس أن يقرأوا له الكتب [١] .

فكلمة كتب ، جمع « كتاب » والتي استخدمت هنا لا تعني أكثر من الكتب بمعناها الحقيقي .

وهذا التفسير منطقي إلى حد كبير ، ومرجع ذلك إلى حقيقة أن عبد الله ابن عباس كرس نفسه للبحث في المعرفة والسعي لها ، ويذكر أنه ترك عدداً كبيرا من المخطوطات [٢] .

٢ - ويذكر أن مجموعة أحاديث بشير بن مالك التي نقلها عن أبي هريرة كانت تُعَدّ في أصولها « ككتاب » [٣] ، ويقال إن بشيراً الذي اعتاد أنْ يسجِّلَ الأحاديثَ التي يرويها شيخه أبو هريرة ، أُحضَر إلى شيخه مجموعة كاملة من المادة المكتوبة ، وَحَصَلَ على إجازته بنقل الأحاديثِ المتضمَّنَة في هذا الكتاب [٤] .

ولأنّ شهرة أبي هريرة كواحدٍ من الذينَ رَوَوْا عدداً كبيراً من الأحاديث ، فكتاب بشير المحتوى على ما نقله شيخه من الواضح أنّه يعد في حَجْمِ الكتبِ العادية .

---

(١) سير النبلاء (٣ : ٢٣٨) ، والكفاية (٣٨٤) .

(٢) طبقات ابن سعد (٥ : ٢١٦) .

(٣) الكفاية (٣٩٩) ، طبقات ابن سعد (٧ : ١ : ١٦٢) ، تقييد العلم (١.١) ، تهذيب التهذيب (١ : ٤٧.) ، المحدث الفاصل (٦٣ ب) ، كتاب العلم لابن أبي خيثمة (١١ أ) .

(٤) الكفاية (٤١١) ، طبقات ابن سعد (٧ : ١ : ١٦٢) ، تقييد العلم (١.١) و تهذيب التهذيب (١ : ٤٧.) ، المحدث الفاصل (٦٣ ب) ، العلم (١١ أ) .

٣ – المجموعة الضخمة من أحاديث عبيدة بن قيس (المتوفى سنة ٧٢ هـ) [١] ، أبو قلابة (المتوفى سنة ١٠٤ هـ) [٢] ، شُعْبَة بن الحجاج (المتوفى سنة ١٦٠ هـ) [٣] والعديد من المخطوطات التي تلفت بطريقة أو بأخرى ، والتي وصفت في نشأتها باعتبارها كتاباً ، يمكن أن تكون مخطوطات في حجم كتاب ، وذلك مرده إلى حقيقة أن المصنفين كان لديهم نَهَمٌ في جَمْعِ الحديث .

ويجب أن نلاحظ هنا أنَّ جَمْعَ كلمة « كتاب » وهي « كتب » وذلك عندما نتكلم عن مجموعة كاملة لشيخ معين لا تضم الكتب بمعناها الحقيقي فحسب ، بل تشمل أي مواد أخرى مكتوبة ، والكلمة في هذه الحالة تنقل المعاني الثلاثة لكلمة كتاب ، والتي سبق ذكرها ولهذا فالمجموعه الضخمة لابن عباس [٤] ، أبو قلابة [٥] ، وسفيان الثوري [٦] لا تتضمن الكتب بالمعنى الحرفي فحسب والتي جمعوا منها أحاديثهم ، بل تشمل كتيبات ، رسائل ، وكثيرا من المَوَاد الأخرى المكتوبة في حوزتهم .

---

(١) طبقات ابن سعد (٦ : ٦٣) ، تقييد العلم (٤٥ ، ٦١\١) ، جامع بيان العلم (١ : ٦٧) ، العلم لابن أبي خيثمة (٩ ب) .

(٢) طبقات ابن سعد (٧ : ١ : ١٣٥) و (٧ : ٢ : ١٧) ، المحدث الفاصل (٥١ أ) .

(٣) تقييد العلم (٦٢) .

(٤) أن مجموعته الكاملة وصفت بأنها كانت تقدر بحمل بعير من كتب ابن عباس ، أي حمولة حملٍ من كتب ابن عباس . طبقات ابن سعد (٥ : ٢١٦) وتقييد العلم (١٣٦) .

(٥) ويقال أن مجموعته الكاملة بعد موته من الكتب وصلت إلى تلميذه ووصيه أيوب السختياني الذي قام بوضع حوالي ١٤٠ درهم للحمولة . طبقات ابن سعد (٧ : ٢ : ١٧) ، المحدث الفاصل (٥١ أ) .

(٦) وصف مجموعة كتبه بتسع قمطرات كل منها يصل إلى ما يقرب من صدر الإنسان .

ومجمل القول : أنَّ كتاب (جمع « كتب ») قد استخدم بمعانٍ مختلفة ، وفي سياقات مختنلفة ، وأحيانا فإن النص يوحي بالاحتمالات المختلفة للمعنى المقصود ، ويظل هذا المعنى غامضاً في بعض الأحيان .

أما فيما يتعلق باستخدام هذه الكلمة في مخطوطات الأحاديث فإن الكلمة توضح المجموعات الصغيرة والكبيره من الأحاديث على السواء ، ولعالمٍ من علماء الحديث بصفة خاصة ، وتوضح كلمة « كتب » بصيغةً الجمع المعنى الحقيقي للكتب ، ولكن عندما نتكلم عن مجموعة كاملة لعالم ، فإن هذا لا يشير إلى كُتبهِ فحسب بل يشير إلى المسوَّده ، والكتيبات ، وإلى كثيرٍ من المواد الأخرى المكتوبة والموجودة في حوزته أيضاً .

٢ - النسخة :

إن مصطلح نسخة مثل « كتاب » يشير عموما إلى الكتاب سواءً كان هذا الكتاب كبيرا أم صغيرا ، واستخدمه الخطيب البغدادي بهذا المعنى عندما قال : « إن علماء الحديث . كان لديهم نسخُ شهيرة ، كل منها تحتوي على أحاديث [١] .

وعلى الرغم من أننا نجد عددا من مجموعات الأحاديث عرف باسم نسخة [٢] إلا أنه نادراً ما عُرِف حجم كل نسخة تحديداً .

---

(١) الكفاية (٣٢١) .

(٢) فيما يلي بعض هذه النسخ :

١ - نسخة عقبة بن أبي الحسناء ، والتي احتوت على أحاديث نقلها عن أبي هريرة ميزان الاعتدال (٣ : ٨٥) ، ترجمة رقم (٥٦٨٥) .

٢ - نسخة إبراهيم بن هُدْبَة والتي احتوت على أحاديث نقلها عن أنس بن مالك معرفة علوم الحديث ص ٩ .

٣ - نسخة مطرف بن عبد الرحمن والتي احتوت على أحاديث نقلها عن حبان ابن جزي السلمي . الجرح والتعديل (١ : ٢ : ٢٦٨) . =

وفي حين وصفت بعض هذه النسخ بأنها « **نسخة كبيرة** » [١] أي « مجموع كبير من الأحاديث » وبعض النسخ الآخر ذكرت دون أي مواصفات محددة لحجمها ، سوى قليل من الوصف . مثل : موضوعه [٢] ،

= ٤ - نسخة عبد الحميد بن عبد الرحمن والتي احتوت على أحاديث نقلها عن شهر بن حوشب المتوفي سنة ١٠٠ هـ . تاريخ بغداد (١١ : ٥٩) .

٥ - نسخة الأوزاعي والتي أحتوت على أحاديث نقلها عن محمد بن سيرين المتوفي سنة ١٠٠ هـ . تهذيب التهذيب (٦ : ٢٤٠) .

٦ - نسخة عبد الرحمن بن نمرة اليحصبي والتي احتوت على أحاديث نقلها عن الزهري المتوفي سنة ١٣٤ هـ . تهذيب التهذيب (٦ : ٢٨٧ - ٢٨٨) .

٧ - نسخة إبراهيم بن طهمان والتي احتوت على أحاديث انفرد بها عن محمد ابن زيد القرش المتوفي سنة ١٢٥ هـ . معرفة علوم الحديث (١٦٤) .

٨ - نسخة الليث بن سعد والتي احتوت على أحاديث نقلها عن يزيد بن ابي حبيب المتوفي سنة ١٢٨ هـ . ميزان الاعتدال (١ : ٦٣٦) ، ترجمة رقم (٢٤٤٧) .

٩ - نسخ أبي حمزة السكري (معرفة علوم الحديث ١٦٤) ، ومبارك بن سهيم { الميزان (٣ : ٤٣٠) ، الترجمة رقم (٧٠٤٢) } ، عبد الله بن الجراح (معرفة علوم الحديث ١٦٤) ، نسخة للحسين بن الوليد النيسابوري (معرفة علوم الحديث ١٦٥) ، نسخة عثمان المروزي (انظر (معرفة علوم الحديث ١٦٤) ، عبد الرزاق ابن همام (الكفاية ٣٢١) ، عدي بن عبد الرحمن (الجرح ٣ : ٢ : ٣) ، ونسخة شداد بن حكيم البلخي (معرفة علوم الحديث للحاكم ١٦٤) ، وغيرها .

(١) أ - النسخة الكبيرة لسمره بن جندب (المتوفي سنة ٥٩ هـ) . تهذيب التهذيب (٤ : ١٩٨) ، وطبقات ابن سعد (٧ : ١ : ١١٥) .

ب - النسخة الكبيرة لعبد الحميد التي نقلها سليمان بن بلال التيمي المتوفي سنة ١٧٢ هـ . ميزان الاعتدال (١ : ٢٨٧) ، ورقم (١٠٧٦) .

جـ - النسخة الكبيرة لعلي بن يزيد بن أبي هلال ، والتي نقلها من قاسم بن عبد الرحمن الشامي . تهذيب التهذيب (٧ : ٣٩٦) .

(٢) النسخة الموضوعة لبشر بن حسين الأصبهاني الميزان (١ : ٣١٦) ونسخة موضوعه لعبيد بن القاسم ، والتي نقلها من هشام بن عروة (المتوفي سنة ١٤٦ هـ) . تهذيب التهذيب (٧ : ٧٣) ، والميزان (٣ : ٢١) ، ورقم (٥٤٣٦) .

صالحة [١] أو مشهورة [١] .. الخ والتي لا تضم معلومات متعلقة بأحجامها ولهذا فالأحجام التقريبية لهذه النسخ يمكن أن تتحدد على أساسِ النشاطِ الأدبي لأئمة الحدث المهتمين به .

وعلى المستوى اللفظي : فمصطلح « النسخة » يعنى مسودة لكى يسهل تمييزه عن نظيره الأصلي ، ويشير مصطلحي « نسخة » وأصل - عملياً - إلى مخطوطات الطالب والشيخ بصفة خاصة ، ولأنّ هذا التعريف العملي يرتبط مباشرةً بأسلوب خاص من أساليبِ الحديث ، ومن الضروري أن نصف هذا الأسلوب بإسهاب .

فإحدى وسائل تعلم الحديث كان أسلوب الطلاب في نَسْخِ الأحاديث من مخطوطات شيوخهم ، قبل أن يحضر دروسه ، وقد جرت العادة في ذلك أن يقوم الطُّلاب باستعارةِ مخطوطات شيخهم ، ويقومون بنسخها لاستخدامها أثناء المحاضرة .

ولهذا فعندما يروى المعلم الأحاديث ، إما شفهيا ، أَوْ مِنْ كِتَابهِ ، فالطلاب يستمعون ، في الوقت الذي يراجعون فيه على نسخهم بالمقارنة بينها وبين ما يسمعونه من أحاديث .

وأحيانا يكون الشيخ كارها لجزءٍ من أجزاء الكتاب بسبب طوله ، أو نسيانه ، ولهذا يعيد الكتاب لبعض تلاميذه المقربين ، ويطلب من بقية الطلاب أن ينقلوا نُسَخَهم من هذه النسخة التى أعدَّها هؤلاء التلاميذ الموثوق بهم وينقلهم .

---

(١) نسخه صالحة لابن وهب والمنقولة من أسامة بن زيد الليثي (المتوفي سنة ١٥٣) تهذيب التهذيب (١ : ٢.٩)

(٢) نسخة مشهورة لهمام بن منبه . تذكرة الحفاظ (١ : ٩٥) .

وكما رأينا في هذا النظام الخاص بالحديث ، فكان التعلم يتم بالأسلوبين ، إما من الكتاب الأصلي للشيخ ، أو من نُسَخِ الطلاب (والأولى) كانت تسمى « النسخة الأصلية » ، وأما الأخيرة فقد عرفت بالنسخة ، وذلك على المستوى العملي .

ومن الضروري أن نشير إلى أنه على الرغم من أن هذه النّسخ كانت تراجع وتصحح عندما يقرأ الشيخ الأحاديث في الحلقة ، إلا أنه بعد ذلك أي في الفترات التي تلت ذلك ، فإن نسخ هؤلاء الطلاب الذين اعتادوا أن ينقلوا من كتاب الشيخ (الأصل) ، كانت تعتبر أكثرَ مصداقيةً من تلك النسخ الخاصة بالطلاب ، ولنأخذ مثالا على ذلك فكتابات ابن وهب وابن المبارك كانتا تعتبران أكثر توثيقاً من نسخ طلابهم ، والأسباب التي فسر بها ذلك هي حقيقة أنه في حين كانت نسخ ابن المبارك ، وابن وهب منسوخة من أحاديث ابن لَهِيعةَ (المتوفى سنة ١٧٤ هـ) أي من كتابهِ الأصْلي ، أما الآخرون فقد استخدموا النسخة [١] .

هذا التمييز بين النسخة ، والأصل نادراً ما كان يحدث وفي معظم الحالات ، و كانت كلمة نسخة تستخدم كمرادف لمصطلح : صحيفة أو كتاب .

وبالنسبه لاستخدام المترادفان : نسخة ، وصحيفة ، وجدنا أن صحيفة همام بن منبه [٢] وصفت بنسخة همام المشهورة [٣] .

وعلى سبيل المثال أيضاً فمجموعة عبد الله بن عمر والتي كانت تحتوى

---

(١) الجرح والتعديل (٢ : ٢ : ١٤٧ - ١٤٨) .

(٢) تهذيب التهذيب (١ : ٣١٦) .

(٣) تذكرة الحفاظ (١ : ٩٥) .

على أحاديث نقلها نافع المولى الذي أعتقه ابن عمر ، فقد وصفت بالاثنين : النسخة [1] ، والصحيفة [2] .

وبنفس الطريقة فمجموعة أحاديث ابن وهب [3] أشارت في أصلها إلى صحيفة ابن وهب ، ونسخة ابن وهب [4] .

وأيضاً فيما يتعلق بفقدان كتب عبد الله بن إبراهيم بن أيوب بسبب الحريق فكلمة كتب = (جمع كتاب) ، ونسخ (جمع نسخة) استخدمتا بالتبادل لتشير إلى « كتب » [5] .

وعلاوة على هذا فالرواة : أبان بن تغلب الكوفي (المتوفى سنة ١٤١ هـ) [6]. وإبراهيم بن محمد بن أبي يحيى الأسلمي ت ١٤٨ هـ [7]. وآخرون [8] وصفوا بأن عندهم نسخاً عديدة ، والتي كانت تعني بوضوح : الكتب .

وفي النهاية يجب أن نشير إلى أنَّ « الصحيفة » أو « الكتاب » تنقل

---

(١) الكفاية (٣٢١ ، ٣٨٩) .

(٢) مشاهير علماء الأمصار (١٩٠ ، رقم ١٥٢٤) .

(٣) تهذيب التهذيب (٩ : ٣١٥) و (١١ : ٢٣٣) .

(٤) تهذيب التهذيب (٩ : ٢٤٥) .

(٥) الكفاية (٣٧٣) .

(٦) تهذيب التهذيب (١ : ٩٣) حيث أعطى تاريخ وفاة هذا العالم بطريقة خاطئة على أساس أنه (سنة ٢٤٢ هـ) والتاريخ الصحيح هو سنة ١٤١ هـ . مشاهير علماء الأمصار (١٦٤) ، ورقم (١٢٩٧) .

(٧) ميزان الاعتدال (١ : ٥٩) ، رقم (١٨٩) .

(٨) مثل خصيف بن عبد الرحمن الجزري (المتوفى سنة ١٣٧ هـ) تهذيب التهذيب (٣ : ١٤٤) وسهيل بن أبي صالح (المتوفى سنة ١٣٨ هـ) الميزان (٢ : ٢٤٤) ، رقم (٣٦٠٤) ، وغيرهم ويذكر أن جميعهم كان لديهم نسخ .

إلينا معني كلٌ من المجموعة الكبيرة والصغيرة من الأحاديث ، وبالمثل كان مصطلح « نسخة أيضاً » .

ثالثاً : الدفتر :

وهناك مصطلح آخر بمعني مرادف لكتاب ، وصحيفة ألا وهو الدفتر ، وهي كلمة فارسية (١) عربت لتعني سجل أو كتاب .

وعلى الرغم من أنها استخدمت لأول مره بمعني « كراسة » صغيرة ، وإن شئت قلت : دفتر للحساب ، إلا أنها سرعان ما أصبحت تستخدم للمخطوطات كبيرة الحجم ، ومع نهاية القرن الأول الهجري وجدنا الزهري استخدمها بهذا المعني عندما قال : « أمرنا عمر بن عبد العزيز أن ندون السنة ، ولهذا سجلناها في كتب (فكتبناها دفاتر ، دفاتر) ، وبناءً على هذه المادة المسجلة ، والذي شكل كل منها دفتراً (مجموعة كبيرة) أرسل إلى الأقاليم المختلفة » (٢) .

والدفتر الذي أشرنا إليه في هذه الرواية يشير إلى معني مجموعة كبيرة من الأحاديث ، وهذا المعني يمكن استنتاجه بسهولة بسبب حقيقة مفادها أن عَصْرَ « الزهري » الذي عُرِفَ باسم « عصر المخطوطات » شهد نشاطاً أدبياً كبيراً من جانب علماءِ الحديث .

إن كلمة الدفتر كأحد أوعية الحديث ارتبطت أحيانا باسم لوح (جمع ألواح) ويبدو أنه في حين كان المعني السابق يستخدم ليشير إلى نسخة

---

(١) في حين أكدً الصولي في أدب الكتاب (تحقيق بهجة الأثري . ط القاهرة ١٣٤١ ، ص ١٠٨) أن الكلمة مشتقة من اللغة العربية ، ذكر ابن دريد أنه لا يعرف للكلمة مصدراً لاشتقاقها .

(٢) جامع بيان العلم (١ : ٧٦) .

متوسطة الحجم من المجموعة المسجلة للأحاديث ، والمعني الأخير أشار إلى ألواح خشبية يكتب عليها التسجيل المؤقت للحديث ، وفي الحقيقة فإن المادة المكتوبة على الألواح كانت بمثابة مسوده يستخرج منها النسخ المتوسطة في شكل صحيفة ، ودفتر .

وأشار أبو عبيدة بأن الماده المكتوبة كانت عادة تنقل من الألواح إلى الدفتر ، وذلك أثناء أشارة إلى إملاء شيخه « كيسان » ، تحدث عن اختلاط علم كيسان ، قائلاً : « لقد كتب كيسان الحديث بأربع طرق :

فهو يحفظ في عقله شيئاً غير الذي يسمعه بالنقل من الناس .

ويكتب في الألواح شيئاً غير الذي يحفظه .

ثم ينقل من الألواح (المسودة) إلى الدفتر (نسخه متوسطة) شيئا مختلفاً عن الذي كتبه في الألواح .

ثم يقرأ من الدفتر شيئا آخر يختلف عمَّا تحتويه . [(١)]

وواضح من الأمثلة السابقة بأن مصطلح دفتر يشير إلى مخطوطة يقصد بها أن تكون سجلاً دائما ، ويمكن أن نلاحظ أن الكلمة لا تعني كراسة صغيرة فحسب ، بل مخطوطة في حجم كتاب بمعني الكلمة ، وهذا واضح من هذه الأمثلة :

(١) يذكر عبيد الله بن عبيد الكلاعي أن مكحولاً الشامي (المتوفى سنة ١١٨ هـ) أعطى له ذات مره دفتراً يحتوى على أحاديث الأحكام فقال : « خذ هذا الدفتر (الكتاب) واروه علي مسئوليتي [(٢)] » .

---

(١) الإملاء (٩٢) .

(٢) الكفاية (٤٥٨) .

(٢) وينسب إلى عامر بن شراحيل الشعبي (المتوفى سنة ١١٠ هـ) هذه المقولة : « إن أحسن رواة الحديث هو الدفتر » [١] ويقصد بذلك أن أصح أوعية حفظ الحديث هو الكتاب حيث يكون الحفظ بالمداد الأزرق .

(٣) ويروي يحيى بن زبير : « لقد طلبت من هشام بن عروة (المتوفى سنة ١٤٦ هـ) أن يروي لي الأحاديث المنقولة عن والده فناوله دفتراً قائلا :

« فيه أحاديث عن والدي ولقد كتبته وصححته واعيا بمحتوياته . ولهذا فخذه عني ، واروه على مسئوليتي » [٢] .

(٤) وكتاب ابن المقفع (المتوفى سنة ١٤٢ هـ) « كليلة ودمنه » قد ذكر في أصوله كلاً من الدفتر والكتاب [٣] ، والذي يوضح أن المصطلح السابق كان يستخدم أيضاً بمعني كتاب .

(٥) وذكر الزهري حادثة في ذلك أنه ذات مرة كان مصطحباً الحجاج بن يوسف (المتوفى سنة ٩٥ هـ) وآخرون وهم في طريقهم إلى الحج . وقال الحجاج : انظروا جميعاً إلى الهلال لأن نظري ضعيف ، وهنا عَلَّقَ نوفل بن مساحق قائلا : « هل تعرفون لماذا » ؟ إن مرد هذا يرجع إلى إرهاق نظرك في قراءة الدفاتر [٤] » .

وكلمة دفتر التي استخدمت هنا يمكن أن تتضمن كلا من السجلات الرسمية

---

(١) PAPYRI (1 : 22) , (2 : 228) .
ودراسات إسلامية لجولد تسيهر (٢ : ١٩٩ / ١٨٥) .

(٢) الكفاية (٤٦ .) .

(٣) الفهرست (١١٨) ، مروج الذهب (٨ : ٢٩١) ، رسائل الجاحظ (٤٢)، و Papyri (1 : 23 - 24) .

(٤) تقييد العلم (١٤.) .

والكتب بصفه عامة ، وعلى الرغم من أن نوفل بن مساحق ربما كان يعني أنّ انهماك الحجاج في قراءة سجلات الضرائب بنفسه [1] عندما تولى السلطة في عهد الأمويين ، إلا أن المعاني الأخرى (مثل كتاب) يمكن أن تكون مقبولة لو وضعنا في اعتبارنا شهرته كمعلم [2] وكان لديه تذوق أدبي ، وكان معتاداً أن يشارك الشعراء [3] .

(٦) إن المرجع الثانوي للدفاتر (جمع دفتر) وجد في تعليق لأبي زيد الأنصاري (المتوفى سنة ١٢٢ ، ٢١٥ هـ) بخصوص العلم والعلماء في عصره ، وتعليقاً على الخصائص التي اختارها هذا العالم يقول : « كان والله علمه من ظهور الدفاتر - قال المعافى : يريد به أن ظهور الدفاتر لا يكتب عليها إلا الأحسن [4] .

ولكي نفسر كلمة دفتر والتي سبقت كلمة ظهور بصفة خاصة ، يجب أن نضع في اعتبارنا العادة القديمة في الكتابة على ظهر المخطوطة .

ويتواكب هذا مع العادة الحديثة في الكتابة من جانب الناشرين ، وذلك من خلال التعليقات التي يكتبونها على الكتاب المنشور ، والتي وجدت في الحقبة الأولى من النظام الإسلامي حيث كان المؤلف نفسه « لا الناشر » يكتب عدداً من السطور أو مقطعاً من الشعر في ظهر كتابه ، تماماً مثل

---

(١) كان الحجاج حريصاً على قراءة هذه السجلات بنفسه ، والتي ترجمت إلى العربية ، مثل ديوان الضرائب الفارسي .

فتوح البلدان (٢٩٨) ، والوزراء (٣٨) ، العقد الفريد (٤ : ٢٥٥) .

(٢) دائرة المعارف الإسلامية (٣ : ٤٠) ، المعارف (١٨٥) ، العقد الفريد (٥ : ٢٩٨) .

(٣) دائرة المعارف الإسلامية (٣ : ٤٢) .

(٤) تقييد العلم (١٤١) .

تعليقات الناشر في هذه الأيام والتي تغطي بشكل مختصر موضوع الكتاب موضع النشر ، وكتب المؤلفون أنفسهم في العصور المبكرة في ظهر كتبهم عبارات ومقاطع من الشعر تغطي جَوْهَر أعمالهم [١] .

ويبدو من هذه الروايات (**في ظهر الكتب**) أن روائع مؤلفات الكُتَّاب كانت تُكْتَب بلغةٍ جميلة ، وبأسلوب واضح ونيرٍ ، وكان الهدف من هذا جذب الناس للكتاب والأقوال المأثورة في تلك الأيام ، كما ورد في ذلك قول المعافى السابق : « بل وأفضل هذه الأقوال كانت تكتب على ظهور الكتب » [٢] .

وهذا يؤكد استنتاجنا ، ولهذا السبب آثر بعض الناس قراءة القطع الموجودة في ظهور الكتب فحسب ، ويغضون النظر عن الكتب ذاتها ، كما أشار أبو زيد في المثال السابق .

وإذا وضعنا في اعتبارنا هذه الخلفيات ، فيمكن أن نفسر ونحن مطمئنون أن كلمة دفتر التي وجدت في رواية أبي زيد مثلها مثل كتاب ، وهذا واضح وجلي من تفسير « المعافى » لمقولة أبى زيد ويشرح المعافى هذه المقولة: إن أبا زيد رجل يقصد أن ظهور الكتب (ظهور الدفاتر) تحتوي على الأحسن [٣] .

(٧) واعتاد الشعراء أيضاً أن يستخدموا كلمة « دفتر » بمعني كتاب ، وعلى سبيل المثال يقول أبو الحسن الفارسي الفقيه :

أنست إلى التفرد طول عمري ... فمالي في البرية من أنيس
جعلت محادثي ونديم نفسي ... وأنسي دفتري بدل الجليس [٤]

---

(١) تقييد العلم (١٣٤ - ١٣٥) .

(٢) تقييد العلم (١٤١) .

(٣) المصدر السابق .

(٤) تقييد العلم (١٤٤) .

وعلى سبيل المثال يقول أبو بكر الشيباني أيضاً : « لقد وضعت كل ثقتي في (الدفتر) وكفي ، وفي مقابل هذا لم أطلب شيئا من الدنيا .

ويبدو من الأمثلة السابقة أن كلمة دفتر استخدمت بمعني كتب بمعني الجمع للكلمة ، ولكن هذا مجرد استخدام من بين أستخدامات عديدة ، لأن المصطلح يعني أيضاً : « كتيب » و « رسالة » ، ويعطينا محمد بن الحسن الشيباني (المتوفى سنة ١٨٩ هـ) في كتاب « السير الكبير » أفضل الأمثلة لمعني هذا المصطلح ، ويذكر أن هذا الكتاب ، نسخ في ستين دفتراً وقدم إلى الخليفة المنصور كعمل كامل ، وكلمة « دفتر » في هذه الرواية تعني : دراسات ، أو رسائل ، لا كتب [١] .

وعندما تستخدم هذه الكلمة بصيغة الجمع (**دفاتر**) ، فالمصطلح يشتمل على كافة السجلات المكتوبة في حوزة أئمة مجموعة من علماء الحديث بعينهم ، وهو في ذلك يشبه الكتاب حيث يضم كتيبات ، كراسات ، وشروط المعاهدات ورسائل .

وعندما يقال على سبيل المثال أنَّ كثيراً من أحمال الدفاتر للزهري أخذت إلى مكتبة الوليد الثاني [٢] . فإن هذا يعني أن مجموعة ضخمة من كتابات الزهري بما في ذلك الكتب بكل ما تعنيه من معني حملت إلى هذه المكتبة .

ويشابه ذلك عندما نقرأ أن مكتبة عبد الحكم بن عمرو احتوت على دفاتر خاصة بكل الموضوعات [٣] ، وأن مكتبة معاوية كان بها دفتر

---

(١) كشف الظنون (٢ : ١٤٠١) .

(٢) طبقات ابن سعد (٢ : ٢ : ١٣٦) ، تذكرة الحفاظ (١ : ١٠٦) .

(٣) الأغاني (B) = (٤ : ٥٢) .

خاص بتاريخ وشعر ما قبل الإسلام [(١)] ، فهمنا أن مصطلح دفاتر يشمل كلا من الكتب الصغيرة والكبيرة وينضوي تحته بالطبع الكتيبات .

ولنأخذ مثالاً آخر :

يذكر أن ابن العلاء (المتوفى سنة ١٥٤ هـ) كانت لديه دفاتر تصل إلى سَقْف حجرته [(٢)] ، وهنا أيضاً يشير مصطلح « **دفاتر** » إلى كل محتويات ومجموعات مكتبته .

رابعا : القرطاس والطومار :

يعني القرطاس بصفة أساسية ، صفحة عريضة من الورق [(٣)] . ولكن يعني تحديداً « مخطوطة » ، أو لفافة من الورق ، أو حتى كتاب .

وبداية كان يعني أي صفحة من الورق (صحيفة) مستخدمة في أغراض الكتابة [(٤)] .

وبعد أن عرف الورق [(٥)] بدأت تستخدم كلمة (كاغد) وهي

(١) مروج الذهب (٣ : ٤٠ ، ٤١) .

(٢) واستخدم عمرو بن العلاء كلمة دفتر بمعني كتاب بمعناها الدقيق ولهذا فيذكر أنه ذات مره عندما كان يزور شخصاً وجده ينظر في كتاب ووجد صديقه لا يقرأ شيئا ، ورأيت أن الأول أفضل وأعقل من الثاني .

الحيوان (١ : ٦٠) ، معجم الأدباء (٤ : ٢١٧) .

(٣) Lexicon : (1 : 7 : 2517 - 2518) .

(٤) تاريخ المصاحف . المنار (١٠ : ١٢٩ - ١٣٠) .

(٥) لقد اختلفت الأراء حول دخول الورق العالم الإسلامي لأول مرة ، فطبقا لبعض الآراء أنه استخدم لأول مرة في عصر الأمويين ، ويعتقد آخرون أنه دخل أثناء حكم =

. . . .

= العباسين ، ولهذا يقول المقريزى : أن جعفر بن يحيى البرمكي هو أول من أدخله في المكتبات العامة في عصر هارون الرشيد ، ولكن طبقا لأشهر وجهة نظر في هذا فإن الورق استخدم لأول مرة في العالم الإسلامي بعد غزو سمرقند من خلال العبيد الصينيين ، ويقال أنه نتيجة لبعض المعارك أسر العرب عشرين ألفا كان من بينهم بعض العبيد الصينيين الذين عرفوا فن صناعة الورق ، وطبقا لهذه الرواية فقد تعلم العرب فن هذه الصناعة من هؤلاء العبيد .

ومن المهم أن نلاحظ أنه على الرغم من أن هذا التقرير السابق الذي يصف قصة صنع الورق إلا أنه يشير إلى قصة استخدام الورق ، ومن المشكوك فيه أن العرب عرفوا فن صناعة الورق قبل هذا الحادث ، ولكن هل هذا يستبعد احتمال استجلابه ولو بكميات صغيرة من الصين ؟ ويجيب الشيخ عناية الله الكاتب الهندي على هذا السؤال بالأثبات ، ويكتب مجموعة من المقالات بخصوص استجلاب الورق ويقول : « إن التجار العرب المهتمين بالتجارة البحرية مع الشرق الأقصى جلبوا الورق من الصين » .

ونظرا لأن مقولة عناية الله ينقصها التوثيق ويظل مدى صدقها موضع شك ، ولهذا فهي غير مقبولة .

وعلى الرغم من حقيقة أن الورق الصيني استخدم في الهند وبلاد فارس ، وأن العرب كانوا مهتمين بالتجارة مع هذه الاقطار يجعلنا نقرر أن بعضا من الورق الصيني وصل إلى العرب قبل أن يتعلموا صناعته من العبيد الصينيين ، ولو أقررنا بأنه لم يستخدم على نطاق واسع ، فيمكن أن نخمن أنه على الأقل أن العرب استلموا بعض الأوراق الصينية واستخدموها في الأغراض الرسمية . ولهذا لا يمكن أن نفترض أنه عندما طلب عمر ابن عبد العزيز من أبي بكر بن محمد بن عمرو بن حزم أن يقتصد في استهلاكه للقراطيس أنه يشير إلى الورق المستورد بسبب ندرته ، ووجدنا تأييدا لهذا الفرض في فهرست ابن النديم حيث ذكر المؤلف أنه حدث أن رأى مخطوطة قديمة في حوزة محمد بن الحصين ، ومن هذه المخطوطات وجد ابن النديم وثيقة تتكون من أربع أوراق « أوراق جمع ورقة ويعني الورق » ومكتوبة بخط يد يحيى بن يعمر (المتوفى سنة ٩٠هـ) وطبقا لرواية ابن النديم فهذه الأوراق كانت =

كلمة فارسية تعني الورق [(١)] .

إن كلمة قرطاس بمعني ورق البردى عرفت عند العرب حتى قبل الإسلام [(٢)] ، وتناولها القرآن بشكليها : المفرد (قرطاس) ، والجمع (قراطيس) [(٣)] .

ويبدو أنه في البداية كانت الكلمة تشير إلى صفحات عريضة من مادة الكتابة ، وهذا المعني مُتضمَّن في السور القرآنية التي تخبرنا بأن اليهود دونوا مخطوطاتهم على قراطيس ، أظهروا بعضا وأخفوا الجزء الأكبر منها [(٤)] ، وهذا يمكن أن يكون محتملا لو كانت الكتابة كتبت على صفحات متفرقة .

ولنأخذ مثالا آخر ، فقد ذكر أن خالد بن الوليد قد دون وثيقة العفو عن أهل سوريا على قراطيس والتي تعني حرفيا صفحات عريضة من ورق البردى [(٥)] .

= « أوراق صينية » ولو كان هذا الخبر صحيحاً فيمكن أن نستنتج ونحن مطمئنون أن الأوراق الصينية دخلت العالم الإسلامي في حياة يحيى (المتوفى سنة ٩٠ هـ) أو حياة عمر بن عبد العزيز (المتوفى سنة ١٠١ هـ) .

(١) مجلة المنار لمنشئها الشيخ محمد رشيد رضا (١٠ : ٢ : ١٢٩ - ١٣٠) مقال لتوفيق أفندي بعنوان « تاريخ المصاحف » .

(٢) مصادر الشعر الجاهلي وقيمتها التاريخية (٩١ : ٩٢) .

(٣) القرآن الكريم (٦ : ٧) = قرطاس و (٦ : ٩١) قراطيس .

(٤) القرآن الكريم (٦ : ٩١) .

(٥) فتوح البلدان (١٢٨) .

ويبدو أنه مع نهاية القرن الأوّل الهجري فإنَّ عمر بن عبد العزيز استخدم كلمة قراطيس بمعني الصفحات العريضة ، وذلك عندما كتب له أبو بكر بن محمد بن عمرو بن حزم قاضي المدينة يطلب منه بعض أوراق البردي للإستخدامات الرسمية ، وردَّ عليه عمر بهذه الكلمات : « لقد ذكرت في خطابك أنَّ كلَّ أوراق البَرْدي التي كانت لديكم قد استنفدت ، ومع أنني سوف أمدك بأكثر مما أمددت من سبقك ونصيحتي إليك أن تجعل قلمك رفيعا وأملس ، وقلل المسافات بين السطور واجمع طلباتك مرة واحده حتى يتسنى لى أن أستهلك أقل كمية من الورق [١] » .

ويبدو من هذا النص أن القراطيس استخدمت في المراسلات الرسمية ، والتي كانت عادة ما تكتب على صفحات عريضة .

وهذه الصفحات المعروفة بالقراطيس استخدمت أيضاً في تدوين الأحاديث .

ولا بأس أن نورد مثالاً آخر :

فيقال إن عبد الله بن عمرو بن العاص أخذ ذات مرة قراطيس تحتوي على أحاديث للنبي ﷺ وروى منها أحاديث تتعلق بغزو القسطنطينية [٢].

ويبدو أنه في البداية كان هناك استخدام واحد لكلمة قرطاس ، أو يقال أن الصحابي شمعون أول من كتب على وجهي ورق البردى ، وهو أول من ضغط الوجهين . وحيكهما معاً [٣] وفي القرن الثاني الهجري ، يذكر

(١) طبقات ابن سعد (٥ : ٢٩٦) .

(٢) مسند أحمد (ط . شاكر) = (١٠ : ١٧٢) ، حديث رقم (٦٦٤٥) ، ونقله ابن عبد الحكم في فتوح مصر ، طبعة ليدن سنة (١٩١٠) ، ص (٢٥٦-٢٥٧) .

(٣) إن أول من كتب على وجهي « الأديم » كان على بن أبي طالب الذي اعتاد أن يكتب ما يمليه النبي ﷺ على هذا النوع من مادة الكتابة ، الإصابة (٢ : ١٥٦) ، رقم (٣٩٢١) ، والمحدث الفاصل (٧٦ أ) .

أن ابن جريج (المتوفى سنة . ١٥ هـ) أحضر ثلاث صفحات من ورق البردى (ثلاث قراطيس) إلى الزهري ت ١٢٤ ، واحتوت هذه الصفحات على أحاديث مكتوبة على الوجهين = (فيه أحاديث ظهران وبطنان [١]) .

إنَّ كلمة قرطاس في الأمثلة السابقة تشير بوضوح إلى صفحات عريضة لمادة الكتابة ، ولكن وجدنا بعض الإشارات لهذا المصطلح حيث استخدم بمعني كتاب وإن كان صغير الحجم ، ولهذا في مقولة « بئس مستودع العلم ، القراطيس » [٢] فإن كلمة قراطيس يبدو أنها استخدمت بالمعني العام لكلمة كتب لا صفحات متفرقة من البردى .

ورواية أن أبا بكر جمع القرآن في قراطيس [٣] تشير أيضاً إلى مجموعة من الورق لا مجرد صفحات عريضة ، ويقال أن أبا شيبة دون الأحاديث من مجموعة حكيم الذي احتفظ بالأحاديث في قراطيس مكتوبة بالمداد الأسود لا مجرد ورقة من النوع العريض [٤] .

واستخدمت القراطيس أيضاً في الحقب الأولى من التاريخ بمعني عام للوثيقة وخاصة الوثائق الخاصة بالدولة . ولهذا نجد إشارة إلى بيت القراطيس (بيت الوثائق) وذلك منذ مطلع سنة ٣٥ هـ .

ويذكر أنه في اليوم الذي حوصر فيه الخليفة عثمان في منزله ، أنقذت حياة مروان بن الحكم الذي ضُرب بالسيف أثناء القتال ، وسقط على

(١) الكفاية (٤٥٧) .

(٢) تقييد العلم (٥٨) ، جامع بيان العلم (١ : ٦٩) ، المحدث الفاصل (٣٧ب) .

(٣) المصاحف (٩) .

(٤) نشأة الكتابة في مجلة (JASB) ، لعام ١٨٥٦ (٢٥ : ٣٢٣) .

الأرض ، والفضل في ذلك لفاطمة بنت شريك بن سمحة التي حملته إلى بيت يحتوى على القراطيس [1] .

ووجدت إشارة أخرى إلى بيت القراطيس في مطلع سنة ٦٨ هـ عندما وجد الوليد بن عبد الملك أحد اللاجئين في أحد بيوت الوثائق بعد أن جرح في مشاجرة [2] .

وكلمة قراطيس التي استخدمت في الأمثلة السابقة يمكن بسهولة أن تعني مخطوطات من الورق ، ويرى « براوْمان » أن بيوت القراطيس هذه نوع من أنواع سجلات المخطوطات لحفظ الوثائق [3] .

إن وجود مثل هذه البيوت الخاصة بالوثائق في عهد عثمان وبعده يجعل « BRAWMANN » يعتقد أن مثل هذه الوثائق لا بد أنها وجدت أثناء خلافة عثمان ومن جاء بعده [4] .

وعلى الرغم من أننا لا نجد إشارات إلى وثائق محددة في سجل محفوظات الدولة قبل فترة حكم عثمان ، الا أننا يمكن أن نقول : إن عادة حفظ الوثائق الهامة ترجع إلى عصر النبي ﷺ ، وغني عن البيان أن وثيقة مقاطعة النبي ﷺ وعائلته حفظتها قريش في مكان أمين بحرم الكعبة [5] ،

(١) EARLy islam (3 / 3) ، أنساب الأشراف (١ : ٢٢) .

(٢) EARLy islam (3 / 3) ، تاريخ الطبري (٢ : ٧٩٠) .

(٣) EARLy islam (313)

(٤) فجر الإسلام الموضع السابق .

(٥) طبقات ابن سعد (١ : ١ : ١٣٩ - ١٤٠) ، تاريخ الطبري (١:١١٨٩) ، السيرة (٢٣٠) .

والذي كان يعد مكانا مشهوراً ، وعلى أبوابها علقت أفضل أعمال شعراء ما قبل الإسلام [١] .

إن عادة حفظ الوثائق الهامة والتي وجدت لها إشارات في حياة النبي ﷺ واضح وجلي من الرواية الآتية :

يذكر بشهادة عبد الله بن الزبير أن عاتكة بنت عبد المطلب عمة النبي ﷺ رأت في منامها حلما مرعبا ، فيه يعلن فارس وهو على صهوة جواده حدوث كارثة لأهل مكة في غضون ثلاثة أيام [٢] وروت لأخيها عباس الحلم الذي نقله إلى آخرين من أهل مكة إلى أن وصل إلى أبي جهل ، وعندما سمع أبو جهل هذه القصة ، فاتح العباس قائلاً : « يا بني عبد المطلب منذ متى ، والنبوة من بيتكم ؟ » ويعد تبادل الحديث بين العباس وأبي جهل ، أنذره قائلاً : إذا لم يحدث شيئ في غضون ثلاثة أيام ولم يتحقق حلم عاتكة ستكتب قريش عن (عائلة عبد المطلب) وثيقة تذكر فيها أنهم أكثر أهل بيت كذبا بين العرب (نكتب اليكم كتاباً أنكم أكذب أهل بيت في العرب) [٣] .

ويبدو من كلمات التهديد من أبي جهل لو أن هذه الوثيقة قد كتبت [٤] كانت ستحفظ كسجل . وبالتالي يبدو أن عادة حفظ الوثائق الهامة المكتوبة كمرجع للمستقبل ترجع في الأصل إلى عصر النبي ﷺ وأن

---

(١) الشعراء السبع . المقدمة (١١) .

(٢) تحقق الحلم مع وصول ضمضم بن عمرو إلى مكة وإخباره أهل مكة باستعدادات المسلمين لغزوة بدر .

(٣) السيرة (٤٢٩) ، وطبقات ابن سعد (٨ : ٣٠) .

(٤) ومن الواضح أنها لم تكتب لأن حلم عاتكة قد تحقق وذلك في غزوة بدر .

الوثائق التي حفظت في سجل محفوظات في عهد عثمان كانت استمراراً لهذه العادة القديمة .

وأحيانا كان مصطلح قراطيس يستخدم بالتبادل مع كلمة طومار والتي تعني حرفياً مخطوطة من الورق ، ولهذا فهي مرادف لقرطاس ، وتتواكب مع القصة التي يتضح فيها أن عمر بن عبد العزيز طلب من أبي بكر بن حزم أن يقتصد في استعماله للقراطيس ، ووجدنا رواية أخرى يناقش فيها عمرو بن ميمون نفس المشكلة مع الخليفة .

وفي هذه الرواية استخدم مصطلح طومار لينقل نفس فكرة قراطيس ، وهذا يوضح أن الكلمتين استخدمتا كمترادفين .

وروي عمرو أنه عندما لفت نظر الخليفة إلى حقيقة أن هذا يرجع إلى عادة معروفة حيث يكتب الكاتب بلا عناية ويطول الخطاب وذلك في المراسلات الرسمية حيث يستهلك كمية كبيرة من الورق (الطوامير) من الخزينة العامة . وكتب الخليفة إلى المسئولين في الأقاليم المختلفة من الإمبراطورية بألا يكتب على الطومار والا تطول الرسالة [(١)] .

ووجدت اشارة أخرى إلى طومار في تعليق « شمغون الأزدي » على السيرة الذاتية لأحد الصحابة ، ويذكر أنه أول من كتب على جانبي الطومار [(٢)] ، وأول من حيكهم معاً ، ومن الواضح أن كلمة طومار في هذه الرواية استخدمت بمعني قرطاس والذي يعني نوعاً من الأوراق العريضة .

إن كلمة طومار تشبه كلمة قرطاس في أنها لا تقتصر على معني « ورقة

(١) طبقات ابن سعد (٥ : ٢٩٥ - ٢٩٦) .

(٢) الإصابة (٢ : ١٥٦) ، الترجمة رقم (٣٩٢١) .

عريضة » بل استخدمت أيضاً لتشير إلى مجموعة من المخطوطات الورقية كما هو واضح من هذه الأمثلة .

فيروي أن الزهري سلمَّ إلى أحد تلاميذه مجموعة من أحاديثه والتي كانت تحتوى على الطومار قائلاً : « هذه أحاديثي ، أروها على مسئوليتي »[١] . ومن الواضح أنه كان كتاباً احتوى على أحاديث رويت على مسئولية الزهري .

خامساً : جزء وأجزاء

ونتناول الآن مصطلحا آخر من أوعية الأحاديث أحدث لبسا وتشويشا ألا وهو الجزء (جمع أجزاء) ويعني حرفيا جزءا من شئ ولكن يستخدم بمعني مخطوطات ويستعمل بمعني كتاب [٢] وكلمة أجزاء تعني مجموعات من الأحاديث ، كما رويت على مسئولية أحد أئمة الحديث [٣] .

وطبقاً لتعريف آخر ، فالجزء هو مجموعة أحاديث تتناول أحد الموضوعات الخاصة ، مثل الارادة ، تجلي الذات الالهية [٤] .

واستخدمت الكلمة في أدب الحديث بمعناها الحرفى والعملي ، وأما عن معناها الحرفي فيذكر لنا البخاري رواية ذكر فيها أن ابن عباس استخدمها

(١) الكفاية (٤٥٨) ، تاريخ الإسلام (٥ : ١٤٩) ، ومجلة (JASB) ، لعام ١٨٥٦ ، ص (٢١١) .

(٢) Lexicon : (1 : 2 : 418) .

(٣) المصطلحات الفنية (١ : ١٨٦) .

(٤) ومثال لهذه المجموعات كتاب « قيام الليل » لمحمد نصر المروزي . العجالة النافعة لشاه عبد العزيز ص (٢٢) .

بمعنى جزء أو قسم ، وفي شرح السور القرآنية التي تناولت كتاب اليهود المقدس [(١)] .

وذكر أن ابن عباس قال : إن الآية القرآنية تعني : « أن أهل الكتاب قسموا كتابهم (كتابهم المقدس) إلى أقسام وأجزاء (جزؤوه أجزاء) آمنوا بجزء وكفروا بأجزاء » وتقول الآية الكريمة ﴿ كما أنزلنا على المقتسمين ﴾ [(٢)] .

واستخدم النبي ﷺ كلمة جزء بالمعني الحرفي لها أي جزء أو قسم عندما قال : « لقد تلوت جزءاً من القرآن » [(٣)] .

وفي موضع آخر عندما أتى رجل إلى النبي ﷺ يسلمه الزكاة علق النبي ﷺ قائلاً :

« إن اللّه تعالى لم يرض بحكم نبيٍّ ولا غيره في الصدقات حتى حكم فيها هو فَجَزَّأها ثمانية أجزاء ، فإن كنت من تلك الأجزاء اعطيتك حقك » [(٤)] .

ومن الواضح أن كلمة « جزء » من الأمثلة السابقة قد استخدمت بمعناها الحرفي أي بمعني جزء أو فئة . والكلمة تناولها العلماء بهذا المعني أيضاً ، الذين أطلقوا على الأجزاء المختلفة من الكتب أسماء ، جزء وأجزاء ، على الرغم من أن الحجم الحقيقى لهذه الأجزاء لم يحدد بدقة ، الا أن الدراسة الفاحصة لاستخدام هذه الكلمة يعطينا صورة ما لهذا الحجم .

---

(١) القرآن الكريم (١٥ : ٩١) .

(٢) صحيح البخاري (٣ : ٥٢) ، في كتاب مناقب الأنصار .

(٣) سنن أبي داود (٢ : ٧٥) في شهر رمضان ، حديث رقم (١٣٩٢) .

(٤) سنن أبي داود (٢ : ١٥٨) في الزكاة ، حديث رقم (١٦٣٠) .

ويبدو أن كلمة جزء تشير إلى جزء من كتاب يتكون من عشر صفحات أو عشرين صفحة ، على الرغم من أنه في ذلك الوقت استخدمت بمعني مجموعات أكبر ، وهذا النموذج لهذا الاستخدام لمصطلح تناوله « الواقدي » في كتابه « المغازي » . هذه المخطوطة التي كانت تتكون من ١٩٦ ورقة ، قد قسمت إلى أجزاء مختلفة كل منها يضم عشر ورقات [١] عرفت بالجزء [٢] ، وهذا يعطينا فكرة عن حجم الجزء [٣] .

ووجدنا إشارات أيضاً تشير فيها كلمة جزء إلى عمل كامل لبعض أئمة حديث بعينهم ، ولهذا فالمخطوطة الأصلية « للدارقطني » والتي تسمى علل الحديث عرفت بالجزء [٤] .

وفي حالات معينة ، أشار المصطلح إلى مجموعة من الأحاديث دون تحديد لأجزائها .

ولنأخذ مثالاً لذلك حسن بن عبد العزيز (المتوفي سنة ٢٥٧ هـ) الذي سلم جزءاً لأبي أسحاق قائلا : « هذا الجزء الذي نسخه ابن أخي يحتوى على أحاديث رويتها بنفسي » [٥] .

وتشير كلمة جزء في هذه الرواية إلى مجموعة من الأحاديث والتي يمكن

---

(١) المغازي (المقدمة) ، ص (٥) .
(٢) المغازي (المقدمة) ، ص (٦) .
(٣) وحدد « Mvir » حجم الجزء بأربعين صفحة .
Historical Sources . (115) .
(٤) الكفاية (٤٥٣) .
(٥) الكفاية (٤٥٣) .

أن تكون صغيرة أو كبيرة ، ولهذا فليس خطأ أن نسميها كتاباً لا مجرد ملزمة مكونة من عشر صفحات .

ولا بأس أن نورد مثلاً آخر : يذكر أن بعض الناس أحضروا جزءاً ليحيى ابن حسن ، وقال : إنها كانت تحتوى على أحاديث رواها ابن لهيعة . وبعد دراسة متأنية ، اكتشف يحيى أنه لا يوجد حديث واحد فيها لابن أبي لهيعة [1] . وكلمة جزء في هذا التقرير يمكن أن تعني كتاب دون أن نستبعد احتمالية تفسير كونها ملزمة .

وظل معنى المصطلح في كثير من الأمثلة غامضاً تماماً ومن الصعب للغاية تحديد حجمه أي حجم هذا الجزء ، وتبين معظم المعاني المحتملة للمصطلح بصفة عامه إلى أنه كراسة يصل حجمها إلى حوالى عشرين صفحة ، وكان هذا هو حجم كل جزء من أجزاء كتاب المغازي « للواقدي » . وهذا المعني هو الأكثر احتمالا في الحالات التي ذكر فيها أن مجموعة رواية بعض أئمة الحديث جمعت في أجزاء عديدة ، ويشير هذا إلى وجود عادة تسجيل الأحاديث في أحجام متساوية لحجم الكراسات ، وفي غير هذه الحالات لم يجمع أئمة الحديث أحاديث شيوخيهم في أجزاء منفصلة . ويبدو أنه لا يوجد سبب جوهري في ذلك سوى هذه العادة ، ولهذا لم تجمع أحاديث نفس الشيخ في جزء كبير واحد وخاصة عندما كانت الأوراق يصعب حياكتها وتظل بحجمها الكبير .

وسوف نستشهد هنا بمثالين حيث ذكر أن الطلاب بحوزتهم أحاديث شيوخهم منقولة في كراستين منفصلتين (جزأين) .

١ - يذكر من رواية عبد الله بن أحمد بن حنبل أن عباسا المديني أهدى أحمد بن حنبل جزأين يضمان أحاديث له ، بعد أن حصل على

---

(١) الكفاية (٢٣٨) .

تصريح (إجازة) بالنقل على مسئوليته . ونظر ابن حنبل إلى هذين الجزأين وسمح لعباس بالنقل منهما [١] .

٢ - ويذكر عبد الله نفسه أن عبد الرحمن الطبيب أحضر جزأين إلى والده وطلب منه أن يتصفحهما ويجيز له أن ينقل منهما الأحاديث المتضمنة فيهما على مسئوليته ، وأخذ ابن حنبل هذين الكتابين ، وقارنهما بنسخته ، وأجرى عليهما بعض التصحيحات ، وأجاز لعبد الرحمن أن ينقل الأحاديث منهما على مسئوليته [٢] .

وفضلاً عن الجزأين أو الكراسة ، فإن مصطلح « جزء » يشير إلى صفحة من الورق العريض من مادة الكتابة وإن شئت فقل الورق ، وهذا الدليل .

وجد في كتاب تذكره الحفاظ للذهبي . ففي معرض وصفه للأعمال الشهيرة لابن فطيس (والمتوفى سنة ٤٠٢ هـ) يقول : « لقد كتب كتاب أسباب النزول في مئة جزء ، وكتاب فضائل الصحابة في مئة جزء ، وكتاب معرفة التابعين في مئة وخمسين جزءاً ، وكتاب الناسخ والمنسوخ في ثلاثين جزءاً ، وكتاب الأخوة في أربعين جزءاً [٣] .

ولو أخذنا كلمة « جزء » في الرواية السابقة بمعنى جزء من فصل ، فإن هذا يعني أن الكتب الثلاثة الأولى قسمت إلى مئة ، ومئة وخمسين فصلاً ، وهذا غير محتمل فسنصل بعدد صفحات الكتابين الأوليين إلى أَلْفَىْ صفحة (٢٠ × ١٠٠) ، والثالث سيصل إلى ثلاثة آلاف صفحة (٢٠ × ١٥٠) . وهذا أيضاً غير محتمل . ولهذا فأقرب المعاني لهذا المصطلح والذي وجد في هذه الرواية أنه مجرد صفحة واحدة من الورق .

---

(١) الكفاية في علم الرواية للخطيب البغدادي (٤٦٥) .

(٢) الكفاية في علم الرواية للخطيب البغدادي (٤٦٨) .

(٣) تذكرة الحفاظ (٣ : ٢٤٨) .

وهذا المعنى واضحٌ في أمثلة أخرى حيث وصفت مجموعات أحاديث كل من محمد بن نصر (المتوفى سنة ٢٤٩ هـ) ، وحسين بن محمد الماسَرْجي (المتوفى سنة ٣٦٥ هـ) بصفة خاصة بأنها بلغت ألفين [١] وثلاثة آلاف [٢] جزء .

ومن الواضح أنّ هذه الأرقام تبيِّنُ أنَّ هذه الأجزاء ليست أقساماً ولا ملازمَ « وسبقَ أنْ أوْضَحْنا أنَّ الملزمة تتكون من عشرين ورقة » .

فلو ضربنا هذه الأرقام في عشرين ستعطينا عدداً لا يمكن تصوره من الصفحات يصل إلى أربعين ألفاً ، وستين ألفاً .

ولهذا فمن الواضحِ أنَّ كلمة « جزء » في هذه الروايات تشير إلى صفحة عريضة من الورق لا أكثر .

ومن المعلوم أنَّ كلمة جزء تشير إلى صفحة عريضة من الورق وذلك في الرواية التالية أيضا .

حيث ذكر أنّ حمزة الكتاني ، قال : « لقد كان في حوزتي مئتا جزء « تحتوي على أحاديث رواها » ابن جوزاء ، وتمنيت أن تكون معي « ليتها كانت بيدنا » [٣] .

وواضح من هذه الروايات أن الجزء ما هو إلا صفحات عريضة من الورق وضع عليه حمزة مسوَّدته ، ولأنها كانت مسوَّدات أوّلية فقد تَمنّى أن تكون معه نسخة على الأقل منها .

(١) تذكرة الحفاظ للذهبي (٢ : ٢٠٣) .
(٢) تذكرة الحفاظ للذهبي (٣ : ١٥٦ - ١٥٧)
(٣) تذكرة الحفاظ للذهبي (٣ : ١٨) .

وفي رواية أخرى يقال : أن سفيان الثَّوْري مَزَّق جزءاً ألف قطعة وبعثرها في الهواء [(١)] ، وكلمة جزء في هذه الرواية تشير أيضا إلى صفحة واحدة من مادة الكتابة .

وعليه ، فنحن نَرى أنَّ كلمة « جزء » لا تشير إلى جزء من كتاب ، ولا كراسة ، ولا كتاب بمعنى الكلمة فحسب ، بل أحيانا ما تشير إلى صفحة من الورق العريض .

٦ - الكراسة :

والكراسة تشبه تماماً مصطلح « جزء » في أنها لا تشير إلى كراسة صغيرة فحسب ، بل تستخدم بمعنى كتاب ، وتشير حرفيا إلى مجموعة من صفحاتِ الوَرَق العريضِ ، وربما أنها اشتقت من الصيغة الفعلية « تكرَّسَ » بمعنى أنه جمع حطب الوقود معا [(٢)] .

ووجدنا إشارات عديدة لهذا المصطلح في سياقِ تسجيلِ القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف ، ولنأخُذْ مثالاً على ذلك من واحد من المعارضين لتدوين الحديث ، وهو إبراهيم النخعي (المتوفى سنة ٩٦ هـ) إذْ ذكر قوله أنه كره أن تكتب الأحاديث في الكراريس [(٣)] وعبَّر عن هذا الاتجاه أيضا مجاهد (المتوفى سمة ١٠٢ هـ) الذي كَرَه أيضا تدوين الأحاديث في كراريس [(٤)] .

وكذا فإن الضحاك بن مزاحم (م - ١٠٥) هـ ، قال : « لا تجمعوا

---

(١) معجم الأدباء (٥ : ٣٨٩) .

(٢) Lexicon, 1, VII, 2606 .

(٣) تقييد العلم (٤٨) .

(٤) سنن الدارمي (١ : ١٢١) .

الأحاديث في الكراسة مثل القرآن » « لا تتخذوا للأحاديث كراريس ككراريس المصحف » [١] .

وعلى الرغم من أنّ المصادر لم تُشِرْ تحديداً إلى حجم الكراسة ، إلا أن هذا المصطلح يبدو أنه يشير إلى كتيب يحتوي على مجموعة من الورق العريض ، وحدد « شبرنجر » عدد الورق بعشر ورقات .

وتعليقا على مقولة الضحاك المذكورة سابقا [٢] يقول : « أن الكلمة التي استخدمت كتعبير عن الكتبِ التي تُحْفَظُ فيها الأحاديث كانت كراسة والتي تعني ملزمة مكونة من عشر صفحات أو عشرين صفحة [٣] ، ولسوء الطالع لم يشر إلى المصدر الذي على أساسه خَرَجَ بنتيجته التي ذكرناها ، ولم يكن من السهل أن يتناول هذه الكلمة بمعناها الحرفي والتي تشير إلى رزمة من الورق تحتوي بوجه عام خمس ورقات عريضة تمثل عشر ورقات من كتاب [٤] .

ومن غير المحتمل أيضاً أنه تناول الكلمة بمعنى ورقة ليعني بذلك مصطلح كراسة والتي تمثل واحد على عشرين من رزمة الورق المكونة من ٤٨ أو ٥٠٠ صفحة كبيرة الحجم [٥] .

وهذا يعني أن الكراسة تتكون من أربع وعشرين إلى خمس وعشرين ورقة ، وأكثر الاحتمالات قبولاً أنه تناولَ الكراسة كمرادف لجزء ، والذي كما رأينا كان يعني « كتاب » يتكون من عشر إلى عشرين ورقة .

---

(١) تقييد العلم (١٩ ، ٤٧) .

(٢) ومن الخطأ أن تسمى هذه المقولة حديثاً .

(٣) نشأة الكتابة من مجلة (JASB) ، لعام (١٨٥٦) ، ص (٢٥ : ٣٠٩) .

(٤) Lexicon, 1, VII, 2606 .

(٥) Papyri, II, 60 . N : 248 .

وفي الحقيقة فإن الحجم الحقيقي للكراسة مثله مثل المصطلحات القريبة منه ، وهي صحيفة ، وجزء ، بل وحتى كتاب لم تحدد أعداد صفحاتها في الأدب الإسلامي ، وذلك في الحقبة الأولى من الإسلام ، وعلى الرغم من أن هذه المصطلحات قد استخدمت بمعنى كتيب وكتاب بوضوح ، إلا أننا رأينا بالفعل دلالات مختلفة لكلمات : كتاب ، وصحيفة ، وجزء ، وتظل في حاجةٍ إلى أنْ نَعْرِفَ ما إذا كانت الكراسة أيضا استخدمت لتفيد ضمنا المعنييْن السابقين أم لا ؟ والأمثلة التالية ستبين أنها تضمنت المعنيين معاً .

١ - ففي روايةٍ بخصوصِ منهج علقمة بن قيس (المتوفى سنة ٦٢ هـ) في جَمْعِ نُسَخِ القرآن من أصدقائه ليضعها في مرجعه الخاص ، يذكر أنه اعتاد أن يَرُدَّ النصوصَ المصححة إلى أصحابها شيئاً فشيئاً ، وكان المصطلح الذي استخدم لهذه النصوص يوصف بأنه ورقة ، وكراسة ، والذي يبدو أنه يعني « مخطوطة » ورقية عريضة ، وكراسة تحديداً ، وتقول الرواية: « بمجرد أن انتهى علقمة بمقارنة مصحفه بمصاحف الآخرين ردَّ إلى أصحابه كراسة بكراسة وورقة بورقة تدريجياً » [(١)] .

وكلمةٍ كراسةً في الرواية السابقة لا يبدو أنها تعني أساساً القرآن ، ولكن تشير إلى الرزمة التي استخدمت لنسخ القرآن .

ويبدو في الخبر المروي عن الضحاك آنفاً أنَّ كلمةٍ كراريسً مرتبطة بكلمة « مصحف » كما أن المصطلح يشير إلى رزم الورق المستخدم في كتابة نص القرآن الكريم .

٢ - ويذكر أن ابن جريج (م - ١٥٠ هـ) أحْضَر كراسة إلى أبان بن أبي عياش (م - ١٣٨ هـ) يطلب منه الإجازة له برواية الأحاديث التي احتوتها على مسئوليته [(٢)] .

---

(١) المصاحف (١٦٩) .

(٢) الكفاية (٤٥٩) .

ومصطلح كراسة الذي استخدم هنا يشير إلى جزء كبيرٍ احتوى على أحاديث أبان ، ولهذا يمكن تفسير هذا المصطلح « بكتاب » .

٣ - ويذكر أن غالب بن عبيد الله اعتادَ أنْ يملي الأحاديث على تلاميذه من الكراسة وكان « خليفة بن موسى » من تلاميذه ، فاستطاع أن يكوِّن من هذه الأحاديث مجموعة ، ويقول : إنه ذات مرة كان شيخه خارج حلقة الدرس فألقى بنظرةٍ خاطفة على كراسته واكتشف وهو مذهول أن شيخه كان يملي أحاديث أبان بن أبي عياش (م - ١٣٨ هـ) على اعتبار أنها لمكحول [١] .

ويمكن تفسير كلمة كراسة في هذه الرواية باعتبارها كتاباً بمعنى الكلمة ، وأيضاً بمعنى كراسة تحوي عدة صفحات فحسب ، ومن الأمثلة السابقة يتضح أن مصطلح كراسة يقصد به كلا من كراسة بمعنى الكلمة وكذلك كتاب . أما بالنسبة لحجم هذه المخطوطة فلم نجد مراجع لتحديدها بدقة . ولكن الاحتمال الأكثر قبولاً أنها كانت في العادة كتيباً يضم من مائتين إلى خمس مئة حديثٍ [٢] .

ولكن بمرور الزمن أشارت إلى مجموعات أكبر أيضا ومن هذه الفئات الأخيرة يمكن أن نذكر كراسة « بهز » والتي كانت تضم أحاديث نَقَلَها عبد الله بن جعفر (م - ١٧٨ هـ) [٣] .

سابعاً : مصطلحات أخرى لأوعية الحديث :

بالإضافة إلى المصطلحات التي ناقشناها فيما سبق ، فكلمات مثل :

---

(١) صحيح مسلم (١ : ٩) .

(٢) Papyri (2 : 60) .

(٣) تهذيب التهذيب (٥ : ١٧٤ ، ١٧٦) .

« رسالة » ، « لوح » ، « مجلة » ، « صك » ، « رق » ، « ورقعة » ... إلخ . تشير أيضا إلى أنها أوعية حُفِظَ فيها الحديث بالمداد الأسود ، ففضلا عن الرسالة المشهورة للشافعي ، فقد عرفنا رسالة سَمُرة بن جُندُب والتي ضمت علما [١] (أحاديث) كثيرة ، ورسالة زيد بن جُندُب والتي احتوت أحاديث خاصة بالفرائض (الميراث) [٢] .

ومن المعروف جيدا أن الزهري كان يسجل أحاديثه على ألواح (جمع لوح) [٣] ، وقبل الزهري اعتاد عبد الله بن عباس أن يسجل أحاديثه على مادة مخصصة للكتابة عليها [٤] .

وتبعه تلميذه مجاهد الذي دَوَّن التفسير على ألواح [٥] .

ويذكر أيضا أن أحمد بن حنبل اعتادَ أنْ يَحْمِلَ ألواحاً ليدوِّنَ الأحاديث عليها [٦] .

وعلاوة على هذا فَإِنَّ مجموعة أحاديث أنس بن مالك عرفت بالمجلات (جمع مجلة) [٧] ، وصكوك (جمع صك) [٨] .

وأكثر من هذا كان الإهتمام بالرقّ . فيذكر أن كتاب محمد بن سيرين

---

(١) تهذيب التهذيب (٤ : ٢٣٦) ، دراسات جولد تسيهر (٢ : ١٠ / ٢٣) .

(٢) سنن البيهقي (٦ : ٢٤٨) .

(٣) تذكرة الحفاظ (١ : ١٠٣) .

(٤) تقييد العلم (٩١ ، ٩٢ ، ١٠٩) .

(٥) تفسير مجاهد (١ : ٩٠) .

(٦) تاريخ دمشق (١ : ٤٦) .

(٧) تقييد العلم (٩٥) .

(٨) تقييد العلم (٩٦) .

والذي وصل إلى أخيه يحيى بن سيرين كتب على رقٍّ عتيق (مخطوطة رقية) [١] .

ويذكر أيضا أن مالك بن أنس دون أحاديث نقلها الزهري في جزء وصِفَ بأنه رق أصفر (كتاب أصفر) [٢] .

أما بالنسبة لرقعة ، فيذكر أن عثمان بن صالح جمع الأحاديث التي نقلها مالك في هذا الوعاء وقدمها إلى مالك لإخراج مجموعة أحاديثه [٣] ، وعلى سبيل المثال ، جمع محمد بن يحيى الذهلي [٤] ، وعبد الرحمن بن مهدي [٥] الأحاديث في الرقعة .

وعلى الرغم من أن المراجع لم توضح أحجام هذه الأوعية ، بيد أنه يسوغ أن نقول : أن أحجامها متباينةً وذلك على ضوء النشاط الأدبي لمؤلفيها أو جامعيها .

وقد اهتمت الترجمات الإنجليزية بهذه المصطلحات الكثيرة مثل صحيفة ، وكتاب ، ونسخة ، ومجلة ، ورسالة ، وجميعها يمكن ترجمتها بكتاب إلا إذا لم يكن النص يشير إلى أية معان أخرى غير ذلك . أما بالنسبة لمصطلحات كراسة وجزء فيمكن أنْ ينطبقَ عليهما لفظا : ملزمة ، وكتيب ، أما الكلمات ، رقٌ ، ورقعة ، والطومار فتشير إلى مذكرات صغيرة .

---

(١) الإملاء (١٧٣) .

(٢) الكفاية (٤٩٤) .

(٣) الكفاية (٤٦٨) .

(٤) الكفاية (٤٦٨ - ٤٦٩) .

(٥) الكفاية (٣٤٤) .

٢ - الكتابات الحقيقية :

وبعد أن تناولنا أوعية الحديث ، فسوف ننتقل الآن إلى السجلات الأولية لعلماء الحديث من عصر النبي ﷺ حتى وفاة الزهري (المتوفى سنة ١٢٤ هـ) .

ويرجع السبب وراء تركيز دراستنا على القرن الأول الهجري ، والربع الأول من القرن الثاني هو حقيقة أنه في الوقت الذي كانت فيه سجلات علماء ما بعد فترة الزهري معروفة تماماً ، فإن النشاط الأدبي لِمَنْ سبقهم من علماء ، والذين هيأوا المادة التي استقى منها مَنْ بعدهم المعلومات ، إلا أنهم لم يحظوا بالاهتمام المناسب ، بل وأكثر من هذا كانوا موضعا للتجاهل ، ومما لا شك فيه أن علماء القرن الأول الهجري اعتُرِفَ بهم كثقاة في مادة الحديث ، إلا إن إسهاماتهم كمدونين وجامعين للحديث لم يعترف بها .

وهذا يرجع في جزء منه إلى اختلاف المحدثين أنفسهم الذين لم يؤكدوا على هذه الناحية من العمل الأدبي ، وذلك أثناء مناقشاتهم لرواة هذه الأحاديث ، وإن حدث ذلك من وقت لآخر .

وفي الحقيقة فإنَّ العلماء المحدثين كانوا مهتمين أساساً بمحتوى الحديث كما دُوِّنَ ؛ إذ أنهم ركزوا اهتمامهم على مادة الحديث أكثر من اهتمامهم بالشكل الذي حُفِظَ به الحديث « سواءً كان بالذاكرة أم الكتابة » .

وفي الواقع فإن مسألة الكتابة والذاكرة كانت أشبعت بحثا ومناقشةً في العصور المبكرة ، ومما لا شك فيه أن الكتابة في فترةٍ من الفترات كانت موضعاً للكراهة من جانب قلة من العلماء ، إلا أننا يجب أن نضع في اعتبارنا أنها كانت مجرد فترة مؤقتة ما لبثت أن حققت الكتابة فيها نصراً حاسماً .

ثم نتذكر أنه حتى في الوقت الذي كانت فيه الكتابة موضعا للكراهة من العلماء ، فقد اعتادَ بعضُ العلماء أن يدونوا سرا على الأقل بغرض الاستخدام الشخصي ، ولهذا فمن الخطأ أن نفترض أن تدوين الحديث بدأ عندما زالت إلى غير رجعة الاتجاهات المعادية للكتابة . ففي الواقع أن كتابة الحديث بدأت بحق منذ البداية .

ولعلَّ أحد الأسباب الرئيسية التي أدت إلى ظهورِ نظرية تأخر تدوين الحديث ، هو عدم إلقاء الضوء على النشاط الأدبي لعلماء القرن الأول الهجري ، وبسبب تجاهل هذا النشاط ، فإن الصورة الكاملة لتطور كتابة الحديث ظلت مغمورة لم تَرَ النور ، وهذا يبين للقارئ بوضوح أنَّ البحث العميق في تاريخ هذه الفترة لتفسير أعماقها ضرورة لا مفر منها .

ونحن نعرف جيداً أنه بدءاً من عصر الزهري فصاعدا بدأت تظهر المجموعة المتكاملة من الحديث ، وفي الواقع فإن هذا قد تَمَّ على أساس وجود المخطوطات المكتوبة . وكانت مهمة الزهري ورفاقة لا تهتم كثيرا بمسألة البحث والتنقيب والجمع قَدْرَ اهتمامها بترتيب وتصنيف ما توفر من مادة الحديث .

وكما هو معروف فعلى مدارِ القرن الثاني الهجري كانت عمليات المصنفات والجوامع « أي ترتيب كتب الأحاديث طبقا لموضوعاتها أو أبوابها » قد اكتملت .

وبحلول منتصف القرن الثالث الهجري ، كانت الأعمال التقليدية بما في ذلك تصنيف الصحاح الستة قد ظهرت . ووثقت .

ولهذا نرى أن الأعمال الكاملة لما بعد الزهري معروفة تماماً ومقبولة بصفة عامة ، ولم يبق إلا السجلات المكتوبة في القرن الأول الهجري وحتى عصر الزهري فحسب ، والتي يكتنفها الغموض ، ولهذا ، فربما يكون من

الضروري أن نبحث بعمق فيما توفر لنا من مصادر ، ومن مجموعات الأحاديث التي وجدت في تلك الفترة .

وفي هذا السياق فمن الضروري أن نلاحظَ أنَّ الحديث كما بدا من محتويات مجموعات الأحاديث التقليدية فإنه يتناول كافة المسائل الاجتماعية منها والأحكام الشرعية ، وكذلك الموضوعات الدينية والإدارية ولا يقتصر على الشعائر « العبادات » فحسب ؛ وعليه فعندما نتناول سجلات هذه الفترة المبكرة ، فسوف لا نضع في اعتبارنا أحاديث الأحكام فحسب ، بل كل الأحاديث الخاصة بالعبادات ، والنواحي التاريخية وكافة الموضوعات التي أخذت مكانها في مجموعات الأحاديث .

وبمعنى آخر ، فأي رواية تهتم بأفعال النبي ﷺ وأقواله وتقريراته ستشكل موضوعاً لفصل من الفصول شريطة أن تكون هذه الأعمال مكتوبة بالمداد الأسود .

وفي هذا السياق يجب أن نشير إلى أن السجلات المكتوبة الأولية حفظت أولا إما في مخطوطات العلماء الخاصة ، أو حفظت عن ظهر قلب ، أو بالطريقتين معاً ؛ وبالتالي فإما أنها نقلت مشافهةً أو كتابة أو بكلاهما أحيانا إلى الجيل الثاني من العلماء ، وهم بدورهم إما حفظوا المادة في أوعيتهم الخاصة بالكتابة ، أو في ذاكرتهم ، وعملية النقل هذه سواءً مشافهةً أو كتابة فقد استمرت من جيل إلى آخر حتى القرن الثالث الهجري ، حيث تم تثبيتها في مجموعات الأحاديث الدائمة .

من هنا فعلى الرغم من حقيقة أنَّ معظم المخطوطات الأصلية للفترة الأولى من الإسلام قد فقدت ، إلا أنَّ محتوياتها حفظت بأمانة في مجموعة كتب الأحاديث الموجودة حاليا .

إن النتيجة السابقة التي توصلنا إليها قائمة على أساس متين ، ولكي

يتسنى لنا ملء الفجوة « تلك الفجوة التي ابتدعها أصحاب نظرية التدوين المتأخر للحديث » والتى تصل إلى مائة سنة أي من حياة النبي ﷺ إلى عصر الزهري ، سنناقش أحاديث مدونة لعلماء من كل جيل بدءاً من حياة النبي ﷺ نفسه .

وبنظرة خاطفة على الصفحات التالية سنوضح أن الأحاديث بشكل أو بآخر قد دُوِّنَتْ بالمداد الأسود ، وعلى ألواح بيضاء بدءاً من عصر النبي ﷺ ، وكانت هذه هي نقطة البداية ، واستمر هذا التدوين والكتابة حتى بعد وفاة النبي ﷺ وعلى امتدادِ القَرْنِ الأوَّلِ الهجري بأكمله ، بل وبعد القرن الأول الهجري .

وتمدنا المصادر بإشارات وافرة عن الكتابات بدءاً من عصر النبي ﷺ حتى عصر الزهري وبعده بدأت الكتب تظهر بكميات ضخمة ، ووصلت كتابة الحديث إلى ذروتها في القرن الثالث بعد الهجرة عندما تم تصنيف نصوص السنة الشهيرة بالصحاح الستة .

وسنقتصر في دراستنا على فترة القرن الأول والربع الأول من القرن الثاني من الحقبة الإسلامية ، وسنناقش المدونات المكتوبة لهذه الفترة لهذا التصنيف .

١ - التسجيل الرسمي أثناء حياة النبي ﷺ .

٢ - التسجيل غير الرسمي أثناء حياة النبي ﷺ وسنقسمه إلى ثلاثة أقسام .

أ - التسجيل الذي قام به جامعوا الصحيفة والنسخة والمجلة والرسالة ... إلخ وكان من بينهم الصحابة والتابعون .

ب - التسجيل من جانب الصحابة والتابعين .

جـ - التسجيل من جانب التابعين والعلماء .

وهذا التصنيف يمكن توضيحه من الشكل التالي :

التدوين

غير رسمي | رسمي

التابعون وعلماء آخرون | جامعو الصحف ... إلخ

الصحابة والتابعون

علماء آخرون

١ - التسجيل الرسمي أثناء حياة النبي ﷺ :

ففضلاً عن كتابة القرآن والذي من أجله اتخذت الترتيبات فقد تم تدوين العشرات من المواد الأخرى بمبادرة من النبي ﷺ ، هذه المواد المكتوبة والتي غطت موضوعات منوعة منها ما هو سياسي ، وآخر ديني ، وثالث قانوني ، ورابع تجاري ، وخامس خاص بالضرائب ... إلخ يمكن تفسيمها تحت هذه العناوين .

أ - موضوعات قانونية ومالية :

ب - موضوعات سياسية وإدارية والتي يمكن تقسيمها إلى هذه الفرعيات .

١ - معاهدات ، اتفاقيات .

٢ - العقود ، قرارات العفو العام ومنح الأرض (الإقطاع) .

٣ - التعليمات إلى الموظفين المدنين .

٤ - الخطابات إلى القبائل ومشايخ القبيلة .

٥ - الخطابات إلى الحكام وإلى الأقطار المجاورة .

٦ - الإحصاءات الرسمية .

٧ - سجلات الحروب .

٨ - قائمة الرسل والمبعوثين .

جـ - الموضوعات التجارية والصفقات الأخرى .

د - الموضوعات الخاصة بالمواعظ والأحاديث المتفرقة .

وسوف تناقش كل موضوع من هذه الموضوعات تفصيلا .

أولا : الموضوعات القانونية والمالية :

١ - كتاب الصدقة : يذكر أن النبي ﷺ في أخريات حياتة أملى كتابا باسم « كتاب الصدقة الذي اشتمل على مقدار الزكاة بالنسبة للحيوانات [١] ، وطبقا لهذه الروايات ، فهذا الكتيب أعد ليرسل إلى حُكَّامِ الأقاليم حتى يتمكنوا من فرض الضرائب على الماشية ، وقطعان

---

(١) سنن أبي داود (٢ : ١٢٩ - ١٣٠) ، في كتاب الزكاة حديث رقم (١٥٦٧) ، وجامع الترمذي (١ : ١٣٤ - ١٣٥) ، سنن الدارمي (ط . المدينة) ، (١ : ٣٢١) ، الأموال (٣٦٣ ، ٣٦٦) ، سنن الدار قطني - كتاب الزكاة (٢ : ١١٧) ، سنن ابن ماجة (١ : ٥٥٥) في كتاب الزكاة .

الأغنام وذلك داخل نطاق الأقاليم التي يحكمونها . ولكن قبل أن ترسل هذه النسخ من الكتاب إلى الحكام توفي النبي ﷺ » (١) ، ولقد وجد هذه الكتيب بعد وفاتة في غمد سيفه (٢) ، ويقال إن أبا بكر تصرف طبقا لمحتوى هذا الكتيب ، وبعد وفاة أبي بكر أصبح في حوزة خلفه « عمر » (٣) وبعد اغتيال عمر وجد الكتاب « مقروناً بسيفه » (٤) .

ويبدو أن كتاب الصدقة الذي كُتِب في نهاية حياة النبي ﷺ واحتوى على قواعد تحديد الزكاة كمرجع لتحديد الضرائب وجد في مرحلة مبكرة عن ذلك والأمثلة التالية ستوضح أن هذه القواعد أرُسِلت إلى القبائل المختلفة من وقت لآخر في شكل خطابات .

٢ - قواعد الزكاة ومسائل قانونية أخرى في شكل خطابات .

أ - من المعروف أنه عندما أرسل عمرو بن حزم (المتوفى سنة ٥١ هـ) إلى اليمن كوالٍ لها أعطاه النبي ﷺ كتابا « تعليمات مكتوبة » بخصوص الزكاة ومسائل قانونية أخرى « الصدقات والديات والفرائض والسنن » (٥).

---

(١) سنن أبي داود (٢ : ١٣١) ، في الزكاة ، حديث رقم (١٥٦٨) ، سنن الدارمي (ط . المدينة) (١ : ٣٢١) .

(٢) سنن أبي داود (٢ : ١٣١) ، والخراج (٧٦) ، ومسند أحمد (٦ : ٢٩ ، ٢٩١ ، ٢٩٨) .

(٣) سنن أبي داود (٢ : ١٣١) ، في الزكاة ، حديث (١٥٦٨) ، والدارمي (١ : ٣٢١) .

(٤) سنن الدارمي . الموضع السابق .

(٥) السيرة (٩٦١) ، جامع بيان العلم (١ : ٧١) ، تقييد العلم (٧٢) ، اختلاف الحديث للشافعي (١٧ - ١٨) ، تاريخ بغداد (٨ : ٢٢٨) ، تاريخ الطبري (١ : ١٧٢٧ - ١٧٢٩) ، امتاع الأسماع للمقريزي (١ : ٥.١ - ٥.٢) الوثائق السياسية ، رقم (١.٥) ، جمهرة رسائل العرب (١ : ٦٢ - ٦٥) صبح الأعشي (١. : ٩) ، الأموال (٣٥٨ - ٣٦٢) ، سنن النسائي (٨ : ٥٦ - ٦١) في القسامة ، والخراج (٤٢) .

ويقال إن الكتاب ظل موجودا لم يندثر لدى عائلة « عمرو بن حزم » حتى عهد عمر بن عبد العزيز الذي يذكر أنه حَصَلَ على نسخة منه أثناء خلافته [1] ، ويقال إن محمد بن عبد الرحمن [2] نسخ له أي للخليفة عمر نسخه من الوثيقة الأصلية .

وإشارة إلى هذه الوثيقة يقول الزهري : « إن خطاب النبي ﷺ كتب على رق قديم من الجلد وأحضره له أبو بكر بن حزم [3] ، وأكثر من هذا فقد قرأ بنفسه هذه الوثيقة » [4] .

ب - ووجدت وثيقة أخرى تحتوي على قواعد الزكاة على الحيوانات ومسائل قانونية أخرى ، هذه الوثيقة كانت كتاب النبي ﷺ إلى شرحبيل [5] بن عبد كلال ، حارث بن عبد كلال ، نعيم بن عبد كلال ، والنعمان شيخ قبيلة ذي الرعيان ، حمدان ومعافر [6] .

جـ - لقد أعطى لعلاء الحضرمي (المتوفى سنة ١٤ هـ) أثناء حكمه للبحرين قواعد مكتوبة خاصة بالضرائب على الإبل ، والأبقار ، والماعز ،

---

(١) الأموال (٣٥٨ - ٣٥٩) .

(٢) الأموال (٣٥٩) .

(٣) سنن النسائي (٨ : ٥٩) في كتاب القسامة .

(٤) الموضع السابق .

(٥) اختلاف « شريح » [الأموال : ١٣] ، و« شرح » (فتوح البلدان ٨٢) .

(٦) الأموال (١٣ ، ٢١ ، ٢٧) ، وطبقات ابن سعد (١ : ٢ : ١٩ ، ٢٠ ، ٣٢ ، ٨٤) ، و (٥ : ٣٨٦ - ٣٨٧) ، والسيرة (٩٥٥ - ٩٥٧) ، وتاريخ الطبري (١ : ١٧١٨ - ١٧٢٠) ، سنن النسائي (٨ : ٥٨) في القسامة ، سنن الدارمي (ط . المدنية) (١ : ٣٢٠ ، ٣٢٢ ، ٣٢٣) ، فتوح البلدان (١٠٩) ، نهاية الأرب (١٨ : ١١٨) .

الأغنام ، ومحاصيل الفاكهة والمؤن [١] . ويقال أنه جمع الضرائب طبقا للقواعد المنصوص عليها في هذه الوثيقة [٢] .

د - إن إتفاقية السلام التي عقدت بين النبي ﷺ وعمرو بن معبد وقبائل حراقة ، وبني الجرمز ، وكذلك قبيلة جهينة احتوت أيضا على نسبة الزكاة فيما يختص بمحاصيل الفاكهة [٣] .

هـ - ووجدت وثيقة أخرى احتوت على قواعد الزكاة ، هذه الوثيقة عبارة عن كتاب أعطاه النبي ﷺ . لحصين والأقرع بن حابس عندما وفدا عليه ويذكر أن عيينة احتفظ بهذه الوثيقة في عمامتة وقال : « إنني حامل إلى أهلي كتاباً لم أعرف محتوياته وهو يشبه الصحيفة التي أعطيت للمتلمسٌ « كصحيفة المتلمس » وعند سماع النبي ﷺ لهذا شرح النبي محتويات الكتاب له . وقد كتب هذه الوثيقة معاوية [٤] .

و - وخطاب آخر هام يسمى « صحيفة » أرسل إلى قبيلة بني السلام وبعض المسلمين الآخرين الذين يعيشون في سيف وسهل .

وفي هذا الخطاب ، حدد النبي ﷺ القواعد الخاصة بالضرائب على الحيوانات « المواشي » وقد كتب هذا الخطاب ثابت بن قيس بن الشماس ،

---

(١) طبقات ابن سعد (٤ : ٢ : ٧٦) ، جمهرة رسائل العرب (١ : ٤٣) ، الوثائق السياسية ، رقم (٥٩ أ) .
(٢) طبقات ابن سعد (٤ : ٢ : ٧٦) .
(٣) طبقات ابن سعد (١ : ٢ : ٢٤ - ٢٥) ، والوثائق السياسية رقم (١٥٢) .
(٤) سنن أبي داود (٢ : ١٥٧) في الزكاة ، حديث رقم (١٦٢٩) .

وشَهِدَ عليه أبو عبيدة بن الجراح وعمر بن الخطاب [١] .

ز - ويذكر أنَّ عبد اللّه بن عكيم الجهني كان بحوزته خطاب للنبي ﷺ يحتوي على قوانين خاصة بالحيوانات الميتة [٢] .

ح - ويذكر أن النبي ﷺ أرسل إلى قبيلة ضحاك بن سفيان الكلابي قاعدة مكتوبة بخصوص القضايا الشرعية للميراث ، وهي القضية الخاصة بحق الأرملة في المبرات في دية زوجها القتيل ، ويقول ضحاك : « إن النبي ﷺ أرسل هذا الحكم كتابةً إلى قبيلتي » [٣] .

ى - ولنا أن نذكر أيضاً الوثيقة التي كانت في حوزة مطرفٌ بن كاهن البهلي الذي زار النبي ﷺ بَعْدَ فَتْحِ مَكَّةَ ، وعند عودته إلى قبيلته أعطاه النبي ﷺ خطاب ضمان مرفق به مذكرة تحتوي على أحكام الزكاة على الحيوانات [٤] .

ف - وكان لدى علّي صحيفة من النبي ﷺ والتي احتوت ضمن ما

---

(١) طبقات ابن سعد (١ : ٢ : ٨٢) ، الوثائق السياسية ، رقم (١٦٨) .

(٢) مسند الإمام أحمد (٤ : ٣١٠ - ٣١١) ، الوثائق السياسية الوثيقة رقم (١٥٦) ، مسند الطيالسي (١٢٩٣) ، جامع الترمذي (٧ : ٢٣٤ - ٢٣٦) في كتاب اللباس ، سنن أبي داود (٤ : ٩٤ - ٩٥) حديث رقم ((٤١٢٧ - ٤١٢٨) في كتاب اللباس .

(٣) الرسالة (١١٣ - ١١٤) ، سنن ابن ماجة (٢ : ١٤٢) في كتاب الديات ، الأم (٦ : ٧٧) ميراث الدية ، الموطأ (٤ : ١٩٤ - ١٩٥) في كتاب العقول ، جامع الترمذي (٦ : ١٨٥ - ١٨٦) في كتاب الديات ، سنن أبي داود (٣ : ١٧٨) في الفرائض ، حديث رقم (٢٩٢٧) .

(٤) طبقات ابن سعد (١ : ٢ : ٣٣) ، الوثائق السياسية ، وثيقة رقم (١٨٨) ، نهاية الأرب (١٨ : ٥٠) .

احتوت عليه القواعد المنظمة لدية القتيل ، والضرائب على الحيوانات ، وكثيرا من الأحكام القانونية [١] .

واعتاد أن يحتفظ بها في غمد جرابه [٢] .

وإشارة إلى وثيقة « كتاب » ابن علّي يقول محمد بن الحنفيَّة : « لقد طلب مني أبي أن أحْمِل هذا الكتاب إلى أمير المؤمنين عثمان لأنَّهُ يحتوي على تعاليم النبي ﷺ بخصوص الصدقة « أرسلني أبي ، وقال : خذ هذا الكتاب واذهب به إلى عثمان فإن فيه أمرَ النبي ﷺ في الصدقة [٣] » .

ومن الجدير بالذكر أن نلاحظَ هذا أنَّ طريقة حفْظَ الوثائق الهامة – وإن شئت فقل : مشدودة على السيف عادة شائعة في الجزيرة العربية ، وعن هذه العادة يقول الأستاذ « Serjeant » : « كان رجل القبيلة في جنوب الجزيرة العربية يحملُ وثائقَ في جَيْبٍ جِلْدِيٍّ صغيرٍ خَلْفَ خنجره ، ومعهم سكين صغير ، ووثائق أخرى » [٤] .

ل – وكانت هناك وثيقة أخرى احتوت على أحكام الصدقة في حوزة حُذَيْفة بن اليَمان الأزْدى (المتوفى سنة ٣٦ هـ) ، والذي اعتادَ أن يجمع الضرائب من أهل دباء « وهو مكان بين عُمان والبحرين » وفقا لأحكام

---

(١) طبقات ابن سعد (٦ : ١١٦ ، ١٥٦) مسند الشافعي (١٠٤) ، تقييد العلم (٨٨ – ٨٩) ، جامع بيان العلم (١ : ٧١) ، الأم (٧ : ٢٩٢) ، صحيح البخاري (٢ : ٢٩٦ -٢٩٨) في كتاب الجزية .

(٢) صحيح مسلم (٣ : ٢٦٦) في كتاب الأضاحي .

(٣) صحيح البخاري (٢ : ٢٧٧) في كتاب « فرض الخمس » .

(٤) Serjeant : The constitution of Medina IQ VIII, Nos . 1 , 2 , P : 5 .

الزكاة المنصوص عليها في هذا الكتيب = « **الكتاب** » [1] ، ويذكر أنَّهُ جَمَعَ هذه الزكاة أثناء حياة النبي ﷺ وبعد وفاة النبي ﷺ رفض الناس أن يدفعوا فأبلغ أبا بكر الخليفة الحاكم والمسئول عن شئون الدولة . وعندئذ أرسل الخليفة عكرمة بن أبي جهل ليعالج هذا الأمر [2] .

م - وأرسل النبي ﷺ كتاباً محتويا على قوانين الصدقات والخُمس إلى قبائلِ جذام ، وقبائل سعد بن حذيم ، وأرسل إلى القبيلتين . وطبقا للتعليمات المتضمنة في هذا الخطاب كانوا مطالبين أن يدفعوا الخراج لمبعوثي النبي ﷺ ، وهما أُبَّي ، وعُتْبَة ، أو من ينوب عنهما [3] .

ن - وفي كتاب إلى وائل بن حجر ، وإلى مشايخ قبائل حضرموت ، وَضَعَ النبي ﷺ القواعدَ المنظمة للزكاة على الحيوانات والمجوهرات الثمينة [4] . وتضمن هذا الخطاب أيضا العقوبة على الزنا ، وشرب الخمر [5] .

ثانيا : الموضوعات السياسية والإدارية :

إنَّ الوثائقَ من هذا النوع كانت تكتب وتسلم إلى الناس في فترة ما بعد

(١) طبقات ابن سعد (٧ : ١ : ٧٢) الوثائق السياسية ، وثيقة رقم (٧٨) أ .

(٢) طبقات ابن سعد (٧ : ١ : ٧٢) ، والوثائق السياسية ، وثيقة رقم (٧٨) أ ، والمعارف (١٣٧) .

(٣) طبقات ابن سعد (١ : ٢ : ٢٣ ، ٢٤) ، الوثائق السياسية ، وثيقة رقم (١٧٧) .

(٤) طبقات ابن سعد (١ : ٢ : ٣٥ ، ٧٩) ، البيان والتبيين للجاحظ (٢ : ٢٧) ، العقد الفريد (١ : ١١٢) جمهرة رسائل العرب (١ : ٥٨ - ٦٠.) ، الوثائق السياسية ، الوثيقة رقم (١٣٣) ، نهاية الأرب (١٨ : ١١٣) ، صبح الأعشى (٢ : ٢٤٦) ، (٦ : ٣٧١ - ٣٧٤) .

(٥) الوثائق السياسية ، وثيقة (١٣٣) ، وصبح الأعشى (٦ : ٣٧١ - ٣٧٤) .

الهجرة ، ويمكن تقسيم هذه النوعية من الموضوعات إلى الفئات التالية :

١ - المعاهدات ، والمواثيق ، والاتفاقيات :

أ - الاتفاقية مع قبيلة ضمرة :

لقد تم عقد اتفاقية عدم اعتداء تماماً بمثل تناول هذا المصطلح في عصرنا الحالي ، بينَ النبي ﷺ وبني ضمرةُ ، وذلك في غزوة الأبواء في السنة الأولى ، أو الثانية للهجرة وتنص هذه الاتفاقية على أمن وسلامة الأشخاص وممتلكاتهم من قبيلة بني ضمرة ، وفي مقابل هذا يتلقي النبي ﷺ المساعدات منهم عند حدوث أي عدوان على المدينة (١) .

وربما تكون هذه المعاهدة أولِ معاهدة بين المسلمين وبين قبائل المدينة (٢).

ب) المعاهدة مع قبيلة غطفان :

لقد عقدت مسودة معاهدة بين المسلمين وقبيلة غطفان أثناء غزوة الخندق سنة ٥ هـ ، ولكونها لم تعاد صياغتها فقد تبعثرت واندثرت ، وكذلك المعاهدة التي وصفتها المراجع بمعاهدة الكتاب والصحيفة (٣) .

جـ) معاهدة الحديبية :

لقد تم عقد هذه المعاهدة بين المسلمين وأهل مكة سنة ٦ هـ

---

(١) طبقات ابن سعد (١ : ٢ : ٢٧) و (٢ : ١ : ٣) ، جمهرة رسائل العرب (١ : ٧.) ، الوثائق السياسية ، (وثيقة رقم ١٥٩ ، ١٦٠.) ، إمتاع الأسماع (١ : ٥٣) . و Siyasi Zindigi (247)

(٢) Siyasi Zindigi (247) .

(٣) سيرة ابن هشام (٦٧٦) ، طبقات ابن سعد (٢ : ١ : ٥٢ - ٥٣) ، تاريخ الطبري (١ : ١٤٧٤) ، إمتاع الأسماع (١ : ٢٣٥) ، الوثائق السياسية، وثيقة رقم (٨) .

وهي معروفة للجميع وقد حفظ نصها مع كل الأعمال التي تمت في هذه الفترة المبكرة (١) .

د) الاتفاقية مع أكيدر حاكم أهل دومة الجندل :

لقد عُقِدَت هذه المعاهدة بين النبي ﷺ وأكيدر حاكم دومة الجندل سنة ٩ هـ (٢) ، واتباعاً لعادة أهل الحيرة الذين اعتادوا أن يبصموا على وثائقهم والذي كان عادة يتم بالضغط لا بالإبهام بل بالظفر (٣) ، وختم

---

(١) الأموال (١٥٧ - ١٦٠) ، سيرة ابن هشام (٧٤٧ - ٧٤٨) ، المغازي للواقدي (٣٨٨) ، طبقات ابن سعد (٢ : ١ : ٧٠ - ٧١) ، الخراج (١٢٩) تاريخ الطبري (١٥٤٦ - ١٥٤٧) ، إمتاع الأسماع (١ : ٢٩٧ - ٢٩٨) ، العقد الفريد (٢٠) ، جمهرة رسائل العرب (١ : ٣٠ - ٣٢) ، صبح الأعش (١٤:٤) ، الوثائق السياسية ، وثيقة رقم (٢) ، صحيح البخاري (٢ : ١٦٧ - ١٦٨) ، في كتاب الصلح ، و (٢ : ١٧٢) في كتاب الشروط ، و (٣ : ١١٦، ١١٧ ، ١٤٣) في كتاب المغازي .

(٢) الأموال (١٩٤ - ١٩٥) ، طبقات ابن سعد (١ :٢ : ٣٦) ، فتوح البلدان (٧٢ - ٧٣) ، صبح الأعشى (٦ : ٣٧٠) ، الوثائق السياسية ، الوثيقة رقم (١٩٠) .

(٣) ففي الحفريات الأثرية لوثائق العقود لفترة ما قبل المسيحية اكتشفت هذه الوثائق منقوشة على الطوب المحَرْوق ولا تحمل توقيعاً بالظفر فقط ، بل وجد هذا التوقيع من الظفر نفسه ، ووجد ثابتاً لم يتغير .

أنظر حميد الله : صحيفة همام (١٨) ،

Neubabylonische Rechts - und Verwaltung Texte (37 , Tafel 38) and Hammvrabi Code P ii , Meissuer , Babylonien und Assyrien I,178 .

النبي ﷺ أيضاً هذه الوثيقة بظفره [١] وفعل النبي ﷺ هذا ليرضي أكيدر حاكم دومة الجندل الذي كان في الأصل من الحيرة ، ذلك المكان الذي انتشرت فيه هذه العادة .

وهذه الوثيقة التي كتبت على ورق أبيض (قديم = صحيفة بيضاء) حفظت على الأقل حتى عصر أبي عبيد (المتوفي سنة ٢٢٤ هـ) الذي لم يقرأها فحسب بل نسخها أيضاً وقال فيها : : « أما هذا الكتاب ، فقد قرأت نسخته ، ونسخته حرفاً بحرف » [٢] .

هـ) معاهدة السلام مع أهل أيلة :

لقد عُقِدَت معاهدة سلام بين النبي ﷺ وأهل أيلة عندما زار يوحنا بن رؤبة النبي ﷺ أثناء غزوة تبوك [٣] .

وعلى الرغم من أن الأستاذ « Serjeant » يشكك في صدق خطاب النبي ﷺ الذي أرسل إلى حكام الأقطار المجاورة ، إلا أنه يعتبر

---

(١) طبقات ابن سعد (٢ : ١ : ١٢٠) ، صبح الأعشى (٢ : ٢٤٦) ، جمهرة رسائل العرب (١ : ٤٩ ، ٥٠) ، التراتيب الإدارية (١ : ١٧٩) ، الوثائق السياسية ، وثيقة رقم (١٩٠) .

(٢) الأموال (١٩٤ ، ١٩٥) .

(٣) الأموال (٢٠٠) ، سيرة ابن هشام (٩٠٢) ، طبقات ابن سعد (١ : ٢ : ٢٨ ، ٢٩ ، ٣٧) ، الوثائق السياسية ، وثيقة رقم (٣١ ، ٣١ أ ، ٣٢) ، جمهرة رسائل العرب (١ : ٤٨) ، صحيح البخاري (٢ : ٢٩٣) في كتاب الجزية ، مسند الإمام أحمد (٥ : ٤٢٥) ، صحيح مسلم (٤ : ٥٦ ، ٥٧) ، في كتاب الفضائل .

هذه الوثيقة ، ووثائق أخرى غيرها لم تحظ بنفس الشهرة ، وأُرْسِلتْ إلى الحكام العرب بأنها صادقة وموثَّقَة [(١)] .

و) المعاهدة مع قبيلة بارق :

وتم عقد معاهدة أخرى مع أهْلِ بارق عندما زاروا النبي ﷺ ووقَّعَ هذه المعاهدة أُبي بن كعب ، وشهد علَيها أبو عبيدة بن الجراح ، وحذيفة بن اليمان [(٢)] .

ز) المعاهدة مع قبيلة أسلم :

وعقدت معاهدة سلام بين النبي ﷺ وقبيلة أسلم ، ونصت على التعاون المشترك ضد أي عدوان خارجي على أي طرف من طرفي المعاهدة ، وبدأت بهذه الكلمات : « هذا كتاب من محمد رسول الله إلى أسلم .... »[(٣)] .

ح) الاتفاقية مع قبيلة جهينة :

وتم عقد اتفاقية أخرى للتحالف بين النبي ﷺ وبين قبيلة جهينة نصت على شروط السلام [(٤)] .

وتضمنت هذه المعاهدة قانونا عن عُشْر محاصيل الفاكهة [(٥)] ، أما أن هذه المعاهدة قد وقعت بين هذه الأطراف فَواضح من مقولة وجدت في سيرة

---

(١) Serjeant , the constitution of Medina Iq v III , Nos 1 and 2 , p : 3

(٢) طبقات ابن سعد (١ : ٢ : ٣٥ ، ٨١) ، نهاية الأرب (١٨ : ١١٦) ، الوثائق السياسية ، وثيقة رقم (١٢٤) .

(٣) الوثائق السياسية ، وثيقة رقم (١٦٦) .

(٤) طبقات ابن سعد (١:٢:٢٤ ,٢٥)، الوثائق السياسية ، وثيقة رقم (١٥٢) .

(٥) المصدران السابقان .

ابن هشام ، ففي أعقاب الغزوة التي قادها حمزة والتي كانت مرسلة إلى عبس (مكان قرب ميناء ينبع) يذكر أن مجدي بن عامر الجهني توسط بين المسلمين وقريش لأنه تربطه صلة مصاهرة بالطرفين [(١)] .

ط) معاهدة السلام مع أهل مكناويني جنبة :

ويذكر أن النبي ﷺ دخل في اتفاقية سلام مع أهل منى سنة ٩ هـ ، وغطي نص هذه الوثيقة مساحة عدة صفحات وبدأت بهذه الكلمات : « هذا كتاب من محمد رسول الله ﷺ لجنبة ولأهل خيبر ومنى ولذريتهم [(٢)] » ونصت رواية أخرى على الآتى : « من محمد ﷺ : إلى أهل مكنه [(٣)] وبني جنبة » واعتبر البلاذري أن بني جنبة هم بني حبيبة [(٤)] ، وربما مرد هذا الخطأ يرجع إلى عدم وضع النقط المميزة للحروف .

والروايتان المختلفتان لنص الوثيقة يشيرا إلى أنهما نسخا من مخطوطة أصلية ، ولم يتم سماعهما مشافهة .

ى) المعاهدة مع ثقيف :

لقد عقدت هذه الإتفاقية بين النبي ﷺ وبين ثقيف في أخريات حياته ، وكانت هذه الوثيقة إلى حدما طويلة واحتوت على بنود وشروط وبمقتضاه منح النبي ﷺ أهل ثقيف الاستقلال وحقوقهم وامتيازاتهم ، ووعدهم

---

(١) سيرة ابن هشام (٤١٩) .

(٢) معجم الأدباء (١ : ٢٤٧ - ٢٤٨)، الوثائق السياسية ، وثيقة رقم (٣٤).

(٣) طبقات ابن سعد (١ : ٢ : ٢٨) ، فتوح البلدان (٧١ ، ٧٢) ، الوثائق السياسية ، وثيقة رقم (٣٣) .

(٤) فتوح البلدان (٧١) ، وطبعة (Geoje) ، ص (٦٠) .

بتأييدهم ضد أي عدوان بكافة أشكاله ، وبسبب وضعهم القوي ، فكانت معظم شروط المعاهدة في صالحهم [1] .

ولقد حفظ أبو عبيد النص الكامل للمعاهدة في كتابه الأموال [2] . ووجدت أجزاء منها في أعمال أخرى [3] .

ك) المعاهدة مع بني غِفار :

لقد عَقَدَ النبي ﷺ معاهدة سلام معهم في السنة الثانية من الهجرة ، ووفقا لهذه المعاهدة ، فقد وعدهم النبي ﷺ بحماية أنفسهم وأملاكهم ، في مقابل أن يساعدوا النبي ضد أي عمل من أعمال العدوان ، وكان يشار إلى هذه المعاهدة باسم « كتاب » [4] .

ل) المعاهدة مع أهل جرباء وأذرح :

عندما زار وفد من هاتين القبيلتين النبي ﷺ في السنة التاسعة من الهجرة تعهد النبي ﷺ لهم بحماية أرواحهم وممتلكاتهم ، في مقابل إلزامهم بأن يسلكوا مسلكا حميدا تجاه المسلمين ، وإلزامهم بتوفير الأمن والأمان والمساعدة عندما يلجأ المسلمون إليهم [5] .

---

(١) طبقات ابن سعد (١ : ٢ : ٣٣) ، العقد الفريد (١ : ١١٠) ، جمهرة رسائل العرب (: ٥٢ - ٥٣) ، الوثائق السياسية ، الوثيقة رقم (١٨١) .

(٢) الأموال (١٩٠ - ١٩٦) .

(٣) طبقات ابن سعد (١ : ٢ : ٣٣) ، سنن أبي داود (٣ : ٢٢٢ . ٢٢٣) الخراج ، حديث رقم (٣٠٢٥ - ٣٠٢٦)، الوثائق السياسية ، الوثيقة رقم (١٨١) .

(٤) طبقات ابن سعد (١ : ٢ : ٢٦ - ٢٧) ، الوثائق السياسية ، الوثيقة رقم (١٦١) .

(٥) طبقات ابن سعد (١ : ٢ : ٣٧) ، إمتاع الأسماع (١ : ٤٦٨ - ٤٦٩) والوثائق السياسية ، الوثيقة رقم (٣٢) ، (٣٣ أ) .

وقد اعتبر « Muir » هذه الوثيقة ووثائق كثيرة غيرها بأنها صحيحة [١].

م) المعاهدة مع أهل نجران :

فضلا عن الخطاب الموجه إلى المسلمين في نجران ، والذي حمله « عمرو ابن حازم » [٢] ، فقد أملى النبي ﷺ وثيقة أيضاً بخصوص المسيحين من أهل نجران [٣] .

ونصت هذه الوثيقة ضمن ما نصت عليه على الحماية الكاملة لأرواحهم وممتلكاتهم ، وأعطاهم حرية كاملة في ممارسةِ ديانتهم ، ومنحتهم الوثيقة إستقلالاً ذاتيا ، وفي نفسِ الوقتِ ألزمهم بدفع الجزية ، والتي قدرت بحوالي (٢٠٠٠) حلس (وهو ثوب يمني) أو ما يعادلها وحرم عليهم الربا الفاحش .

وأكد أبو بكر على صدق المعاهدة التي كتبت بعد وفاة النبي ﷺ والتي تعد وثيقة أخرى يعترف فيها بالمعاهدة التي كتبها النبي ﷺ [٤] وصدق عليها عمر [٥] ، وعليّ [٦] بعد ذلك أيضاً .

---

(١) Mohme t, iv , 190 n .

(٢) السيرة (٩٦١ - ٩٦٢) ، الأم (٤ : ١٠٣) ، الأموال (٣٥٨ - ٣٦٢) الموطأ (٤ : ١٧٥ - ١٧٦) في كتاب العقول .

(٣) الخراج (٤١) ، طبقات ابن سعد (١ : ٢ : ٣٥ ، ٣٦ ، ٨٥) ، الأموال (١٨٨ - ١٨٩) ، فتوح البلدان (٧٦ - ٧٧) ، الوثائق السياسية ، الوثيقة رقم (٩٤) .

(٤) الخراج (٤١) ، تاريخ الطبري (١:١٩٨٧-١٩٨٨)، الأموال (١٨٩) .

(٥) الخراج (٤١) ، طبقات ابن سعد (١ : ٢ : ٨٥) ، الوثائق السياسية ، وثيقة رقم (١٠٠) .

(٦) الخراج (٤٢) ، الوثائق السياسية ، وثيقة رقم (١٠٤) .

ع) المعاهدة مع بني ذرعة وبني ربعة :

وأبرمت معاهدة أخرى بين النبي ﷺ وبين بني ذرعة ، وبني ربعة من قبيلة جهينة : يضمن فيها النبي ﷺ المحافظة على أنفسهم وممتلكاتهم ، وفي مقابل ذلك نصت المعاهدة على التعهد بالمساعدة ضد أي عدوان ، واشترطت المعاهدة أن يظلوا مخلصين لتعهداتهم ، وأن يتخلوا عن أي عمل من أعمال الخيانة (١) .

ف) المعاهدة مع بني الأشجع :

لقد قدم إلى النبي ﷺ وفد يصل المئة من الأشجع ، بقيادة مسعود بن رخيلة ، وذلك في عام الخندق وتوجهوا إلى شعب سلع وعرضوا على النبـــي ﷺ معاهدة سلام . ووافق النبي ﷺ وأملى معاهدة السلام التي نصت على التعاون المشترك والإخلاص في التعامل بين الطرفين (٢) .

ص) دستور المدينة :

أما عن أهم الوثائق السياسية لهذه الفترة فكانت « دستور المدينة » والتي نسخت بعد ظهور المجتمع المسلم في المدينة ، وعلى الرغم من أن هذا المصطلح أخذ الصبغة الحديثة وبالتالي لا يمكن استخدامه مع كلمة وثيقة الأ أننا يجب أن نعترف أن هذا الدستور كانت له كل مواصفات الدستور الذي يحقق متطلبات تلك الفترة .

ويعبر عن هذا حميد الله بقوله : « إنه أول دستور لدولة في تاريخ العالم » (٣).

---

(١) طبقات ابن سعد (١ : ٢ : ٢٤ ، ٦٦) ، الوثائق السياسية ، وثيقة رقم (١٥١)

(٢) طبقات ابن سعد (١ : ٢ : ٢٦ ، ٤٨ ، ٤٩) ، الوثائق السياسية ، وثيقة رقم (١٦٢) .

(٣) صحيفة همام بن منبه (١٥) .

ولقد وجد النص الكامل لدستور المدينة في سيرة ابن هشام وفي كثير من الأعمال التاريخية الأخرى (١) ، وفي بعض المصادر وجدت (٢) إشارات إلى هذا الدستور مقتطفة من الوثيقة الأصلية ، وقد تم الاحتفاظ بكثير من الوثائق السياسية من جانب جامعي الحديث ، مثل : ابن حنبل (٣) ، البخاري (٤) ، مسلم (٥) ، أبو داود (٦) ، الترمذي (٧) ، النسائي (٨) ، وابن ماجه (٩) .

---

(١) سيرة ابن هشام (٣٤١ - ٣٤٤) ، الأموال (٢٠٢ - ٢٠٧) ، الوثائق السياسية ، وثيقة رقم (١) ، جمهرة رسائل العرب (١ : ٢٥ - ٣٠) .

Social Structure (273 - 275) War and Peace (84 - 87)

(٢) طبقات ابن سعد (١ : ٢ : ٧٢ ، ٢١) ، (٢ : ١ ، ١٩ ، ٢٣) وتاريخ الطبري (١ : ١٣٥٩ - ١٣٦٧) ، تقييد العلم (٧٢) ، إمتاع الأسماع (١ : ٤٩ ، ١٠٤ ، ١٠٧) .

و Serjeant : (The Constitution of Medina) Iq : viii , Nos 1 & 2 , PP : 3 - 16

(٣) مسند الإمام أحمد (١ : ٧٩ ، ١١٩ ، ١٢٢ ، ٢٧١) و (٢ : ١٧٨ ، ١٨٠ ، ١٩٤ ، ٢٠٤ ، ٢١١ ، ٢١٥) و (٣ : ٢٢١ ، ٢٤٢ ، ٢٤٩ ، ٣٢١ ، ٣٤٢) ، (٥ : ١٤١)

(٤) صحيح البخاري (٢ : ٢٧٤ ، ٣٩٦) في كتاب الجزية ، و (٤ : ٤٢٨) في كتاب الاعتصام بالسنة .

(٥) صحيح مسلم (٢ : ٧٠٢) في كتاب العتق .

(٦) سنن أبي داود (٤ : ٢٥٢) في كتاب الديات ، حديث رقم (٤٥٣٠-٤٥٣١)

(٧) جامع الترمذي (٦ : ١٨٠ - ١٨٢) في كتاب الديات .

(٨) سنن النسائي (٨ : ٢٣ - ٢٤) في كتاب القسامة .

(٩) سنن ابن ماجه (٢ : ١٤٥) في كتاب الديات .

وقد تم الاحتفاظ بنسخة من هذه الوثيقة في غمد سيف النبي ﷺ ، واكتشفت بعدوفاته [١] .

(٢) العقود ، وقرارات العفو العام ، ومنح الأراضي :

وقد كتبت هذه الوثائق وسلمت إلى العديد من الأفراد والقبائل بعد الهجرة ، ولا بأس أن نقف هنيهة لنشير إلى بعض هذه العقود .

أ) قرار العفو العام عن سراقة بن مالك :

لقد كتب النبي ﷺ بعد الهجرة إلى المدينة كتاباً بالعفو العام عَنْ سُراقَةَ ابن مالك ، وأملاه النبي ﷺ ، وكتبه أبو بكر [٢] (وفي رواية أخرى : كتبه عامر بن فهيرة [٣]) ، ولقد أثبت هذا الخطاب على أن سراقة كان المنقذ لحياة النبي ﷺ أثناء فتح مكة [٤] .

ب) عقد إلى نمر بن تولب العقلي :

وفي سنة ٧ هـ اعتنق نمر الإسلام . وأعطاه النبي ﷺ عهدا كتابةً وكُتب هذا العقد على رق جلدي (قطع الأديم) وأرسل إلى بني زهير بن أكيس زعيم فيبلة عكى ، وفي هذه الوثيقة وعدهم النبي ﷺ بالحماية والأمان بشرط أن يؤمن رجال القبيلة بوحدانية الله ونبوة محمد ﷺ ، وألا يشركوا

---

(١) إمتاع الأسماع (١ : ١٠٧) ، صحيفة همام بن منبه (٣٠ ، ٣١) ، الوثائق السياسية ، وثيقة رقم (١) .

(٢) السيرة (٣٣٢) ، إمتاع الأسماع (١ : ٤٢ ، ٤٢١) .

(٣) مسند الإمام أحمد (٤ : ١٧٦)

(٤) سيرة ابن هشام (٣٣٢) .

بالله ، ويقيموا الصلاة ويؤدوا الزكاة ، ويعطوا النبي ﷺ الخمس من مغانم الحرب [١] .

جـ) العقد مع الأزرق بن عمرو :

لقد جاء الأزرق من سوريا وأخبر النبي ﷺ بأنه ليس لديه أقارب في مكة ولكنه يريد أن يقيم فيها وبناءً عليه أعطاه النبي ﷺ عهداً كتابةً قائلاً : بأن الأزرق وذريته من بعده مصرح لهم أن يقيموا في مكة ، ومسموح لهم بالزواج من أي قبيلة من قبائل قريش التي يرغبون في الزواج منها [٢] .

وظل محتفظا بهذه الوثيقة في عائلته حتى سنة ٨٠ هـ عندما فقدت أثناء الفيضان الذي أغرق منزله واكتسح أمامه كل محتويات بيته [٣] .

ى) العقد مع زيد الخير :

لقد كان زيد على رأس وفدٍ ضَمَّ خمسة عشر رجلاً من قبيلة طيء من الذين وفدوا على النبي ﷺ ، وكان في ذلك الوقت معروفاً بزيد الأكحل ، وغَيرَّ النبي ﷺ كلمة الأكحل (وهي صفة لفرس) إلى الخير ، وفي هذا الاجتماع منحه النبي ﷺ من خلال العقد بعض الميزات وبعض الأراضي ، ولكن زيداً مات في طريق عودته إلى منزله ، ومن حدة انفعال زوجته وحزنها حرقت هذه الوثيقة [٤] .

---

(١) طبقات ابن سعد (١ : ٢ : ٣٠) ، مسند أحمد (٥ : ٧٧ ، ٧٨) ، الأموال (٢ : ١٢) ، صبح الأعشى (١٣ : ٣٢٩ ، ٣٣٠) ، سنن أبي داود (٣ : ٢١) في كتاب الخراج .

(٢) عيون الأخبار (٢ : ٢٠٠)

(٣) عيون الأخبار (٢ : ٢٠٠)

(٤) طبقات ابن سعد (١ : ٢ : ١٦٠) ، سيرة ابن هشام (٩٤٧) ، تاريخ الطبري (١٧٤٧ - ١٧٤٨) .

هـ) العقد مع علكّ ذي خَيْوان :

لقد وفد عَكٌ إلى النبي ﷺ وأنبأه عن ممتلكاته ، وعن الرجال الذين اعتنقوا الاسلام من قبيلته ، ثم طلب من النبي ﷺ أن يكتب له مؤكداً على ملكيته للأراضي التي عنده بالفعل ، واستجاب النبي ﷺ لرجائه ، ومَنَحَهُ عقداً لا يؤكد على حقه في التصرف في أملاكه فحسب ، بل وَعَدَه بالأمان والحماية الكاملة لنفسه وأملاكة ، وقد كتب خالد بن سعيد بن العاص هذه الوثيقة [١] .

و) منحه لتميم الدّاري :

لقد عرف سكان الدار باسم الدّاريون ، وقد وفدوا على النبي ﷺ مرتين : مرة قبل الهجرة ، ومرة أخرى بعد الهجرة ، وأثناء وفادتهم الأولى طلبوا من النبي ﷺ أن يمنحهم بعض الأراضي وتلبية لرجائهم أعطاهم النبي ﷺ حَبْرون ، والمرطوم ، وبيت عينون ، وبيت إبراهيم وما فيهن ، وذلك من خلال عقد كتب على قطعة من الجلد (قطعة جلد من الأدَم) [٢] .

وبعد هجرة النبي ﷺ إلى المدينة أحضرت الوثيقة له لتجديدها ويذكر أن النبي ﷺ وافق على طلبهم وكتب لهم عقداً جديداً وبدأ بقوله : « بسم الله الرحمن الرحيم هذا كتاب من محمد رسول الله إلى تميم بن أوس الداري ،

---

(١) طبقات ابن سعد (٦ : ١٨) ، وسنن أبي داود في كتاب الخراج ، حديث رقم (٣٠٢٧) ، والوثائق السياسية ، وثيقة رقم (١١٦) .

(٢) قلت : هي قطعة جلد أدم مربعة دون الشبر قد غلفت بالأطلس الأبيض (المترجم) .

صبح الأعشى (١٣ : ١١٩) ، ونهاية الأرب (١٨ : ١٠٥ - ١٠٧) ، وجمهرة رسائل العرب (١ : ٧٠ - ٧١) ، والوثائق السياسية ، وثيقة رقم (٤٣ ، ٤٤) ، وطبقات ابن سعد (١ : ٢ :٢١ ، ٢ ، ٧٥)، الأموال (٢٧٤ - ٢٧٥) .

أمنحه (تميم) قرى حَبْرون ، والمرطوم ، وبيت عينون القريتين بكاملهما من سهول ، وتلال ، وواحات ، وأراضٍ مزروعة » (١) .

يذكر أن هذه الوثيقة وجدت عند عائلة تميم لمدة طويلة ، وبعد وفاة النبي ﷺ جددها أبو بكر ، وصدّق عليها (٢) ، وفي خطاباته إلى قائد جيوشه (أمير العسكر) في الشام أشار أبو بكر إلى الأراضي الممنوحة للداريين (٣) ، وأقرَّ عمر أثناء خلافته أيضاً بحقوق الداريين على أراضيهم ، ولكن أعطاهم ثلثها فقط ، وترك الثلثين لأبناء السبيل ومن أجل رفاهية المجتمع (٤) .

وكانت هذه الوثيقة موجودة حتى عصر القلقشندي (م - ٨٢١ هـ) الذي قال : « إن الجلد الذي كتب عليه العقد رآه بعض المعاصرين في أيدي بعض التميميين (٥) » .

ورغم صدق هذه الوثيقة إلا أنها كانت موضعاً للشك من جانب « كرنكو » الذي شك فيها على أساس أن أسماء الشهود (الخلفاء الراشدين الأربعة) أعطيت طبقا لتتابعها أو تعاقبها على التوالي (٦) .

---

(١) طبقات ابن سعد (١ : ٢ : ٢١ ، ٢٢) ، الخراج (١٣٢) ، صبح الأعشى (١٣ : ١٢١) ، جمهرة رسائل العرب (١ : ٧٢ - ٧٣) ، الوثائق السياسية ، وثيقة رقم (٤٤) .

(٢) الخراج (١٣٢) ، صبح الأعشى (١٣ : ١٢١) ، الوثائق السياسية ، وثيقة رقم (٤٦) .

(٣) صبح الأعشى (١٣ : ١٢٠ ، ١٢١)، الوثائق السياسية ، وثيقة رقم (٤٧)

(٤) صبح الأعشى (١٣ : ١٠٤)

(٥) صبح الأعشى (١٣ : ١٢٢)

(٦) Krenkow Grant of land by Muhammed to tamim ad - dari , Islamica 1924 , I , 529 - 532

إن الشك في صدق هذه الوثيقة على أساس أنها لا تبدو مؤكدة لتتابع أسماء الشهود ، ولكن مالذي يمنع أن يكون هذا التتابع قد حدث عرضاً ، وعلاوة على هذا ، فوجود لقب « عتيق » لاسم أبي بكر [١] يعطى إحتمالاً لصدق هذه الوثيقة ، فكلمة « عتيق » هي اختصار لكلمة « عتيق النار » (أي الشخص الذي يعتق من النار أو جهنم) ، وقد منح النبي ﷺ هذا اللقب لأبي بكر في إحدى المناسبات [٢] .

وكتابة عتيق التي نعت بها أبو بكر لا يمكن أن تعد عملاً من أعمال التزييف .

وعلاوة على هذا فإن الوثيقة التي حوت هذه الأسماء كشهود وفقاً لترتيبهم في الخلافة مسبوقة بسابقة تشبهها تماماً ، ولم تكن فريدة في نوعها ، وبالتالي عرضة للشك ، ووجد مثالٌ آخر في حالة صلح الحديبية تلك الاتفاقية التي تعدّ صادقة تماماً ، ولقد ذكر الشهود في هذه الاتفاقية بترتيبهم الآتي : أبو بكر ، عمر ، عبد الرحمن بن عوف ، عبد الله بن سهيل بن عامر ، سعد بن أبي وقاص ، محمود بن مسلمة ، مكرز بن حفص وعلي بن أبي طالب [٣] .

وبغض النظر عن الشهود الآخرين سنجد أن الثلاثة شهود الأول من الخلفاء قد ذكروا بترتيبهم ، أما حذف اسم عثمان كشاهد فمرده غيابه عن موقع الأحداث في هذه الواقعة .

وتواكبت هذه الحادثة مع حادثة أخرى مشابهة ذكر فيها أسماء الخلفاء

---

(١) يقرأ النص هكذا : « عتيق بن أبي قحافة » . صبح الأعشى (١٣ : ١٢٠ .)

(٢) طبقات ابن سعد (٣ : ١ : ١٢٠ .) ، وتذكرة الحفاظ (١ : ٣) .

(٣) السيرة (٧٤٨ - ٧٤٩) .

بترتيبهم في الوثيقة التي أعتق فيها النبي ﷺ عبده « أبو رافع أسلم » حيث وجدنا أسماء الخلفاء مرتبة طبقاً لترتيبهم في الخلافة (أبو بكر - عمر - علي) (١) .

وفي ضوء هذه الملاحظات يمكن أن نقول : أن الوثيقة التي أعطيت لتميم لا يمكن أن يساورنا الشك في صدقها على أساس أن أسماء الشهود ذكروا بترتيبهم ترتيباً متوالياً للخلافة ، وفضلاً عن هذا فحقيقة منح الأرض من خلال عقد (إقطاع) لم تكن شائعة يؤكد إحتمال أن هذه الوثيقة سلمت إلى قبيلة تميم ، وفضلاً عن هذا ، فالروايات عن تجديد النبي ﷺ لهذه الوثيقة بعد الهجرة ، وتجديدها أثناء خلافة أبي بكر ، واعتراف عمر بها يجعل من المتعذر التشكيك في هذه الوثيقة ، بل أثبت جميعهم أن هذه الوثيقة أعطاها النبي ﷺ لتميم ، أما بالنسبة لبقائها واستمرارها فمرجعنا في هذا القلقشندي وشهادته بوجودها أثناء حياته حتى القرن التاسع الهجري .

ز) منح الأرض لعباس السلمي :

عندما وفد عباس السلمي إلى النبي ﷺ وطلب منه قطعة أرض فقد أعطاها له بعقد ركيّة بالدثينة ، ووضع له عقداً (٢) .

ووجدة هذه الوثيقة عند عائلة عباس لمدة ثلاثة أجيال على الأقل ، ويذكر أن نائل حفيد عباس عرضها على أبي الأزهر الذي أخبر أنها كانت مكتوبة على حقة من الجلد أحمر اللون = (أدم أحمر) (٣) .

---

(١) الوثائق السياسية ، وثيقة رقم (٢٢٢) ، التراتيب الإدارية (١ : ٢٧٤)

(٢) طبقات ابن سعد (٧ : ١ : ٥٤) ، الوثائق السياسية ، وثيقة رقم (٢١ . أ)

(٣) طبقات ابن سعد (٧ : ١ : ٥٤) ، الوثائق السياسية (٢١ . أ) .

ح) عقد لعقيل بن كعب :

عندما زار وفُد من قبيلة عقيل النبي ﷺ منحهم « عقيقاً » بعقدٍ ، وهي عبارة عن أرض تحتوي على عيون مائية وأشجار نخيل ، وكتبت الوثيقة على جلد أحمر (أدم أحمر) وأرسلت هذه الوثيقة إلى ربيعة ، ومطرف ، وأنس [١] .

وأخيراً ظل هذا العقد بحوزة مطرف [٢] .

ط) منحة لعدّاء بن خالد بن هودة :

لقد منح النبي ﷺ لعداء بن خالد ، ولعدد من أهل قبيلة عامر بن عكرمة قطعة أرض تقع بين « مصباعة » « والزّح » ومنحهم عقداً بهذا ، وكتب هذا العقد خالد بن سعيد [٣] .

ى) عقد لرقّاد بن ربيعة :

لقد منحه النبي ﷺ مزرعة في الفلج وهي مدينة في اليمن ، وكتب بذلك وثيقة لتحفظها عائلته [٤] .

ك) منحة إلى ثور بن عروة القشيري :

لقد زار وفد من قبيلة بني قشير النبي ﷺ واعتنقوا الإسلام ، وفي مقابل هذا أعطاهم النبي ﷺ قطعة أرض في يمام ، وسدّ ، وكتب لهم وثيقةً بذلك [٥] .

---

(١) طبقات ابن سعد (١ : ٢ : ٤٥) ، الوثائق السياسية ، وثيقة رقم (٢١٦)

(٢) الوثائق السياسية ، رقم (٢١٦) .

(٣) طبقات ابن سعد (١ : ٢ : ٢٥) ، الوثائق السياسية ، وثيقة رقم (٢٢٣) .

(٤) طبقات ابن سعد (١ : ٢ : ٤٦) ، الوثائق السياسية ، وثيقة رقم (٢٢٦) .

(٥) طبقات ابن سعد (١ : ٢ : ٤٦ - ٤٧) ، الوثائق السياسية وثيقة رقم (٢٢٧) .

ل) عقد لعبد القيس :

منح النبي ﷺ عقداً لقبيلة عبد القيس . ووعدهم النبي ﷺ فيه بالأمان ، وحدَّدَ فيه أيضاً الحقوق والواجبات ، وبدأ العقد بالصيغة الآتية : « من محمد رسول الله إلى الأكبر بن عبد القيس [1] ستكونون في أمن وحماية الله ورسوله من أي عملٍ من الأعمال الدموية مثل التي كانت تحدث أيامَ الجاهلية [2] » .

م) عقد لِقَيْلَةَ وقبيلتها :

لقد كان هذا العقد عباره عن وثيقة كُتِبَتْ على قطعةٍ من الجلد الأحمر (قطعة من الأدم الأحمر) وسلمه النبي ﷺ لِقَيْلَة بنت مخرمة التميمية ، وتَعَهَّدَ النبي ﷺ في هذا العقد بحماية قبيلتها وضمان حقوقهم وامتيازاتهم [3] .

س) عقد لمالك بن أحمر الجذامي :

يُذكر أنه عند وصول النبي ﷺ إلى تبوك ، جاء مالك واعتنقَ الإسلام ، وبناءً على رغبته أَمْلى النبي ﷺ وثيقةً على قطعةٍ من الرق (قطعة من الأدم ، تَعَهَّدَ فيها النبي ﷺ بحمايَتِه وحماية المسلمين الذينَ اتبعوه ،

---

(١) وهذا الاسم غير معروف لكتاب السيرة ، وربما أرسلت هذه الوثيقة إلى لُكيز ابن عبد القيس ، والتي أصبحت نتيجة الخطأ في النسخ باسم الأكبر ، وتشير هذه الوثيقة بطريقه غير مباشرة إلى أنها نسخت من نصٍ مكتوب .

(٢) طبقات ابن سعد (١ : ٢ : ٣٢ ، ٣٣ ، ٥٤) ، والوثائق السياسية الوثيقة رقم (٧٢) ، والأموال (١٢) .

(٣) طبقات ابن سعد (١ : ٢ : ٥٨) ، والوثائق السياسية ، وثيقة رقم (١٤٢) ، والعقد الفريد (١ : ١٣٧ - ١٣٨) ، وسنن أبي داود (٣ : ٢٣٩) في كتاب الخراج .

وَوَعَدَهُم بهذه الحماية بشرط أنْ يقيموا الصلاة ، ويؤتوا الزكاة ، ويتبعوا المسلمين ، وألاَّ يُشْرِكوا باللّه ، وأن يَدْفعوا خُمْسَ الغنائم [١] .

ولقد وُصِفَتْ هذه الوثيقة في المصادر بأنَّ عَرْضها بلغ ما يعادل أربعة أصابع وأن طَولها بلغ الشبر [٢] .

ع) العقد لبني البكاء :

في العام التاسع من الهجرة وَفَدَ على النبي ﷺ وَفْدٌ مكون من ثلاثة رجال من قبيلة بني البكاء ، واعتَنَقُوا الإسلام ، وَأُظْهَرَ النبي ﷺ تجاههم كرماً عظيماً ، وعاملهم بكل احترام ، وعند عودتهم أعطاهم عقداً يضمن الأمن والسلامة لقبيلتهم .

وقد بدأت الوثيقة بالعبارة التالية « من محمد النبي ﷺ إلى فجيع (واحد من الثلاثة رجال الذين زاروا النبي ﷺ) وإلى هؤلاء الذين اعتنقوا الإسلام ، وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة ، وأطاعوا اللّه ورسوله ، ودفعوا خُمْسَ الغنائم للّه ولرسوله ، وساعدوا النبي ﷺ وأصحابه ، وآمنوا بالإسلام وتخلوا عن الشرك ، سيكونون في أمان من اللّه ورسوله [٣] .

ف) منحه لعبد الرحمن الأصم :

ينتمي عبد الرحمن إلى قبية بني البكاء ، ووفد النبي ﷺ مع أعضاء آخرين من الوفد ، وعرف في هذا الوقت باسم عمرو الأصم ، ولم يرق

---

(١) الجرح والتعديل (٤ : ١ : ٢.٣) ، الوثائق السياسية ، وثيقة رقم (١٧٤) .

(٢) الجرح والتعديل (٤ : ١ : ٢.٣) ، الوثائق السياسية ، نفس الوثيقة في الحاشية السابقة .

(٣) طبقات ابن سعد (١ : ٢ : ٤٧) ، والوثائق السياسية ، وثيقة رقم (٢١٧) .

الإسم للنبي ﷺ فأسماه عبد الرحمن ، ثم أعطاه وثيقةً تؤكد على حقه في إمتلاكِ واحة تسمى « ذا القصة » وكانت بالفعل ضمن أملاكه [1] .

ص) منحه من الأرض لمجّاعة بن مُرارة :

وَمَنَح النبي ﷺ الفورَة وغرابة وحُبَل إلى مُجَّاعة ، وكتب له وثيقةً بهذا ومن خلال هذه الوثيقة جَعَلَه النبي ﷺ المالك الوحيد ، وأضافَ شَرْطاً قائلاً « إذا نازعك أي شخص فارجع إليَّ « أي إلى النبي ﷺ » [2] .

ق) عقد لبلال بن الحارث المزني :

لقد مُنِحَ بلال ملكية القَبَليَّة الواقعة قرب فرع ، وكذلك أراضٍ منزرعة ، وذلك بعقد أصْدَرَهُ النبي ﷺ لصالحه ، وكانت الأراضي الممنوحة له تضم أجزاء من الأرض المنزرعة بالقدس ، والنحل ، الجزعة ، والمضة ، والجزع وحيلة وكل العقيق [3] .

وظل بلال مالكا لهذه الأراضي حتى خلافة عمر الذي قال لبلال بعد أن تولى الخلافة : « ليس بامكانك أن تستفيدَ من كل هذه الأملاك » وطلب منه أن يوزع هذه الأملاك باستثناء أملاكه الخاصة [4] .

---

(١) المصدران السابقان .

(٢) الأموال (٢٨٠ - ٢٨١) ، فتوح البلدان (١٠٢ - ١٠٣) ، الوثائق السياسية ، وثيقة رقم (٦٩ ، ٧٠) ، جمهرة رسائل العرب (١ : ٦٦ ، ٦٧) .

(٣) الأموال (٣٣٨ - ٣٣٩) ، الخراج (٣٥) ، الموطأ (٢ : ١٠٠) في كتاب الزكاة ، الوثائق السياسية ، الوثائق (١٦٣ - ١٦٥) ، طبقات ابن سعد (١ : ٢ : ٢٥) ، سنن أبي داود (٣ : ٢٣٥ - ٢٣٦) ، في كتاب الخراج ، حديث رقم (٣٠٦١ - ٣٠٦٣) .

(٤) الخراج (٦١ ، ٦٢) .

ويبدو أن هذه الوثيقة التي صدرت لصالح بلال ظلت موجودة لدى عائلته مما يقرب من قرن ، لأنَّهُ يُذْكَر أنها أحضرت إلى عمر بن عبد العزيز (م - ١٠١ هـ) الذي تسلمها بتبجيل مهيب [١] .

ومن الجدير بالذكر أن نلاحظ أن الشركة الأمريكية نجحت في استخراج الذهب بعد كشفها لمنجم في قرية تسمى « قبيل » والإسم قريب الشبه بإسم القبلية « واستمر هذا المنجم يستخرج منه الذهب لمدة عامين . ووجدَ بالقرب من هذا المنجم أصلاً مخطوطاً خاصاً بعقد النبي ﷺ لبلال بن الحارث [٢] .

ر) عقد لمالك بن النُّمَط :

في العام التاسع من الهجرة جاء وَفْدٌ من هَمْدَان إلى النبي ﷺ فكتب لقائدها وسلم له عقداً يَضمن لهم السلام والأمن ، ومنحتهم الوثيقة أيضاً بعض الامتيازات لمالك ولأعضاءِ القبيلة الذين اعتنقوا الإسلام [٣] .

أما بالنسبة لبقاء هذه الوثيقة وعدم إندثارها فيقول ابن الكلبي (المتوفى سنة ٢٠٦ هـ) : إنها لا تزال (أى حتى سنة ٢٠٦ هـ) محفوظة لدى عائلة مالك (هو الآن في يدهم) [٤] .

---

(١) الأموال (٣٣٩) .

(٢) Siyasi Zindigi (253) .

(٣) السيرة (٩٦٣ - ٩٦٤) ، طبقات ابن سعد (١ : ٢ : ٧٣ - ٧٤) ، صبح الأعشى (٦ : ٣٧٤) ، تاريخ الطبري (١ : ١٧٣٢) ، الوثائق السياسية ، الوثيقة رقم (١١٣) .

(٤) أسد الغابة (٤ : ١ : ٢٩٤ - ٢٩٥) .

ش) منحة من الأرض لخالد بن ضِماد الأزدي :

لقد أعطى النبي ﷺ عقداً لضماد [1] يمنحه فيه الأراضي التي كان يملكها حين اعتنق الإسلام ، ووعدت الوثيقة أيضاً بالمحافظة على روحه وممتلكات عائلته بشرط أن يتبعوا عقيدة الإسلام [2] .

ت) عقود أخرى :

بالإضافة إلى العقود التي أعطيت للأفراد والقبائل التي ذكرناها سابقاً فقد منحت وثائق أخرى : الأمان ، وكذلك الأرض كِتَابَة . ومن بين هذه المرسومات الخطية يمكن أن نذكر :

بنو الجُرموز ، عوسجة [3] بن حرملة الجهني [4] ، حصين بن أوس الأسلمي [5] ، جذام [6] ، أسقع بن شريح بن هريم [7] ، يزيد بن الطفيل [8] ، عبد يغوث بن وعلة [9] ، يزيد بن المحجّل [10] ، عاصم بن الحارث [11] ،

(١) لم يذكر أحد من مصنفي المصادر اسم هذا الشخص .

(٢) طبقات ابن سعد (١ : ٢ : ٢١) ، والوثائق السياسية ، وثيقة رقم (١٥٣) .

(٣) طبقات ابن سعد (١ : ٢ : ٢٤) ، والوثائق السياسية رقم (١٢٠) .

(٤) طبقات ابن سعد (١ : ٢ : ٢٤) ، والوثائق السياسية ، وثيقة رقم (١٥٤) .

(٥) طبقات ابن سعد (١ : ٢ : ٢٢) ، والوثائق السياسية ، وثيقة رقم (١٦٧) .

(٦) طبقات ابن سعد (١ : ٢ : ٢٣) ، صبح الأعشى (٦ : ٣٦٨) ، الوثائق السياسية ، ورقم (١٧٧) ، جمهرة رسائل العرب (١ : ٦٠ - ٦١) .

(٧) طبقات ابن سعد (١ : ٢ : ٦٩ - ٧١) ، نهاية الأرب (١٨ : ٩٥) ، الوثائق السياسية ، رقم (١٨٠) .

(٨) طبقات ابن سعد (١ : ٢ : ٢٢) ، الوثائق السياسية ، رقم (٨٢) .

(٩) طبقات ابن سعد (١ : ٢ : ٢٢) ، الوثائق السياسية ، رقم (٨٤) .

(١٠) طبقات ابن سعد (١ : ٢ : ٢٢) ، الوثائق السياسية ، رقم (٨٦) .

(١١) (١ : ٢ : ٢٣) ، الوثائق السياسية ، رقم (٨٨) .

حرام بن عوف [١] ، جنادة الأزدي [٢] ، أبو ظبيان [٣] ، ثمالة والحُدَّان [٤] ، أصيبعة بن عبد الله [٥] ، بنو ثعلبة بن عامر [٦] ، هداس رئيس قبيلة لخم [٧] الرهاويون [٨] ، جفينة [٩] وجابر بن ظالم الطائي [١٠] ، وغيرهم .

٣ - تعليمات للموظفين المدنيين :

ومن بين الوثائق المكتوبة في العصور المبكرة كانت التعليمات التي أرسلها النبي ﷺ إلى موظفي الأقاليم مثل القضاة ، جامعي الضرائب ، الحكام ، معلمي المدارس .

ومن المهم للغاية أن نلاحظ أنه في عصر النبي ﷺ كانت السلطة التنفيذية والسلطة القضائية ممتزجة معاً ، ولهذا رأينا معاذ بن جبل الذي تلقى أوامر النبي ﷺ مكتوبة أنه لم يكن جامعاً للضرائب ومفتشاً

---

(١) طبقات ابن سعد (١ : ٢ : ٢٦) ، والوثائق السياسية ، وثيقة رقم (٢١٤) .

(٢) طبقات ابن سعد (١ : ٢ : ٢٣) ، والوثائق السياسية ، وثيقة رقم (١٢١) .

(٣) طبقات ابن سعد (١ : ٢ : ٤٠) ، والوثائق السياسية ، وثيقة رقم (١٢٢) .

(٤) طبقات ابن سعد (١ : ٢ : ٨٢) ، والوثائق السياسية ، وثيقة رقم (٧٨) ، ونهاية الأرب (١٨ : ١١٦)

(٥) طبقات ابن سعد (١ : ٢ : ٢٧) ، والوثائق السياسية ، وثيقة رقم (٦٥) .

(٦) الوثائق السياسية ، رقم (٤٠) .

(٧) الوثائق السياسية ، رقم (٤١) ، وطبقات ابن سعد (١ : ٢ : ٢١) .

(٨) الوثائق السياسية ، رقم (١١٧) ، وطبقات ابن سعد (١ : ٢ : ٧٦) ، وإمتاع الأسماع (١ : ٥٠٧) ، ونهاية الأرب (١٨ : ١٠٧) .

(٩) أسد الغابة (١ : ٢٩١) ، والوثائق السياسية ، رقم (٩٢) .

(١٠) الوثائق السياسية ، وثيقة رقم (١٩٨) .

للمدارس فحسب بل كان أيضاً قاضياً ، وكذلك كان عمرو بن حازم الذي أُرْسِلَ إلى اليمن بتعليمات تتعلق بالصدقات ، الفرائض ، السنن [١] ، والديات وهذا يوضح أنه لم يعين جامعاً للضرائب أو معلماً لأحكام العبادات ، أو حاكما فحسب ، بل كقاضٍ أيضاً .

ولأن المسئولين في هذه الفترة قد تم تعيينهم لممارسة مهام متعددة ، فقد اعتادَ النبي ﷺ أن يُرْسِلَ إليهم تعليمات شاملة خاصة بموضوعات متعددة ، ولهذا رأيناه يرسل تعليماته بخصوص الصلاة - الحج - الغنائم - الإحسان - الزكاة في خطاب واحد [٢] ، وأرسلت وثيقة أخرى إلى المسئولين بخصوص الزكاة - الغنائم ، الكبائر ، الحج ، الطلاق ، الصلاة ، والدية [٣] .

ومن بين التعليمات التي أرسلها النبي ﷺ كتابة إلى المسئولين [٤] يمكن أن نذكر الخطاب الذي أرسل إلى علاء بن الحضرمي ، وقد احتوى هذا الخطاب على قواعد خاصة بركني الإسلام : الصلاة ، والزكاة [٥] .

---

(١) الأموال (٣٥٨ - ٣٦١ ، ٣٨٧) .

(٢) السيرة (٩٦١ - ٩٦٢) ، تاريخ الطبري (١ : ١٧٢٧ - ١٧٢٩) ، الخراج (٤٢) ، الوثائق السياسية ، وثيقة رقم (١٣٧ - ١٤١) .

(٣) السيرة (٩٥٥ - ٩٥٧) ، تاريخ الطبري (١٧١٨ - ١٧٢٠) ، طبقات ابن سعد (١ : ٢ : ٢٠ ، ٨٤) و (٥ : ٣٨٦ - ٣٨٧) ، الوثائق السياسية ، أرقام (١٤٥ ، ١٤٦ ، ١٤٩) .

(٤) طبقات ابن سعد (٤ : ٢ : ٧٦) ، الوثائق السياسية ، رقم (٥٩ أ) .

(٥) جامع بيان العلم (٢ : ٢٧) .

وطلب النبي ﷺ من علاء بن الحضرمي في هذا الخطاب باعتباره حاكم البحرين أن يأخذ هذه الضرائب من الأغنياء ويوزعها على الفقراء ، وطبقا لروايات أخرى ، فالحضرميون في هذا الخطاب وجهوا لإقامة الصلاة وإيتاء الزكاة « باعتبارهما » ركنين أساسيين من أركان العقيدة الإسلامية .

وأرسلت تعليمات أخرى مشابهة إلى حذيفة بن اليمان الذي عين كجامع للضرائب في آزد أدبه وهي مكان بين عملن والبحرين [١] ، وأرسلت تعليمات أخرى مكتوبة إلى عامر الجهني [٢] ، وقبيصة بن المخارق [٣] ، باعتبارهما جامعي ضرائب .

وعندما أرسل أبو بكر في السنة التاسعة من الهجرة للحج على رأس وفد من الحجيج أرسل إليه النبي ﷺ كتاباً يحتوي على القواعد الخاصة بالحج ، وسلم على بن أبي طالب [٤] هذا الكتاب لأبي بكر ، ويمكن أن نذكر في هذا السياق التعليمات المكتوبة التي أعطاها النبي ﷺ إلى قوّاد الغزوات [٥] ، وأحياناً كانت هذه التعليمات تعطى مختومة ومرفق معها أمراً بألا تفتح قبل الوصول إلى الجهة المقصودة ، وعليه فقد أعطي عبد الله بن جحش كتاباً مرفق معه أمراً بالاً يفتحه « لينفذ ما به من تعليمات » إلا بعد يومين من رحلته [٦] ، وأرسلت تعليمات أخرى إلى قواد الغزوات وهم في طريقهم إلى المعارك .

---

(١) طبقات ابن سعد (٧ : ١ : ٧٢) ، الوثائق السياسية ، وثيقة رقم (٧٨أ)
(٢) الأموال (٦٠٥)
(٣) الأموال (٦١٠)
(٤) عيون الأخبار (١ : ١١٢)
(٥) صحيح البخاري (١ : ٢٧) ، في كتاب العلم .
(٦) طبقات ابن سعد (١ : ٢ : ٦٣) سيرة ابن هشام (٤٢٣ - ٤٢٤) و تاريخ الطبري (١ : ١٢٧٣ - ١٢٧٤) ، إمتاع الأسماع (١ : ٥٦) ، الكفاية (٤٤٧) ، عيون الأخبار (٢: ٤٠) .

ولنأخذ لذلك مثالا لقد كتب النبي ﷺ إلى سهيل بن عامر الذي كان في طريقه إلى مكة يقول : « لو وصلك خطابي هذا ليلاً لا تنتظر حتى الصباح ، ولو وصلك نهاراً لا تنتظر حتى المساء « لينفذ أوامره » [١] .

(٤) الكتب المرسلة إلى القبائل وإلى مشايخ القبائل ...

بالإضافة إلى كتب النبي ﷺ إلى الأفراد والقبائل والتي بموجبها منحهم قرارات العفو العام ، وكذلك الأراضي هناك كتب أخرى أرسلت إلى مشايخ القبائل ، وفي هذه الكتب إما كان يدعوهم إلى الإيمان بالإسلام ، أو يرسم لهم الخطوط العريضة للعقيدة الإسلامية وذلك بالنسبة لمعتنقي الديانات الإسلامية الجدد ، وكانت هذه الكتب ترسل إما بمبادرة شخصية منه ، أو بناءاً على طلب ، وقد أعطانا ابن سعد مزيداً من المعلومات عن هذه الكتب [٢] ، وأشار أبو عبيده في كتابه الأموال[٣] ، وأشار آخرون إلى هذه الكتب إشارات عابرة ، وسوف نستشهد ببعض الأمثلة ...

(أ) كتاب إلى بَني حَارثَة بن عمرو بن قُريظ ..

في كتاب أرسله النبي ﷺ إلى بني حارثة بن عمرو ، حيث دعاهم إلى اعتناق « الإسلام [٤] » ، وتقول المصادر أن المستلمين لهذا الكتاب «صحيفة » لم يقبلوا الدخول فى الإسلام [١] .

---

(١) عيون الأخبار (٢ : ٤٠) ، الوثائق السياسية ، وثيقة رقم (٢٢١) .
(٢) طبقات ابن سعد (١ : ٢ : ١٥ - ٣٨ . ٥٨)
(٣) الأموال (٢ : ١٢ ، ١٣ ، ٢٠ ، ٢١ ، ٢٣ ، ٢٤ ، ٢٧ ، ٣٧ ، ١٢٥ ، ١٨٨ ، ١٨٩ ، ١٩٠ ، ١٩٩ ، ٢٠٠ ، ٢٠١ ، ٢٠٢ ، ٢٧٣ - ٢٧٥ ، ٢٨٠ ، ٢٨٢) وغيرها .
(٤) الوثائق السياسية ، وثيقة رقم (٢٣٥ أ) ، وإمتاع الأسماع (١ : ٤٤١)
(٥) الوثائق السياسية ، وثيقة رقم (٧٧)، وإمتاع الأسماع (١:٤٤١) والمعارف (١١٤)

(ب) كتاب إلى أهل داما ...

يذكر أن النبي ﷺ أرسل كتاباً إلى أهل داما وكانوا يقطنون إحدى قرى عُمان ، يدعوهم في هذا الكتاب إلى الدخول في الإسلام ، وكانت عُمان في ذلك الوقت تحت حكم سلطان الفرس .

وهذا الخطاب من النبي ﷺ والذي وصل إلى داما وشهد عليه ووثقه أبو شداد ، وهو أحد القاطنين في هذه المنطقة ويقول : « عندما وصل إلينا كتاب النبي ﷺ ، المكتوب على قطعة من الجلد لم نجد الشخص الذي يحسن قراءته ، وبعد نصب في البحث وجدنا صبيا استطاع أن يقرأه لنا » [1] .

(جـ) كتاب إلى جُذَام أو « خزاعه » :

وأرسل النبي ﷺ كتاباً مشتركا إلى سعد هذيم شيخ مشايخ قبيلة قراعة وجذام ، حدد فيها القواعد الخاصة بالزكاة ، وطلب منهم أن يدفعوا الصدقة وخمس المغانم إلى مندوبيه وهما : أُبَيّ بن كعب ، وعنبسة ، أو أي مندوبين عنهم [2] .

(د) كتاب إلى نهشل بن مالك الوائلي ..

عندما زار نهشل النبي ﷺ بعد فتح مكة [3] كتب النبي ﷺ له وثيقة ولأفراد من قبيلته ، ووعده في هذه الوثيقة بالأمن والأمان له ولقبيلته : بشرط أن يؤمنوا بالإسلام ، ويقيموا الصلاة ، ويؤتوا الزكاة ، ويطيعوا الله

---

(١) الوثائق السياسية ، وثيقة رقم (٧٧)

(٢) طبقات ابن سعد (١ : ٢ : ٢٣ ، ٢٤) ، الوثائق السياسية ، وثيقة رقم (١٧٧) .

(٣) طبقات ابن سعد (١ : ٢ : ٤٩)

ورسوله ، ويهبوا خمس المغانم للنبي ﷺ ، وأن يشهروا اعتناقهم للإسلام وألا يشركوا بالله [١] ..

(هـ) كتاب إلى قطاع الطريق في تهامة ...

لقد كتب النبي ﷺ كتاباً إلى مجموعات مختلفة من لصوص قبائل كنانة مزينة ، حكم ، قارة ، والعبيد الذين تبعوه ، وفي هذا الكتاب وعدهم النبي ﷺ لا بالأمان وتحريرهم من العبودية فحسب ؛ بل أعطاهم العديد من الإمتيازات بشرط أن يعتنقوا الإسلام ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة [٢] ..

وبالإضافة إلى الوثائق التي ذكرناها سابقاً أرسل النبي ﷺ كتباً عديدة إلى قبائل مهرة [٣]، خيثمة [٤]، بني نهد [٥]، جرم [٦]، وإلى عشيرة كلب[٧] ،

(١) طبقات ابن سعد (١ : ٢ : ٣٣ ، ٤٩) ، الوثائق السياسية ، وثيقة رقم (١٨٩) ، نهاية الأرب (١٨ : ٥.)

(٢) طبقات ابن سعد (١ : ٢ : ٢٩) ، الوثائق السياسية ، وثيقة رقم (١٧٣)

(٣) طبقات ابن سعد (١ : ٢ : ٣٤ ، ٨٣) ، الوثائق السياسية ، وثيقة رقم (١٣٧ ، ١٣٨) ، نهاية الأرب (١٨ : ١١٧ - ١١٨)

(٤) طبقات ابن سعد (١ : ٢ : ٣٤ ، ٣٥ ، ٧٨) ، الوثائق السياسية ، وثيقة رقم (١٨٦) ، نهاية الأرب (١٨ : ١١١) .

(٥) طبقات ابن سعد (١ : ٢ : ٢٢) ، الوثائق السياسية ، وثيقة رقم (٨٩ - ٩١) ، صبح الأعشى (٦ : ٣٦٩ - ٣٦٩)

(٦) طبقات ابن سعد (١ : ٢ : ٦٩ - ٧١) ، الوثائق السياسية ، وثيقة رقم (١٨.) ، نهاية الأرب (١٨ : ٩٥)

(٧) طبقات ابن سعد (١ : ٢ : ٢٩ - ٣٤) ، الوثائق السياسية ، وثيقة رقم (١٩١ ، ١٩٢) ، العقد الفريد (١ : ١.٩)

وإلى بني الحارث [١] ، الأزد [٢] ، أهل هجر [٣] وملوك حمير [٤] ، وعُمان [٥] ...

(هـ) : كتب النبي ﷺ إلى حكام الدول المجاورة ...

في خلال الفترة من صلح الحديبة وحتى وفاته ﷺ أرسل النبي ﷺ كتباً عديدة يدعو فيها ملوك العرب وغير العرب [٦]، للدخول في الإسلام ، ومن بين أشهر هذه الخطابات كانت الخطابات الى الملك هرقل إمبراطور بيزنطة [٧] ،

---

(١) طبقات ابن سعد (١ : ٢ : ٢٢) ، الوثائق السياسية ، وثيقة رقم (٨١ ، ٨٣ ، ٨٥ ، ٨٧)

(٢) طبقات ابن سعد (١ : ٢ : ٢١ - ٢٣ ، ٤٠ ، ٧٦ ، ٧٧) ، الوثائق السياسية ، وثيقة رقم (١٢٠ - ١٢٣) ، نهاية الأرب (١٨ : ١٠٨)

(٣) طبقات ابن سعد (١ : ٢ : ٢٧) ، الوثائق السياسية ، وثيقة رقم (٦٠ ، ٦٠ أ) ، فتوح البلدان (٩٠ ، ٩١) ، الأموال (١٩٩)

(٤) طبقات ابن سعد (١ : ٢ : ١٩ ، ٢٠ ، ٣٢ ، ٨٤) و (٥ : ٣٨٦ ، ٣٨٧) ، السيرة لابن هشام (٩٥٥ - ٩٥٧) ، تاريخ الطبري (١٧١٨ - ١٧٢٠) ، الأموال (١٣ ، ٢١ ، ٢٧) ، سنن النسائي (٨ : ٢٨) ، فتوح البلدان (٨٢) ، نهاية الأرب (٨ : ١١٨) ، الوثائق السياسية ، وثيقة رقم (١٠٩)

(٥) الأموال (٢٠ - ٢١) ، الوثائق السياسية ، وثيقة رقم (٦٦) ، صبح الأعشى (٦ : ٣٨٠)

(٦) الأموال (٢٠ - ٢٤) ، تاريخ الطبري (١ : ١٥٥٩ - ١٥٦٠)

(٧) طبقات ابن سعد (١ : ٢ : ١٦ ، ١٦٢) ، المحبر (٧٥) ، الحيوان للجاحظ (١:٩٨) ، جمهرة رسائل العرب (١ : ٣٢-٣٥) ، تاريخ الطبري (١: ١٥٦٥) ، الأموال (٢٢ - ٢٤) ، الوثائق السياسية ، وثيقة رقم (٢٦ ، ٢٧ ، ٢٨) ، مسند الإمام أحمد (١:٢٦٣) ، و (٣ : ١٣٣ ، ٤٤١ ، ٤٤٢) و (٤ :٧٤ ، ٧٥) ، صبح الأعشى (٦ : ٣٧٦ - ٣٧٧) ، صحيح البخاري (١ : ٧) في كتاب بدء الوحي ، و (٤ : ٤١٧) في أخبار الآحاد ، (٤ : ٤٩٥) في التوحيد .

وإلى كسرى ملك الفرس [١] ، وإلى المقوقس ملك مصر [٢] وإلى النجاشي ملك الحبشة [٣] ، ووجدت نصوص هذه الخطابات في الأعمال التاريخية وغير التاريخية ، حيث أصبح صدق هذه الكتب ليس موضعاً للشك ، ويذكر الجاحظ هذه الخطابات مع أشياء أخرى ليبين أهمية الكتابة ، وتأكيداً لصحة هذه الكتب يقول :

« فإذا لم يكن النبي ﷺ راغباً في الكتابة لما أرسل خطاباً مكتوباً إلى كسرى ، وقيصر ، والنجاشي ، والمقوقس ، وبني الجلندة ، وملك عمان ، وعباهلة ملك حمير ، وهوذة بن علي ، وكثير من الملوك العظام .

ولكن لأن النبي ﷺ يعرف أن الكتابة أفضل وسيلة لنشر رسالته ، فقد تبنى هذه الطريقة ، ألا وهي طريقة الكتابة [٤] .

وعلى الرغم من الإشارات المتكرره إلى هذه الخطابات في الأعمال

---

(١) تاريخ الطبري (١ : ١٥٧١ - ١٥٧٢) ، الأموال (٢٣) ، الوثائق السياسية ، وثيقة رقم (٥٣) ، صبح الأعشى (٤ : ٢٩٦ ، ٣٧٧ - ٣٧٨) ، جمهرة رسائل العرب (١ : ٣٥ ، ٣٦) ، المحبر لابن حبيب (٧٧) ، الحيوان (١:٩٨) ، طبقات ابن سعد (١ : ٢ : ١٦) ، صحيح البخاري (١ : ٢٧) في كتاب العلم ، و (٢ : ٢٣٢) في الجهاد ، و (٤ : ٤١٧) في أخبار الآحاد ، وتاريخ بغداد (١ : ١٣٢) ، ومسند أحمد (٤ : ٧٥) .

(٢) طبقات ابن سعد (١ : ٢ : ١٦) ، فتوح مصر (٤٦ ، ٤٧) ، الخطط للمقريزى (١ : ٢٩) ، المحبر (٧٦) ، الحيوان (١ : ٩٨) ، الوثائق السياسية وثيقة رقم (٤٩ ، ٥٠) ، وصبح الأعشى (٦ : ٣٧٨)

(٣) تاريخ الطبري (١ : ١٥٦٩) ، المحبر (٧٦) ، الحيوان (١ : ٩٨) ، الأموال (٢٣ ، ٢٤) ، أسد الغابة (١ : ٦٢) ، صبح الأعشى (٦ : ٣٧٩) ، الوثائق السياسية ، وثيقة رقم (٢١ ، ٢٢ ، ٢٣)

(٤) الحيوان (١ : ٩٨)

التاريخية إلا أن المستشرقين الغربيين راودتهم الشكوك حول مصداقية هذه الخطابات ولاحظ Quoting Caetani's Annali في طبعته لتاريخ الطبري بتعليق « Wensinck » أن الكتب التي أرسلت إلى الملوك العظام في هذه الفترة تدعوهم إلى اعتناق الإسلام ، هناك شك في صحتها إذا لم تكن هذه الأعمال كلها نوعاً من أنواع الخرافات (١) .

وأضاف أن « Dr. Vacca » الإيطالي ربما كان لديه كل الحق في الافتراض بأن هذه الأعمال ، والأعمال الأخرى المشابهة « يقصد إرسال النبي ﷺ الكتب إلى الملوك العظام في عصره » قد اخترعت للإعداد لتنفيذ وصية النبي ﷺ للغزاة الذين انضموا إلى الجيوش المحمدية في غزو ما يقرب من ربع العالم (٢) .

ومن بين العلماء المعاصرين « Prof. Serjeant » الذي أعلن صراحة بأن الكتب التي أرسلت إلي قيصر وكسرى والنجاشي عارية عن الصحة تماماً (٣) .

وعلى سبيل المثال أيضاً أعلن « Prof. M . Watt » بأن الروايات عن كتب الدعوة التي أرسلها النبي ﷺ إلي حكام الإمبراطوريات المجاورة له يتعذر قبولها وتصديقها (٤) .

---

(١) Wensink, the Muslim creed (7 , 8)

(٢) المصدر السابق صفحة (٨)

(٣) Serjeant , " the constitution of Medina " IQ , VIII , Nos 1 and 2 , P : (3)

(٤) Statesman , (177 , 194)

ولكن إذا وضعنا نصب أعيننا بأن هدف رسالة محمد عليه السلام كان نشر الدين الإسلامي في العالم [١] فإن الروايات عن السفارات في الأقاليم المختلفة ، وعند العديد من الحكام ، تجعل كل هذا مقبولا وقابلا للتصديق ...

بالإضافة إلى أن ختم النبي ﷺ الذي كان موجوداً حتى عصر عثمان [٢] يعطينا دليلاً ثانياً عن احتمالية مراسلاته إلى حكام العالم ، ويروي أن النبي ﷺ عندما أراد أن يكتب إلى الملوك أخبر النبي ﷺ أن الكتب بدون أختام رسمية كان لا يقبلها ملوك تلك الفترة [٣] .

ولأن النبي ﷺ كان مهتماً بصدق بإرسال هذه الكتب ، فقد أعد ختماً لهذا الغرض وعليه حفر إسم محمد رسول الله [٤] ، وبعد إكتشاف كتابين يحملان هذا التوقيع أصبح وجود هذا الختم أمراً مؤكداً [٥] .

وقد تم إثبات صحة عدد من الكتب مؤخراً بعد أن تم اكتشافهم بحالتهم الأصلية ولنأخذ مثالاً لذلك : لقد ظل الكتاب الأصلى الذي أرسل لهرقل

---

(١) وهذه الآيات القرآنية الكريمة التي يمكن أن نستشهد بها لتؤكد أن من خصائص الدين الإسلامي أنه دين عام وشامل ، هذه الآيات :

القرآن الكريم (٣ : ٩٦) ، (٦ : ٩٠) ، (١٢ : ١٠٤) ، (٢١ : ١٠٧) (٢٢ : ٢٥) ، (٢٥ : ٥٠) ، (٣٤ : ٢٨) ، (٣٦ : ٧٠) ، (٣٨ : ٨٧) ، (٦٧ : ٥٢) .

(٢) طبقات ابن سعد (١ : ٢ : ١٦٥)

(٣) طبقات ابن سعد (١ : ٢ : ١٦٢)

(٤) المصدر السابق

(٥) Journal asiatique , 1854, pp. 482 - 498 .; Watha ' iq, nos . 49,50 . ; Siyasi Zindigi, 153 . ; Rise of Islam, 364 - 365 . ZDmG , Xvii (1863) , pp . 385 - 388 . , Xlviii , p . 160 , ; Ic 1939, pp . 427 - 439 .

محفوظاً بحالته حتى وقت قريب [١] فأشار « Margoliouth » الذي يبدو أنه آمن بصدق هذا الكتاب إلى السنة التي أرسل النبي ﷺ هذا الكتاب إلى هرقل وقال :

« لقد اتفق الكتاب العرب والإغريق على تحديد سنة ٦٢٨ م السنة التي وصل فيها كتاب محمد ﷺ إلى هرقل بالرغم من أن السنة التي تلت ذلك تتفق أكثر مع الحديث الذي تسلمه في إودسة أو القدس » تلك السنة التي حج فيها ليشكر الله على نصره [٢] ..

ولقد ظلت الكتب إلى المقوقس [٣] والنجاشي [٤] ملك الحبشة في

---

(١) Hamidullah , " La Letter Du Prophete a Heraclius et le sort de l'ariginal " Arabica , (1955) , II, PP . 97 - 110 : Sahifa , 180 : Siyasi Zindigi , 190 - 192 .

(٢) Rise of Islam , 365 .

(٣) المحبر لابن حبيب (٧٦) ، الحيوان (١ : ٩٨) ، الوثائق السياسية ، وثيقة رقم (٤٩ ، ٥٠) ، طبقات ابن سعد (١ : ٢ : ١٦ ، ١٧) ، فتوح مصر (٤٦ ، ٤٧) ، خطط المقريزي (١ : ٢٩) ، صبح الأعشى (٦ : ٣٦٧ , ٣٧٨) .
وأيضاً : Journal asiatique 1854 , P (482 - 498) Siyasi Zindigi (153) : R ( ) ise of islam (364 - 365)

حيث أعيد طبع نسخة من الكتاب مذيل بها كتاب آخر إلى المقوس ، وهو الذي اكتشفه : M . Etienne Barthelemy

(٤) تاريخ الطبري (١ : ١٥٦٩ - ١٥٧٠) ، صبح الأعشى (٦ : ٣٧٩ ، ٤٦٦ , ٤٦٧)، الوثائق السياسية ، وثيقة رقم (٢١ , ٢٢ , ٢٣ , ٢٤)، المحبر (٧٦) ، الحيوان (١ : ٩٨) ، الأموال (٢٣ - ٢٤) ، أسد الغابة (١ : ٦٢)

JRAs , 1940 , p (52)

Siyasi Zindigi (125 - 131) .

حالتها الأصلية أما بخصوص الكتاب الذي أرسل إلى كسرى ملك إيران فيذكر أنه مزقه إلى قطع قبل أن يقرأه [١] ، وعلى الرغم من هذا فتظل حقيقة أن محمد ﷺ أرسل كتاباً له ليست موضع شك .

وعلى الرغم من الشكوك الخطيرة حول صحة هذه الكتب [٢] وكذلك المناقشات العديدة لإثبات زيف هذه الكتب من جانب العلماء الغربيين المشهورين مثل « Dunlop ، Monsieur welt Caetanii , Becker » [٣] إلا أن العلماء المسلمين اعتبروا هذه الكتب صادقة وصحيحة ، ويؤكد دكتور حميد الله بشدة على صدق هذه الخطابات [٤] .

وعلى الرغم من أنه من الصعب أنه نؤكد على أن نصوص هذه الكتب المذكورة في المصادر صحيحة تماماً فنوعية الأسلوب واللغة لبعض هذه

---

(١) الأموال (٢٣) ، تاريخ الطبري (١ : ١٥٧١ - ١٥٧٢) ، الوثائق السياسية ، وثيقة رقم (٥٣) ، طبقات ابن سعد (١ : ٢ : ١٦) ، صحيح البخاري (١ : ٢٧) في كتاب العلم ، و (٢ : ٢٣٢) في كتاب الجهاد ، ومسند الإمام أحمد (١ : ٢٤٣ ، ٣٠٥) ، و (٢ : ١٣٣) ، و (٤ : ٧٥) ، وتاريخ بغداد (١ : ١٣٢) .

(٢) Integration, 260 , referring buhl , Das Leben Mu-hammes , Leipzig , 1930 , 294 - 298.; Islamica , II , (1926), 135 - 149 , ; Medina , 345 - 347 .

(٣) Siyasi Zindigi , 128 , 139 , 180 , 143 , 144 .

(٤) Le Prophete De l' Islam , 205 - 207 , 212 - 216 , 254 ; Ic , Oct . , 1939, PP. 427 - 439 . Sahife, 180 .; Ma Jallat Uthma-niya, Vol . IX nos . 3 & 4 , 1936 , PP . 109 - 129 ; Siyasi Zindigi , 125 - 133 et passim .

الخطابات توضح التحريف في تاريخ بعضها ، ومع التحريف الذي أدخل على هذه الكتب إلا أننا لا ننكر أن النبي ﷺ قد أرسلها في السنوات الأخيرة من حياته ...

وبالإضافة إلى الخطابات التي أشرنا إليها فيما سبق فيذكر أن النبي ﷺ أرسل رسائل إلى « منذر بن ساوى » [١] وإلى « هوذة بن على [٢] » وإلى « الحارث بن أبي شمر الغسانى [٣] » ، وإلى « هلال » حاكم البحرين [٤] ، وإلى « الهرمزان [٥] » ، ووجدت نصوص هذه الخطابات في معظم المصادر القديمة فالكتاب الذي أرسل إلى منذر بن ساوى » والذي كان يحمل ختم النبي ﷺ قد اكْتشف ونُسِخ منه نسخة ونشرت في (ZDmG) في المجلد (١٧) ، ص (٣٥٨ -٣٨٨) ، لعام ١٨٦٣ .

وكان الموضوع الرئيسي لكل هذه الكتب دعوته ﷺ للمرسل إليهم للدخول في الدين الإسلامي ، والأهم من ذلك أن الظاهرة العامة في هذه الكتب إنها كانت مرسلة إلي الحكام خارج الجزيرة العربية ، وهذه الحقيقة

---

(١) طبقات ابن سعد (١ : ٢ : ١٩ ، ٢٧ ، ٢٨) ، و (٤ : ٢ : ٧٦) الخراج (١٣١) ، الأموال (٢٠) ، صبح الأعشى (٦ : ٣٦٨ ، ٣٧٦) ، الوثائق السياسية ، رقم (٥٦ ، ٥٧ ، ٥٨ ، ٥٩) ، تاريخ الطبري (١: ١٦٠٠) فتوح البلدان (٩١) ، عيون الأخبار (٢ : ٢٦٦) .

(٢) طبقات ابن سعد (١ : ٢ : ١٨) ، الوثائق السياسية ، وثيقة رقم (٦٨) فتوح البلدان (٩٧) ، صبح الأعشى (٦ : ٣٧٩) .

(٣) طبقات ابن سعد (١ :٢ : ١٧ - ١٨) ، تاريخ الطبري (١ : ١٥٥٩) ، الوثائق السياسية ، وثيقة رقم (٣٧) .

(٤) طبقات ابن سعد (١ :٢ : ٢٧) ، الوثائق السياسية ، وثيقة رقم (٦٧)

(٥) الوثائق السياسية ، وثيقة رقم (٥٤) .

توضح أن رسائل النبي ﷺ إلى الحكام لم يكن الدافع وراءها الرغبة في إقامة علاقات مع الدول المجاورة فحسب لدعم سلطته في الجزيرة العربية ، ولكن كان وراءها هدف أسمي وهو نشر العقيدة الإسلامية خارج الجزيرة العربية .

٦ - الإحصاء ...

وهناك نوع آخر من المادة المكتوبة في عصر النبي ﷺ ، ألا وهو سجل الإحصاء للسكان المسلمين ، وذكر البخاري أن النبي ﷺ تمنى ذات مرة أن يكون لديه إحصاء كاملاً بعدد المسلمين ، وأصدر أمراً بذلك قائلا : دون لي أسماء هؤلاء الذين يستطيعون الكتابة للإسلام ، ولهذا يقول « حذيفة » راوي الحديث : « لقد دونا له أسماء ألف وخمس مئة شخص » وذكر رقم (١٥٠٠) [١] بالتحديد يشير إلى أن الإحصاء ربما أخذ مكانته في السنة الثانية من الهجرة .

٧ - سجلات الحُروب ..

ومن المعروف أنه لم يكن هناك جيشاً قائماً بذاته في المدينة أثناء حياة النبي ﷺ ، ولهذا فأسماء الذين اشتركوا في المعارك قد دونت في سجل ، وهذا واضح من تقرير وجد في صحيح البخاري وفي مصادر أخري [٢] .

يذكر أنه ذات مرة جاء رجل إلى النبي ﷺ وقال : « لقد سجلت إسمي في

---

(١) صحيح البخاري (٢ : ٢٦٣) ، في كتاب الجهاد ، نهاية الأرب (٨ : ١٩٦) ، خطط المقريزى (١ : ٩٢) .

(٢) صحيح البخاري (٢ : ٢٦٣) في كتاب الجهاد ، و (٣ : ٤٥٣ - ٤٥٤) في كتاب النكاح ، وصحيح مسلم (٢ : ٥٩٦) في الحج ، وسنن ابن ماجه (٢:٢١٢) في كتاب المناسك .

الكثير من المعارك ولكن تريد زوجتي حالياً أن أصحبها في رحلة الحج [1] وعند سماع النبي ﷺ ، ذلك أعفاه من الإشتراك في الحرب وقال :

« إرجع وأدِّ فريضة الحج مع زوجك [2] » .

وهذا التقرير السابق يبين أنه في هذه الأيام كان من المعتاد عليه الإحتفاظ بسجل يدون فيه أسماء المتطوعين في الحرب [3] .

وفضلا عن ذلك فإن السجل قد استخدم في تسجيل مغانم الحرب وأسلوب إنفاقها ، وتوضيح المصادر أن النبي ﷺ عين موظفا خاصاً للحافظ على هذا السجل ، ويذكر أن « معيقيب بن فاطمة » قد عين لتنفيذ هذه المهمة [4] ..

٨ - قائمة بأسماء السفراء والرسل ...

يشير ابن إسحاق إلى مذكرة تحتوي على أسماء الرسل الذين أرسلهم النبي ﷺ إلى حكام الأقطار المجاورة رتحوى أيضاً التعليمات التي أعطاها النبي لهؤلاء السفراء عند رحلتهم ويذكر أن يزيد بن أبي حبيب المصري (المتوفى سنة ١٢٨ هـ) كان لديه هذا الكتاب وأرسله إلى الزهري الذي أقرَّ صحته وتوثيقه [5] .

---

(١) وكانت قواعد الحج تطلب أن تصحب الزوجة زوجها أو أحد أقاربها « المحرم أثناء حجها » .

(٢) صحيح البخاري (٢ : ٢٦٣) في الجهاد ، وسنن ابن ماجه (٢ : ٢١٢) في المناسك .

(٣) وكان عمر بن الخطاب هو أول من أدخل نظام السجلات الرسمية وربما قد يكون وجد سابقه لذلك في عهد النبي ﷺ .

(٤) العقد الفريد (٤ : ٢٤٦) ، الوزراء والكتاب (١٢)

(٥) سيرة ابن هشام (٩٧٢) .

وعلى الرغم من أننا لا نعرف على وجه الدقة متى كُتب هذا الكتاب لكن هناك احتمال أنه دون في عهد النبي ﷺ لأن القائمة الثانية بأسماء المسلمين وكذلك سجل الحرب كانتا قد تم إعدادهما بمبادرة من النبي ﷺ نفسه ، وهناك احتمال قوى بأنه قام بنفسه بإعداد قائمة هؤلاء السفراء ، ولهذا فنحن نميل إلى ضم هذا الكتاب إلى قائمة السجلات الرسمية التي دونت في حياة النبي ﷺ .

ثالثا : الصفقات التجارية وصفقات أخرى ...

وفي معرض بيان أهمية الكتابة ينص القرآن على ضرورة كتابة أي معاملات تجارية كبيرة كانت أم صغيرة ، ويشهد عليها على الأقل شاهدان [١] ومع وجود هذا الأمر القرآني لم يكن بمستغرب أن يدون النبي ﷺ بعد الهجرة [٢] كل المعاملات التجارية المختلفة ويحصرها ، والأمثلة التالية ستوضح أن بعض السجلات المكتوبة في حياة النبي ﷺ قد حفظت بهذا الشكل ...

أ) ذات مرة اشترى النبي عبداً من العداء بن خالد وسجل هذا كتابة ، وكان نص العقد بدأ بـ « هذا ما اشتراه محمَد رسول الله من العداء بن خالد » [٣] ..

ب) عندما أعتق النبي ﷺ مولاه أبو رافع أسلم أعطاه شهادة بذلك ، والجملة الإفتتاحية في هذه الوثيقة نصت على الآتي : « هذا كتاب

(١) ﴿ يا أيها اللذين آمنوا إذا تداينتم بدين إلى أجل مسمى فاكتبوه ﴾ القرآن الكريم (٢ : ٢٨٢)

(٢) والتركيز هنا على عمله في المدينة لأن هذه السورة نزلت بعد الهجرة .

(٣) صحيح البخاري (٢ : ٢) في كتاب البيوع ، طبقات ابن سعد (٧ : ١ : ٣٦) ، الوثائق السياسية ، وثيقة رقم (٢٢٤ ، ٢٢٤ أ) ، سنن ابن ماجة (٢ : ٣٢) ، في كتاب التجارات ، الاستيعاب (٣ : ١٦١ - ١٦٢) .

رسول الله لفتاه أسلم : إني أعتقك لله عتقاً مبتولاً ، الله أعتقك ، وله المن عليّ وعليك ، فأنت حر لا سبيل لأحد عليك إلا سبيل الإسلام ، وعصمة الإيمان » شهد بذلك أبو بكر وشهد عثمان ، وشهد علي ، وكتب معاوية بن أبي سفيان » (١) .

جـ) لقد منح محمد عليه السلام شهادة إعتاق من الرق لقبيلة أبي ضميرة ، وفي هذه الوثيقة أعتقهم النبي ﷺ وأعطى لهم الحرية في البقاء معه أو الرجوع إلى أهلهم (٢) .

ويذكر أن هذا الكتاب الذي احتفظت به عائلة أبي ضميرة حتى العصر العباسي عندما أحضر حسين بن عبد الله بن ضميرة هذه الوثيقة إلى الخليفة المهدي الذي إشتراه منه كأثرٍ مقدس عن النبيُ ﷺ ، وذلك مقابل ثلاث مئة دينار (٣) .

د) أما أهم الوثائق في هذه الناحية فكانت الفدية التي أعطاها النبي ﷺ لسلمان الفارسي ونصت الوثيقة على الآتي : « هذا ما فادى محمد بن عبد الله رسول الله فدى سلمان الفارسي من عثمان بن عبد الأشهل اليهودي ثم القرظي بغرس ثلاث مئة نخلة وأربعين أوقية ذهباً ، وقد برئ محمد بن عبد الله رسول الله لثمن سلمان الفارسي وولاؤه لمحمد بن عبد الله رسول الله وأهل بيته فليس لأحد على سلمان سبيل » . شهد على ذلك : أبو بكر الصديق وعمر بن الخطاب ... وكتب علي بن أبي طالب » (٤) .

رابعاً - المواعظ والأحاديث المتفرقه ... :

لقد مرت مناسبات كان الصحابة فيها متأثرين كثيراً بخطب النبي ﷺ

---

(١) التراتيب الإدارية (١ : ٢٧٤) ، الوثائق السياسية الوثيقة رقم (٢٢٢) .

(٢) المواهب اللدنية للقسطلاني (١ : ٢٩٨) ، المعارف (٤٨) ، الوثائق السياسية ، وثيقة رقم (٢٤٤) ، الإصابة (٢ : ٢١٤) ، الترجمة رقم (٤٠٢٤) ، جمهرة رسائل العرب (١ : ٦٩ - ٧٠) .

(٣) الوثائق السياسية ، وثيقة رقم (٢٤٤) .

(٤) ذكر أخبار أصبهان لأبي نعيم (١ : ٥٢) ، تاريخ بغداد (١ : ١٧٠) ، الوثائق السياسية ، وثيقة رقم (٢٤٣ أ) .

لدرجة أنهم طلبوا منه تدوينها وأخذها لهم وأهم وأشهر الأمثلة في ذلك تلك الخطبة التي ألقاها النبي ﷺ بمناسة فتح مكة في السنة الثامنة من الهجرة وكان أبو شاه اليمني ضمن المستمعين ، وتأثر بشدة بالخطبة ، وطلب من النبي ﷺ أن يدونها له ويذكر أن طلبه قد أجيب [١] .

أما بالنسبة للأحاديث المتفرقة فيذكر أن النبي ﷺ نفسه كان يملي أحاديث معينة في الأحكام ويرسلها إلى أفراد عديدين ، أو قبائل معينة ، ولنأخذ مثالاً لذلك فقد كتب ذات مرة إلى قبيلة جهينة قائلاً : « لا تضحوا بأعضب القرن والأذن » [٢] .

وعلى سبيل المثال عندما وفد على النبيُ ﷺ : عتبان بن مالك وروى أحد الأحاديث الدينية ، استحسن أنس هذا الحديث وطلب من أحد أبنائه أن يكتبه في حضور النبي ﷺ [٣] .

وبالنظر إلى حقيقة أن الكتابة كان يوظفها النبي ﷺ في موضوعات سياسية ودينية وإدارية وتجارية ، فلهذا كان من الطبيعي للغاية أن بعض الصحابة المنعلمين اهتموا بتسجيل الأحاديث على مسئوليتهم الخاصة ، ومن المهم في هذا السياق أن نشير إلى تعليق ماكدونند » الذي قال : « وفوق كل هذا لقد تم جمع سجل بكل الحالات التي أصدر فيهَا النبي ﷺ فتاواه وقراراته وذلك في كافة ردوده على الأسئلة الرسمية التي وجهت له في الحياة الدينية والعقيدة ، وكل هذا دونه الصحابة على الصحيفة وعلى

---

(١) تقييد العلم (٨٦) ، جامع بيان العلم (١ : ٧٠) ، أسد الغابة (٢ : ٣٨٤) ، صحيح البخاري (١ : ٤٠ - ٤١) في كتاب العلم ، و (٢ : ٩٥) ، في كتاب اللقطة ، و (٤ : ٣١٨) في الديات ، وصحيح مسلم (٢ : ٦٠٣ - ٦٠٤) في كتاب الحج .

(٢) مسند الإمام أحمد (٤ : ٣١٠ - ٣١١) ، وطبقة شاكر حديث رقم (١٢٩٣) ، والوثائق السياسية ، وثيقة رقم (١٥٦) .

(٣) تقييد العلم (٩٤) .

الورق العريض ، كما كانوا يفعلون في فترة الجاهلية بالنسبة للأقوال المأثورة وكذلك أقوالهم غير المأثورة [١] ...

وفي الواقع أننا نجد مرجعاً للنشاط الأدبي لأكثر من اثني عشر صحابياً كانت لهم مجموعاتهم الخاصة من الأحاديث ، وهناك إحتمال في أنه كان يوجد عدد آخر من العلماء المغمورين الذين احتفظوا بسجلات خاصة لسنن النبي ﷺ ؛ ولأن كافة هذه السجلات قد تمت بصورة خاصة فنحن نسميها سجلات غير رسمية لحياة النبي ﷺ .

السجلات غَير الرَسمية ... :

ومن بين السجلات غير الرسمية لهذه الفتره ، المذكرات الشخصية للصحابة والتي كانت تحتوي على أقوال النبي ﷺ وأعماله وموافقاته الضمنية ، وأثناء حياة النبي ﷺ كان الاهتمام الرئيسي للصحابة هو تنظيم حياتهم طبقاً للقواعد التي سَنَّها النبي ﷺ ، وكانت كلماته وأفعاله في أهمية وشرعية كتاب الله ، وكان كتاب الله لا يتلوه النبي ﷺ فحسب بل كان يبينه ويشرحه أيضاً ، وفي ظل هذه الظروف كان الإهتمام الطبيعي منصباً على ما يخرج من فمه الشريف ﷺ ، وما يفعله وما يوافق عليه بصورة ضمنية ، وبمعنى آخر احتلت الأحاديث أهمية خاصة منذ البداية . ولكن لأن أغلبية الصحابة كانوا غير قادرين على الكتابة فقد كان هناك فئة مختارة ومتميزة في حفظ كراسات خاصه بهم « صحيفَة » لتسجيل الأحاديث ، ولم يكن الاحتفاظ بالكراسات شيئاً وحيداً ؛ فلقد أوضحنا أنه منذ فترة طويلة قبل ظهور الإسلام اعتاد الناس أن يحفظوا الأقوال المأثورة « الحكمة » على مسئوليتهم الشخصية ويسجلوها كتابة

---

(١) Muslim Theology (75) .

بالمداد الأسود ، أما محمدٌ ﷺ الذي أحدث تغييراً جذريا في الحياة الإجتماعية والأخلاقية للعرب فكان أكثر الأشخاص أهمية في عيون الصحابة ، ولهذا فقد كان من الطبيعي أن تحظى كلماته وأفعاله بأهمية خاصة وتحفظ لا في الصدرو فحسب بل كتابة أيضاً وذلك بالمداد الأسود وعلى الواح بيضاء .

وعلى الرغم من أنه لم تتخذ أية ترتيبات رسمية من قبل النبي ﷺ لحفظ هذه المادة إلا أن الصحابة والتابعين من المحدثين قد جمعوا مجموعات من الأحاديث للإستخدام الخاص ، ويمكن مناقشة هذه المجموعات تحت العناوين الثلاثة الآتية : -

أ) صحيفة ونسخة ورسالة ومجلة وكتب الصحابة والتابعين .

ب) سجلات أخرى مكتوبة للصحابة .

جـ) سجلات أخرى مكتوبة من التابعين والمحدثين الأوائل .

أولاً الصحيفة والنسخه ... إلخ الخاصة بالصحابة والتابعين .. :

١ - كتاب سَعد بن عَبادة « المتوفى سنة ١٥ هـ .

لقد كان سعد واحداً من هؤلاء الأشخاص المتميزين في المدينة الذين حظوا بلقب الكامل [(١)] في فترة ما قبل الإسلام ، وهذا اللقب يتضمن [(٢)] أنه ملم بفن الكتابة حتى قبل ظهور الإسلام [(٣)] .

---

(١) من الأسماء الشهيرة التي حظيت بلقب الكامل في الجزيرة العربية قبل الإسلام : رافع بن مالك ، سعد بن عبادة أسيد بن حضير ، عبد الله بن أبي أوس بن خوالي ، سويد بن الصامت ، وحضير الكتائب .

(٢) في عرب ما قبل الإسلام كان هؤلاء الذين يجمعون بين معرفة فن الكتابة والسباحة والرمي بالسهام يلقبون بالكامل ...

(٣) طبقات ابن سعد (٣ : ٢ : ١٤٢) ، المعارف (٨٧) .

وبعد الإسلام وظف سعد الأنصاري الذي ينتمي إلى قبيلة الخزرج الكتابة لخدمة تسجيل أحاديث النبي ﷺ ، ودوّن هذه الأحاديث في كتاب [١] ، وبعد موته احتفظت عائلته بهذا الكتاب ، وبعد ذلك ، وجدنا ابنه راوياً للأحاديث من هذا الكتاب [٢] .

ويبدو أن سعداً كان مؤلفاً لأكثر من كتاب ، وهذا ما أشار إليه ابن حبيب الذي قال عنه في مذكراته في السيرة الذاتية لإسماعيل بن عمرو : « إن إسماعيل كان أخاً لسعيد بن عمرو الذي استلم كتب سعد بن عبادة الأنصاري عن طريق الوجادة » = « صاحب الوجادات من كتب سعد بن عبادة [٣] » وتشير بوضوح كلمة كتب في الرواية السابقة بأن سعداً كان يملك العديد من الكتب تسلم سعيد بن عمرو واحداً منها ...

٢ - كتاب معاذ بن جبل المتوفى « سنة ١٨ هـ » ... :

كان معاذ بن جبل والى اليمن المشهور حجة في الحديث والفقه [٤] ، واعتاد أن يعقد حلقات دراسية لدراسة الحديث في مساجد دمشق وحمص [٥]

---

(١) الأم (٧ : ١١٢) ، ودراسات إسلامية لجولد تسيهر (٢ : ٩ - ١٠ / ٢٢ - ٢٣) .

(٢) دراسات إسلامية لجولد تسيهر (٢ : ٩ - ١٠ / ٢٢ - ٢٣) ، جامع الترمذي (٦ : ٨٩) ، في كتاب الأحكام حيث نقرأ : أخبرني ابن سعد بن عبادة أنه وجد في كتاب سعد أن ... مسند أحمد (٥ : ٢٨٥) ، وتعجيل المنفعة لابن حجر (٣٦ ، ٣١٤) .

(٣) مشاهير علماء الأمصار ، ص (١٣٠) ، الترجمة (١٠٢٤) .

(٤) تذكرة الحفاظ (١ : ١٩ - ٢٠) .

(٥) سيرة ابن هشام (٩٥٧) ، وحلية الأولياء (٥ : ١٢١ ، ١٣٠) ، وتذكرة الحفاظ (١ : ١٩ - ٢٠) .

وكان دائماً مشغولاً بتعليم الدين في اليمن حيث تعلم شريح قاضي الكوفة الفقه من معاذ بن جبل [١] .

وكان لديه كتاب يحتوي على أحاديث تشريعية سلمها له النبي ﷺ أثناء تعينه واليا على اليمن [٢] ووصل هذا الكتيب إلى موسى بن طلحة [٣] وأصبح في حوزته .

وكان لديه أيضاً نسخة (كتاب) يحتوي على أحاديث ، وبعد وفاته أصبح في حوزة ابن عائذ [٤] .

٣ - كتاب عَبد الله بن مَسعود المتوفى سنة ٣٢ هـ ... :

إن ابن مسعود الذي يعد واحداً من « الفقهاء » الأساسيين الذي اتخذ - فيما بعد - أبو حنيفة - فقهه تحاصل من أصول مذهبه - [٥] ، كان عالماً مشهوراً في الكوفة حيث أرسَلَهُ الخليفة عمر معلماً [٦] هناك وقام بعقد حلقات دراسية منظمة للحديث في مسجد المدينة [٧] وظل المكان الذي اعتاد أن يعقد فيه حلقات الدراسة أثراً من الآثار الهامة حتى سنة ٣٤٥ هـ وذلك عندما زاره الحاكم النيسابوري وذلك أثناء زيارته للكوفة [٨] .

---

(١) منهاج السنة لابن تيمية (٤ : ١٤٢) .

(٢) السيرة لابن هشام (٨٨٦ - ٨٨٧) و (٩٥٦ - ٩٥٧) ، وحلية الأولياء (١ : ٢٤٠ - ٢٤١) ، والأموال (٢٧ ، ٣٧) .

(٣) مسند الإمام أحمد (٥ : ٢٢٨) .

(٤) المحدث الفاصل (٥٦ أ) .

(٥) كتاب الآثار لأبي يوسف (٢١٢) .

(٦) تذكرة الحفاظ (١ : ١٤) ، منهاج السنة (٤ : ١٤٢ ، ١٥٧) .

(٧) طبقات ابن سعد (٣ : ١ : ١١٠) ، معرفة علوم الحديث للحاكم (١٩١ - ١٩٢) .

(٨) معرفة علوم الحديث (١٩١ - ١٩٢) .

وعلى وجه العموم كان ابن مسعود واحدا من معارضي تدوين الحديث ويقال أنه أتلف كتاباً أحضر له للدراسة والتأمل [(١)] ولكن وجدنا رواية أخرى يقسم فيها ابنه أن لديه كتابا بخط والده [(٢)] وهذا يبين أن ابن مسعود اعتاد أن يدون الحديث بطريقة خاصة ولكن مثله مثل العلماء الآخرين الحريصين لم يشجع هذه العادة خشية أن لا تسجل الكلمات الحقيقية للنبي ﷺ ، وكان هذا واضحاً تماماً بسبب حقيقة أن ابن مسعود كان حريصاً للغاية في رواية الحديث ، وأحيانا يرتعش وهو ينسب أي كلمة بطريقة مباشرة إلى النبي ﷺ [(٣)] .

وفضلا عن الكتاب الذي أشرنا إليه آنفاً ، فقد كان لدى ابن مسعود عدداً من الأحاديث التي أرسلت إليه بشكل مكتوب من أبي موسى الأشعري [(٤)] .

٤ - كتاب أبي رافع « المتوفى سنة ٣٦ هـ .. :

لقد اعتاد أبو رافع « أسلم » خادم النبي ﷺ أن يروي الأحاديث على الصحابة والتابعين ، وكان لديه كتيب (كتاب) احتوى على أحاديث بخصوص الصلاة وقد سلمه إلى أبي بكر بن عبد الرحمن بن حارث بن هشام [(٥)] .

ويروى أن عبد الله بن عباس اعتاد أن يزوره ويستفسر منه عن أقوال

---

(١) جامع بيان العلم (١ : ٦٢ - ٦٥) ، تقييد العلم (٢٥ ، ٣٨ - ٣٩ ، ٥٣ - ٥٦) .

(٢) يقال ان ابنه عرض هذا الكتاب على معن . انظر جامع بيان العلم (١ : ٧٢) .

(٣) تذكرة الحفاظ (١ : ١٤ - ١٥) .

(٤) مسند الإمام أحمد (٤ : ٣٩٦ - ٤١٤) .

(٥) الكفاية (٣٩) .

(٦) تقييد العلم (٩١ - ٩٢) ، التراتيب الإدارية (٢ : ٢٤٧) ، طبقات ابن سعد (٢ : ٢ : ١٢٣) ، الإصابة المجلد (٢) ، الترجمة رقم (٤٧٨١) .

النبي ﷺ وأفعاله ، وعندما يروى أبو رافع الأحاديث كان ابن عباس إما يدون بنفسه ، أو يطلب من مولاه أن يفعل ذلك [(١)] ، وهذا يبين أن أبا رافع لم يكن لديه مجموعة خاصة من الأحاديث فحسب ، بل اعتاد أن يملي الأحاديث كذلك .

٥ - صحيفة على بن أبي طالب المتوفى سنة ٤٠ هـ .. :

إن الخليفة الرابع والمشرع المشهور وواحد من كتبة النبي ﷺ : على بن أبي طالب كان من المؤيدين بشدة للكتابة فهو لم يدون بنفسه فحسب ولكن شجع الآخرين ليسلكوا مسلكه ، ويروى أن الحارث بن الأعور [(٢)] وحجر بن عدي [(٣)] اشتريا بعض المواد المكتوب عليها مواعظ الإمام عليّ ، وحصلا على عدد قليل من الأحاديث المكتوبة لعلى ، في حين أن ابن عمه عبد الله ابن عباس كان لديه فتاواه الشرعية المكتوبة [(٤)] وهناك آخرون استقوا أحاديثهم منه بشكل مكتوب ، ومن بين هؤلاء ذُكِرَ : عطاء بن أبي رباح [(٥)] ، خلاس بن عمرو الجرمي [(٦)] ، والشعبي [(٧)] .

وفضلاً عن أنه كان كاتب النبي ﷺ وكتب نيابة عنه ، فقد وظف الكتابة بطريقة واسعة ، علاوة على أنه أعطى بعض الأحاديث المكتوبة للحارث ابن الأعور ، فيروى أنه أثناء موقعة صفين وافق على أن يقر كتابةً على شروط

---

(١) طبقات ابن سعد (٦ : ١١٦) ، تقييد العلم (٩٠) ، المحدث الفاصل (٣٥ أ) .

(٢) طبقات ابن سعد (٦ : ١٥٤) .

(٣) صحيح مسلم (١ : ٧) .

(٤) الجرح والتعديل في المقدمة ، ص (١٣٠) .

(٥) ميزان الاعتدال (١ : ٦٥٨) ، ترجمة رقم (٢٥٣٢) ، قواعد التحديث (٢ : ١٧٦ - ١٧٧) ، الجرح والتعديل (١ : ٢ : ٤٠٢) .

(٦) الجرح والتعديل (المقدمة) ، ص (١٣٠) .

(٧) طبقات ابن سعد (٦ : ١١٦) .

وبنود توقف الأعمال الحربية بينه وبين معاوية [١] .

وفي عام ٣٧ هـ كتب عقداً جديداً لأهل نجران [٢] ، وفضلاً عن كل هذا فقد كتب خطابات في مناسبات مختلفة .

أما بالنسبة للأحاديث المكتوبة والتي كانت في حوزة الإمام علي فيذكر على شهادته [٣] أنه كان يملك صحيفة [٤] احتوت ضمن ما احتوت عليه قوانين متعلقة بدية القتيل ، اعتاق العبيد ، وتحريم قتل المسلم للكافر أخذاً بالثأر أو انتقاماً منه [٥] ، واحتفظ بهذه الصحيفة في غمد سيفه (الجراب أو البطن) كما جرت العادة وقتئذٍ [٦] ، وفي الحقيقة فإنَّ المصادر ذكرت

---

(١) طبقات ابن سعد (٣: ٢ : ٢١) الطبري (١ : ٣٣٣٦ - ٣٣٣٨) ، الأخبار الطوال (١٩٤ - ١٩٦) ، الوثائق السياسية ، الوثيقة رقم (٣٧٢) ، قانون الحرب والسلام في الإسلام (١٠١)

(٢) الخراج (٤٢) ، الوثائق السياسية ، وثيقة رقم (١٠٤) ، طبقات ابن سعد (١ : ٢ : ٣٥ - ٣٦ ، ٨٥) ، فتوح البلدان (٧٦ - ٧٧) ، الأموال (١٨٩) ، تاريخ الطبري (١ : ١٩٨٧ - ١٩٨٨) .

(٣) صحيح البخاري (٤ : ٣٢٤) ، في كتاب الديات ، تقييد العلم (٨٨ - ٨٩) ، مسند الإمام أحمد ، طبعة شاكر ، ح (١٥)

(٤) صحيح البخاري (٤ : ٢٨٩) ، في كتاب الفرائض ، و (٤ : ٣٢٤) في كتاب الديات ، جامع الترمذي (٦ : ١٨١ - ١٨٢) في الديات .

(٥) مسند أحمد ، طبعة شاكر ، ح (١٥) ، جامع بيان العلم (١ : ٧٦) ، صحيح البخاري (٤ : ٣٢٤) في كتاب الديات ، الأم للشافعي (٧ : ١٦٤) في كتاب الديات ، و (٢٩٢:٧) في كتاب ديات أهل الذمة ، مسند الشافعي (١٠٤:٢) في كتاب الديات ، كتاب « MohammedAnism » لمرجليوث ص(٦٥) .

(٦) الأم (٦ : ٣) ، صحيح البخاري (٤ : ٤٢٥) في كتاب الاعتصام بالسنة ، و Islamic Quarterely , p (5)

وكتاب مرجليوث « Mohammed Anism » صفحة (٦٥)

صحفاً عديدة كانت مشدودة على سيفه واشتملت محتويات هذه الصحف على جملة الضرائب المقررة على الابل ، حدود المدينة (الحرم) باعتبارها مدينة مقدسة ، بعض النصوص المقتطفة من دستور المدينة ومواعظ النبي ﷺ التي ألقاها في حجة الوداع [١] .

وطبقا للمعلومات المقتطفة من دستور المدينة ومواعظ النبي ﷺ والتي وفرتها لنا المصادر الأولية عن محتويات الصحيفة لا بد أن نقول : ان هذه الوثيقة كانت تقيد مجرد صفحة أو عدة صفحات من الورق ولا تشير إلى كتيب أو كتاب .

ومن المحتمل كما يشير دكتور حميد الله إلى أن هذه الوثائق تنتمي أساساً إلى النبي ﷺ نفسه وبعد وفاته أصبحت ملكا للإمام علي [٢] ، وينهض هذا الإفتراض على أساس المعلومات المتوفرة بأن الإمام علي كان لديه سيف النبي ﷺ والمعروف باسم « ذو الفقار » [٣] والذي كان مشدوداً عليه دستور المدينة [٤] فعليّ باعتباره ابن عم النبي ﷺ وزوج ابنته ، ولكونه واحداً من الأعضاء المهمين في عائلة النبي ﷺ ، فقد كان واحداً من أكثر الأشخاص

---

(١) صحيح البخاري (٢ : ٢٩٦ ، ٢٩٨) في كتاب الجزية ، و (٤ : ٤٢٥) في كتاب الاعتصام بالسنة ، ومسند الشافعي (٢ : ١٠٤) في كتاب الديات ، وجامع بيان العلم (١ : ١٧١) ، تقييد العلم (٨٦ - ٨٩) ، دراسات إسلامية لجولد تسيهر (٢ : ١٤ - ١٦ / ٢٧ - ٢٨) ، توجيه النظر (١٦ - ١٨) و Muslim Ethics (47 - 48)

(٢) صحيفة همام بن منبه (٣٠ - ٣١)

(٣) طبقات ابن سعد (١:٢:١٧١-١٧٢) ، أنساب الأشراف (١ : ٥٢٥)

(٤) صحيفة همام بن منبه (٣٠ - ٣١) ، إمتاع الأسماع (١ : ١٠٧) ، بحوث في تاريخ السنة (١٤٧) ، وطبقات ابن سعد (١ : ٢ : ١٧٢)

إحتمالا بأن يكون لديه الوثائق التي في منزل النبي ﷺ [1] ، وأكثر من هذا فلأن محتويات صحيفة عليٍّ اشتملت إلى حدما على العديد من العبارات من دستور المدينة فمن المنطقي أن يعتقد دكتور حميد الله بأن الصحيفة المربوطة على سيف عليٍّ كانت في الواقع نفس الصحيفة التي كانت مربوطة على سيف النبي ﷺ [2] .

وبالإضافة إلى الصحيفة التي أشرنا إليها فيما سبق فيقال أن الإمام علي كان لديه كتاب عن الزكاة ، والضرائب [3] أملاه عليه النبي ﷺ نفسه [4] ، ويبدو أن محمد بن الحنفية أشار إلى هذا الكتاب عندما قال : « لقد أمرني أبي عليٌّ أن أسلّم هذا الكتاب إلى عثمان لأنه احتوى على تعليمات النبي ﷺ بخصوص الزكاة [5] ...

(٦) صحيفة محمد بن مسلمه (م - ٤٦ هـ)

كان محمد بن مسلمة أحد الثقات في نقل الحديث وكان يتخذ شاهد إثبات ليثبت صحة الاحاديث التي رواها المغيرة بن شعبة ، وذلك في مناسبتين : مرة في عهد أبي بكر [6] ، والثانية في عهد عمر [7] .

---

(١) إمتاع الأسماع (١ : ١٠٧)

(٢) صحيفة همام بن منبه (٣٠ - ٣١)

(٣) صحيح البخاري (٢ : ٢٧٧) في كتاب قرض الخمس ، مسند الإمام أحمد (١ : ١٤١) ، تقييد العلم (٨٨ - ٨٩)

(٤) صحيح البخاري (٢ : ٢٧٧) في كتاب فرض الخمس

(٥) صحيح البخاري (٢ : ٢٧٧) في كتاب فرض الخمس

(٦) عندما نقل المغيرة حديثاً بخصوص نصيب الأم في تركة المتوفى طلب أبو بكر فيه شاهداً ليؤكد ما إذا كان ما سمعه هو حديث النبي ﷺ ، وحينئذ أكد محمد بن مسلمة حديث المغيرة . انظر تذكرة الحفاظ (١:٣)، تدوين الحديث (٢٩٦ - ٢٩٧)

(٧) يذكر أن المغيرة روى حديثاً بخصوص الدية في قتل الجنين وليؤكد حديثه طلب منه عمر شاهداً وأتى محمد بن مسلمة تواً وأكد حديث المغيرة . انظر صحيح البخاري (٤ : ٣٢٥) في الديات ، وسنن أبي داود (٤ : ٢٦٦) في الديات ، الحديث رقم (٤٥٧٠) ، وتذكرة الحفاظ (١ : ٨)

أما بالنسبة لمجموعته المكتوبة من الأحاديث فيذكر أن صحيفته احتوت على أحاديث وجدت بعد وفاته في غمد سيفه [١] .

(٧) صحيفة حجر بن عدي (م - ٥١ هـ)

كان حجر أحد الثقات المؤمنين الذين انصب اهتمامهم الأساسي على الحديث ، وكان مهتماً برواية أحاديث عائشة أم المؤمنين [٢] ، واعتبر نفسه من أتباع الإمام عليٍّ بن أبي طالب الذي جمع منه عدداً من الأحاديث ، وقد حفظت هذه الأحاديث في الصحيفة [٣] .

(٨) صحيفة أبي اليسر كعب بن عمرو

يقال أن أبا اليسر كان لديه عدداً من المخطوطات الورقية (الصحف) والتي اعتاد أن يحفظها في الضمامة [٤] ومع أن المصادر تخبرنا بأن وعاءه كان ممتلئاً بالمخطوطات [٥] إلاَّ أنها لم تشر إلى موضوعات هذه الصحف التي احتواها هذا الوعاء ، وبسبب حقيقة أن أبا اليسر كان متميزاً في الحديث فيمكن أن نتوقع بما لا يدع مجالاً للشك بأن هذه المخطوطات لم تكن سوى مجموعة أحاديث .

---

(١) المحدث الفاصل (٥٦ أ)

(٢) طبقات ابن سعد (٦ : ١٥٢ - ١٥٣)

(٣) طبقات ابن سعد (٦ : ١٥٤)

(٤) وذلك لحفظ الوثائق ، انظر من الفصل الرابع في هذا الكتاب ، تحت عنوان « صحيفة ومصحف » .

(٥) ويستشهد بكتاب الجمع لابن القيسراني ، ليقارن بينه وبين كتابي أبي نصر الكلاباذي ، وأبي بكر الأصبهاني ... في رجال البخاري ومسلم ، ص (٤٣٠ - ٤٣١) من طبعة حيدر آباد .

ويتضح أن أبا اليسر كان عالماً في الحديث من الرواية التي تقول أن علماء الحديث كانوا يسعون إليه (١) ، من أمثال عبيدة بن الوليد (المتوفي سنة ٩٨ هـ) ، وأبيه : وليد بن عبيدة ، وطبقاً لهذه الرواية فهذان المحدثان اللذان بدءا في البحث عن الحديث بين الأنصار استفادا بداية من أبي اليسر (٢) الذي وجد مصطحباً خادمه حاملاً ضماماً مليئاً بالصحف (٣) .

(٩) كتاب عمرو بن حزم الانصاري (المتوفى سنة ٥١ هـ):

كان لدى عمرو رسالة مكتوبة عن بعض القضايا الفقهية أعطاها له الرسول ﷺ حين عينه واليا لنجران ، واحتوت هذه الرسالة على أحكام خاصة بالزكاة ، والدية ، والميراث ، ومسائل أخرى تتعلق بسنة النبي ﷺ (الصدقات والفرائض والسنن (٤)) .

وذكرت المصادر أن هذه الرسالة كانت تعد بمثابة كتاب تم تفسيره بمعني خطاب وكتيب ، وبالنظر إلى الموضوعات المتعددة التي تناولتها هذه الرسالة يتضح أنها كتيب أكثر من كونها مجرد كتاب .

---

(١) طبقات ابن سعد (٥ : ٥٧ - ٥٨) ، الجرح والتعديل (٣:١:٩٥-٩٦)

(٢) الجرح والتعديل (٣ : ٢ : ١٦٠) ، صحيح مسلم (٤ : ٣٥٧) في كتاب العلم ، الإصابة (٤ : ٢٢١) ، الترجمة رقم (١٢٥٤)

(٣) Papyri (2 : 188)

(٤) سيرة ابن هشام (٩٦١) ، جامع بيان العلم (١ : ٧١) ، تقييد العلم (٧٢) ، الاكتفاء (١٧ - ١٨) ، سنن النسائي (٨ : ٥٦ - ٦١) في القسامة ، الأم (٦ : ١٠٣) ، الخراج (٤٢) ، الأموال (٣٥٨ - ٣٦٢) ، تاريخ الطبري (١ : ١٧٢٨ - ١٧٢٩) ، إمتاع الأسماع (١ : ٥٠١ - ٥٠٢) ، تاريخ بغداد (٨ : ٢٢٨) ، الموطأ (٤ : ١٧٥ - ١٧٦) في كتاب العقول .

أما إذا نظرنا إلى هذه الرسائل على أنها تناولت موضوعاً واحداً من موضوعات الكتاب ، وأمنا بأن كل موضوع من هذه الموضوعات تم تناوله بنفس الطريقة السابقة سنصل إلى نتيجة مؤداها أن هذا الكتاب كان كتاباً ، والاحتمال الأكبر أنه كان مجرد رسالة ، ووجدنا أن كتاب الجراح (جزء خاص بالتعويض بالنسبة للجراح) . فلم يحتو هذا الكتاب على أحكام النبي ﷺ في هذه المسألة فحسب ولكن تضمن أيضاً سوراً عديدة من القرآن . وبدأ هذا الجزء بالمقولة الآتية : « هذه أحكام وضعها الله ونبيه » (هذا بيان من الله ورسوله) [١] » وتبعها بعدد من سور القرآن [٢] ثم وضع فصلا بعد ذلك وعنونه بهذه العبارة « هذا فصل عن الجراح » (هذا كتاب الجراح) وتبعه ببعض الأحكام الشرعية بخصوص الجراح [٣] .

ويمكن أن نفترض بأن الخطة التي اتبعت في هذا الفصل عن الجراح لا بد أنها استخدمت في موضوعات أخرى كذلك ، وهذا بدوره يجعلنا نعتقد أن الوثيقة التي تناولت على الأقل أربعة موضوعات قانونية مثل الدية ، الزكاة ، الميراث ، الضرائب لم تكن مجرد رسالة بل على الأقل كانت كتيباً ، إن لم تكن كتابا .

وهذا الكتيب الذي ذكرناه كتب على قطعة من الجلد (رقعة من الأدم) ظلت عائلة عمرو محتفظة بها لسنوات عديدة ، ويذكر أن الخليفة عمر بن عبد العزيز والذي كان مهتماً بالمحافظة على الوثائق الصحيحة الخاصة بسنة النبي ﷺ والذي كان في مراسلاته مع العائلات المختلفة معروفاً بأنه

---

(١) سنن النسائي (٨ : ٥٩) في كتاب القسامة ، السيرة لابن هشام (٩٦١) ، الخراج (٤٢) ، الوثائق السياسية ، وثيقة رقم (١٠٥)

(٢) القرآن الكريم (٥ : ١ - ٤)

(٣) سنن النسائي (٨ : ٥٩) في كتاب القسامة .

مهتم بحفظ وامتلاك هذه المخطوطات قد كتب إلى أبي بكر بن محمد بن عمرو بن حزم كذلك ، واستفسر الخليفة في خطابه عما إذا كان لدى أبي بكر بعض الاحاديث المكتوبة عن النبي ﷺ بخصوص الزكاة (١) .

وأرسل الخليفة كتاباً مشابها إلى عائلة عمر بن الخطاب ، وطبقا لهذه الروايات فالوثائق المطلوبة وجدت لدي عائلتي عمر بن الخطاب ، وعمرو بن حزم (٢) .

فالوثيقة التي وجدت عند عائلة عمر كانت خاصة بالزكاة والتي أعدها عمر بنفسه لارشاد الولاة الذين عينهم (٣) .

أما المخطوطة التي وجدت لدى عائلة عمرو فكانت نفس الكتاب الذي أعطاه النبي ﷺ لواليه عمر بن حازم سنة ١٠ هـ عندما أرسله إلى نجران ليعلم أهل اليمن ويجمع الزكاة منهم .

ولأن محتويات هاتين الوثيقتين كانتا متماثلتين ، فقد أصدر الخليفة عمر ابن عبد العزيز نشرة دورية في هذه الناحية بأن الحالات القانونية يجب أن تعالج في ضوء هذه الوثائق المكتوبة (٤)

أما الإشارة العارضة إلى كتاب عمرو بن حزم في الرواية السابقة فتشير إلى وجود هذه المخطوطة معه ، ويبدو أن هذا الكتاب ظل لدى عائلة عمرو

---

(١) سنن الدارقطني - باب (زكاة الإبل والغنم .

(٢) سنن أبي داود (٢ : ١٣٣) في كتاب الزكاة ، وسنن النسائي (٨ : ٥٩) في كتاب القسامة .

(٣) الأموال (٣٦٢ - ٣٦٣ ، ٣٦٦ ، ٣٧٩) ، وغيرها + سنن أبي داود (١٣٣:٢) في كتاب الزكاة .

(٤) سنن الدارقطني ، باب « زكاة الإبل » .

لفترة طويلة لأننا نقرأ بشهادة الزهري بأنه وجد كتاب عمرو عند أصغر أحفاده ، وهو أبو بكر وأخذه منه وقرأه (١) .

ووجدت إشارات عديدة إلى هذا الكتاب في مصادر أخرى كذلك فيقال على سبيل المثال : إن كتاب عمرو بن حزم جاز إعتراف الأئمة الأربعة به وهم (أبو حنيفة ، والشافعي ، ومالك ، وابن حنبل) وكان ينقل باستمرار من جيل إلي جيل مثل كتاب عبد الله بن عمرو بن العاص الذي نقله عمرو بن صهيب علي مسئولية والده ثم جده من قبله (٢) .

ويقول إبن كثير : « إن هذا الكتاب كان شائع الاستخدام من جانب العلماء القدامي والمحدثين ، واعتمدوا على محتوياته » (٣)

ويقول يعقوب بن سفيان عن هذا الكتاب : « لا يوجد كتاب على حد معرفتي يعادل في صدقه كتاب عمرو بن حزم ، لأن الصحابة اعتادوا أن يشيروا إليه ويتبادلون حوله الرأي » (لو اختلفوا حول الفتاوي الموجودة في هذا الكتاب (٤)) .

ويستشهد الشافعي برواية تبين أن الفاروق عمر بن الخطاب كان واحداً من الذين فعلوا ذلك ، وطبقاً لهذه الرواية ، فيذكر أن الفاروق عمر ذات مرة حكم في قضية خاصة بدية قطع الأصابع على أساس حديث للنبي ﷺ يقول : « إن دية قطع الابهام (١٥) من الإبل أما السبابة والوسطى فدية كل واحدة منهما

(١) سنن النسائي (٨ : ٥٩) في القسامة .

(٢) نصب الراية (٣ : ٣٤٢) .

(٣) تنقيح النظر في علوم الأثر (٢ : ٣٥١)

(٤) المصدر السابق .

عشرة أبل » ، ولكن بعد ذلك وجد حديثاً يقول : « إن دية قطع أي أصبع من الأصابع هي عشرة إبل » فعدّل قراره في ضوء هذا الحديث (١) .

والحديث الثاني هذا وجد في الكتاب الذي أعطاه النبي ﷺ لعمرو بن حزم (٢) .

وهذه الاشارة العارضة إلى كتاب عمر تعطينا دليلاً كافياً بوجود أحاديث مكتوبة لدى عمرو بن حزم .

وبالإضافة إلى الكتاب الذي أشرنا اليه فيما سبق ، فكان لدى عمرو كتاباً يحتوى على القواعد الخاصة بالزكاة على الماشية والمحاصيل ، وقواعد خاصة بالمغانم ، ودية القتيل ، والصلاة ، وقائمة بالكبائر (٣) .

ووجدت إشارة عابرة إلى هذا الكتاب في رواية تقول : « إن عطاء بن رباح قرأ حديثاً يقول : أن الوضوء باطل بدون مضمضة واستنشاق وذلك في كتاب عمرو بن حزم الذي أعطاه له النبي ﷺ (٤) .

وفي الحقيقة فإنّ عمرو بن حزم جمع حوالي إحدى وعشرون وثيقة رسمية عن النبي ﷺ تسلمها منه من وقت لآخر ، وكتب هذه الوثائق بنفسه مع كتاب عن الزكاة أشرنا إليه فيما سبق وحفظت وثائق ونصوص عمرو بطريقة جيده في كتاب إبن طولون « إعلام السائلين عن كتب سيد المرسلين » في شكل ملحق ونقل عالم شهير في الحديث من « DAybul » (تسمى حالياً Thatta في

---

(١) اختلاف أبي حنيفة وابن أبي ليلى (١٧ - ١٨)

(٢) اختلاف أبي حنيفة وابن أبي ليلى ص (١٨)

(٣) طبقات ابن سعد (١ : ٢ : ١٩)، الوثائق السياسية ، وثيقة رقم (١١٠ج)

(٤) المحدث الفاصل (٥٨ أ)

باكستان) ملخصاً وافياً منسوباً إلى عمرو بن حزم ، هذا العالم هو أبو جعفر الديبولي (١) .

(١٠) صحف شمعون الأزدي الأنصاري :

إن شمعون أحد الصحابة المؤيدين للكتابة واعتاد أن يكتب على وجهي ورق البردي ويقال أنه أول من ثني الورق العريض بضغط الأوراق وحياكتها مع بعضها (٢) .

ومجموعته المكتوبة من الأحاديث عرفت بالصحف (٣)

(١١) نسخة سمرة بن جندب (المتوفى سنة ٥٩ هـ) :

يقال أن سمرة بن جندب (المتوفى سنة ٥٩ هـ) جمع مجموعة أحاديث في كتاب أسماه : نسخة (٤) وعرف أيضاً بصحيفة (٥) ، ورسالة (٦) وكتاب (٧) وتسلم هذه المجموعة ابنه سليمان (٨) والحسن البصري (٩) ، وكلاهما نقلا الاحاديث منها .

---

(١) إعلام السائلين لابن طولون (٤٨ - ٥٢)

(٢) الإصابة (٢ : ١٥٦) ، الترجمة رقم (٣٩٢١)

(٣) المصدر السابق

(٤) تهذيب التهذيب (٤ : ١٩٨)

(٥) دراسات إسلامية لجولد تسيهر (٢ : ١٠ / ٢٣)

(٦) تهذيب التهذيب (٤:٢٣٦)، ودراسات إسلامية لجولد تسيهر (٢:١٠/١٣)

(٧) طبقات ابن سعد (٧ : ١:١١٥) نسخة أو رسالة سمرة ذكرت في المصادر ، وقد يبدو أنهما مستقلتان ، ولكن الأوكد أنهما متشابهتان كما ذكر جولد تسهير .

(٨) تهذيب التهذيب (٤ : ١٩٨)

(٩) طبقات ابن سعد (٧ : ١ : ١١٥) ، تذكرة الحفاظ (٢ : ٢٦٨ - ٢٨٩)

ويقال عن سليمان إنه نقل عن والده كتاباً مطولاً = (روى عن أبيه نسخة كبيرة) [1] وفي رواية أخرى رُوي أنه استلم النسخة من والده مكتوبة [2] ، أما ابن سيرين الذي أثنى على هذا الكتاب [3] فيذكر أن الرسالة التي كتبها سمرة لأبنائه احتوت أحاديث كثيرة (علم الحديث)[4] .

ونقل الحسن البصري أيضاً مجموعة أحاديث سمرة [5] .

ويقول يحيى بن سعيد القطان : « إن أحاديث سمرة التي نقلها الحسن البصري يقال إنه نقلها من كتاب [6] » .

ويروى أيضاً أن مروان بن جعفر بن سعد بن سمرة تسلم أحاديث سمرة بشكل مكتوب [7] .

(١٢) كتب أبي هريرة (م - ٥٩ هـ) :

لقد أتى أبو هريرة من اليمن إلى المدينة ، واعتنق الإسلام سنة ٧ هـ ومنذ ذلك الوقت حتى وفاة محمد ﷺ ظل في صحبة النبي ﷺ وانتهز هذه الفرصة ليجمع الأحاديث ويقول هو عن نفسه أنه كان لديه اكبر عدد من الأحاديث [8] .

---

(١) تذكرة الحفاظ (٤ : ١٩٨)

(٢) تذكرة الحفاظ (٤ : ٢٣٦ - ٢٣٧)

(٣) تذكرة الحفاظ (٤ : ٢٣٦)

(٤) تذكرة الحفاظ (٤ : ٢٣٦ - ٢٣٧)

(٥) طبقات ابن سعد (٧ : ١ : ١١٥) ، تهذيب التهذيب (٢ : ٢٦٧)

(٦) طبقات الن سعد (٧ : ١ : ١١٥)

(٧) الجرح والتعديل (٤ : ١ : ٢٦٧)

(٨) يقال إن أبا هريرة روى (٥٣٧٤) حديثاً . أنظر : تدريب الراوي (٢.٥) ، قواعد التحديث (٤٧ - ٤٨)

وأكد النبي ﷺ أيضاً على أن أبا هريرة كان واحداً من أنشط طلاب الحديث (١) .

وعلى الرغم من الاعتراف بأنه كان لديه اكبر عدد من الأحاديث الا أن الآراء تباينت حول مجموعته المكتوبة من الأحاديث .

فطبقاً لإحدى الروايات يقال أن أبا هريرة نفسه أقر بأنه لم يدون الحديث (٢) . ويقارن هو نفسه بينه وبين رفيقه عبد الله بن عمرو بن العاص ويذكر أنه قال : « من بين كل صحابة النبي ﷺ لا يوجد شخص واحد نقل أكثر مما نقلت من أحاديث عدا عبد الله بن عمرو بن العاص الذي اعتاد أن يدون الأحاديث بينما لم أقدم أنا على ذلك (٣) » .

ويذكر في رواية أخرى أنه قال : « لم ندون الأحاديث ولم نُمْلِها (٤) » .

ويقال أكثر من هذا أن أبا هريرة ومعه مجموعة من زملائه لم يرحب النبي ﷺ بتدوينهم للأحاديث (٥) .

وكل هذه الروايات تبين أن أبا هريرة لم يكن مؤيداً لتدوين الأحاديث ومع هذا فإننا نجد العديد من الروايات تبين إتجاهه المؤيد لتسجيل أحاديث النبي ﷺ .

---

(١) صحيح البخاري (١ : ٣٧) في كتاب العلم ، و (٤ : ٢٤٥) في كتاب الرقاق .

(٢) كتاب العلم (مخطوط) لأبي خيثمة زهير بن حرب (١١ أ)

(٣) تقييد العلم (٨٢ - ٨٤) ، جامع بيان العلم (١ : ٧٠) ، صحيح البخاري (١ : ٤١) في كتاب العلم ، المحدث الفاصل (٣٤ ب - ٣٥ أ)

(٤) جامع بيان العلم (١ : ٦٦) ، العلم لأبي خيثمة (١١ أ)

(٥) تقييد العلم (٣٣ ، ٣٥)

فعلى سبيل المثال رجدنا رواية رواها أبو هريرة على مسئوليته يذكر فيها أنه كان لديه العديد من الأحاديث المكتوبة التي ربما تملأ خمسة أجولة [١] . ويذكر أيضاً أنه كان لديه معرفة بالقراءة والكتابة [٢] . بل وتعلم الفارسية [٣] والحبشية [٤] .

وأهم الروايات في هذا السياق وجدت في كتاب جامع بيان العلم لابن عبد البر حيث ذكر أنه ذات مرة كان أبو هريرة قد أخذ حسن بن عمرو بن أمية الضمري لمنزله وعرض عليه العديد من الكتب (كتب كثيرة) تحتوى على أحاديث للنبي ﷺ [٥] وذكر أيضاً أنه عرض كتابة الأحاديث على ابن وهب [٦] .

ويمكن أن نقدم تفسيرين لهذه الرواية المتناقضة المتعلقة بالسجلات المكتوبة لأحاديث النبي ﷺ .

أولاً : إن رواية منع النبي ﷺ أبا هريرة من تدوين الحديث تبدو أنها رواية غير منطقية في ضوء الأحاديث الموثقة التي أعطي فيها النبي ﷺ اهتماماً خاصاً بأبي هريرة ، واعترف به كواحد من أنشط طلاب الحديث [٧] .

---

(١) حلية الأولياء (١ : ٣٨١) ، المحدث الفاصل (٦٦ أ)

(٢) تقييد العلم (٣٣ - ٣٤)

(٣) سنن البيهقي الكبرى (٧ : ٣)

(٤) تدوين الحديث (٤٣٩)

(٥) جامع بيان العلم (١ : ٧٤) ، والتراتيب الإدارية أيضاً (٢ : ٢٤٦)

(٦) فتح الباري (١ : ١٤٨)

(٧) صحيح البخاري (١ : ٣٧) في كتاب العلم ، و (٤ : ٢٤٥) في كتاب الرقاق ، وطبقات ابن سعد (٤ : ٢ : ٥٦)

وعلى الرغم من هذا فقد فسر دكتور حميد الله هذا التناقض تفسيراً جيداً حيث ذكر أن أبا هريرة جاء من اليمن حيث الكتابة العربية لاتزال في مرحلة الغموض ولم تنتشر بعد ، ولأنه تعلم الكتابة العربية مؤخراً ، فلا بد أنه بالضرورة كان يرتكب أخطاء ولهذا لم يثق فيه النبي ﷺ من ناحية الكتابة آنئذ .

واكثر من هذا فلم يكن متميزاً في القرآن ، وكان بالكاد يفرق بين كلمات الله وكلمات محمد ﷺ على الأقل في البداية ، ومن هنا جاء التناقض ، ولكن عندما تغيرت الظروف وأصبح أبو هريرة متقناً للغة العربية ، ومتميزاً لدرجة كبيرة في الدراسات الدينية ، سمح له بالكتابة (١) .

ثانيا : يبدو أن الروايات المتناقضة تمثل مرحلتين في الحياة الأدبية لأبي هريرة ، ويمكن تقسيم هاتين المرحلتين إلى :

(١) المرحلة المبكرة (٢) المرحلة المتأخرة

(١) المرحلة المبكرة :

تميز أبو هريرة في المرحلة الأولى بذاكرة حافظة قوية ولكون ثقته كاملة في قوة ذاكرته فقرر أن يحفظ كل الأحاديث النبوية في مكان أمين من صدره بدلاً من تدوينها ، وهذا لا يعني أنه معادٍ للكتابة ، ولقد رأينا أنه حين قارن معرفته بالأحاديث بمعرفة عبد الله بن عمرو بن العاص لم تضعف ثقته بعبد الله لتسجيله الأحاديث ، ولكن ذكر ببساطة أنه بينما لم يكتب هو شيئا كتب عبد الله بن عمرو الأحاديث . وهذه المقولة لا توضح أنه كان كارها للكتابة ، ولكن نلاحظ أنه يفتخر فقط بذاكرته القوية ، ويقر الكتابة في نفس الوقت .

---

(١) صحيفة همام بن منبه (٣٧) .

ربما تكون قصة رفضه إملاء الاحاديث لمروان بن الحكم ولجوء مروان إلى الخداع لكي يسجل لنفسه بعض الأحاديث (١) تنتمي إلى هذه المرحلة المبكرة من نشاطه الأدبي .

وربما يكون معارضة أبي هريرة لإملاء الحديث مردها إلى الخوف من الفاروق الذي حذر من سبقه بعقوبة رادعة (٢) .

ومع هذا لم يتخل عن إعطاء المزيد من الأهمية للحديث ، وعلى الرغم من أمر الفاروق عمر بالتحريم ظل ساريا حتى وفاته ، إلا أن أبا هريرة بعد ذلك ركز على الحديث ، وعقد المحاضرات ، وأقام مجالس للعلم (٣) .

---

(١) وتروى القصة أن مروان وضع مولاه أبا الزعيزعة خلف ستار ثم طلب من أبي هريرة أن يروى له الأحاديث وحين يروى أبو هريرة شفاهة يكتب مولاه بالمداد الأسود إلى أن دون مجموعة مكتوبة من أحاديث أبي هريرة ، أنظر : تقييد العلم (٤١) ، سير أعلام النبلاء (٢ : ٤٣١ - ٤٣٢) ، الكنى (٣٣) ، الإصابة (٤ : ٢.٥) الترجمة (١١٩.) ، تدوين الحديث (٨١ - ٨٢) ، و (Papyri 2 : 20) وتوضح المصادر أنها كانت مجموعة كبيرة من الأحاديث لأنه يقال أن مولاه كتب مجموعة كبيرة من الأحاديث في ذلك اليوم وربما تكون هذه المجموعة الكبيرة من الأحاديث قد وصلت عبد العزيز بن مروان لأن اهتمامه بالحديث كان يفوق الوصف لدرجة أننا وجدنا هذه المجموعة ضمن قائمته فقد ذكر أنه طلب من أحد أئمة الحديث المشهورين وهو كثير بن مرة أن يسجل له أحاديث الصحابة المشهورين عدا أحاديث أبي هريرة في حين ينسب حميد الله هذه الحادثة إلى عمر بن عبد العزيز ، فهذه الرواية تشير إلى أن عبد العزيز بن مروان لا بد أنه حصل عليها من والده والذي أخذها بالحيلة التي ذكرناها .

(٢) مجلة المنار لمنشئها الشيخ محمد رشيد رضا (١. : ٨٤٩) ، تذكرة الحفاظ (١ : ٧) ، المحدث الفاصل (٦٦ أ)

(٣) مسند أحمد (٢ : ٢٧٥) ، تذكرة الحفاظ (١ : ٣١ - ٣٥) ، سير أعلام النبلاء (٢ : ٤٣٣ - ٤٣٤ ، ٤٣٦ ، ٤٤. ، ٤٤٣ ، ٤٤٤) ، و Papyri (2 : 14)

(٢) المرحلة المتأخرة :

أما المرحلة الثانية من نشاط أبي هريرة الأدبي فقد بدأت مع ضعف ذاكرته ووفاة الفاروق عمر ، فعندما ضعفت ذاكرته ولم يعد هناك خوف من الفاروق عمر فقد فضل أن ينقل الأحاديث كتابة ، وربما في أخريات حياته جمع الأحاديث في كتب .

ومن الواضح أن أبا هريرة كان من أنصار تسجيل الحديث وذلك راجع لحقيقة أن طلابه لم يدونوا مجموعات الأحاديث فحسب بل قدموها له للدراسة والفحص وليحصلوا على موافقته بالنقل على مسئوليته ، وفضلاً عن هذا فقد عرفنا أن حلقات دراسة الحديث التي كان يعقدها في المدينة جذبت أكبر عدد من الطلاب الذين قاموا بعمل مجموعات مكتوبة من الأحاديث وذلك من خلال محاضراته (١) .

ولهذا فمشاهير العلماء من أمثال همام بن منبه (٢) بشير بن نهيك (٣) ، عقبة بن أبي الحسناء (٤) ، محمد بن سيرين (٥)

---

(١) مسند الإمام أحمد (٢ : ٢٧٥) ، تذكرة الحفاظ (١ : ٣١ - ٣٥) ، سير أعلام النبلاء (٢ : ٤٣٤ - ٤٣٥ ، ٤٣٦ ، ٤٤. ، ٤٤٣ - ٤٤٤) ، الإستيعاب (٤ : ٢.٩) ، و Papyri (2 : 14) .

(٢) لقد عرفت هذه المجموعة في الأحاديث بالـ « الصحيفة » وقد اكتشفت وطبعت من قبل الدكتور / حميد الله . انظر صحيفة همام بن منبه ، طبعة دمشق ١٣٧٢ / ١٩٥٣ .

(٣) لقد جمع الأحاديث في كتاب وقدمه لأبي هريره طالباً إجازةً بالنقل على مسئوليته وأعطاه تصريحاً بذلك . انظر : طبقات ابن سعد (٧ : ١ : ١٦٢) ، العلم لأبي خيثمة (١١ أ - ١١ ب) ، جامع بيان العلم (١ : ٧٢) ، سنن الدارمي (١ : ١٢٧) ، تقييد العلم (١.١) ، تهذيب التهذيب (١ : ٤٧.) .

(٤) عرفت مجموعة أحاديثه باسم النسخه ، ونسخه من مجموعة الأحاديث تلك كانت لدى الذهبي . ميزان الاعتدال (٧ : ٨٥) ، الترجمة رقم (٥٦٨٥) .

(٥) عرفت مجموعة أحاديثه بأسم كتاب ، ثم وصلت إلى حوزته ثم وصلت إلى يحيى بن سيرين وكانت مكتوبة على ورق وكانت هناك دوائر يعد كل عشرة أحاديث . واحتوت على أقوال متفرقة لأبي هريرة : الإملاء (١٧٣) .

وسعيد المقبري [(١)] ، كون هؤلاء جميعاً مجموعة مكتوبة من الأحاديث نقلاً عن أبي هريره .

وفي ظل هذه الظروف يبدو مقبولاً أن أبا هريرة نفسه كان لديه مجموعة أحاديث مكتوبة . ومن ثم فرواية أنه عرض عدداً من الكتب على حسن بن عمرو بن أمية تبدو صحيحة ولا يمكن رفضها . بل على العكس فالرواية تشير إلى أنه على الرغم من أنه يروي مشافهة كان يملك مجموعة من المخطوطات المكتوبة وهذا واضح من هذا التعليق : « لو أسمعت (حسن بن عمرو) هذا الحديث مني ، فلا بد أنه موجود معي بشكل مكتوب » ، وأصبح هذا واضحاً عندما نقرأ الرواية بأكملها لأنه طبقاً لهذه الرواية أنه أخذ حسن من يده إلى منزله وعرض عليه مجموعة كبيرة من الأحاديث ، واحتوت هذه المجموعة أحد الأحاديث في صورة سؤال [(٢)] .

وهناك دليل لا يقبل الشك على وجود كتب لأبي هريرة وذلك في مقولته التي قال فيها : « أنني أملك أحاديث مكتوبة تملأ خمسة أجولة » [(٣)] ويبدو أن هذه المقولة قالها في المرحلة الثانية من نشاطه الأدبي عندما فضل الكتابة على الذاكرة .

وفي ضوء هذه الملاحظات يمكن أن نقول : أن أبا هريرة لم يكن أميا كما ذكر البعض [(٤)] بل كتب الكتب . وقد وضعه براوْن ضمن أحسن المتعلمين في

---

(١) تهذيب التهذيب (٩ : ٣٤٢) الجرح والتعديل (١ : ٢ : ٨٥) ، تذكرة الحفاظ (١ : ١١٠) .

(٢) جامع بيان العلم (١ : ٧٤) ، التراتيب الادارية (٢ : ٢٤٦) .

(٣) حلية الأولياء (١ : ٣٨١) ، المحدث الفاصل (٦٦ أ) .

(٤) Papyri (2 : 9 , 17 , 37 , 61) .

القرن الأول الهجري . ويقول : على الرغم من أن المخطوطات تم إنجازها في وقت مبكر وذلك أثناء القرن الأول الهجري من جانب هؤلاء الرجال من أمثال أبي هريرة ، وعبد الله بن عمرو بن العاص ، والزهري ، والحسن البصري ، الذين أمروا في وضع معين وفي وقت ما بأن هذه المذكرات يجب أن تحرق عند لحظة الموت لأنهم كانوا ينظرون إليها على أنها مجرد وسائل مساعدة للذاكرة [١] .

١٣ - كتاب محمد بن عمرو بن حزم (المتوفى سنة ٦٣هـ) :

إن محمد بن عمرو بن حزم يعد واحداً من العلماء النابغين وقد وصف بأنه الفقيه المتعلم [٢] ، ونقل الأحاديث من عمر ، وعمرو بن العاص وعن والده ابن حزم الوالي الشهير لنجران [٣] . وكان لديه كتاب عن دية القتلى (كتاب في العقول) [٤] ولكن يبدو أنه كان نفس الكتاب الذي أرسله النبي ﷺ إلى والده عمرو بن حزم [٥] .

١٤ - صحيفة عبد الله بن عمرو بن العاص (المتوفى سنة ٦٣ هـ) :

إن عبد الله بن عمرو بن العاص صحابي وعالم لا في العربية فحسب بل استطاع أن يقرأ السريانية [٦] وله آراء مستفيضة عن كتب أهل

(١) History of persia (1 : 272) .

(٢) تهذيب الأسماء والصفات للنووي (١ : ١ : ٨٩) .

(٣) تهذيب الأسماء والصفات للنووي (١ : ١ : ٨٩) أيضاً .

(٤) Papyri , 2 : 29 N . 229 .

(٥) سيرة ابن هشام (٩٦١) ، جامع بيان العلم (١ : ٧١) ، تقييد العلم (٧٢) ، سنن النسائي (٨ : ٥٦ - ٦١) في كتاب القسامة ، الخراج (٤٢) ، الأموال (٣٥٨ - ٣٦٢) ، تاريخ الطبري (١ : ١٧٢٧ - ١٧٢٩) ، إمتاع الأسماع (١ : ٥٠١ - ٥٠٢) .

(٦) طبقات ابن سعد (٧ : ٢ : ١٨٩) .

الكتاب [١] . ويقال أنه كان يقوم بمناظرات دينية مع معتنقي اليهودية [٢] ، وجمع كتابا كبيرا في حجمه وأسماه صحيفة يرموكية [٣] ، هذه الصحيفة تأسست من منطلق دراسته للأدب المسيحي واليهودي [٤] .

ولأنه مسلم ورع ومثقف فكان مهتما للغاية بسنة النبي ﷺ . فهو لم يسمع الأحاديث فحسب بل دونها أيضاً . وربما بدأ في تكوين مجموعته الخاصة بالأحاديث بعد أن عرف رفقاءه من الصحابة يعملون نفس الشيء [٥] .

ومجموعته الشهيره احتوت على أقوال محمد ﷺ وأفعاله وعرفت باسم الصحيفة الصادقة (السجل الصادق) [٦] ويذكر أنه اعتاد أن يسجل كل شيء يسمعه من النبي ﷺ [٧] . لدرجة أن بعض أصحابه اعترضوا على

---

(١) سنن الدارمي (٢ : ٢١٢) ، حلية الأولياء (١ : ٢٨٨) ، سير أعلام ، النبلاء (٣ : ٥٧) ، مسند الإمام أحمد (٢ : ١٨٣ ، ٢٠٩ ، ٢١٩ ، ٢٢٢) ، وطبعة شاكر (٩ : ٢٣٣ - ٢٣٤) ، تفسير الطبري (١٢ : ٢٥٢ - ٢٥٣) ، أسد الغابة (٣ : ٢٣٣) .

(٢) تفسير الطبري (١٣ : ١٦٤) ، وحلية الأولياء (٦ : ٥٢ ، ٥٤) ، و Papyri (2 : 9) .

(٣) تدوين حديث (٦٧) ، صحيفة همام بن منبه (٢٣) .

(٤) مسند الإمام أحمد (٢ : ١٩٥ (، تذكرة الحفاظ (١ : ٣٦) ، سير أعلام النبلاء (٣ : ٥٤) ، فتوح مصر (١ : ٣٥) ، تاريخ الطبري (١ : ٤٦٤ - ٤٦٥) أسد الغابة (٣ : ٢٣٣) .

(٥) المحدث الفاصل) ٣٦ أ) ومن أجل تفصيل أكثر انظر في الفصل الرابع تحت عنوان : تحديث ، تدوين - رواية .

(٦) طبقات ابن سعد (٢ : ٢ : ١٢٥) و (٤ : ٢ : ٨ - ٩) و (٧ : ٢ : ١٨٩) ، وسنن الدارمي (١ : ١٢٧) ، وتقييد العلم (٨٤) ، وسير أعلام النبلاء (٣ : ٥٨) ، والمحدث الفاصل (٣٤ أ) ، والمعارف (١٥٦) .

(٧) طبقات ابن سعد (٤ : ٢ : ٨ - ٩) .

تسجيله وقالوا : ما النبي ﷺ إلاّ بشر وليس كل ما يقوله جدير بالتسجيل . وعند سماعه هذا تخلى عبد الله عن الكتابة ولكن عندما استشار النبي ﷺ في ذلك وطلب منه السماح بتسجيل أقواله . قال له النبي ﷺ دون عنى ، ما ينبغي لي أن أقول إلا حقاً [١] .

وهذا التصريح الواضح بدد كل شكوكه وبدأ في تسجيل سنة النبي ﷺ في كتاب (الصحيفة) والذي أسماها هو نفسه الصادقة [٢] .

أما عن شهادته عن مصدر المعلومات في هذه الصحيفة فتأكد أنه سمع ما تضمنته هذه الوثيقة مباشرة من النبي ﷺ ، وذكر أنه لم يكن هناك وسيط للكتابة في النقل بينه وبين النبي ﷺ ؛ هذا ما سمعته من رسول الله ﷺ ، ليس بيني وبينه أحداً [٣] وأضاف قائلا : « اعتدت عند سماع أي شيء من النبي ﷺ أن أدونه في كتاب [٤] » .

وفي رواية أخرى ذكر أن كل ما تحدث به النبي بالإيمان أو الرفض دونته (أكتب ما يقول لا أو نعم) [٥] .

---

(١) تقييد العلم (٧٩ - ٨١) ، المحدث الفاصل (٣٤ أ - ٣٤ ب) ، سنن الدارمي (١ : ١٢٥) ، جامع بيان العلم (١ : ٧١) ، مسند الإمام أحمد (٢ : ١٦٢ - ١٩٢ ، ٢٠٧ ، ٢١٥) .

(٢) طبقات ابن سعد (٢ : ٢ : ١٢٥) ، و (٤ : ٢ : ٨ - ٩) و (٧ : ٢ : ١٨٩) ، تقييد العلم (٧٩) ، المحدث الفاصل (٣٤ ب) .

(٣) مسند الإمام أحمد (طبعة شاكر) = (٩ : ٢٣٣) ، تقييد العلم (٨٤) ، طبقات ابن سعد (٢ : ٢ : ١٢٥) و (٤ : ٢ : ٩) و (٧ : ٢ : ١٨٩) ، وأسد الغابة (٣ : ٢٣٤) .

(٤) تقييد العلم (٨٥) .

(٥) مسند الإمام أحمد (طبعة شاكر) (١ : ١٧٢) ، وفتوح مصر (طبعة ليدن) = (٢٥٦ - ٢٥٧) .

أما آخر عبارتين لعبد الله بن عمرو بن العاص مع أبي هريرة فهما أن عبد الله اعتاد أن يدون الحديث بينما لم يدونه أبو هريرة [١] ، فتشير إلى وعاء هذه الأحاديث كان الصحيفة ، وهذا يعني صحيفة عبد الله بن عمرو ابن العاص كانت من النوع الكبير [٢] .

وطبقاً لرواية أخرى تقول أنه حفظ ألف حديث [٣] . قرئت مرة واحدة ودون كل شيء سمعه من النبي ﷺ [٤] ، ويمكن أن نستنتج أن الصحيفة التي نحن بصددها احتوت على ألف حديث .

وظلت هذه الصحيفة محتفظة بها عائلته لفترة طويلة وورثها أولاً حفيده شعيب بن محمد ، وبعد وفاة شعيب أخذها عمر الحفيد الأكبر لعبد الله بن عمرو بن العاص [٥] . ونقل عمرو (المتوفى سنة ١١٨ هـ أو سنة ١٢٠ هـ) الأحاديث من الصحيفة ولهذا تعرض للنقد من النقاد الذين لم يوافقوا على روايته للحديث دون سماع مباشر من الشيخ [٦] . وعلى الرغم من هذا النقد فإن الأحاديث من هذه الصحيفة كثرت في المجموعة المدونة من الأحاديث .

وفي الحقيقة فإن كل المحدثين اعتنوا بالإسناد من عمرو بن شعيب إلى أبيه ، إلى جده ، وقد ذُكروا في هذه الصحيفة [٧] .

---

(١) جامع بيان العلم (١ : ٧٠) .

(٢) لقد احتوى مسند الإمام أحمد برواية عبد الله بن عمرو بن العاص (٦٢٧) حديثاً . انظر المسند طبعة شاكر (الأجزاء (٩) ، (١٠) ، (١١) ، الأحاديث من (٦٤٧٧ - ٧١٠٣) .

(٣) أسد الغابة (٣ : ٢٣٣) ، حيث استعمل لفظ « مَثَل » للدلالة على الحديث .

(٤) تقييد العلم (٨٥) .

(٥) تهذيب التهذيب (٨ : ٥٤) .

(٦) تهذيب الأسماء واللغات (١ : ٢ : ٢٩) ، والكفاية (٥٠٧) .

(٧) تهذيب التهذيب (٨ : ٥٤) .

وعلى الرغم من أن الصحيفة الأصلية لم تعد موجودة فإن معظم محتوياتها متضمنة في المسند الكبير لابن حنبل في فصل بعنوان مسند عبد الله بن عمرو بن العاص [١] .

ويروى عن مجاهد (المتوفى سنة ١٠٢ هـ) أنه رأى صحيفة عبد الله ابن عمرو بن العاص [٢] .

ويذكر أنها ظلت موجودة حتى عصر عمر بن عبد العزيز ، عندما أرسلت نسخة منها ليستخدمها الزهري [٣] .

ويبدو أن عبد الله استخدم هذه الصحيفة ليملي منها الأحاديث على تلاميذه [٤] . ونحن نعرف كما تبين أنهم اعتادوا أن يدونوا ما يملي عليها من الصحيفة [٥] .

إن هذه الصحيفة حافظ عليها بأمانة شديدة كاتبها عبد الله بن عمرو بن العاص . وذات مرة زاره مجاهد وحاول أن يأخذ الصحيفة من تحت الحصير الذي يجلس عليه عمرو (من تحت فراشه) [٦] ، فمنعه من أن يفعل ذلك مرة ثانية . وعلى الرغم من أنه لم يحرم مجاهداً من أي نصوص ، إلا أن هذه

---

(١) مسند الأحاديث الإمام أحمد طبعة شاكر المجلدات (٩ ، ١٠ ، ١١) ، الأحاديث (٦٤٧٧ - ٧١٠٣) .

(٢) طبقات ابن سعد (٢ : ٢ : ١٢٥) و (٤ : ٢ : ٨ - ٩) ، وأسد الغابة (٢ : ٢٣٤) .

(٣) Papyri (2 : 37) .

(٤) تقييد العلم (٨٥ ، ١٨٢) ، وتاريخ دمشق لابن عساكر (٦ : ٤٩) .

(٥) خطط المقريزي (٢ : ٣٣٢) .

(٦) تقييد العلم (٨٤) ، المحدث الفاصل (٣٤ ب) ، أسد الغابة (٣ : ٢٣٤) .

الحالة كانت استثناءً عندما منعه من أخذ هذه الصحيفة إما أنه كان يعتبرها كنزا فواضح من رواية أخرى يذكر فيها أنه اعتاد أن يحفظ الأحاديث المكتوبة في صندوق (١) . ويروى أنه ذات يوم سُئل عن حديث فأخرج الكتاب من الصندوق (٢) وروى منه الحديث رداً على السؤال (٣) .

ووجدت إشارة عارضة أخرى تدل على وجود سجل مكتوب لدى عمرو بن العاص في رواية منسوبة إلى أبي رشيد الحبراني . فيروى أنه ذات مره جاء عبد الله بن عمرو بن العاص وطلب منه أي يروى له ما سمعه من النبي ﷺ وسلمه عبد الله كتابا وصحيفة ، تحتوى على أحاديث للنبي ﷺ.

وعندما نظر أبو رشيد في هذه الصحيفة وجد من بين ما وجد من أحاديث دعاء في الصلاة (دعاء) يتلى في الصباح والمساء وكان النبي ﷺ علمّ هذا الدعاء لأبي بكر بناءاً على طلبه (٤) . وهذه الرواية تبرهن على أن عبد الله بن عمرو بن العاص كان لديه سجل مكتوب عن سنة النبي ﷺ .

أما الدليل الدامغ على وجود صحيفة عبد الله بن عمرو بن العاص فقد برهنت عليه مقولة شهيرة لأبي هريرة حيث أشار إلى أن عمرو بن العاص اعتاد أن يسجل أحاديث النبي ﷺ وقال : « من بين كل الصحابة لا يوجد شخص واحد كان لديه عدد ضخم من الأحاديث أكثر مني عدا عبد الله بن عمرو والذي اعتاد أن يدون الأحاديث ولم أفعل أنا ذلك (٥) .

---

(١) مسند الإمام أحمد . طبعة شاكر (١٠ : ١٧٢ - ١٧٤) ، ولسان العرب (١٥ : ٢٧٣) .

(٢) ربما أسميت « الصادقة » .

(٣) لسان العرب (١٥ : ٢٧٣) ، ومسند الإمام أحمد طبعة شاكر (١٠ : ١٧٢ - ١٧٤) .

(٤) تقييد العلم (٨٥) .

(٥) تقييد العلم (٨٢) ، جامع بيان العلم (١ : ٧٠) ، سنن الدارمي طبعة المدينة (١ : ٢٣ أ) .

ورأينا أن عبد الله بن عمرو بن العاص اعتاد أن يملي الأحاديث على تلاميذه (١) . ولنأخذ مثالاً على ذلك . يروى أبو سبرة أن عبد الله أملى له حديثاً من مجموعة أحاديثه التي سمعها من النبي ﷺ (٢) ويروى أيضاً أن طالباً آخر من طلابه وهو شوفا بن ماتع (٣) دون كتابين من إملاء عبد الله بن عمرو (٤) .

وكانت عملية الإملاء تتم إما من الصحيفة كرد على سؤال أو من بعض السجلات المكتوبة له لأنه يرى أنه كان لديه عدد ضخم من الكتب (٥) ، ويقال أيضاً أنه جمع الفتاوي عن الخليفة عمر (٦) .

١٥ - كتب عَبيدة بن عمرو السَّلماني (المتوفى سنة ٦٤ / ٧٢ هـ) .

ينتمي عَبيدة بن عمرو إلى فئة هؤلاء الكتاب الذين أتلفوا مخطوطاتهم خشية أن تصل كتاباتهم إلى يد غير أمينة فتسيء إستخدامها ، ويقال أن هذا المحدث الكوفي دون الأحاديث في كتب ، ولكن عندما اقترب من لحظة الموت طلب مخطوطاته وقام بازالتها أو محوها وقال : « لقد خشيت أن تصل هذه المخطوطات بعد وفاتي إلى أيد غير أمينة فيحرفوا فيها (فيضعوها في غير موضعها) (٧) .

(١) تقييد العلم (٨٥ ، ١٨٢) ، فتح المغيث للسخاوي (٢١٦) .
(٢) مسند الإمام أحمد (١٠ : ٢٨) .
(٣) مشاهير علماء الأمصار ، ص (١٢١) ، الترجمة (٩٤٠) .
(٤) خطط المقريزي (٢ : ٣٣٢) .
(٥) تذكرة الحفاظ (١ : ٣٦) ، مسند الإمام أحمد (٢ : ١٧٦) .
(٦) سنن الدارقطني (٤٥٣) .
(٧) طبقات ابن سعد (٦ : ٦٣) ، تقييد العلم (٦١) ، سنن الدارمي (١ : ١٢١) جامع بيان العلم (١ : ٦٧) ، العلم لأبي خيثمة (٩ ب) .

وطبقا لرواية أخرى ، يذكر أنه ترك وصية في هذا الشأن يوصي فيها إما بحرق كتبه وإما بمحوها [١] .

وواضح من التقريرين أنه كان لديه أحاديث مكتوبة على الرغم من أنه تخلص من هذه المخطوطات أولاً بأول ، ويقال أن عَبيده الذي وُضِع في قائمة المعارضين لكتابة الحديث [٢] قد منع طلابه من تدوين الأحاديث . وهذا النهي لا يعكس شيئاً سوى خوفه الذي أظهره وهو على فراش الموت ، ألا وهو احتمال أن يعبث أحد بكتبه ، وبسبب هذا الخوف منع (تلميذه) إبراهيم أن يحتفظ بأي كتاب يخصه أي يخص عبيدة [٣] .

وهناك احتمال بأن مجموعة أحاديث عبيدة لم تبق لمدة طويلة ، ولكن على أي حال فقد دون الأحاديث .

١٦ - كتب عبد الله بن عباس :

ينتمي ابن عباس إلى فئة هؤلاء العلماء المحدثين في الحقبة الإسلامية الأولى ، الذين لم يقتصر اهتمامهم على النواحي الدينية فحسب بل على كافة فروع المعرفة . ويعطينا عطاء بن أبي رباح (المتوفى سنة ١١٤ هـ) الوصف التالي لابن عباس « صاحب المقدرة الأدبية المتميزة » ويقول : « اعتاد بعض الناس أن يأتوا إلى عبد الله بن عباس لدراسة الشعر ، وآخرون لدراسة علم الأنساب ، وغيرهم لدراسة تاريخ عرب ما قبل الإسلام .

وكان يحدد أياماً معينة لتدريس موضوعات بعينها . ولهذا فقد خصص

---

(١) تقييد العلم (٦٢) .

(٢) تقييد العلم (٤٥ ، ٤٦) ، طبقات ابن سعد (٦ : ٦٣) ، جامع بيان العلم (١ : ٦٧) سنن الدارمي (١ : ١٢٠ - ١٢١) .

(٣) طبقات ابن سعد (٦ : ٦٣) ، سنن الدارمي (١ : ١٢٠) .

يوماً واحداً في الاسبوع لتعليم الفقه ، واليوم التالي للتأويل (أي تفسير القرآن) ويوماً ثالثا للمغازي (غزوات النبي ﷺ) ويوماً آخر للشعر ، ويوماً لأيام العرب (تاريخ عرب ما قبل الإسلام) [(١)] .

وبدأ عمله الأدبي بعد وفاة النبي ﷺ [(٢)] . وفي الواقع أنه تفوق في العديد من فروع المعرفة وخاصة القرآن والحديث . وبالنسبة للحديث ، عرف بأنه أب لكافة أعمال التفسير [(٣)] . وبقدر اهتمامه بالحديث كان اهتمامه الصادق بحفظ هذه الأحاديث . واعتاد أن يقارن القرآن بالحديث . ويطلب من طلابه إعطاء اهتمام مضاعف لتسجيل الأحاديث . أما بالنسبة للقرآن فقد ذكر أنه قد حفظ وجمع بالفعل (محفوظ . مجموع) فقد كان كل اهتمامه منصبا على الحديث الذي يحتاج إلى جهود دورية لحفظه . ويرى أن رواية الحديث بين الصحابة كانت إحدى وسائل حفظه [(٤)] . وهو نفسه كان جامعاً مجتهداً للحديث والأثر لا من الأنصار فحسب بل من اليهود والنصارى العرب [(٥)] .

ولكي يتسنى له سماع الأحاديث من فهم الصحابة اعتاد أن يزورهم في بيوتهم في أوقات يكون الجو عموماً فيها حاراً ومذرواً بالرياح . على الرغم من أن الصحابة من جانبهم كانوا على استعداد أن يذهبوا إلى بيته ويرووا له الأحاديث التي يطلب سماعها . وهم

(١) طبقات ابن سعد (٢ : ٢ : ١٢٢) ، وتاريخ بغداد (١ : ١٧٥) .

(٢) طبقات ابن سعد (٢ : ١ : ١٢١) .

(٣) Papyri (2 : 9 , 99) , GAL (1 : 190) , GALS (1 : 331) , Historical Sources (131 - 132) .

(٤) تذكرة الحفاظ (٣ : ٩٦٥) .

(٥) Papyri (1 : 47 - 48) & (2 : 9 , 99 , 198) .

بذلك ينقذون ابن عم النبي ﷺ من وطيس الحرارة وغبار الرياح ، ولكنه لم يوافق وكان رده المعتاد « لا ، يجب أن آتي أنا اليكم (إذ كنت باحثاً عن المعرفه بحق) [١] وكان في منتهى الحرص عند قبوله حديثاً من الأحاديث . ولهذا لم يكتف بإسناد واحد فحسب للحديث ولكن كان يبحث عن العديد من الرواة بقدر ما يستطيع لأنها أحاديث للنبي ﷺ . ويقال أنه أحياناً كان يسأل حوالي ثلاثين صحابياً عن حديث بعينه [٢] .

وعن هذا المنعطف بحق لنا أن نتساءل : لما ذا لم يذكر الحديث في قائمة الموضوعات التي يقال أنه تميز فيها ، ولأي هذه الموضوعات خصص الندوات والمجالس الخاصة ؟ [٣] .

ولكى نفسر هذا الاعتراض ، من الضروري أن نلاحظ أن العلاقة بين الحديث والفقه في فجر الإسلام كانت علاقة وثيقة في تلك الأيام ، وكان العلم بالحديث شرطاً ضرورياً للمعرفة بالفقه ، ولهذا لم يوجد عالم في الفقه في هذه الفترة دون معرفة صحيحة بالحديث . فالحديث في الواقع لم يشكل أساساً للفقه فحسب ، بل في التأويل (وتفسير القرآن) بل وحتى في المغازي [٤] وإذا وضعنا دور الحديث في الاعتبار فإن الاعتراض السابق يمكن تفسيره : وفي الواقع لم يكن هناك ضرورة في الرواية السابقة

---

(١) طبقات ابن سعد (٢ : ١ : ١٢١) ، والسنة ومكانتها للسباعي (٧٦ - ٧٧) ، جامع بيان العلم (١ : ٨٥ - ٨٦) .

(٢) سير أعلام النبلاء (٣ : ٢٣١) .

(٣) واشتملت القائمة على فروع العلم الآتية الفقه التأويل (تفسير القرآن) المغازي (الحرب) الشعر ، وأيام العرب (تاريخ عرب ما قبل الإسلام) . انظر طبقات ابن سعد (٢ : ٢ : ١٢١ - ١٢٢) .

(٤) Papyri (1 : 15) .

لذكر الحديث تحديداً ، ونحن نتناول معرفة ابن عباس بالفقه ، لأن معرفته بالفقه تتضمن بالضرورة معرفته بالحديث .

وعلى الرغم من الروايات التي وصلت الينا عن كراهية ابن عباس لتدوين الأحاديث [١] . إلاّ أن أغلبية هذه الأحاديث تبين أنه لم يوافق على تسجيل الأحاديث فحسب ، بل قام بنفسه بإملائها لتلاميذه [٢] ، بل وأكثر من هذا يروى بأنه نصح الناس بأن يقيدوا العلم كتابةً [٣] ، في الوقت الذي قام هو نفسه بتعيين الكتبة ليسجلوا له الأحاديث [٤] .

وبالنظر إلى عمله الأدبي ، يميل المرء إلى أن ينحي جانبا هذه الروايات التي يقال فيها أنه لم يوافق على كتابة الحديث ، ويبدو أن هذه الكراهة كان يقصد بها تحريم تسجيل القرآن والحديث على نفس الصحيفه خوفاً من أن يختلط كل منهما بالآخر .

ولقد رأينا بالفعل أنه حدد أياماً بعينها لتعليمه موضوعات مختلفة . وعرفنا أن دائرة تعليمه أثناء موسم [٥] الحج كانت تزداد

(١) تقييد العلم (٤٢ - ٤٣) ، جامع بيان العلم (١ : ٦٤ - ٦٥) ، وكتاب العلم لأبي خيثمة (٤ أ) .

(٢) تقييد العلم (١٠٢) ، المحدث الفاصل (٣٥ أ - ٣٥ ب) .

(٣) تقييد العلم (٩٢) ، جامع بيان العلم (١ : ٧٢) ، وكتاب العلم لأبي خيثمة (١١ ب) .

(٤) الإصابة (٢ : ٣٣٢) ، الترجمة رقم (٤٧٨١) .

(٥) ويجب أن تتذكر أن العديد من العلماء اعتادوا أن يعقدوا حلقات للحديث أثناء موسم الحج (أيام الموسم) تذكرة الحفاظ (١ : ٢٤٢) . وعلى سبيل المثال فقد حضر هشيم بن بشير (المتوفى سنة ١٨٣ هـ) دروس الزهري ، وأبي الزبير ، =

إتساعاً [١] بل وحتى غير العرب استفادوا من دروسه من خلال ترجمة المترجمين [٢] ، وكان حريصاً للغاية على نشر التربية الدينية لدرجة أنه يقال : أنه وضع القيود في قدم تلميذه عكرمه ليعلمه القرآن والسنة [٣] .

وفي ضوء هذه الروايات فكان من المتوقع منه أن يترك بعض السجلات المكتوبة في القرآن والحديث .

ويمكن أن نذكر بالنسبة للحديث تفسيره الشهير الذي تسلمه تلميذه «مجاهد بن جبر » [٤] وبالنسبة لعادة كتابة الأحاديث فقد عرفنا أنه اعتاد أنْ يُدَوِّنَ كل شيء يسمعه [٥] ، وأحياناً كان يسخر مولاه لهذا الغرض[٦].

= وعمرو ، في مكة وذلك في مناسبة موسم الحج . وأبو حنيفة أيضاً كشاهد عيان كان يعقد حلقات للحديث أثناء موسم الحج . تذكرة الحفاظ (١ : ٢٢٩) ، جامع بيان العلم (١ : ٤٥) .

(١) الاستيعاب (٢ : ٣٥٣) .

(٢) صحيح البخاري (٤ : ٤٠٠) في كتاب الأحكام .

(٣) طبقات ابن سعد (٢ : ١ : ١٣٣) .

(٤) ويعطينا الطبرى تفسيراً عن كيفية تأليف ابن عباس لهذا التفسير ويقول : إن مجاهد بن جبر المتوفى سنة ١٠٤ هـ ، وضع الأسئلة لابن عباس ، في الوقت الذى يقوم كاتبه بتدوين الاجابات التى يمليها ابن عباس حتى اكتمل تفسير ابن عباس . وعلى الرغم من هذا التفسير يقال إن ابن عباس لم يترك نصوصا نهائية محددة ، وأعمال التفسير التى وضع تحتها إسمه ، تشمل أحاديث أضافها تلاميذه من وقت لآخر ، وخاصه هؤلاء الذين قاموا بنقل وتحرير هذه الأحاديث . أنظر : تفسير الطبري (١ : ٩٠) و , pa pyri (2 : 98 - 99) , two muquaddima (193)

(٥) طبقات ابن سعد (٢ : ٢ : ١٢٣) ، تقييد العلم (٩٢) .

(٦) التراتيب الإدارية (٢ : ٢٤٧) .

ويقال : أنه كون مجموعة من الأحاديث تصل إلى (١٦٦٠) حديثاً(١)، وبسبب تقدمه في السن ، ووهنه حين توفى النبى ﷺ فكان عليه أن يَسْمَعَ من الصحابة لا من النبي ﷺ مباشرة ، وطبقاً لإحدى الروايات فقد اعتاد أن يَحْمل ألواحاً خشبية ويدوّن عليها الأحاديث (٢)

وبغض النظر عن تفسيره هذا ، فقد ذكرت المصادر مجموعة المصادر التالية له :

أ - حمولة جمل من الكتب أو الدفاتر :

يقال أن : ابن عباس كان لديه مجموعة ضخمة من الكتب لدرجة أنها كانت تطلب جملاً ينقلها من مكانٍ لآخر (٣)

وعلى الرغم من المبالغة إلى حدٍّ ما في هذه الرواية ، إلا أننا يمكن أن نعترفَ أنه كان لديه عدد ضخم من الكتب ، ولسوء الطالع فإننا لم نعرف موضوعات هذه الحمولة من الدفاتر ، ولكن بسبب اهتمامه الخاص بالقرآن والحديث ، فيمكن أن نؤكد أن بعض أعمال مجموعة التفسير والحديث كانتا ضمن هذه المجموعة من الكتب . وهذه النتيجة استخلصناها فى الواقع من حقيقة أن العلماء مثل : عكرمة ، وموسى بن عقبة ، وغيرهما قد كونوا خلاصات منسوخة من هذه الكتب (٤) .

---

(١) تدريب الراوي (٢٠٥) .

(٢) طبقات ابن سعد (٢ : ٢ : ١٢٣) ، تقييد العلم (٩١ - ٩٢) .

(٣) طبقات ابن سعد (٥ : ٢١٦) ، تقييد العلم (١٣٦) . و

EARLiest Biogranhies ... lc (2 : 2 : 167)

(٤) تقييد العلم (١٣٦) ، طبقات ابن سعد (٥ : ٢١٦) .

ويُروي أن هذه الكتب وصلت إلى تلميذه ومولاه « كريب » الذي أودعهم بدوره عند موسى بن عقبة [١] .

ويروى أن على بن عبد الله بن عباس كان إذا أراد أى كتاب من كتب والده كتب لكريب « أرسل لي كتاب كذا وكذا (صحيفة) ، وحينئذ ينسخ كريب الكتاب المطلوب ويرسله إلى علي » [٢] .

ووجدنا إشارات عارضة إلى هذه الكتب في الرواية التالية لعكرمة تلميذ ابن عباس في معرض حديثه عن كتابٍ معين روى أنه قال : « لقد وجدته بين كتب ابن عباس بعد وفاته ونسخته » [٣] .

ب - نسخة الأحكام للإمام علي رضي الله عنه :

وكان لدية أيضاً نسخة الإمام عَلّى الخاصة بالأحكام القضائية ، والتى رآها معه طاوس [٤] ونسخها لأحد تلاميذه [٥] .

جـ - كتبه فى حوزة عدد من رجال الطائف :

وعندما تقدَّمَ به السن ، وضَعُفَ بصره يروى أن بعض رجال الطائف أحضروا له بعض كتبه = (كتب من كتبه) ، وقرأوا له بغرض المقابلة والدراسة[٦]

---

(١) تقييد العلم (١٩ ، ١٣٦) ، طبقات ابن سعد (٥ : ٢١٦) .

(٢) تقييد العلم (١٣٦) ، طبقات ابن سعد (٥ : ١٢٦) ، شذرات الذهب (١ : ١١٤) .

(٣) von Kremeres edition... jasb xxv (1856) , (211)

(٤) صحيح مسلم (١ : ٧)

(٥) المصدر السابق .

(٦) الكفاية (٣٨٤) ، سير أعلام النبلاء (٣ : ٢٣٨) ، جامع الترمذي (١٣: ٣٢٦) في كتاب العلل .

د - مجموعة أحاديثه من رافع بن خديج :

إن سلمى خادمة النبي ﷺ وزوجة رافع تعتبر شاهد عيان للدلالة على أن عادة ابن عباس في كتابة الحديث أخذها عن زوجها فقد قالت :

« رأيتُ عبد الله بن عباس يأتي إلى زوجي أبي رافع ، حاملاً معه ألواحاً خشبية ، ليكتب أحاديث خاصة بأفعال النبي ﷺ [(١)] .

هـ - كتاب له مع حكم بن مقسم :

يبدو أن السجل المكتوب لأحاديث ابن عباس وَصَلَ إلى « الحكم بن مقسم » الذي يروى عنه بأن مجموعته الكاملة التي نقلها عن ابن عباس باستثناء أربعة أحاديث سمعها شخصيا منه قد نقلها من كتاب [(٢)] .

١٧ - كتاب عبد الله بن عمر بن الخطاب (م - ٧٣ / ٧٤)

إن ابن عمر كان واحداً من ناقلي الأحاديث الحريصين [(٣)] على الرغم من أنه يقال : أنه كان من المعارضين لكتابة الحديث [(٤)] فإن سيرته في إملاء الأحاديث لتلاميذه يدحض هذا التأكيد [(٥)] لأنه على الأقل قام مولاه نافـــع [(٦)] الذى أعتقه بتدوين ما يمليه عبد الله بن عمر ، وبالإضافة إلى

---

(١) طبقات ابن سعد (٢ : ٢ : ١٢٣) .

(٢) origin of writing ... jAsB xxv (1856) p, (328)

(٣) لم يوافق على نقل الأحاديث بالطريقة التى كانت سائدة وأصر على النقل اللفظي . أنظر طبقات ابن سعد (٤ : ١ : ١٠٦) .

(٤) تقييد العلم (٤٤) .

(٥) سنن الدارمي (١ : ١٢٧ - ١٢٨) ، صحيفة همام بن منبه (٣٤) ، وكتاب تدوين حديث (٧١) .

(٦) تاريخ بغداد (١٠ : ٤٠٦) ، مسند الإمام أحمد (٢ : ٢٩) .

رواية نافع كانت هناك روايات أخر فعلى سبيل المثال : « سعيد بن جبير »[1] « عبد العزيز بن مروان » [2] « عمر بن عبيد الله » [3] أخذوا الأحاديث عنه كتابةً ، أو بشكل مكتوب .

ويبدو أن ابن عمر كان أحياناً يلتزم بنصيحة والده في التخلي عن كتابة الحديث ، ولكنه تخلى عن هذه الكراهية في أخريات حياته [4] . ويزودنا الذهبي بمعلومات عن امتلاك ابن عمر لعدد من الكتب [5] ، وأحد الكتب التى كانت بحوزته كان كتاب عمر ، الذي رُوي : أن عبده نافع قرأه له عدة مرات [6] ، ومما هو جدير بالتذكرة أن هذا الكتاب ظَلّ معه لمدة ثلاثين عاماً [7] .

وهناك احتمال أن هذا الكتاب هو نفس الكتاب الخاص بالزكاة ، الذي أعده الفاروق عمر ليكون مرشداً للولاة ، والذي عرف في المصادر بكتاب الصدقة [8] .

---

(١) تقييد العلم (٤٣ - ٤٤) و (١٠٢ - ١٠٣) ، جامع بيان العلم (١ : ٦٦) ، حلية الأولياء (٤ : ٢٧٦) .

(٢) طبقات ابن سعد (٤ : ١ : ١١٠ - ١١١) حيث ذكر خطأً « هارون » بدلاً من مروان . ولذا لزم التنويه .

(٣) مسند الإمام أحمد (٢ : ٤٥) .

(٤) تقييد العلم (٤٣ - ٤٤) ، جامع بيان العلم (١ : ٦٦) .

(٥) سير أعلام النبلاء (٣ : ١٦٠) .

(٦) الأموال (٣٩٣) .

(٧) تذكرة الحفاظ (١ : ٨٨) .

(٨) الأموال (٣٦٢ ، ٣٦٣ ، ٣٦٦ ، ٣٧٩) ، وغيرها ، سنن أبي داود (٢ : ١٣٣) في كتاب الزكاة ، حديث رقم (١٥٧٠) .

١٨ - صحيفة محمد بن الحنفية (م - ٧٣) :

لقد عرف ابن الخليفة « الإمام على » باسم ابن الحنفية ، وكان طالباً من طلاب الحديث الذي اعتاد أن يتعلم ويكتب الأحاديث من جابر بن عبد الله[١] . وكان لديه صحيفة (وصفت أيضاً باسم كتاب) والتي نقلها تلميذه عبد الأعلى بن عامر [٢] .

١٩ - صحيفة جابر بن عبد الله (م - ٧٨) :

لقد وُضِعَ جابر بين قائمة الصحابة الذين قاموا برحلات مضنية بحثاً عن الحديث ، ويروى أنه ذات مرة سافر من المدينة إلى الشام وذلك في رحلة استغرقت شهراً ليسمع حديثاً واحداً من عبد الله بن أُنَيْس الذي يعدّ واحدا من الصحابة [٣] ، ورحلة أخرى مماثلة قام بها إلى مصر ليأخذ حديثاً من عقبة بن عامر [٤] .

وكان جابر من المؤيدين لكتابة الأحاديث ولكنه لم يدون مجموعة أحاديثه ، بل اعتاد أن يدوِّن الأحاديث لطلابه [٥] أثناء حلقات الحديث التي كان يعقدها بانتظام في مَسْجِدِ المدينة [٦] ، واحتوت مجموعة أحاديثه

---

(١) تقييد العلم (١٠٤) .

(٢) طبقات ابن سعد (٥ : ٧٧) و (٦ : ٢٣٣) تهذيب التهذيب (٦ : ٩٤) ، الجرح والتعديل في المقدمة (٧١) ، والجرح والتعديل (٣ : ١ : ٢٦) .

(٣) جامع بيان العلم (١ : ٩٣ ، صحيح البخاري (١ : ٣١) في كتاب العلم

(٤) معرفة علوم الحديث (٨ - ٩) .

(٥) تقييد العلم (١٠٤) .

(٦) تهذيب التهذيب (٢ : ٦٧) .

أكثر من ألف حديث [١] ، وصفت فى المصادر على أنها صحيفة [٢] ، واستشهد بها عبد الرزاق في « مصنفه » فى فصل « الذنوب » [٣] .

ويذكر أن الحسن البصري ، وقتادة رويا الحديث من الصحيفة [٤] وعلى الرغم من أن حجم هذه الصحيفة لم يُحدد فى المصادر ، ولكن إذا وضعنا فى الاعتبار حقيقة أن الصحيفة قد احتوت أكثر من الف حديث [٥] فلنا أن نسميها مجموعة كبيرة من الأحاديث .

ووجدنا إشارات من حين لآخر لهذه الصحيفة في السير الذاتية لأئمة الحديث ، فعلى سبيل المثال : في إشارة إلى السيره الذاتيه لقتادة يقال : «إن قتادة كان يتمتع بأفضل ذاكرة بين أهل البصرة » .

وفي معرض اعتزازه وتفاخره بذاكرته القوية [٦] ، أشار هو نفسه إلى الصحيفة ، وقال : « لقد حفظت صحيفة جابر عن ظهر قلب بأفضل مما حفظت الجزء الثاني من القرآن الكريم [٧] .

---

(١) تهذيب الأسماء واللغات (١ : ١ : ١٤٢) .

(٢) الكفاية (٥.٦ - ٥.٧) ، دراسات إسلامية لجولد تسيهر (٢ : ١٠ : ٢٣) طبقات ابن سعد (٥ : ٣٤٤) ، تهذيب التهذيب (٤ : ٢١٥) والمحدث الفاصل للرامَهُرمُزي (مخطوط) ، (٤٦ ب) .

(٣) صحيفة همام بن منبه (٢٧) .

(٤) جامع الترمذي (٦ : ٥٢) في كتاب البيوع

(٥) تهذيب الأسماء واللغات (١ : ١ : ١٤٢) .

(٦) تهذيب الأسماء واللغات (١ : ١ : ٥٨) ، تذكرة الحفاظ (١ : ١١٦).

(٧) صحيفة همام بن منبه (٢٧) ، والتاريخ الكبير للبخاري (٤ : ١ : ١٨٦) الترجمة رقم (٨٢٧)

وقد وردت فيه العبارة هكذا : « لأنا لصحيفة جابر أحفظ مني لسورة البقرة (المترجم) .

وَوَجَدْنا إشارات أخرى إلى هذه الصحيفة في السيرة الذاتية لأبي سفيان الواسطي ، إسماعيل بن عبد الكريم الصنعاني (م - ٢١٠) ، وسليمان ابن قيس اليشكري ، ويقال عن طلحة بن نافع أبي سفيان الواسطى : إن الأحاديث التي رووها عن جابر كانت في الواقع من تلك الصحيفة ، وفى السيرة الذاتية لإسماعيل يذكر أن إسماعيل رَوى من هذه الصحيفة [١] «عن جابر» ، عن وهب بن منبه الذي رواها بدوره عن جابر [٢] أما بالنسة لسليمان فيقال : أنه حضر مجالس جابر ، وكَتَبَ من صحيفته [٣] .

أما عن أبى الزبير ، وأبى سفيان ، والشعبي ، وقتادة فيستشهد إبن حجر يقول لأبي حاتم الذى يذكر أن هؤلاء جميعاً سمعوا محتويات هذه الصحيفة (صحيفة جابر) ونقلوا منها على مسئوليته [٤] .

وهذه الرواية لا توضح وجود هذه الصحيفة مع جابر فحسب ، بل تشير أيضاً إلى أنّه اعتادَ أن يملي الأحاديث منها .

وفضلا عن هذه الصحيفة ، فقد كان عند جابر كتباً عن الحج [٥] .

٢ - صحيفة سليمان بن قيس اليشكري (المتوفى سنة ٧٥ هـ) :

إن سليمان كان من المؤيدين لتدوين الأحاديث [٦] ودوّن صحيفة جابر بن عبد الله [٧] . وأحد مجموعات أحاديثه كان كتابا خاصاً بأمه التي

---

(١) الجرح والتعديل (٢ : ١ : ٤٧٥) ، تهذيب التهذيب (٥ : ٢٧) ، الكفاية (٥٠٧) ، ميزان الاعتدال (٢ : ٣٤٢) ، الترجمة رقم (٤٠١٢) .

(٢) تهذيب التهذيب (١ : ٣١٥ - ٣١٦) .

(٣) تهذيب التهذيب (٤ : ٢١٥) ، والجرح والتعديل (٢ : ١ : ١٣٦) .

(٤) تهذيب التهذيب (٤ : ٢١٥) ، ودراسات إسلامية لجولد تسيهر (٢ : ١/ ٢٣) .

(٥) تذكرة الحفاظ (١ : ٤١) ، تهذيب التهذيب (٤ : ٢١٥) ، تدوين حديث (٦٨) .

(٦) تقييد العلم (١٠٨) .

(٧) تهذيب التهذيب (٤ : ٢١٥) ، الجرح والتعديل (٢ : ١ : ١٣٦) ، جامع الترمذي (٦ : ٥٢) في البيوع .

أحضرته إلى ثابت ، وقتادة ، وأبي بشر ، والحسن ، وفى حين نقل ثابت حديثاً واحداً من هذا الكتاب نقل الآخرون الكتاب كله [١] .

٢١ - كتاب بشر بن نهيك (المتوفى سنة ٨٠ هـ) :

لقد كان بشر تليمذاً معروفاً من تلاميذ أبى هريرة ، وَقَدْ جَمَعَ مجموعةً من الأحاديث عن أبى هريرة ، ويقال أنه أحضر هذه المجموعة (الكتاب) إلى شيخه يَطْلُبُ منه التصريح بالنقل على مسئوليته ، وأعطى هو نفسه مبررات لهذه المجموعة المكتوبة من الأحاديث ، وقال : « لقد اعتدت أن أدوِّنَ ما أسمعه من أبى هريرة ، وكنت عندما أشعر أنني بحاجة إلى رفاقٍ أذهب إلى أبى هريرة ومعى كتابي وأقرأ عليه ، ثم أسأله عما إذا كان هذا ما سمعته منه ، وحينئذ يجيب بالإيجاب [٢] .

وتشير الرواية بوضوح إلى كتاب يحتوى على أحاديث النبي ﷺ بحوزة بشر .

٢٢ - مجلة أنس بن مالك (م - ٩١) :

إن أبا حَمْزَةٍ أنس بن مالك المتوفي (سنة ٩٠ / ٩٣ / ٩٥ هـ) معروف كواحدٍ من أفضل النقلة لأحاديث النبى ﷺ ، ويروى عنه أنه ذات

---

(١) الكفاية (٥٠٦) .

(٢) تهذيب التهذيب (١ : ٤٧٠) ، تقييد العلم (١٠١) ، سنن الدارمي (١: ١٢٧) ، جامع بيان العلم (١ : ٧٢) ، تدوين حديث (٦٥) ، كتاب العلم (مخطوط) لأبي خيثمة (١١ أ - ١١ ب) ، طبقات ابن سعد (١ : ١٦٢)، جامع الترمذي (١٣ : ٣٢٧) ، في كتاب العلل ، المحدث الفاصل (٣٦ ب) .

مرة سأله أحد الحاضرين عما إذا كان سمع هذا الحديث من النبى ﷺ (١) . وذلك بعد أن روى أحد الأحاديث ، وأثار غضبه هذا السؤال ، وردٌ عليه بالحجة قائلاً : « أقسم بالله كل ما رويناه عليكم ، سمعناه من النبى ﷺ .

وعندما توفى رثاه مورّق (المتوفى سنة ١٠٥ هـ) متفجعاً على فقده بهذه الكلمات « لقد اندثرت نصف المعرفة اليوم » .

وعندما سئل مورّق أن يفسر هذه المقولة قال : « عندما يأتى إلينا شخص من أهل الأهواء ويختلف معنا فى متن أحد الأحاديث اعتدنا أن نقول : دعونا نسمع الرواية الصحيحة للحديث ، من (أنس) الذي سمعه من النبى ﷺ ، الآن بعد موته لم يعد هذا ممكنا (٢) .

وكان أنس من المدافعين الأوائل لتسجيل الحديث ، أما عن أخذ كلمة « علم » بمعنى حديث فيقول « إن معرفة « العلم » لدى هؤلاء الذين لم يلتزموا بتدوينه كتابةً لا تعد معرفة (٣) » ونصح أولاده قائلاً : « يا بني ! قيدوا العلم بالكتاب » (٤) .

وعندما بلغ أنس سن العاشرة أحضرته أمه ، والتى كانت تسمى « أم سليم » إلى النبى ﷺ الذي قبله كغلام يعمل في خدمته (٥) . وَخَدَمَ النبى ﷺ لمدة

---

(١) طبقات ابن سعد (٧ : ١ : ١٣) .

(٢) تهذيب التهذيب (١ : ٣٧٨) .

(٣) تقييد العلم (٩٦) .

(٤) طبقات ابن سعد (٧ : ١ : ١٤) ، البيان والتبيين (٢ : ٢٢) ، جامع بيان العلم (١ : ٧٣) ، سنن الدارمي (١٢٦ ـ ١٢٧) ، تقييد العلم (٩٦ ـ ٩٧) .

(٥) طبقات ابن سعد (٧ : ١ : ١٢) ، الجرح والتعديل فى المقدمة (١٤٤) ، والجرح والتعديل (١ : ١ : ٢٨٤) ، الإصابة (١ : ٧١) ، الترجمة رقم (٢٧٧) ، مشاهير علماء الأمصار لابن حبان (٣٧) ، الترجمة رقم (٢١٥) .

عشر سنوات [١] كانت فرصة طيبة ليجمعَ أحاديثه ﷺ [٢] .

ويبدوا أنَّه نَجَحَ في استغلال وقته الذي قضاهُ مع النبي ﷺ وكتب الأحاديث وقتما وجد الفرصة سانحة لذلك ، ووجدت إشارة عارضة إلى هذه العادة في هذه الرواية « يذكر أنه ذات مرة ، روى النبى ﷺ حديثاً في بيت عتبان بن مالك (المتوفى أثناء حكم معاوية) . وهذا الحديث حاز قبوله كثيراً لدرجة أنه طلب من ابنه أن يكتب هذا الحديث . ونفذ الابن أمر أبيه [٣] .

وفى أخريات حياته زاره بعض الناس وطلبوا منه أن يروى لهم الأحاديث ، ويروى أنه أخرج كتاباً (ومجلة [٤] - كتب - صكوك [٥]) وقال : « هذه الكتب التى كتبتُ فيها ما سمعته من النبى ﷺ ، وقد أعطيت لهم كل هذه الكتب لدراستها والتمعن فيها [٦] » .

ومن الواضح من هذه الرواية أن أنساً لم يكتب الأحاديث عن النبى ﷺ فحسب بل جمعها أيضاً .

---

(١) جامع الترمذي (١٣ : ٢٢٤) ، في كتاب المناقب

(٢) تقييد العلم (٩٥ - ٩٦) و origin of writing ... jAsB xxv, (1856) , p : 319

(٣) تقييد العلم (٩٤) .

(٤) المجلة : وثيقة تحتوي حكمةً ، وأي كتاب انظر : تقييد العلم (٩٥) و(Lexicon (1 : 2 : 438

(٥) الصك هو قطعة من الكتابة مسجلة ، أو كتاب . أنظر ، lexicon (1 : 4 , 1709)

(٦) تقييد العلم (٩٥ - ٩٦) تاريخ بغداد (٨ : ٢٥٩) ، تدوين حديث (٦٧- ٦٨) ، وأيضاً انظر المحدث الفاصل (٣٤ ب) .

ولآن أنساً كان كاتبا منذ سن العاشرة [١] فعلى هذا تكون مسألة تدوينه لأحاديث النبى ﷺ فى سن مبكرة ليس شيئاً غريباً [٢] ، وكان يقوم بالنسخ بنفسه ، ويقال أنه نصح أبناءه : موسى ، نضر ، وعبد الله بأن يدونوا العلم (الحديث) [٣] ، وأحياناً كان يقوم بنفسه بكتابة الحديث من أجل أبنائه وتلاميذه [٤] .

ولآنه عاش حتى نهاية القرن الأول الهجري فقد وجد فرصة طيبة لينشر علم الحديث بين التابعين ، ولهذا نجد قائمة طويلة من الطلاب الذين نقلوا عنه وكونوا مجموعات لهم ومن بينهم يمكن أن نذكر عبد الله بن دينار[٥]، إبراهيم بن هُدْبَةَ [٦] ، كثير بن سليم [٧] ، ابان بن عياش (المتوفى سنة ١٣٨ هـ) [٨] ثابت البُناني (المتوفى سنة ١٢٣ - ١٢٦هـ) [٩] .

---

(١) طبقات بن سعد (٧ : ١ : ١٢) .

(٢) تدوين حديث (٢٧٤) .

(٣) تقييد العلم (٩٦ - ٩٧) ، جامع بيان العلم (١ : ٧٣) ، سنن الدارمي (١ : ١٢٦) ، كتاب العلم لأبي خيثمة (١٠أ) ، المحدث الفاصل (٣٤ب)، المصدرين الأخيرين بدون ذكر الأسماء .

(٤) pA pyri (1 : 48) , (2 : 118)

(٥) وتذكر المصادر أنه كتب كتاباً كبيراً عن شيخه . وانظر : معرفة علوم الحديث للحاكم (١٠) .

(٦) كتب نسخة عن أنس . معرفة علوم الحديث (٩) .

(٧) تهذيب التهذيب (٢ : ٥٧) .

(٨) لقد رؤى يكتب على الألواح . تقييد العلم (١٠٩) ، وسنن الدارمي (١ : ١٢٧) .

(٩) إرتبط بأنس لمدة أربعين عاماً وكان لديه مجموعة من الأحاديث تصل إلى ٢٥٠ حديثاً . حلية الأولياء (٢ : ٣٢٧) والجرح والتعديل (١ : ١ : ٤٤٩) .

وبسبب ذيوع صيته ككاتب يذكر أنه في عصور لاحقة وضع عدداً من الناس بعض الأحاديث ونسبوها إليه (١) .

وبالإضافة إلى مجموعات أنس في « المجالّ والصكاك » فقد حاز كتيبا عن الضرائب حصل عليه من الخليفة أبي بكر عندما كان أنس واليا على البحرين (٢) ، وهذا الكتيب الذي احتوى على معدلات الزكاة على الماشية ، كان يَحْمِلُ ختمَ النبي ﷺ (٣) .

وشكك فى صحة هذه الوثيقة « جولد تسيهر » على أساس أنَّ تفسير كلمة « زعم » التى وجدت في الإسناد فى رواية واحدة من روايات عديدة لهذا الحديث ، وصحة هذا النقد يحتاج إلى مناقشة .

---

(١) ومن بين النسخ المزورة يمكن أن نذكر هذه النسخ :

١ - مجموعة ابان بن عياش التى كانت تحتوى على . . ١٥ حديث موضوع (أنظر ميزان الاعتدال ١ : ١٢) ، الترجمة رقم (١٥) ، ويمكن التفرقة بين هذه المجموعة وبين المجموعة الأصلية .

٢ - مجموعة العلاء بن زيد .

٣ - مجموعة خالد بن عبيد البصري . أنظر تهذيب التهذيب (٣ : ١٠٥) .

(٢) تقييد العلم (٨٧) ، صحيح البخاري (١ : ٣٦٦ - ٣٦٨) في كتاب الزكاة و (٤ : ٣٣٩) في كتاب الحيل ، وسنن أبي داود (٢ : ١٢٩ - ١٣٠) ، حديث رقم (١٥٦٧) ، في الزكاة ، وسنن النسائي (٥ : ١٨ - ٢٣) ، في كتاب الزكاة ، وسنن ابن ماجه (١ : ٥٥١ - ٥٥٢) في كتاب الزكاة .

(٣) تقييد العلم (٨٧) ، سنن أبي داود (٢ : ١٢٩) ، حديث رقم (١٥٦٧)، في كتاب الزكاة .

إن المعلومات عن هذه الوثيقة أعطاها لنا من الرواة : حماد بن أبي سليمان [1] ، وعبد الله بن المثني [2] وكلاهما رويا على مسئولية ثمامة (المتوفى سنة ١١٠ هـ) حفيد أنس بن مالك ، ولأن إحدى روايات حماد أدت إلى بعض من سوء الفهم ، فمن الضروري أن نلقي الضوء عليها .

إن هذه الرواية التى وُحدَتْ في سنن أبي داود فقط تنصّ على الآتى : لقد أخذت من ثمامة بن عبد الله بن أنس كتيباً الذى قال (زعم) أن أبا بكر أرسله إلى أنس » [3] .

فكلمه زَعَمَ في هذه الرواية جعلت « جولد تسيهر » يستنتج أن حماداً نفسه شَكَّ في صدقِ هذه الوثيقة [4] . وحاول « جولد تسيهر » أن يبرهن بجهد دؤوب على ذلك بالاستشهاد ببعض الأمثلة من مصادرِ أدب ماقبل الإسلام والتي استُخْدِمَ فيها كلمة « زعم » بمعنى شك أو كذب ، وعلى الرغم من أنه اعترفَ أيضاً بأن الكلمة استخدمها مؤلفو المعاجم وعلماء اللاهوت بمعنى عام ، قال « التي تعني الاقتراب من شيء صادق أو حقيقي[5] ، وبعد إعطاء التفسيرين المؤيدين بالأمثلة ، فضل المعنى الأول الخاص بالشك فى صدق هذه الوثيقة وتأييده للتفسير الأول كان إلى حد ما

(١) سنن أبي داود ، حديث (١٥٦٧) في كتاب الزكاة ، وسنن النسائي (٥ : ١٨) في كتاب الزكاة ، وتقييد العلم (٨٧) .

(٢) صحيح البخاري (١ : ٣٦٦ - ٣٦٨) في الزكاة ، و (٤ : ٣٣٩) في الحيل ، وسنن ابن ماجة (١ : ٥٥١ - ٥٥٢) في كتاب الزكاة .

(٣) سنن أبي داود (٢ : ١٢٩) ، حديث رقم (١٥٦٧) في كتاب الزكاة ، وتقييد العلم (٨٧) .

(٤) دراسات إسلامية لجولد تسيهر (٢ : ٥١ - ٥٢ / ٥٨) .

(٥) دراسات إسلامية لجولد تسيهر (٢ : ٥٢ / ٥٩) .

موضوعيا ، وعلى الرغم من أنه أظهر فى بحثه موضوعية كبيرة بإعطاء التفسيرين إلا أنه فَشَلَ فى أن يوضح للقارىء لماذا اختار المعنى الأول ، وفى الحقيقة ، أن التفسير الثاني لا التفسير الأول هو الذى يبدو منطقيا للعقل المنصف ، غير المتحيز .

وبدايةً نلاحظ أن الروايات التي وجدت فى صحيح البخاري ، وفى سنن ابن ماجة ، والنسائى لا تعطى على الأقل توضيحاً بأن صحة هذه الوثيقة كانت موضعا للشك من وجهه نَظَر رواة الحديث ، ووجدنا أن النسائي ينقل عن حماد مقولته التي تناولت هذه الوثيقة بتبجيل ، ويروى عن حماد أنه قال : « أخذت هذه الوثيقة من ثمامة الذي حصل عليها من أبى بكر »[1]، ولا يوجد ذكر لكلمة « زعم » في هذه الرواية ، ولم نجد هذه الكلمة أيضاً في الروايات التي ذكرها البخاري وابن ماجه ، وعليه فالرواية الوحيدة التي وُجِدَ فيها هذا المصطلح الذى أحدث هذا اللبس كان فى سنن أبى داوود فقط ، وذلك . فى مقابل الروايات الأخرى التي وجدت بدون هذا المصطلح الذي أَحْدَث اللبس ، وبالتالى لا يمكن أن يكون هذا أساساً للبرهان على عدم صدق هذه الوثيقة [2] ..

وعلاوة على هذا يبدو أنه لا يوجد سببا واضحا لشك حماد في الوثيقة وخاصة عندما أعطى مزيداً من التفصيل لمحتوياتها ومناسبة كتابتها ، رد

---

(١) سنن النسائي (٥ : ١٨) في كتاب الزكاة .

(٢) صحيح البخاري (١ : ٣٦٦ - ٣٦٨) في كتاب الزكاة ، و (٤ : ٣٣٩) في كتاب الحيل ، وسنن النسائي (٥ : ١٨ - ٢٣) ، في كتاب الزكاة) وسنن أبي داود (٢ : ١٢٩ - ١٣٠.) ، حديث رقم (١٥٦٧) في كتاب الزكاة ، وسنن ابن ماجة (١ : ٥٥١ - ٥٥٢) في كتاب الزكاة .

على هذا حقيقة أنه نفسه كان مهتما ، وتسلّم بنفسه الوثيقة من ثمامة ، كل هذا يبرهن على صدقها والا لما طلب هذه الوثيقة ، ويظهر أن الشك ليس من حماد [١] ، بل من « جولد تسيهر » نفسه الذي شكك في صدق هذه الوثيقة ، وفي ضوء الملاحظات السابقة [٢] يمكن أن نقول أن كلمة « زعم » التى وجدت فى رواية أبى داود يجب أن نتناولها بمعنى قال ، وهذا التفسير يُحِلُّ حماداً من مسئولية الشك في هذه الوثيقة .

وفى الحقيقة لا يوجد سبب للشك فى صدق هذه الوثيقة لأنه يبدو أنها كانت نسخه من كتيب النبى ﷺ (كتاب الصدقة) الذي أشرنا إليه فيما سبق [٣] ، وعند تسلم أبى بكر لهذا الكتاب بعد وفاة النبى ﷺ تصرف طبقا لأحكامه ، وربما نسخ هذه الوثيقة وأعطاها لأنس بن مالك أثناء تعيينه واليا للبحرين [٤] .

ويبدو أن هذه الوثيقة ظلت عند عائلة أنس إلى أن وصلت إلى حفيده ثمامة بن عبد الله [٥] والتى تسلمها منه حماد [٦] .

---

(١) دراسات إسلامية لجولد تسيهر (٢ : ٥١ / ٥٨) .

(٢) انظر في هذا الكتاب الفصل الخامس - تحت عنوان كتاب الصدقة .

(٣) سنن أبي داود (٢ : ١٣١) في الزكاة حديث (١٥٦٨) ، وسنن الدارمي (طبعة المدينة) = (١ : ٣٢١)

(٤) تهذيب التهذيب (١ : ٣٧٨) .

(٥) الكفاية (٤٧٣) ، تقييد العلم (٨٧) .

(٦) الكفاية (٤٧٣) ، تقييد العلم (٨٧) ، سنن النسائي (٥ : ١٨) في كتاب الزكاة ، وسنن أبي داود ، حديث (١٥٦٧) في كتاب الزكاة ، ص (٢ : ١٢٩) .

وبالاضافة إلى الوثيقة التى ذكرناها فقفد تسلّم أنس عدداً من الأحاديث المكتوبة من زيد بن عكرمة (المتوفى سنة ٦٦ هـ) [١] ولآن أنس عُمِّرَ أكثر من الصحابة جميعهم وكان آخر الصحابة الذين توفوا في البصرة [٢]، فكان لديه متسع من الوقت لينقل الأحاديث ، ولهذا روى عدداً كبيراً من الأحاديث ، حَفِظَ معظمها الطيالسي [٣] وابن حنبل [٤] في مسنديهما .

٢٣ - صحيفة سعيد بن جبير (المتوفى سنة ٩٥ هـ) :

كان سعيد عالماً فى التفسير والحديث ، ويقال أنه جَمَعَ تفسيراً للقـرآن[٥] يأمر من الخليفة عبد الملك ، وبعد موته ، وصل هذا التفسير إلى مكتبة القصر ، وظلّ بها محفوظاً [٦] ، ويذكر أن عطاء بن دينار المتوفى سنة ١٢٦ هـ) والذي كان واحداً من رواة هذا التفسير رأى وَقَرأ محطوطة سعيد في تلك المكتبة [٧] . وكان الضحاك بن مزاحم راوياً آخر شهيراً لتفسير ابن جبير [٨] الذي عرف فى المصادر باسم صحيفة [٩] .

---

(١) تهذيب التهذيب (٣ : ٣٩٤) .

(٢) تهذيب التهذيب (١ : ٣٧٨) .

(٣) مسند الطيالسي (٢٦٤ - ٢٨٦) .

(٤) مسند الإمام أحمد (٣ : ٩٨ - ٢٩٢) .

(٥) طبقات ابن سعد (٦ : ١٧٩ ، ١٨٦) ، تقييد العلم (١.٢ - ١.٣) .

(٦) البيان والتبيين (١ : ٣٦٢) ، ميزان الإعتدال (٣ : ٧.) ، الترجمة رقم (٥٦٣٨) .

(٧) الجرح والتعديل (٣ : ١ : ٣٣٢) ، ميزان الاعتدال (٣ : ٧.) ، الترجمة رقم (٥٦٣٨) و (2 : 99) pA pyri

(٨) طبقات ابن سعد (٦ : ٢١.) .

(٩) الجرح والتعديل (٣ : ١ : ٣٣٢) ، ميزان الاعتدال (٣ : ٧.) ، الترجمة (٥٦٣٨) .

وبالإضافة إلى عمله في التفسير كان لدى ابن جبير مجموعةً من الأحاديث التي نقلها عن ابن عباس (١) ، وابن عمر (٢) ، وكان جامعاً نَشطا للأحاديث لدرجة أنه لم يكتب الأحاديث في كراسات (٣) وعلى ألواح (٤) فحسب ، بل كان في حالة الطوارىء ، وعند ندرة مواد الكتابة، يكتب على رحْل الجمل ، وعلى سُعُفِ النخل ، بل وحتي على نَعْلِ حذائه، وروى هو نفسه أنه أحياناً عندما كان ابن عباس يستطردُ فى الرواية يجد نقصا فى مادةَ الكتابة (مثل الصحف والألواح) كان يسجل على نَعْلِ حذائه ، وعلى سُعِفِ النخل (٥) .

ويذكر أيضاً أنه اعتاد أن يدوِّنَ الأحاديث التي يرويها عبد الله بن عمرو وهو على ظهر الجمل (٦) .

ولهذا فالأحاديث التي سجلت على مواد مختلفة ، حفظت أخيراً في كتبٍ دائمة . ويتضح هذا من مقولة ابن جبير حين يقول « أحياناً اسمع حديثاً وأنا في رحلة من الرحلات من ابن عمر وابن عباس في المساء ،

(١) تقييد العلم (٤٣ ، ١٠٢) ، سنن الدارمي (١ : ١٢٨) ، طبقات ابن سعد (٦ : ١٧٩) ، المحدث الفاصل (٣٥ ب و ٣٦ أ) .

(٢) جامع بيان العلم (١ : ٦٦) ، تقييد العلم (٤٤ ، ١٠٣) ، طبقات ابن سعد (٦ : ١٨٠) .

(٣) تقييد العلم (٤٤ ، ١٠٢) ، طبقات ابن سعد (٦ : ١٧٩) ، جامع بيان العلم (١ : ٦٦ ، ٧٣) ، سنن الدارمي (١ : ١٢٨) .

(٤) تقييد العلم (١٠٢) .

(٥) تقييد العلم (١٠٢) ، طبقات ابن سعد (٦ : ١٧٩) ، سنن الدارمي (١: ١٢٨) .

(٦) تقييد العلم (١٠٣) .

فأكتبه على رحل ناقلتي ، وفي الصباح [1] أنسخه على ورق الكراسة » [2].

ولهذا فمن الواضح من هذه الروايات ، أنه على الرغم من الأحاديث التي سمعها ابن جبير وكانت أحيانا مكتوبة على مواد مختلفة وفي أوراق كبيرة متفرقة ، إلا أنها كانت تجمع بعد ذلك وتحفظ في كراسات دائمة . وهذا بدوره يدحض مقولة أن ابن جبير كان معارضاً لتدوين الحديث [3] ، وهذا لا يمكن إثباته لأن ابن جبير قال « اعتدتُ أن أدوِّن على ألواحي وعلى نعولِ أحذيتي ، وعلى سُعف النخل ، وفي الصحيفة » [4] .

ومن الجدير بالذكر أن نلاحظَ أن مقولة ابن جبير السابقة ستساعدنا كثيراً في التأكيد على معاني مصطلحات معينة استخدمت في تسجيل الحديث ، ويبدو أنه في الوقت الذي كان يستخدم فيه كتاب وصحيفة بمعنى كراسة بغرضِ التسجيل الدائم ، فإنَّ مصطلحات أخرى مثل ألواح ، رحل ، ونعل تشير إلى مواد الكتابة التى كانت تستخدم كمسوَّدة ، كوسيلة مساغدة للتسجيلِ الدائم .

وفي ضوء هذه النظرة ، يمكن أن نقول : أن مجموعة الأحاديث الخاصة بابن جبير والتي تشير على أنها صحيفة كانت إلى حدّ ما كبيرة ، وحفظت من أجل الأجيال القادمة .

---

(١) « حتى أنزل فأكتبه » . تقييد العلم (١٠٣) .

(٢) تقييد العلم (١٠٢) ، سنن الدارمي (١ : ١٢٧) ، المحدث الفاصل (٧٧ ب) .

(٣) طبقات ابن سعد (٦ : ١٧٩) .

(٤) تقييد العلم (١٠٢ - ١٠٣) ، طبقات ابن سعد (٦ : ١٧٩) ، سنن الدارمي (١ : ١٢٨) .

٢٤ - نسخة شهرين حوشب الأشعري (المتوفى سنة ..١ هـ) :

كان شهر بن حوشب معروفاً بأنه فقيه (مشرع) ، وقارىء (يرتل القرآن) ونَقَل الأحاديث عن أبي هريرة ، وعائشة ، وأبي سعيد الخدري ، وابن عمر ، والكثير من الصحابة (١) .

وكان عنده مجموعة كبيرة من الأحاديث ، بعضها كان خاصاً بهشام بن حسان (٢) ، واعتاد أن يُملي الأحاديث على طلابه ، ويذكر عبد الحميد بن بهرام الذي نقل نسخة (٣) عَنْ شَهْر (٤) ، بأن شهراً أَمْلَى هذه الأحاديث عليه (٥) .

٢٥ - نسخه حبان بن جزء السلمي (المتوفى سنة ..١ هـ) :

كان حبان بعد واحداً من الناقلين الثقات ، وقد قامَ بنقلِ الأحاديث عن ابن عمر ، وأبي هريرة ، ونقل عنه أبو أمية : عبد الكريم بن أبي المخارق ، وعبد الله بن عثمان ، ومطرف بن عبد الرحمن .. إلخ (٦) .

ويذكر أن مطرف بن عبد الرحمن كان لديه مجموعة مكتوبة من أحاديث مكتوبة لحبان ، وعرفت هذه المجموعة باسم « النسخة » (٧) .

---

(١) تهذيب التهذيب (٤ : ٣٦٩) .

(٢) تهذيب التهذيب (١١ : ٣٧) .

(٣) يقارن مع « كتاب » تاريخ بغداد (١١ : ٥٩) .

(٤) الجرح والتعديل (٣ : ١ : ٩) ، وتاريخ بغداد (١١ : ٥٩) .

(٥) تاريخ بغداد (١١ : ٥٩) .

(٦) تهذيب التهذيب (٢ : ١٧١) .

(٧) الجرح والتعديل (١ : ٢ : ٢٦٨) .

٢٦ - نسخة خالد بن معدان القلاعي (المتوفى سنة ١٠٣ هـ) :

إن خالد بن معدان يعدّ أحد العلماء البارزين في الشام ، وقد استلم مجموعة ضخمة من الأحاديث من الصحابة التي جمعها في شكل مخطوطة ، ووصفت هذه المجموعة بأنها كتاب (مصحف) مجلد بلوحين من الخشب ، وملتحمين معاً (كان علمه في مصحف له أزرار وعُرى) [١] .

وهذه المجموعة التي عُرفت بالنسخة ورثها تلميذه بشير بن سعد (المتوفى سنة ١٦٠ هـ) [٢] ، والذي أعطاها بدوره إلى بقية بن الوليد (المتوفى سنة ١٩٦ هـ) [٣] ، وأعطى بقية شرحاً لمجموعة خالد وقال : « لقد سلمني بشير مصحف خالد بن معدان ، والذي كان يضم علمه (الأحاديث) في شكل مخطوطة ، مثل القرآن وكان له عُرى وأزرار[٤] .

وعلى هذا الأساس يمكن أن نميز بين الصحيفة والكتاب من جانب ، والمصحف من جانب آخر ، لقد كان المصحف عبارة عن مجموعة من الأوراق العريضة المطبقة معاً [٥] .

ويمكن أن نفترض أن مجموعة خالد كانت من النوع الكبير ، ووصفت بأن بها أزرار وعراوي عريضة . وبشير إلى أن المصحف الذي كان يحتوي

---

(١) تذكرة الحفاظ (١ : ٨٧ ، ١٦٦) ، تهذيب التهذيب (٣ : ١١٩) ، المصاحف (١٣٤ - ١٣٥) و (2 : 225) , (1 : 22) Pqpyri .

(٢) تذكرة الحفاظ (١ : ١٦٦) ، الجرح والتعديل (١ : ١ : ٤١٢) ، و (Papyri (2 : 225 - 230) .

(٣) تذكرة الحفاظ (٧ : ٢ : ١٦٢) ، كتاب المصاحف (١٣٤ - ١٣٥) ، حلية الأولياء (٥ : ٢١٨) ، الجرح والتعديل (١ : ٢ : ٣٥١) .

(٤) كتاب المصاحف (١٣٤ - ١٣٥) .

(٥) انظر في الفصل الرابع ، تحت عنوان « تحديث ، تدوين ، جمع ، رواية » .

على العديد من الصفحات العريضة كانت تتطلب أن تضم معاً . وأكثر من هذا ، فأنّ خالداً قابل أكثر من سبعين صحابياً [(١)] فمن المحتمل أنه سمع وكتب منهم عدداً ضخماً من الأحاديث ، كون منها نسخة كبيرة الحجم .

٢٧ - كتب أبي قلابة (م - ١٠٤ / ١٠٥ هـ) :

إن عبد الله بن زيد الجرمي ، أبا قلابة كان من المؤيدين بشدة لكتابة الحديث ، واعتاد أن يقول « لقد فضلت الكتابة خوفاً من النسيان [(٢)] » .

وكان يتمتع بسمعةٍ طيبة في معرفته الفقه والحديث ، وعلى الرغم من معلوماته الخاصة بالأحكام ، فكان هذا العالم الورع غير مستعدٍ لقبول منصب قضائي له ، لأنّه كانَ يخشى إن قَبِلَ هذا المنصب ، فترك بيته في البصرة ودخل الشام فكان في الثغور والرباطات إلى أن اعتلّ علة صعبة [(٣)] .

ويذكر أنه كان يملك مجموعةً ضخمة من مخطوطات الحديث ، وكانت هذه الكتب متيسرة لتلاميذه ونقلوا منها [(٤)] ، ويروى أن جرير بن حازم كواحدٍ من تلاميذه ، قَرَأَ مجموعات « لأبي قلابة » [(٥)] .

---

(١) الإكمال في أسماء الرجال لولي الدين كاتب (٥٩٣) .

(٢) جامع بيان العلم (١ : ٧٢) ، تقييد العلم (١٠٣) ، وانظر أيضاً : المحدث الفاصل (٣٥ أ) .

(٣) مشاهير علماء الأمصار ، صفحة (٨٩) ، الترجمة رقم (٦٤٩) .

(٤) طبقات ابن سعد (٧ : ١ : ٩١ ، ١٣٣ - ١٣٥) سنن الدارمي (٢ : ٤٠٩) ، الجرح والتعديل (٢ : ٢ : ٥٧ - ٥٨) ، تذكرة الحفاظ (١ : ٩٤ - ٩٥) ، حلية الأولياء (٢ : ٢٨٢ - ٢٨٩) و (٥ : ٣٥٥ - ٣٥٦) ، والكفاية للخطيب (٣٧٦) .

(٥) الكفاية . الموضع السابق .

وفي أخريات حياته وضع خطةً للتخلص من كتبه ، فيذكر أنه وهبها لتلميذه أيوب السختياني (المتوفى سنة ١٣١ هـ) [١] ، ويروى أنه بعد وفاته تسلم وصية هذه الكتب سليمة تماماً [٢] .

وتقول المصادر إن المجموعة الكبيرة من كتب أبي قلابة كانت تصل إلى حمولة نصف جمل [٣] .

واستخدم أيوب بعد ذلك هذه الكتب ، وكان دائما ما يخلط بين الأحاديث التي سمعها من أبي قلابة مشافهةً وبين الأحاديث الموجودة في هذه الكتب الموروثة [٤] .

وقد استخدم حماد بن زيد تلميذ أيوب هذه الكتب كما ذكر ذلك في المصادر [٥] .

ولكون أبي قلابة كتبَ الأحاديث للأجيال القادمة [٦] ، فقد كان يتوخى الحرص لأمانة النقل للخلف ، وكان متخوفاً للغاية من أن يُساءَ استخدام

---

(١) تذكرة الحفاظ (١ : ٨٢) ، الحدث الفاصل (٥١ أ) ، المعارف (١٥٥) .

(٢) طبقات ابن سعد (٧ : ١ : ٩١ ، ١٣٥) ، (٧ : ٢ : ١٧) ، الكفاية (٣.٥) ، المعاف (١٥٥) .

(٣) طبقات ابن سعد (٧ : ١ : ٩١ ، ١٣٥) و (٧ : ٢ : ١٧) ، الكفاية (٣.٥) .

(٤) الكفاية (٣٢٩ ، ٤.٥) ، والمعارف ، ص (١٥٥) و Papyri (2 : 230).

(٥) طبقات ابن سعد (٧ : ١ : ٩١) ، سنن الدارمي (١ : ٤٥ ، ١٣٦ ، ٢٥٣) و (٢ : ٢٢٣ ، ٢٣٦ ، ٣١١ ، ٤٣٤) ، جامع بيان العلم (١ : ٣٤ ، ٢٥١) .

(٦) Papyri (2 : 52 , 230) .

هذا الأدب الديني بعد موته ، ولكي يضمن عدم العبث بكتبه ، تَرَكَ وصيةً في هذا الخصوص بأن تسلم كتبه إلى أيوب ، تلميذه المخلص ، وإذا لم يكن على قيد الحياة في ذلك الوقت ، فأحرقوها ، وفي رواية أخرى تخلصوا منها (١) .

وهذه الرواية السابقة تبين بوضوح إتجاهه في حفظ الأحاديث للخلف ، وإن لم يكن مؤيداً لكتابة الحديث ما ترك هذه الوصية .

٢٨ - صحيفة الحسن البصري (المتوفى سنة ١١٠ هـ) :

كان الحسن البصري عالما شهيرا في عصره (٢) ، وكان الخليفة عبد الملك يستشيره في القضايا الشائكة مثل ما إذا كان الإنسان مخيراً أم مسيراً ، ورسالته في هذه القضية ، وكتاب الخليفة معروف ووصل إلينا (٣) .

---

(١) طبقات ابن سعد (٧ : ١ : ١٣٥) ، تذكرة الحفاظ (١ : ٨٨) ، تقييد العلم (٦٢) .

(٢) لقد نشأ من أسرة عالمة ، فأبوه وأمه كلاهما شيخ في مدرسة . انظر (Papyri (2 : 17) .

(٣) من الضروري أن نلاحظ هنا أن الرسالة على الرغم من أنها مليئة بالسور القرآنية . إلاّ أنها لا تضم أحاديث خاصة بحرية الارادة أو بأن الإنسان مسير وهذه الحقيقة ركز عليها الاستاذ شاخت وقدمها كدليل لنظريته عن الأحاديث في هذا الموضوع بالذات وفي الموضوعات الأخرى بصفه عامه ، ونظريته قائمة على أن هذا الموضوع لم يطرح للبحث . إلاّ بعد الحسن البصري . ولكن هذا الفرض غير حقيقي ومن السهل دحضه . ففشل الحسن البصري في أن يستشهد بأحاديث عن هذه القضية لايعني بالضرورة أنه لم يوجد حديث من أي نوع . وفي الحقيقة أن طلب الخليفة من الحسن البصري يشير ذاته أن الخليفة يسلم بوجود مادة للحديث . وما يمكن أن نقوله أن مناقشة هذه القضية العقائدية جديدة إلى حد ما وأول من طرحها للمناقشة الحسن البصري نفسه والأحاديث في هذا الموضوع الخاص لم تكن معروفة . وبالتالي فهي غير معروفة للحسن البصري =

ولكن بغض النظر عن هذه الرسالة ، فقد كان عند الحسن العديد من الكتب [١] ، وصف أحدها في المصادر « بالصحيفة [٢] » .

ويبدو أن هذه الصحيفة كانت كتاباً ضخماً يحتوي على العديد من الأحاديث ، وهذا الاستنتاج يمكن استخلاصه من وصف الجزء من هذه الصحيفة والذي وجد في كتاب الطبقات لابن سعد .

وسوف نقرأ هنا رأيا لعفّان بن مسلم الذي أعطانا الحجم التقريبي

= وعلاوه على هذا . فلأن الحسن البصرى عالم عراقى . فقد عرف أن أهل سورية وخاصة المدرسة المنافسة له لن تقبل الأحاديث الصادرة من مدرسة البصرة المنافسة لها وربما تكون هذه وجهه نظر الحسن في الاقتصار على السور القرآنية وحذف الأحاديث من الرسالة .

وهناك احتمال بأن الحسن تخلى عن الاستشهاد بالحديث ليقنع المعتزلة والقدرية ، وهما طائفتان أقاما مناقشاتهما لقضية القضاء والقدر كانت بناءاً على طلب عبد الملك نفسه ليدخل معترك هذا الصراع الفكري في الطائفتين المذكورتين ، ولهذا حصر الحسن نفسه في دائرة السور القرآنية . واستبعدا استبعاداً تاماً الأحاديث من هذا الموضوع لأنه لو أيد وجهة نظره بالأحاديث ربما لا يقنع هذا المعتزلة والقدرية في سوريا .

وأخيراً ، فالأحاديث في هذه القضية العقائدية كانت نادرة للغاية ، وربما لم تصل إلى الحسن في ذلك الوقت . وفي الحقيقة فأن الأحاديث في هذا الموضوع في المجموعة الحالية من الأحاديث يمكن أن تعد على أصابع اليد

وفي ضوء هذه المناقشة ، يمكن أن نقول أن غياب الأحاديث في رسالة الحسن البصري لا يبرهن على عدم وجود أحاديث مكتوبة في هذه الفترة . وما يمكن أن نقوله إما أن الحسن البصري لم يكن لديه أحاديث بخصوص مسألة القضاء والقدر ، وإما أنه قصر نفسه على الاستشهاد بالقرآن فحسب عن عمد .

(١) طبقات ابن سعد (١٧ : ١ : ١١٦ ، ١٢٧) ، وتقييد العلم (١٠١) ، وجامع بيان العلم (١ : ٧٤ ـ ٧٥) ، والمحدث الفاصل (٣٥ أ) .

(٢) الكفاية (٥٠٦) ، وطبقات ابن سعد (٧ : ١ : ١١٦) .

للصحيفة ، وقال : « إنها كانت في حجم إيهامين وبنصرين [١] إذا ضممناهما معاً » وبمعنى آخر أنها كانت في قطر خمس أو ست « بوصات » .

وكان الحسن مؤلفا للعديد من الكتب أيضاً ومن بين أعماله الشهيرة يمكن أن نذكر تفسيره للقرآن [٢] ، مواعظ [٣] ، مسائل [٤] ، وكتاب الإخلاص [٥] .

وكان الحسن البصري عالماً بارزاً في عَصْرِه ، نَقَلَ العديد من الكتب ومجموعات الأحاديث ، من الصحابة [٦] ، ربما يكون مرد هذا إلى شهرته بمسألة حرية الإرادة . ولم يكتب هو نفسه الأحاديث بل أملاها لطلابه .

أما تفسير القرآن المنسوب إليه ، فقد أمْلاهُ على أحد طلابه [٧] .

ومن بين تلاميذه الذين أخذوا « أحاديث » مكتوبة منه ، يمكن أن نذكر ، سهل بن حصين بن مسلم الباهلي [٨] ، حميد الطويل (المتوفى سنة ١٤٣هـ) [٩] معاوية بن عبد الكريم الثقفي [١٠] ، خالد العبد [١١] ،

(١) طبقات ابن سعد (٧ : ١ : ١١٦) .

(٢) جامع بيان العلم (١ : ٧٤) .

(٣) Papyri (1 : 17) .

(٤) Papyri (1 : 17) .

(٥) تاريخ بغداد (٨ : ١٣٨) .

(٦) تهذيب التهذيب (٢ : ٢٦٧ ، ٢٦٩) .

(٧) جامع بيان العلم (١ : ٧٤) .

(٨) طبقات ابن سعد (٧ : ١ : ١٢٧) .

(٩) طبقات ابن سعد (٧ : ٢ : ١٧) ، تهذيب التهذيب (٣ : ٣٩) ، ميزان الاعتدال (١ : ٦١٠) ، الترجمة رقم (٢٣٢٠) .

(١٠) تهذيب التهذيب (١٠ : ٢١٤) .

(١١) الجرح والتعديل (١ : ٢ : ٣٦٤) .

هشام بن حسان الأزدي [١] حوشب بن عقيل [٢] ، حفص بن سفيان المنقري (المتوفى سنة ١٣٠ هـ) [٣] .

وكان الحسن البصري جامعاً متحمساً للحديث ، وحريصاً للغاية في مسائل الأحكام ، وحينما كان يشعر بصعوبة في حل المشاكل التشريعية ، كان يستشير سعيد بن المسيب عن طريق المراسلة [٤] أما بالنسبة لتلاميذه الخصوصين فقد اعتادوا أن ويحضروا له كتاباتهم ، ويقرأوها عليه [٥] . وأحياناً كان يعطي مخطوطاته لتلاميذه لينسخوها ، ولقد عرفنا أن حميداً الطويل الذي ذكرنا إسمه استفاد فمن هذه الطريقة كثيراً [٦] . وفي إملائه كان يملى من كتبه [٧] أو عمَّن سبقوه من العلماء مثل سَمُرَةَ بن جُندْب ، وجابر بن عبد الله [٨] ، وفي الحقيقة كان يستخدم مخطوطات الأحاديث بتوسع [٩] وعلى الرغم من أنه لم يذكر أن مجموعة الحسن

---

(١) تهذيب التهذيب (١١ : ٣٥) .

(٢) تهذيب التهذيب (١١ : ٣٧) .

(٣) تهذيب التهذيب (١١ : ٣٩) ، طبقات ابن سعد (٧ : ٢ : ٣٥) .

(٤) تذكرة الحفاظ (١ : ٤٧) .

(٥) الكفاية (٣٤٩) ، تقييد العلم (١٠١) ، طبقات ابن سعد (٧ : ١ : ١٢٦) .

(٦) طبقات ابن سعد (٧ : ١ : ١٢٦) .

(٧) لقد كانت كتبه تتمتع بشهرة واسعة ، وظلت متداوله حتى عصر الجاحظ (م - ٢٢٥) هـ . انظر : طبقات ابن سعد (٧ : ١ : ١١٥ - ١١٦) ، و Papyri (1 : 16 , 17) , (2 : 17 , 161) .

(٨) الكفاية (٥٠٦) ، طبقات ابن سعد (٧ : ١ : ١١٦) ، تهذيب التهذيب (٢ : ٢٦٧ ، ٢٦٩) ، جامع الترمذي (٦ : ٥٢) في كتاب البيوع .

(٩) تاريخ الطبري (٣ : ٢٤٨٨ - ٢٤٩٣) ، خاصة الفقرة (٢٤٨٩) .

البصري الكاملة ، باستثناء صحيفة واحدة قد احترقت (١) ، فإن هذا قد حدث بمحصن إرادته (٢) .

٢٩ - نسخة علي بن يزيد الألهاني (المتوفى سنة ١١٠ هـ) :

يذكر أن علي بن يزيد الألهاني جَمَعَ الأحاديث في العديد من الكتب (٣) ، ويقال أيضاً : أن طلابه احتفظوا بالأحاديث في شكلٍ مكتوب ، وهذا يوضح أنه إعتاد أن يُملي الأحاديث .

ومن بين هذه المجموعة المكتوبة من الأحاديث يمكن أن نذكر « النسخة » التي نقلها عبيد الله بن زحر (٤) .

٣٠ - نسخة قاسم بن عبد الرحمن الشامي (المتوفى سنة١١٢ هـ) :

إن قاسماً واحد من الفقهاء المتميزين في دمشق (٥) ، وهو أحد العلماء التابعين واعتبره نقاد الحديث من الناقلين الثقات (٦) .

ومن بين سجله المكتوب في الحديث ، كانت هذه المجموعة الضخمة ونسخة كبيرة نقلها تلميذه علي بن يزيد (٧) .

---

(١) طبقات ابن سعد (٧ : ١ : ١٢٧) .

(٢) انظر حول الطبري ، وأوائل المؤرخين العرب في دائرة المعارف البريطانية (الطبعة التاسعة) ، الجزء (٢٣) ، ص (٢) .

(٣) تهذيب التهذيب (٧ : ٣٩٧) .

(٤) تهذيب التهذيب (٧: ١٢) .

(٥) تهذيب الأسماء والصفات (١ : ٢ : ٥٤) .

(٦) تهذيب الأسماء والصفات (١ : ٢ : ٥٤) .

(٧) تهذيب التهذيب (٧ : ٣٩٦) .

٣١ - نسخة عبد الله بن بريدة الأسلمي (المتوفى سنة ١١٥ هـ) :

نقل عبد الله بن بريدة الأحاديث من والده ومن العديد من الصحابة [١] وكان عالماً متميزاً في مدينة « مرو » (في خراسان) حيث عَيَّنَهُ يزيد بن المهلب [٢] قاضياً هناك .

أما بالنسبة لمجموعة الأحاديث المكتوبة . فيذكر أن النسخه التي احتوت على أحاديثه كانت بحوزة حصين بن واقد المروزي (المتوفى سنة ١٥٩ هـ) ، قاضي مرو وربما كان الخليفة هو الذي عيَّن عبد الله في ذلك المنصب [٣] . وقد تسلم أيضاً أبو رجاء مطر بن طهمان (المتوفى سنة ١١٩ هـ) بعض الأحاديث منه بشكل مكتوب [٤] .

٣٢ - نسخة سليمان بن موسى الأسدي (المتوفى سنة ١١٥ هـ) :

كان سليمان واحداً من العلماء الورعين في دمشق ، وكان رجلاً رفيع القدر والمنزلة بين الفقهاء في الشام [٥] . واعتاد أن ينقل الأحاديث من واثلة بن الأسقع (المتوفى سنة ١٨٣ هـ) [٦] .

ويروى أنه كان لديه مجموعة من الأحاديث في صحيفة [٧] ، ولم تذكر المصادر حجم هذه الصحيفة .

(١) الإكمال في أسماء الرجال (٦٠٨) .
(٢) مشاهير علماء الأمصار ص (١٢٥) ، الترجمة (٩٣٨) .
(٣) معرفة علوم الحديث ، ص (١٦٥) .
(٤) تهذيب التهذيب (٦ : ١٥٨) .
(٥) مشاهير على الأمصار ، ص (١٧٩) ، الترجمة رقم (١٤١٥) .
(٦) تذكرة الحفاظ (٤ : ٢٢٦) .
(٧) ميزان الاعتدال (٢ : ٢٢٥) ، الترجمة رقم (٣٥١٨) .

٣٣ - صحيفة طلحة بن نافع (المتوفى سنة ١١٧ هـ) :

إن طلحة الذي عرف أيضاً باسم أبي سفيان إعتادَ أن ينقلَ الأحاديث من عبد الله بن عباس ، وجابر وآخرين (١) ، ويذكر أن نَقْلَه من جابر كان في الحقيقة من صحيفة أي من صحيفة جابر (٢) .

وكان هو نفسه عنده صحيفةٌ ، احتوت على مئة حديث (٣) وهذه الصحيفة نقلها الأعمش (٤) .

٣٤ - صحيفة عطاء بن أبي رباح (المتوفى سنة ١١٧ هـ) :

كان عطاء واحداً من مشايخ التفسير ذائعي الصيت ، وعالماً في الحديث أيضاً . وكان واحداً من المعلمين الكبار لأبي حنيفة الذي نَقَلَ عدداً من الأحاديث منه (٥) . ويقال أن إسناد أبي حنيفة - عطاء - ابن عباس كان إسناداً صادقاً وينظر إليه « كالسلسلة الذهبية » « مالك - نافع - ابن عمر » (٦) .

(١) تهذيب التهذيب (٥ : ٢٦) ، ميزان الاعتدال (٢ : ٣٤٢) ، الترجمة رقم (٤٠١٢) ، الجرح والتعديل (٢ : ١ : ٤٧٥) .

(٢) ميزان الاعتدال (٢ : ٣٤٢) ، الترجمة رقم ٤٠١٢) ، الجرح والتعديل (٢ : ١ : ٤٧٥) .

(٣) تهذيب التهذيب (٤ : ٢٢٤) .

(٤) المصدر السابق .

(٥) دول الإسلام (١ : ٧٤) ، جامع الترمذي (١٣ : ٣٠٩) ، في كتاب العلل .

(٦) الميزان الكبرى (٤٨) .

وانظر سلسلة الذهب فيما رواه الإمام مالك عن نافع عن ابن عمر من تحقيقنا (المترجم) .

ولقد سمعَ عطاء الأحاديث من الصحابة المشهورين ، ونَقَلَ الأحاديث إلى مجموعة من التابعين والعلماء الآخرين . وكان عالما حافظاً ورعاً لدرجةأنه حَجَّ [1] سبعين مرة ، وكان شديد الاهتمام بالحديث ، وصحيفته تشهد بذلك وتقول « لا يوجد من التابعين من هو أكثر اهتماماً بالحديث من عطاء = أكثر التابعين للحديث [2] .

فلم يهتم عطاء برواية الحديث فحسب بل كتبه وأملاه أيضاً [3] ، وكان عنده صحيفة ، صارت ملكا لابنه يعقوب بعد ذلك . ووصف يعقوب محتوياتها قائلا : إنها كانت تحتوي على ما سمعه والدي من صحابة النبي ﷺ [4] » .

وكان لدى عطاء أيضاً بعض الأحاديث المكتوبة عن علي [5] .

ومن بين الطلاب الذين كونوا مجموعات مكتوبة عن عطاء ، معاوية بن عبد الكريم الثقفي [6] ، قبس بن سعد [7] ، زكريا بن إسحاق المكي [8] ، وحوشب بن عقيل [9] .

---

(١) تهذيب الأسماء واللغات (١ : ١ : ٣٣٣) .
(٢) المصدر السابق .
(٣) المحدث الفاصل (٣٥ أ - ٣٥ ب) .
(٤) تهذيب التهذيب (٣ : ٣٢٩) .
(٥) الجرح والتعديل (١٣٠) في المقدمة .
(٦) تهذيب التهذيب (١٠ : ٢١٤) .
(٧) تهذيب التهذيب (١٢ : ٢٤٤) .
(٨) تهذيب التهذيب (٣ : ٣٢٩) .
(٩) تهذيب التهذيب (١١ : ٣٧) .

وسَخَّر أيضاً طريقة الكتابة في نقل الحديث . ولهذا يذكر أنه كتب أحاديث قليله وأرسلها إلى زيد بن أبي حبيب (١) .

٣٥ - صحيفة وكتاب الزهري (المتوفى سنة ١٢٤ هـ) :

لقد كان الزُّهْري واحداً من أشهرِ العلماءِ في عصره ، وله إسهامات طيبة عظيمة الأهمية في مجالات الحديث والمغازي ودراسة الشعر (٢) وعلم الأنساب ، وقد كرس نفسه لهذه الدراسة من البداية ، ومن فَرْطِ إهتمامه بالكتب إضطرت زوجته أن تقول : « إنها كانت تتمنى أن يكون لها ثلاث ضرائر يشاركنها زوجها خيراً من الكتب » (٣) .

هذا العالم المحدث جمع الكتب عن المغازي ، وعلم الأنساب ، والحديث ،

---

(١) صحيح البخاري (٢ : ٤٣) في كتاب البيوع ، و (٣ : ٢٤.) في كتاب تفسير القرآن .

(٢) يقال إنه حفظ قصائد كثيرة من الشعر ويروى أيضاً أن حلقات الحديث غالباً ما يتبعها محاضرة في الشعر .

انظر : الأغاني (٤ : ٢٤٨) ، وأوائل المؤرخين (٢ : ٥.) باللغة الإنجليزية .

(٣) وفيات الأعيان (١ : ٤٥١) ، المختصر في أخبار البشر (١ : ٢.٤) .

هذا الاستياء والغيظ الواضح من مقولة زوجته هذا العالم حول كتب زوجها لا يمكن تصديقه ، فمنذ قرنين قبل ابن خلكان (المتوفى ٦٨١ هـ) . كان « الخطيب » البغدادي (المتوفى سنة ٤٦٣ هـ) قد روى مقولة مشابهة عن زوجة زبير بن بكار ، عن كتب زوجها . تاريخ بغداد (٧ : ٤٧١) .

ويبدو أن « HoroVitz » شك في هذه الرواية الخاصة بزوجة الزهري ووصفها بأنها مقوله زائفة ، وتبين أنه لا يوجد أي أساس لشك « Horovitz » عن صحة هذه الوثيقة خاصة في وجود رواية مشابهة .

انظر كتاب هروفيتس : Earliest biographies , lc , (2 : 49) .

وكتابه عن المغازي (١) وصل النيا في صورة أسئلة (٢) ، وأجوبته عنها ، وقد تبين أنه كان عملاً مركزاً ، ويبدو أن الجزء الأكبر ، إذ لم يكن الكتاب كله . قد وجد في عمل من أعمال موسى بن عقبة في هذا الموضوع . وهذه النتيجة تم استخلاصها من مقولة يحيى بن معين الذي ذكر « إن أفضل الكتب عن المغازي هو كتاب موسى عن الزهري » (٣) .

وكان الزهري أيضاً يعتبر حُجَّةً في علم الأنساب ، وجمع كتاباً عن الأنساب بالنسبة لقبيلته (٤) ، وفضلاً عن هذا فقد جمع بعض المعلومات التاريخية المتعلقة بالخلفاء الأمويين في كتاب ، وفي هذا الكتاب سجل مولد ووفاة الخلفاء والفترة التي تولوا فيها الحكم (٥) . ووجدت نصوص من هذا الكتاب في السجل الأثري للطبري (٦) .

إما إسهام الزهري الحقيقي فقد كان في مجال الحديث ، فقد اعترفَ به أئمة الحديث كواحد من الثقات الصادقين في الحديث ، وقد بدأ اهتمامه

---

(١) الجرح والتعديل (٣ : ١ : ٣٨ - ٣٩) و Papyri (1 : 17 , 76 , 88) و (2 : 179) .

(٢) صحيح مسلم (٢ : ٦٥٣) ، في كتاب الرضاع ، وفتوح البلدان (٣١ ، ٣٦ ، ٣٩) ، ومسند الإمام أحمد (٦ : ١٩٤ - ١٩٧) ، أنساب الأشراف (١: ٢٨٦ ، ٤٤٥ ، ٥٤٩ ، ٥٥٠ ، ٥٥٢) .

(٣) تهذيب التهذيب (١٠ : ٣٦٢) .

(٤) تذكرة الحفاظ (١ : ١٠٥) ، تاريخ الإسلام (٥ : ١٤٣) ، المحدث الفاصل (٣٧ ب) .

(٥) Earliest biogrphies ... lc , (2 : 49) .

(٦) تاريخ الطبري (٢ : ٤٢٨ ، ١٢٦٩) .

بهذا العلم منذ أن بلغ العشرين [١] ، وكرس بقية حياته والتي وصلت بعد ذلك إلى خمسين سنة في تعلم ، وحفظ ، ونقلِ الأحاديث مشافهةً وكتابة [٢] ، ويقال أنه كان يعقد حلقات دراسة الحديث بانتظام ويجذب أكبر عدد من المريدين [٣] .

ولكونه من أشد المؤيدين لكتابة الحديث ، فقد اعتادَ أن يدوِّنَ كل ما يسمعه [٤] على أي مادة للكتابة تكون في متناولِ يده ، ويقال : أنه اعتاد أن يحمل ألواحا وصحفاً [٥] ليسجل الأحاديث وفي الأوقات التي لا تتوافر فيها مادة الكتابة كان يستعير بعضاً منها من مشايخه [٦] وأحيانا كان يكتب على نَعْلِ حذائه [٧] .

إن حرصه الشديد على كتابَةِ الحديث يمكن أن نراها في رواية يتم المقارنة فيها بين عادة أبي الزناد (م - ١٣١ هـ) في التسجيل وبين الزهري ، فيذكر في هذه الرواية ، إنه في حين كان يكتب أبو الزناد في الحلال والحرام ، كان الزهري يكتب في كل شيء [٨] ، وفضلاً عن هذا فيذكر

---

(١) طبقات ابن سعد (٢ : ١ : ١٣١) ، تاريخ الإسلام (٥ : ١٣٨) ، المحدث الفاصل (٦ أ) حيث نقرأ به أنه في زمن التابعين ، فإن طالبي تعلم الحديث يبدأون في سن العشرين .

(٢) تذكرة الحفاظ (١ : ٩٧) .

(٣) الكفاية (٣٨٧ - ٣٨٨) ، البداية والنهاية (٩ : ٣٤٢ ، ٣٤٥) .

(٤) جامع بيان العلم (١ : ٧٣) ، تذكرة الحفاظ (١ : ١٠٣) .

(٥) تذكرة الحفاظ (١ : ١٠٣) .

(٦) تقييد العلم (٥٩) ، حيث روى أنه استعار أوراقاً من شيخه الأعرج .

(٧) تقييد العلم (١٠٧) .

(٨) جامع بيان العلم (١ : ٧٣) .

أنَّ الزهري لم يدون أحاديث النبي ﷺ فحسب ؛ بل وآثار الصحابة (١) أيضاً ، وأكد على هذا « صالح بن كيسان » الإمام الحافظ ، المعاصر للزهري ، وقد ذكر صالح أنه في الوقت الذي كان يعتبر الزهري أحاديث الصحابة كالسنة ودونها ، كنت أعارض كتابتها لأنها بالنسبة لي لا تعدّ سنة ، ورغم هذا فقد نَدِمَ صالح في أخريات حياته أنه لم يفعل ذلك وقال : « لقد كتب الزُّهري ، ولم أكتب ، ولهذا فقد نجح وضيعت !! (٢) » .

ولأنَّ الزهري نفسه كان مؤيداً للكتابة ، فقد اعتادَ أنْ يَنْصَحَ تلاميذه أن يكتبوا الأحاديث ، وأصدر تعليماته إلى طلابه أن يحضروا محابرهم في مجالس العلم (٣) ، وهذا يوضح أنه كان يشجع كتابة الأحاديث ، وعبر عن هذا الرأي صراحةً في هذه المقولة « حضور المجلس بلا نسخة ذل » (٤) .

ولم يحث الزهري طلابه في أن يدونوا الأحاديث فحسب ، بل أنه لَعِبَ هو نفسه دوراً هاماً في حفظ وتوثيق الأحاديث أيضاً فهو لم يُمْلِ الأحاديث إلى تلاميذه وكفى ، بل وافق أيضاً على طريقتي المناولة (٥) والمكاتبة (٦) في نقل الأحاديث .

---

(١) طبقات ابن سعد (٢ : ٢ : ١٣٥) ، جامع بيان العلم (١ : ٧٦ - ٧٧) ، تقييد العلم (١٠٦ - ١٠٧) ، البداية والنهاية (١١ : ٣٤٤) .

(٢) المصادر الأربعة في الحاشية السابقة .

(٣) الإملاء (١٥٥) .

(٤) حلية الأولياء (٣ : ٣٦٦) .

(٥) المناولة : أن يعطي الشيخ للتلميذ كتاباً أو صحيفة ليرويه عنه دون قراءة على الشيخ تدريب الراوي (١٢٩) ، قواعد التحديث (١٨٧ - ١٨٨) ، الكفاية (٤٦٦) .

(٦) المكاتبة : تلقي الأحاديث بالمراسلة مقرونة أو مجردة من إجازة الشيخ . تدريب الراوي (١٢٩) ، قواعد التحديث (١٨٧ - ١٨٨) .

ونتيجة لهذه السياسة كثرت كمية الأحاديث المكتوبة المتداولة في عصر الزهري .

وقبل أن نناقش مجموعات أحاديث الزهري ، يبدو أنه من المهم ، أن ننظر إلى هذه الرواية التي تظهر بوضوح عدم موافقة الزهري على كتابة الأحاديث ، والرواية في حد ذاتها مقولة للزهري نفسه :

.. كنا نكره كتابة العلم ، حتى أكرهنا عليه هؤلاء الأمراء ، فرأينا أن لا نمنعه أحداً من المسلمين [١] .

هذه المقولة السابقة للزهري قادت « جولد تسيهر » ، ومن بعده « Guil-laume » ، وغيرهما إلى نتائج خاطئة ، « فجولد تسيهر » الذي أخذ كلمة كتاب (كتابة) بمعنى الوضع ، استنتج أن عدم موافقة الزهري على كتابة الحديث ، يشير إلى ضغط الأمويين على وضع الأحاديث بما يخدم أهدافهم [٢] .

وعلى سبيل المثال ، علق « Guillaume » قائلاً « إذا كنا نحتاج إلى دليلٍ خارجي على وضع الأحاديث في عصر الأمويين ، فيكفينا مقولة

---

(١) طبقات ابن سعد (٢ : ٢ : ١٣٥) ، تقييد العلم (١٠٧) ، جامع بيان العلم (١ : ٧٦ - ٧٧) .

وكذلك المصادر الأجنبية التالية : Mahomet , I , P , XXXIII

MST , II , 38 - 39 / 47 ; Al - Zuhri

BSOAS , XIX , II , 12 Origin of ueriting

JASB , XXV , 322 , no 71 .

حيث أن « Sprenger » قرأ كلمة « أكرهَنَا » كأنها « أكرهْنا » ، فأخذ أمارة في حالة الفاعل ، وبسبب تلك القراءة المغلوطة ، فقد قادته إلى تلك المقولة .

(٢) دراسات إسلامية لجولد تسيهر (٢ : ٣٨ - ٣٩ / ٤٧) .

الزهري الذي قال : « الأمراء أكرهونا على أن ندون الأحاديث » [١] .

والنتيجة التي توصل إليها جولد تسيهر و « Guillaume » مبنية على أساس أن هذا الحديث فنده علماء آخرون في حين أن « A . A . Duri » اعتبر هذه الرواية نفسها كاذبة ، واستبعدها تماماً قائلاً : « إنها أثر من آثار بعض أئمة الحديث [٢] » .

أما العالمة المعاصرة « نبيهة عبود » فأصدرت الحكم التالي على هذا الموضوع : « إن الرأي المتسرع الذي توصل إليه : « Sprenger » ، و« Muir » وتبعهم « Guillaume » ، وآخرون بأن ضغط الأمويين أجبر الزهري للقيام بأكبر عملية وضع للأحاديث يجب أن نتخلى عنها نهائيا » [٣] .

وبالرغم من هذا الرأي الحاسم ، فإنَّ الرواية يمكن تناولها وشرحها بطرق مختلفة ؛ إذ إنه يبدو من مقولة الزهري أنه لم يفعل أي شيء بالنسبة لتلفيق الأحاديث بما يخدم الأمويين ، ولكن هذه الرواية تشير إلى مسألة فنية بحتة تتعلق بنقل الحديث ، ألا وهي قضية الموافقة أو عدم الموافقة على طريقة المكاتبة في نقل الحديث ؛ فالزهري مثله مثل العديد من أصحابه كان مصرا للغاية على أن الأحاديث يجب أن يقرأها الشيخ قبل نقلها إلى تلاميذ آخرين ، وبمعنى آخر ما لم يوافق على إعطاء الحديث لطلابه بشكل مكتوب [٤] ، ولكن عندما أكرهه الخليفة الأموي على عمل مجموعة ضخمة من الأحاديث حتى تصبح معرفة الحديث متيسرة للغاية من

---

(١) Traditions , 50 .

(٢) الزهري ، في BsoAs , XIX , (2 : 12) .

(٣) Papyri (2 : 33 , N . 8)

(٤) Earliest biographies ... lc , (2 : 47) .

الناس ، غير سياسته ووافق على كل طرق النقل بما فيها المكاتبة لينشر معرفة الحديث ، ولهذا لم نر الخليفة الحاكم يجبر الزهري على وصع الأحاديث ، ولكن أجبره على التخلي عن الخط التقليدي ، وهو حبس المعرفة عن العامة ، وهذا ما قصده الزهري بهذا الضغط من الأمراء في روايته السابقة .

وعلاوة على هذا فكلمة « أكرهنا » والضمير الملحق بها « نا » بصفة خاصة مهم للغاية في مقولة الزهري السابقة ، فلأنه استخدم صيغة الجمع ، فهو بالتالي يقصد مجموعة علماء الحديث ، لا الزهري فقط ، لأنه في هذه الحالة كان سيستخدم الضمير « ني » فضمير الجمع « نا » في مقابل ضمير الفرد « ني » له معنى دلالي في هاتين النقطتين الهامتين .

فهو لا يشير إلى الزهري باعتباره أداة طيعة في يد الحكام الأمويين الذي يقال أنهم استغلوه إما في تلفيق [١] الأحاديث أو تشريع وتبرير أفعال معينة لهم [٢] . وهذه النتيجة لا يمكن استنتاجها من المقولة السابقة لأنها لا تُشِر كما أوضحنا في الضمير المتصل « نا » إلى فرد واحد ألا وهو الزهري ، بل إلى مجموعة من أئمة الحديث .

---

(١) على الرغم من أن آراء « جولد تسيهر » و « Guillaume » وجلوم ، قد فندها « Horovitz » « Ruth macken Son » . والاتفاق بين « Horovitz » و« Ruth » واضح من تعليق « Ruth » الذي يقول : « على المرء أن يتفق مع « Horovitz » لأنه حين أمر الخلفاء الزهري تخلّي عن تحفظة السابق وأملى الأحاديث . وهذا التجديد لا يدل على وضعه للأحاديث بما يخدم مصالحهم » : Mst 2 37 - 38 / 46

Traditions (48)

Ajsl , III , P : 243 , Arabic books .

(٢) دراسات إسلامية لجولد تسيهر (٢ : ٣٥ - ٣٦ / ٤٤) ، و Traditions (48)

ثانياً : يكشف عن دليل قوي بالنسبة لرسائل عمر بن عبد العزيز إلى أبي بكر بن محمد بن عمرو بن حزم والي المدينة في أن يسجل الأحاديث والسنة ، وهذه الرواية أيضاً كانت موضع الشك [1] ويبدو أن الزهري في هذه المقولة يشير إلى أمر عمر بن عبد العزيز الذي صَدَرَ إليه أيضاً ، ولأن كتب بالفعل إلى أبي بكر بن حزم وإلى سالم بن عبد الله بن عمر [2] ليسجلا سنة النبي ﷺ ، وبنفس الطريقة طلب من الزهري ومن كثير من العلماء الأكفاء ليكونوا مجموعة أحاديث [3] وهذه الرسالة ومضمونها قد وصفها الزهري نفسه وقال : « لقد أمرنا عمر بن عبد العزيز أن يجمع السنة . وتنفيذاً لهذا الأمر كتبتا الكتب العديدة ، وأرسلت نسخاً لأجزاء مختلفة من الدولة » [4] .

أما بالنسبة لرسالة عمر بن عبد العزيز فيبدو أن الزهري يشير في مقولته إلى أن هؤلاء الأمراء أجبرونا على تدوين العلم ، ولأن الزهري مثله في ذلك مثل بقية العلماء من معاصريه لم يكن مستعداً أن يعطي معرفة جاهزة في شكل مخطوطة مكتوبة كما طلبها الخليفة ، فعبر عن مشاعره الداخلية بكلمات « هؤلاء الأمراء أكرهونا » .

---

(١) المصدرين السابقين . الأول ، صفحة (٢ : ٢١. - ١٩٥/٢١١ - ١٩٦) ، والثاني ص (١٨ - ١٩) .

(٢) حلية الأولياء (٢ : ١٩٤) ، و(٥ : ٢٤٨) - ٢٨٦) وتاريخ الخلفاء . (٢٣١) .

(٣) حيث يذكر أن عمر بن عبد العزيز قد كتب إلى العلماء في كافة الأقاليم (كتب إلى الآفاق) يطلب منهم أن يبحثوا عن أحاديث النبي ﷺ ويجمعوها . دراسات إسلامية (٢ : ٢١. / ١٩٥) ، فتح الباري (١ : ٥٧) ، المحدث الفاصل (٣٥ ب) .

(٤) جامع بيان العلم (١ : ٧٦) ، الأموال (٥٧٨ - ٥٨.) ، فتح المغيث (٢٣٩) ، السنة قبل التدوين (٤٩٤) .

ولكن تحفظ الزهري هذا لم يستمر طويلاً . ووجدنا أنه ينفذ أوامر عمرو ويجمع مجموعة كبيرة من الأحاديث في كتب . وبالإضافة إلى هذا فيروى أن هشاماً (١٠٥ - ١٢٥ هـ) [١] أقنعه أن يملي الأحاديث على أبنائه . وعن الإذعان لرغبة هشام في أن ينقل الزهري الأحاديث بشكل مكتوب ، سمعنا العديد من الروايات ، وطبقاً لإحدى الروايات ، يقال أنه أملى مئتي حديث ، أو أربع مئة إلى أحد أبناء هشام [٢] ويروى أن صهيب بن أبي حمزة كاتب هشام اعتادَ أن يكتب للخليفة نفسه [٣] .

ويبدو أنه بعد أمر عمر بن عبد العزيز واقناع هشام له ، غير الزهري اتجاهه بالنسبة لكتابة الحديث ؛ فلم يُمْلِ الأحاديث بعد ذلك بتوسع كبير فحسب ، بل وافَقَ أيضاً على أن يعطي أو حتى يرسل إلى طلابه وإلى المحدثين الآخرين مجموعات كاملة من الأحاديث دون سؤال المتلقين أن يقرأوا عليه [٤] .

---

(١) كان الزهري محدثا وفقيها واعتاد هشام أن يستشيره في الأمور التشريعية وعينه معلماً لأبنائه . انظر طبقات ابن سعد (٢ : ٢ : ١٣٥) ، تذكرة الحفاظ (١ : ١٠٣) ، و Papyri (2 : 33)
و Von Kremer's edition ... Jasb , 1856 , P (210)

(٢) تذكرة الحفاظ (١ : ١١٠) ، البداية والنهاية (٩ : ٣٤٢) ، المحدث الفاصل (٣٩ ب) .

(٣) تهذيب التهذيب (٤ : ٣٥١ - ٣٥٢) ، تاريخ الإسلام (٥ : ١٥١) ، الكفاية (٤٧٦) .

(٤) حيث ذكر أن الزهري سلم كتاباً (طوماراً) إلى واحد من طلابه قائلاً : « هذه أحاديثى - خذوها عني وأرووها (هذه أحاديثي خذها فحدث بها) .

انظر الكفاية (٤٥٨) ، وتاريخ الإسلام (٥ : ١٤٩) و Von kremer's editions .. JAsB , 1856 , P (211) .

ولنأخذ مثالاً على ذلك ، لقد أرسل عدداً من الأحاديث بشكل مكتوب إلى ابن أبي ذئب [١] .

أيضاً أعطى تليمذه ابن جريج جزءاً لينسخَهُ وينقله دون قراءة على شيخه [٢] .

وفى الحقيقة لم يكن إبن أبى ذئب ، وابن جريج من تلاميذ الزهري الذين أخذوا أحاديث مكتوبة لينقلوها على مسئولية شيخهم فقط ، فطلاب العلم مثل : عبد الرحمن بن عمرو الأوزاعي [٣] ، يزيد بن أبي حبيب [٤] ، عبيد الله بن عمر [٥] ، سفيان بن سعيد الثَّوْري [٦] ، رزيق بن حكيم [٧] ، موسى بن عبيدة الربذي [٨] ، محمد بن الوليد الزبيدي [٩] ، جعفر بن ربيعة [١٠] قد تلقوا جميعاً الأحاديث بشكل مكتوب .

---

(١) تهذيب التهذيب (٩ : ٣٠٥) ، الكفاية (٤٤٣) .

(٢) فى أحد المجالس أحضر ابن جريج أحاديث قليلة مكتوبة على ثلاث صفحات للزهرى ، وطلب منه الأذن برورياتها .
أنظر : تذكرة الحفاظ (١ : ١٦١) ، الجرح والتعديل (٢ : ٢ : ٣٥٧ - ٣٥٨) تهذيب التهذيب (٢ : ٤٦٥) الكفاية (٤٥٧) .

(٣) تهذيب التهذيب (٦ : ٢٤) والجرح والتعديل (٢ : ٢ : ٢٦٦ - ٢٦٧)

(٤) تهذيب التهذيب (٩ : ٤٤٧) ، صحيح البخارى (٣ : ٤٧٨) ، فى كتاب الطلاق .

(٥) الكفاية : (٤٥٦ ، ٤٥٧ ، ٤٦٧) .

(٦) تاريخ الإسلام (٥ : ١٤٩) .

(٧) صحيح البخارى (١ : ٢٢٧ - ٢٨٨) ، فى كتاب الجمعة

(٨) تهذيب التهذيب (١٠ : ٣٦٠) .

(٩) طبقات بن سعد (٧ : ٢ : ١٦٩) ، الجرح والتعديل (٤ : ١ : ١١١ - ١١٢) ، تذكرة الحفاظ (١ : ١٥٣ - ١٥٤) .

(١٠) تهذيب التهذيب (٩ : ٤٤٧) ، صحيح البخارى (١ : ٢١٨) ، فى كتاب الأذان ، وسنن أبى داود (٢ : ٣٠٩) فى كتاب النكاح ، الحديث رقم (٢٠٨٤) .

وبالإضافة إلى هؤلاء التلاميذ الذين أرسل إليهم الزهري فإن هناك عدداً آخر : إما نسخوا أحاديثه المكتوبة من صفحه ومخطوطاته ، أو دوّنوا دروسه وقرأوها عليه [١] .

ومن بين هؤلاء يمكن أن نذكر: ولد الخليفة هشام الذي أملى عليه . . ٤ حديث[٢] : زياد بن سعد [٣] ، يونس بن يزيد [٤] ، يحيى بن أبى أنيسة[٥] ، عقيل بن خالد الأيْلي [٦] ، عبيد الله ابن أبى زياد الرصافي [٧] ، سليمان بن كثير العبدي [٨] شُعيب بن أبى حمزة [٩] ،

(١) الكفاية (٣٨٧ ، ٤٥٦ ، ٤٥٧) ، حيث قال مالك : لقد رأيت العلم (الحديث) يقرأ على الزهرى . انظر الكفاية ص (٣٨٧) .

(٢) تذكرة الحفاظ (١ : ١٠٣ - ١٠٤) .

(٣) الجرح والتعديل ، فى المقدمة (٣٩) .

(٤) تهذيب التهذيب (٤ : ٣٠٧) و (٧ : ٢٥٦) و (١١ : ٤٥٠ - ٤٥١)

(٥) ميزان الاعتدال (٤ : ٣٦٥) ، الترجمة رقم (٩٤٦٣) .

(٦) الجرح والتعديل (٣ : ٢ : ٤٣) ، تهذيب التهذيب (٤ : ٢٨٩) ، ٧ : ٤٢ ، ٢٥٦) وسنن ابى داود (٤ : ٢٣١) فى كتاب الحدود ، الحديث رقم ٤٤٨٨

(٧) طبقات ابن سعد (٧ : ٢ : ١٧٥) ، ميزان الإعتدال (٣ : ٨) ، الترجمة رقم (٥٣٦١) ، تهذيب التهذيب (٢ : ٢٠٧) ، (٧ : ١٣) ، الجرح والتعديل (٢ : ٢ : ٣١٦) .

(٨) تهذيب التهذيب (٤ : ٢١٦) .

(٩) دون الأحاديث من الزهرى من أجل هشام . واتخذ له أيضاً نسخة منها وورثه ابنه ، ويذكر أن ابنه عرض هذا الكتاب على أحمد بن حنبل الذى أثنى على هذه المخطوطة لدقة محتوياتها ، وتشكيله الجميل للحروف ، وتركيزه على صميم الموضوع ، وظلت نسخة شعيب حتى يومنا هذا - وحفظت فى المكتبة الظاهريه بدمشق رقم مجموع (١٢٠) من ص ٦٨ - ٨٧ . انظر تذكرة الحفاظ (١ : ٢٠٥) ، تهذيب التهذيب (٤ : ٣٥١ - ٣٥٢) ، الجرح والتعديل (٢ : ١ : ٣٤٥) الكفاية (٤٧٦) ، و papyri (2 : 177)

موسى بن عقبة [١] ، مَعْمر بن راشد [٢] ، إسماعيل بن رافع بن عُويمر [٣] هشيم بن بشير السلمي [٤] أيوب بن موسى [٥] ، عبد الرزاق ابن عمر[٦] ، عبد الرحمن بن يزيد الدمشقى [٧] ، عبد الرحمن بن نمرة اليحصبى [٨] ، عبد الرحمن بن خالد بن مسافر [٩] .

ووجد عدداً آخر من العلماء فى كتب الزهري ، قد قاموا أيضاً بالإستفادة من كتبه وإن تم ذلك من آنٍ لآخر ، وهذه الفئة من العلماء وتضم : محمد بن عبد اللّه ، إبن أخى الزهري [١٠] ، معاوية بن يحيى الصرفي [١١] ، وإسحاق بن راشد الخراساني ، وهؤلاء جميعاً وقعت في أيدهم كتب الزهري فى أثناء رحلته للقدس [١٢] .

---

(١) تهذيب التهذيب (١٠ : ٣٦١ - ٣٦٢) .
(٢) الكفاية (٤١١) ، الجرح والتعديل فى المقدمة (٢٠٥) .
(٣) تهذيب التهذيب (١ : ٢٩٦) .
(٤) احتوى المخطوط الخاص به (٣٠٠) حديثا ، انظر : ميزان الإعتدال (٤ : ٣٠٨) ، الترجمة (٩٢٥٠) ، تهذيب التهذيب (٩ : ٦٠) .
(٥) صحيح البخارى (٢ : ٤٤٠ - ٤٤١) فى كتاب فضائل أصحاب النبىﷺ.
(٦) الجرح والتعديل (٣ : ١ : ٣٩) .
(٧) تهذيب التهذيب (٦ : ٢٩٥) .
(٨) تهذيب التهذيب (٦ : ٢٨٧ - ٢٨٨)
(٩) تهذيب التهذيب (٦ : ١٦٥) .
(١٠) الجرح والتعديل فى المقدمة (٢٦٠) .
(١١) تهذيب التهذيب (١٠ : ٢٢٠) .
(١٢) papyri (2 : 182) أنظر تاريخ ابن عساكر (٢ : ٤٣٨) .

ويسبب انشغال الزهرى بكتابة وإملاء الأحاديث ، ولحماس طلابه لعمل مجموعة من الأحاديث الخاصة بهم ، عُرف الزهرى وطلابه باسم « أصحاب الكتب » بل إن حياة الزهرى نفسه سميت باسم عصر الكتب [١] .

والحقيقة أن ظهور هذا الكم الضخم من مخطوطات الأحاديث [٢] في هذه الفترة يرجع إلى استخدام الزهري لكافة وسائل نقل الحديث ، إلا وهي : العرض ، المكاتبة ، المناولة ، الإجازة بل وحتى الوجادة [٣] . ونتيجة كفاءة الزهري فقدتم إعداد عدد كبير من الطلاب من خلال هذا الكم الهائل من المخطوطات مثل : الصحيفة ، النسخة ، الكتاب ، الجزء ، سواء أكانت هذه المخطوطات كبيرة أو صغيرة ، ولهذا لم يكن بمستغرب بالنسبة لنا عندما روى عن الإمام مالك قوله : « كان عندي سبعة صناديق مليئة بأحاديث الزهري » .

وبنظرة فاحصة على العدد الضخم من التسجيلات المكتوبة لتلاميذ الزهري ، سيتضح أن الزهري كان عالماً مكرساً حياته لتسجيل الأحاديث لم يرو الأحاديث مشافهة فحسب ، بل أملاها على طلابه لحفظها في كتب ، وتشهد المصادر بكثير من الصحف ، والأجزاء ، والنسخ المنسوبة إلى الزهرى وأكثرها شُهْرَةً ما يلي :

---

(١) papyri (2 : 35) بالرجوع إلى تاريخ ابن عساكر (٦ : ٣٧٩) .

(٢) تذكرة الحفاظ (١ : ١٤٩ - ١٥١) . 2 : 184

(٣) للتفريق بين هذه المصطلحات انظر الفصل الرابع من هذا الكتاب ، تحت عنوان : تحديث ومشتقاته .

١ - « جزء » ناوله لابن جريج [١]

٢ - الصحيفة التى أعطيت لعبد الرحمن بن عمرو الأوزاعى والمرفق بها موافقته على نَقْلِ الأحايث على مسئوليته [٢]

٣ - النسخة التى كانت بحوزة عبد الرحمن بن نمرة اليحصبى [٣]

٤ - الكتاب الكبير الذي كان بحوزة عبد الرحمن بن يزيد الدمشقي [٤]

٥ - الصحيفة التى كانت تحتوى على ثلاث مئة حديث كتبها هشيم بن بشير السلمي من الزهري وهو بمكة [٥] .

٦ - صحيفة كانت ملكا لسليمان بن كثير العبدي [٦]

٧ - صحيفة سلمت إلي عبيد الله بن عمر لينسخها وينقلها [٧] .

٨ - نسخة كانت ملكا لزكريا بن عيسى [٨] .

٩ - الصحيفة التى كانت تحتوي على ثلاث مئة حديث ، والخاصة بالزهري نفسه [٩] .

---

(١) تهذيب التهذيب (٢ : ٤٦٥) ، الجرح والتعديل (٢ : ٢ : ٣٥٧ - ٣٥٨) .

(٢) تهذيب التهذيب (٦ : ٢٤١) ، الكفاية (٤٦٠) .

(٣) تهذيب التهذيب (٦ : ٢٨٧ - ٢٨٨) .

(٤) تهذيب التهذيب (٦ : ٢٩٥) .

(٥) تهذيب التهذيب (٩ : ٦٠) ، ميزان الإعتدال (٤ : ٣٠٨) ، الترجمة رقم (٩٢٥٠) .

(٦) تهذيب التهذيب (٤ : ٢١٦) .

(٧) الكفاية (٤٦٧) .

(٨) papyri, (2 : 182)

(٩) تاريخ بغداد (١٤ : ٨٧) .

١٠ - كتاب كان بحوزة إبراهيم بن الوليد وأحضره للزهري . وقرأه عليه ليسمح له بنقله على مسئوليته [١] .

ولكي يتسنى لنا أن يكون لدينا فكرة واضحة عن مجموعات مخطوطات الأحاديث الضخمة للزهري يجب أن يضع المرء فى إعتباره الفترة الطويلة التي استمر فيها النشاط الأدبى فى ذلك الوقت ، فنحن نعرف أنه كان من المؤيدين للحكام الأمويين من عصر عبد الملك [٢] حتى وفاته فى نهاية حكم هشام الذى استمر فى الحكم لفترة طويلة [٣] ، وعلى مدار هذه الفترة التى أمتدّت لحوالى (٤٥) سنة [٤] كان منصرفاً لكتابة ، وإملاء الأحاديث ، وأدى هذا إلى تراكم عدد ضخم من مخطوطات الأحاديث ، وبتشجيع معظم الحكام الأمويين وإقناعهم له وبخاصة عمر بن عبد العزيز وهشام جعل مهمته أسهل ، وأصبح الزهرى مؤلفاً لأكبر عدد من الكتب .

وذكر أن معظم مخطوطات الزهرى كانت في مكتبة قصر هشام ، أما عن حجم مجموعة كتب الزهري فيصفها تلميذة « معمر بن راشد » قائلا : « كنا نرى أنا قد أكثرنا عن الزهري حتى قتل الوليد ، فإذا الدفاتر قد حملت على الدواب من خزانة الدولة ، من علم الزهرى » [٥] .

---

(١) الكفاية (٣٨٨) ، دراسات إسلامية لجولد تسيهر ص (٢ : ٣٨ - ٤٧)

(٢) أما عن التاريخ الذى دخل فيه الزهرى بلاط عبد الملك فهو غير معروف ، وأقوى الاحتمالات أنه التحق بالقصر فى الفترة التى كان فيها هشام بن إسماعيل واليا على المدينة من (٨٢ - ٨٦) هـ انظر طبقات ابن سعد (٢ : ٢ : ١٣٥) ، و (٧ : ٢ : ١٥٧) ، حلية الأولياء (٣ : ٣٦٧ - ٣٦٩) .

(٣) تاريخ الإسلام (٥ : ١٤٠) .

(٤) حلية الأولياء (٣ : ٣٦٢) .

(٥) طبقات بن سعد (٢ : ٢ : ١٣٦) ، حلية الأولياء (٣ : ٣٦١) ، تذكرة

وبسبب شهرة الزهرى كمحدث وفقيه ، فيمكن أن نتوقع أنّ معظم الكتب فى تلك المجموعات تناولت الحديث والفقه .

٣٦ كتاب خالد بن أبي عمران (م : ١٢٥ / ١٢٩) :

لقد ذكر أن العالم التونسى « خالد بن أبى عمران » كان عنده مجموعة كبيرة من الأحاديث المكتوبة التي نقلها سليمان بن عبد الله بن عمر (م - ١٠٦ هـ) وسليمان بن يسار (م - ١٠٧ هـ) . وقاسم بن محمد بن أبى بكر المتوفى سنة ١٠٨ هـ . [١] .

وقصة كتابة خالد لأحاديث سليمان شيقة للغاية ، ويذكر أنه زار علماء المدينة وطلب منهم أن يملوا عليه أحاديث النبى ﷺ ، وبسبب كراهيتهم لكتابة الأحاديث [٢] في ذلك الوقت رفضوا الاستجابة لرجائه ، وأكرههم على أن يملوا عليه الأحاديث بتهديدهم بأنه سيرجع إلى بلده ويتهم بعض العلماء فى مدينة النبى ﷺ بحرمان الآخرين من المعرفة الدينية والأحاديث النبوية [٣] .

فلم يكن خالد يملك أحاديث مكتوبة فحسب ، بل استخدم طريقة المكاتبة

= الحفاظ (١ : ١٠٦) ، papyri (1 : 23) , (2:181) ,
Earliest Eiographies ... IC, ii, 48 .
تاريخ الإسلام (٥ : ١٤١) .

(١) الجرح والتعديل (١ : ٢ : ٣٤٥) ؛ papyri (1 : 22) , (2 : 214)

(٢) ويجب أن نلاحظ أن كلا من قاسم وسليمان تخليا عن نظرتهما هذه بعد ذلك بل ووافقا على إملاء الأحاديث لتلاميذهم .
أنظر الجرح والتعديل (١ : ٢ : ٣٤٥) ، المحدث الفاصل (٦٣ ب) ، تهذيب التهذيب (١٢ : ٣٩) و papyri (1 : 22) , (2 : 13 , 43 , 147 - 198 , 214) .

(٣) papyri (2 : 13, 43) .

في نقل الأحايث للآخرين ، ولهذا نذكر أن يحيى بن سعيد الأنصارى إستلم بعض الأحاديث منه بشكل مكتوب [١] .

٣٧ - صحيفة بكر بن وائل بن داود (المتوفى سنة ١٣.هـ) :

كان بكر واحداً من المؤيدين لكتابة الحديث ، واحتفظ ببعض الأحاديث في صحيفة كانت عند والده [٢] ولما توفى وتركها [٣] ، ذكر أن والده نَقَلَ الأحاديث من الصحيفة [٤] .

٣٨ - صحيفة همام بن منبه (المتوفية سنة ١٣١ هـ) :

كان همام واحداً من تلاميذ أبي هريرة ، وقد جَمَعَ عدداً ضخماً من الأحاديث من شيخه فى الصحيفة [٥] ، وقد حفظها ونقلها تلميذه : مَعْمر ابن راشد ، الذى بدوره نقلها للجيل التالي ، وذلك عندما حفظها عبد الرزاق بن همام بن نافع الحميري (المتوفى ٢١١ هـ) منفصلة عن مصنفه الخاص [٦] ، ثم تسلمها بعد ذلك تلميذاه ، وهما : أحمد بن حنبل ، وأبو الحسن أحمد بن يوسف السلمى ، وفى حين ضمها الإمام أحمد إلى مسنده[٧] ، نقلها أبو الحسن للجيل التالي ، وهذا النقل المكتوب بحرص

---

(١) تاريخ الطبري (٣ : ٢٣٧٤) ، المحدث الفاصل (٤٨ ب) .

(٢) الكفاية (٦.٥) .

(٣) تهذيب التهذيب (١ : ٤٨٨) .

(٤) الكفاية (٦.٥) وقد مات بكر قبل والده ، وقد أخذ والده صحيفته ورواها . (المترجم) .

(٥) مسند أحمد (٢ : ٣١٢ - ٣١٨) ، تذكرة الحفاظ (١ : ٩٥) ، حيث وصفها كأنها نسخة مشهورة »

(٦) الكفاية (٣٢١) ، صحيفة همام بن منبه (٤٤) .

(٧) المسند (٢ : ٣١٢ - ٣١٨) .

ونقاء استمر على مدار عدة أجيال ، حتى اكتشف سنة ١٩٣٣ م وذلك لأول مرة ، وفي سنة ١٩٥٣ أعاد نسخها ونشرها العالم المعاصر محمد حميد الله (١) .

وكان همام حريصاً للغاية على القراءة منذ البداية ، ونحن نعرف أنه إعتاد أن يشترى الكتب (٢) لأخيه . وهب بن منبه المعروف بكتاباته الكثيرة.(٣) وربما رد هذا إلى معرفته للقراءة والكتابة ، وإرادته وحبه للسنة لدرجة أن هماماً دوّن الأحاديث التي رواها أبو هريرة ، وجمعها فى صحيفة ، وهذه الصحيفة التى كانت تحتوى على (١٣٨) حديثاً سميت « بالصحيفة الصادقة » ، ومن المحتمل أن هذه الصحيفة سميت بهذا الإسم على غرار صحيفة « عبد الله بن عمرو بن العاص » « الصحيفة الصادقة » .

وفى حين وجدت أحاديث صحيفة عبد الله بن عمرو بن العاص » متفرقة في مجموعة أعمال الأحاديث الصحاح (٤) ، وأعمال أخرى وجدت مجموعة أحاديث هذه الصحيفة كاملة في مسند ابن حنبل (٥) .

(١) صحيفة همام بن منبه طبعة دمشق (١٣٧٢ / ١٩٥٣) .

(٢) ومن غير المؤكد ، إذا كانت هذه الكتب باللغة العربية والاحتمال الأكبر أنها لم تكن كذلك .

(٣) طبقات ابن سعد (٥ : ٣٥٩) ، تهذيب التهذيب (١١ : ٦٧) .
مصادر الشعر الجاهلي (١٥٠) ، Med . islAm (242) papyri (2 : 6)
والسيرة طبعة (guil) حيث رجع إلى كتاب المبتدأ وكتاب المغازي .

(٤) تذكرة الحفاظ (١ : ٩٥) .

(٥) مسند الإمام أحمد (٢ : ٣١٢ - ٣١٨) .

ومن المهم فى هذا السياق أن نشير إلى تعليق « محمد حميد الله » في أعقاب إكتشاف صحيفة همام ، حيث يقول : « يمكن أن نؤكد ابعاد اكتشاف صحيفة همام » على أن الخسارة الواضحة للأعمال المبكرة مثل مجموعات أنس وعبد الله بن عمرو بن العاص لم تكن كبيرة ؛ لأنها في الحقيقة حفظت بكاملها في فصول مختلفة في المسند الكبير لابن حنبل (١) ، ويضيف : بأن هذا يبين كيف أن أعمال عصر النبي ﷺ والصحابة تضمنت في الأعمال الكبيرة لابن حنبل ، واتباع التابعين حفظت في الخلاصة الوافية الكبيره لابن حنبل ، البخاري ، مسلم ... الخ وأصبحت الأعمال المبكرة عمليا غير ضرورية (٢) .

٣٩ - صحيفة علاء بن عبد الرحمن (. ٥ - ١٣٩) :

تمتع علاء بنفس الشهرة التي حاز عليها الزهري كعالم من أهل المدينة ، وقد جَمَعَ الأحاديث في الصحف ، وعلى الرغم من أنهُ عُمِّرَ أكثر من الزهري ، فإن عمله الأدبي لم يبدأ الأ مع بداية منتصف القرن الأول الهجري كما توضح ذلك سيرته الذاتية .

ويبدو أنه حَفِظَ الأحاديث من أجل الأجيال القادمة ، لأنه أراد أن ينقل صحيفته في كتيب واحد لا في أجزاء ، واعتاد أن يقول لهؤلاء الذين يرغبون في نسخ أحاديثه من الصحيفة :

« إما أن تنسخوها بأكملها أولا تنسخوها على الاطلاق » (٣) .

---

(١) محمد حميد الله (Early History of compilation) of Hadith islAmic Review . May 1949 . p : 25 .

(٢) المصدر السابق .

(٣) المعارف (١٦٨) .

وكان يعتبر محدثاً مجمعاً على توثيقه في المدينة حيث كانت كتبه تتمتع بشهره عظيمة [1] .

ونقل روح بن القاسم (المتوفى سنة ١٤١ هـ) نسخةً منها التي أصبحت بعد ذلك ملكا لزيد بن زريع [2] .

٤٠ - صحيفة حميد الطويل (المتوفى سنة ١٤٢ هـ) :

كان حُمَيْد عالم البصرة يملك صحيفة نسخها من مخطوطة الأحاديث للحسن البصري [3] ، وعن الأسباب التي جعلته ينقل من هذه الصحيفة (التي استعارها ونسخها من الحسن) يبدو أنها كانت مجموعة كبيرة إلى حد ما ، وذكر أنها كانت مخطوطة في حجم إبهامين وسبابتين مضمومتين معاً [4] .

ويذكر أن حميداً نَقَلَ الأحاديث من عكرمة (المتوفى سنة ١٠٥ هـ ، أو سنة ١٠٧ هـ) تلميذ ووريث الميراث الأدبي لعبد الله بن عباس [5] .

٤١ - صحيفة هشام بن عروة (المتوفى سنة ١٤٦ هـ) :

كان هشام تلميذاً لعبد الله بن عمرو ، وعبد الله بن الزبير وكان من المؤيدين لكتابة الحديث ونصح له والده (ومعلمه في نفس الوقت) بألاَّ يدون الأحاديث فحسب ، بل يراجع المادة المكتوبة [6] . ويروى هو نفسه

---

(١) تهذيب التهذيب (٨ : ١٨٧) .

(٢) الكفاية (٣٢١) .

(٣) طبقات بن سعد (٧ : ١ : ١٢٦) ، (٢ : ٢٠) ، تقييد العلم (١٠١) ، تهذيب التهذيب (٣ : ٣٩) ، ميزان الاعتدال (١ : ٦١٠) ، الترجمة رقم (٢٣٢٠) .

(٤) طبقات بن سعد (٧ : ١ : ١١٦ ، ١٢٦) .

(٥) طبقات ابن سعد (٥ : ٢١٢ - ٢١٦) ، المعارف (٢٣١ : ٢٣٢) ، تاريخ الطبري (٣ : ٢٤٨٣ - ٢٤٨٤) ، الجرح والتعديل (٢ : ٢ : ٧ - ٩) .

(٦) الاملاء (٧٨ - ٧٩) .

أنه ذات مرة طلب منه والدة أن يدوِّن كل ما يقع تحت يده من أحاديث ولما ردّ عليه بالإيجاب . ثم سأله والده ما إذا كان قد راجع ما كتبه فرد بالنفي ، وعند سماع رده علق والده قائلا : « كأنك ما دونتها » [1] ومعنى هذا أن التدوين بدون مراجعه غير صحيح .

واعتاد هشام أن يملي الأحاديث على تلاميذه الذين كونوا مجموعات فردية خاصة بهم ، وقرأوها على مشايخهم ، وعرفت أحدى هذه المجموعات باسم صحيفة « نسخة » وقام بنسخها ابن جريج الذي أحضرها إلى هشام ليأْذَنَ له بالنقل منها [2] ، ودوّن تلاميذ آخرون من أمثال : خالد بن الحارث [3] ، نوح بن أبي مريم [4] ، الحديث منه .

ووافق هشام أيضا على طريقة المكاتبة في نقل الحديث وطبقا لذلك فأحيانا ما كان يدون الأحاديث بنفسه ، ويسلم المخطوطة إلى طلابه ، ومن بين هؤلاء الذين تسلموا أحاديثه بهذه الطريقة : الليث بن سَعد [5] .

ثانيا : سِجلات أخرى مكتوبة للصحابَة :

وبعد أن ناقشنا الصحيفة ، والرسالة ، والنسخة ... إلخ الخاصة بالصحابة والتابعين ، سنتناول أيضاً المجموعات المكتوبة بصفة عامة ، والخاصة بالصحابة ولم نطلق عليها المصطلحات السابقة .

---

(١) الكفاية (٣٥٠) ، جامع بيان العلم (١ : ٧٧) ، المحدث الفاصل (٦٤ أ) .

(٢) طبقات ابن سعد (٥ : ٣٦٢) ، الكفاية (٤٥٩) ، معرفة علوم الحديث (١٦٧) .

(٣) الكفاية (٣٩٠) .

(٤) معرفة علوم الحديث (١٦٤) .

(٥) صحيح البخاري (٢ : ٣١٩ - ٣٢٠) في كتاب بدء الخلق ، و (٣ : ١٦) في كتاب مناقب الأنصار .

وهذا الفصل سيخصص بالكامل لكتابة الصحابة ، أما السجلات المكتوبة والخاصة بالتابعين والعلماء الأخرين فسنناقشها بإفرادِ باب خاص بها ، وهو الباب التالى لذلك ، والترتيب الزمني لهؤلاء العلماء في البابين القادمين سيكون واحداً ، وذلك طبقاً لتواريخ وفياتهم .

١ - سُبيعة بِنت الحَارث الأسلمية :

يروى أن جماعة من التابعين نَقَلوا الأحاديث عن امرأة من علماء الحديث تسمى سُبيعة [١] . ومع أنه لم يتأكد لنا ما إذا كان عندها أي مجموعة أحاديث مكتوبة أم لا ، إلا أننا وجدنا إشارات تدل على إرسالها على الأقل لأحد الأحاديث بشكل مكتوب إلى عمرو بن عتبة ، ومسروق بن الأجدع بناءً على طلبهم ، والحديث الذي أرسلته كان يتعلق بمسألة العدة [٢] .

٢ - فاطمة بنت النبي ﷺ (م - ١١ هـ) :

كانت فاطمة راوية ناقلة للحديث ، فضلا عن أن زوجها علي وأولادها : الحسن والحسين من الجماعة الذين نقلوا الحديث منها [٣] .

ويقال أنه كان لديها بعض الأحاديث بشكل مكتوب كذلك [٤] .

٣ - أبو شاه اليمني :

عندما فتح النبي ﷺ مكة « سنة ٨ هـ » ، ألقى خطبة مؤثرة فوقف رجل « يمني يسمى أبو شاه طلب من النبي ﷺ أن بدون هذه الخطبه له ، وبناءً على

(١) الإكمكال في أسماء الرجال (٥٩٩) .

(٢) سنن ابن ماجه (١ : ٦٢٥ - ٦٢٦) في كتاب الطلاق ، والكفاية (٤٨١) .

(٣) الإكمال (٦١٣) .

(٤) الكافي للكليني (٢ : ٦٦٧) ، وتقييد العلم (٩٩ ، ٢١٨) .

رغبته أمر النبي ﷺ أحد الحاضرين : « دونها لأبي شاه » [١] .

ومع افتراض أن هذا الأمر قد نفذ ، فيمكن أن نستنتج أن أبا شاه كان لديه بعض الأحاديث المكتوبة .

٤ - عبد الله بن عكيم الجهمي :

لقد كان بحوزة عبد الله الجهني حديثا مكتوبا بخصوص حكم الشريعة في الحيوانات الميتة ويروى على مسئوليته أن النبي ﷺ أرسل هذا الحديث إليه بشكل مكتوب قبل شهرين من وفاته [٢] .

٥ - الصديق أبو بكر (المتوفى سنة ١٣ هـ) :

يروى أن الصديق أبا بكر دون . . ٥ حديث [٣] للنبي ﷺ [٤] ولكن عندما أتته سكرة الموت ، أتلف هذه المجموعة [٥] .

---

(١) جامع بيان العلم (١ : ٧٠) ، صحيح البخاري (١ : ٤٠ - ٤١) في كتاب العلم ، (٢ : ٩٥) في كتاب اللقطة ، و (٤ : ٣١٨) في كتاب الديات ، وصحيح مسلم (٢ : ٦٠٣ - ٦٠٤) في كتاب الحج ، وجامع الترمذي (١٠ : ١٣٥) في كتاب العلم ، الاستيعاب (٤ : ١٠٦) الإصابة (٤ : ١٠٠) ، الترجمة (٦٠٦) ، المحدث الفاصل (مخطوط) ، (٣٤ أ) .

(٢) مسند الإمام أحمد (٤ : ٣١٠ - ٣١١) ، وطبعة شاكر ، حديث رقم (١٢٩٣) ، جامع الترمذي (٧ : ٢٣٤ - ٢٣٦) في كتاب اللباس ، سنن أبي داود (٤ : ٩٤ - ٩٥) ، في كتاب اللباس ، حديث رقم (٤١٢٧ - ٤١٢٨) .

(٣) حسب ما ورد في تهذيب الأسماء واللغات للنووي (١ : ٢ : ١٨٢) فإن مجموعة الصديق أبي بكر تحتوي (١٤٢) حديثا .

(٤) تذكرة الحفاظ (١ : ٥) ، أضواء على السنة المحمدية (٤٢) ، السنة قبل التدوين (٣٠٩ - ٣١٠) ، تدوين حديث (٢٨٥) ، صحيفة همام (٢٨ - ٢٩) .

(٥) حسب ما ورد في تذكرة الحفاظ (١ : ٥) ، فإن أبا بكر أتلف المخطوطة قائلا بأنه من الجائز أن يكون سمع هذه الأحاديث من رواة غير صادقين . ووصف =

وقد نقل أبو رية الرواية الخاصة بتخريب الصديق أبي بكر المخطوطة وذلك تأييدا لأهدافه بأن النبي ﷺ [١] كره كتابة الأحاديث مستشهداً بأن إتلاف أبي بكر لسجله المكتوب والخاص بأحاديث النبي ﷺ كان مرده تحريم النبي ﷺ تدوين الأحاديث . ولكن هذه الرواية لا يوجد لها أي دعائم تاريخية تدعمها وتسندها . ولأن أبا بكر كان قريب الصلة من النبي ﷺ حتى في حادثة الغار فكان هو أولى الناس بمعرفة أمر التحريم هذا ، ولو كان هناك أمر بالتحريم من النبي ﷺ لما دون أبو بكر الحديث منذ البداية ، بل وأكثر من هذا فالرواية تأخذ نقيض الإتجاه الذي أراد أبو رية أن يدعم به نظريته لأنها تبرهن على الوجود المبكر للأحاديث المكتوبة بغض النظر عن أنها حرقت أو لم تحرق .

فرواية جمع وحرق أبي بكر لمادة الحديث تبدو صادقة وفقا لهذه الأسباب : -

من الحقائق المعروفة كتابة أبي بكر لعقد سراقة بن مالك في الوقت العصيب من رحلة الهجرة من مكة إلى المدينة [٢] ، وبأنه أخذ المبادرة في الاهتمام الحقيقي بكتابة وتصنيف القرآن [٣] ، وبأنه أرسل القوانين المكتوبة عن الزكاة إلى أنس بن مالك [٤] وبأنه رشح الفاروق عمر للخلافة من بعده

= الذهبي هذه المقولة بأنها غير صحيحة . إن أبا بكر كان قريب الصلة من النبي ﷺ ولا يحتاج إلى رابطة بينه وبين النبي ﷺ ، ولهذا فمسألة الرواة غير الصادقين هذه لا تستحق المناقشة . فضلا عن أبا بكر كان من الحريصين في قبول الأحاديث من الصحابة وكل هذا يبرهن ، على شدة حرصه .

(١) أضواء على السنة المحمدية لأبي رية (٤٢) .

(٢) سيرة ابن هشام (٣٣٢) ، إمتاع الأسماع (١ : ٤٢) ، الوثائق السياسية ص (٧٦) ، وثيقة رقم (Za) .

(٣) المصاحف (٥ - ٩) .

(٤) تقييد العلم (٨٧) ، صحيح البخاري (١ : ٣٦٦ - ٣٦٨) في كتاب الزكاة ، و(٤ : ٣٣٩) في كتاب الحيل ، سنن أبي داود (٢ : ١٢٩ - ١٣٠.) ، =

كتابة [١] ، فضلا عن أنه وظف الكتابة في حل معظم المشاكل المتعلقة بالردة [٢] ، كل هذا يبرهن على أنه كان من أشد المؤيدين للكتابة . وفي ضوء هذه الحقائق يمكن أن نستنتج أن أبا بكر الذي كان متحمساً لسنة النبي ﷺ أنه احتفظ ببعض السجلات المكتوبة لأقوال النبي ﷺ وأفعاله . ولهذا فمن المحتمل أنه على الأقل كان لديه مجموعة صغيرة تحتوي على . . ٥ حديث .

وكان السبب وراء تخريبه لمخطوطته ربما كان نفس السبب الذي دعا الآخرين لتخريب سجلاتهم المكتوبة من الأحاديث في الماضي ، وهي حقيقة دامغة لا تحتاج إلى برهان .

أما عن الدافع وراء هذا التخريب فهو ما يجب أن نبحث عنه ، وفي هذه الحالة الخاصة التي سنتناولها فربما كان أبو بكر متخوفاً عن إساءة استخدام مجموعات أحاديثه بعد موته . وكذلك الخوف من أن موجة الردة التي انتشرت انتشارا واسعاً في عهده أن تؤثر على متن الحديث ولهذا خربها . هذا فضلا عن اعتقاده بأن القرآن هو الأولى بالاهتمام عن الحديث ، ولهذا كان مهتما بتدوين وتقنين القرآن عن الحديث ، وربما واجه الصديق أبو بكر نفس المشكلة التي واجهها الفاروق عمر ألا وهى مشكلة المنافسة بين القرآن والحديث . ويبدو أن المشكلة أصبحت من الخطورة لدرجة أن الفاروق عمر لم يتجاهلها . وهذا واضح من الرواية التي يقال أن أبا بكر حرَّم على الناس رواية أحاديث

= حديث رقم (١٥٦٧) في كتاب الزكاة ، سنن النسائي (٥ : ١٨ - ٢٣) في كتاب الزكاة ، وسنن ابن ماجه (١ : ٥٥١ - ٥٥٢) في كتاب الزكاة أيضاً .

(١) تاريخ الطبري (١ : ٢١٣٧ - ٢١٤١) و Early islam (193) .

(٢) تاريخ الطبري (١ : ١٨٨١ - ١٨٨٥ ، ٩١٩) - ٢٠٠٨ ، ٢٠١٣ - ٢٠١٧ ، ٢٠٢٠ ، ٢٠٢٢ ، ٢٠٤٤ ، ٢٠٤٥ ، ٢٠٤٩ ، ٢٠٥٤ ، ٢٠٨٦) ، طبقات ابن سعد (٤ : ٢ : ٧٨) ، الخراج (٨٤ - ٨٦) ، الوثائق السياسية ، الوثائق رقم (٢٥٩ - ٢٧٥) .

كثيرة (١) . وهذه النصيحة يمكن إسدائها فقط في ظل الظروف التي يكثر فيها انتشار الحديث .

وأمر التحريم الصادر من أبي بكر برواية الأحاديث الكثيرة لا يعني أنه تجاهل رواية الأحاديث تجاهلاً تاماً . على العكس ، فقد عمل على أن يعطي الحديث مكانتة الملائمة التي يستحقها وهو وضعه بعد القرآن مباشرةً . ويروى أن أبا بكر ومن بعده عمر اعتادا أن يستفسرا من الصحابة عما إذا كان لديهم تشريعات للنبي ﷺ خاصة بمسائل أصدر فيها النبي ﷺ حكماً قضائيا ولم يسمعها الخلفاء منه ، واعتاد الصحابة أن يمدوهم بالأحاديث حتى ولو لم يطلب منهم ذلك . وحدث هذا عند ما صدر قرار من المسئولين يخالف سنة النبي ﷺ .

والخلفاء من جانبهم كانوا حريصين للغاية في قبول هذه الأحاديث . فإذا وثقوا بصحة الحديث عدلوا قراراتهم في ضوء الحديث المروي ، وعليه فقد عرفنا أن أبا بكر قد سأل المغيرة بن شعبة أن يحضر له شاهداً سمع الحديث الذي رواه ، بل وأكثر من هذا يذكر أنه عندما أحضره وأكد صدق روايته قبل أبو بكر الحديث وأصدر قراره طبقا له (٢) .

وعلى أيه حال يمكن أن نذكر أن أبا بكر اهتم اهتماماً كبيراً بالحديث ، ورواية جمعه لمجموعة مكونة من (. . ٥) حديث « على الرغم من أنه حرقها بدا فع الأخلاص لا عن غرض » يبين بوضوح مدى أهتمامه بالحديث .

٦ - علاء بن عبد الله بن عمار الحضرمي (المتوفى سنة ٢١ هـ) :

كان لدَى علاء كتيباً يحتوى على القوانين المتعلقة بالضرائب على الأبل

---

(١) تذكرة الحفاظ (١ : ٢ ، ٣) ، أضواء على السنة (٢٩) .

(٢) الأم للشافعي (٧ : ٢٤٢ ، ٢٤٦) ، جامع الترمذي (٢٥٢ - ٢٥٣) في كتاب الفرائض .

والماشية ، والماعز والأغنام ، ومحاصيل الفاكهة والمؤن [١] .

وكان النبي ﷺ قد أعطت له هذه الوثيقة أثناء تعيينه جابيا للضرائب في البحرين [٢] .

٧ - أُبَيّ بن كعب (م - ٢٢) :

لقد عرف أُبَيّ فن الكتابة قبل ظهور الإسلام [٣] ، وكان أول شخص يكتب بالنيابة عن النبي ﷺ بعد هجرته إلى المدينة [٤] ، وعين كاتباً للنبي ﷺ [٥] ليدون الخطابات الرسمية لحكام ومشايخ القبائل المجاورة [٦] .

ويوضع أُبَيّ في قائمة أشهر ستة مشرعين « فقهاء » مقبولين بالنسبة لأبي حنيفة وأتباعه [٧] . ووضعه مسروق بن الأجدع (المتوفى سنة ٦٣ هـ) بين أشهر ستة علماء ويقول « لقد أخذ من كل الصحابة » [٨] .

---

(١) طبقات ابن سعد (٤ : ٢ : ٧٦) ، الوثائق السياسية ، الوثيقة رقم (٥٦) .
(٢) المصدرين السابقين .
(٣) فتوح البلدان (٤٥٩) ، المعارف (٨٨) .
(٤) فتوح البلدان (٤٥٨) .
(٥) غاية النهاية في طبقات القراء (١ : ٣١ - ٣٢) ، الترجمة رقم (١٣١٨) ، (٢ : ٢٧ - ٢٨) ، الترجمة رقم (٢٦١٦) ، تذكرة الحفاظ (١ : ١٦) مشاهير علماء الأمصار (١٢) ، الترجمة رقم (٣١) .
(٦) طبقات ابن سعد (١ : ٢ : ١٨ ، ٢٨) ، صبح الأعشى (٦ : ٣٨٠) ، الوثائق السياسية ، رقم (٦٣ ، ٦٤ ، ٧٦) .
(٧) Papyri (2 : 80)
(٨) Papyri (2 : 80) ، تذكرة الحفاظ (١ : ٢٤) .

إما بالنسبة لمجموعة أحاديثة فقد قيل إنه كان لديه حوالي ١٦٤ حديثاً عن النبي ﷺ (١) .

وربما سبب شهرتة كعالم سماه النبي ﷺ سيد الأنصار ، ولقبه الفاروق عمر : سيد المسلمين (٢) .

٨ - الفاروق عُمر بن الخطاب (المتوفى سنة ٢٣ هـ) :

لقد ناقشنا بالفعل وجهة نظر الفاروق عمر فيما يتعلق بتسجيل الحديث في الفصل السابق (٣) ، ورأينا أن حظره تقنين السنة كان بدافع الإخلاص لأنه أراد أن يعطي الحديث المكانة الثانية بعد القرآن . ولأن الحديث كان في عصره موضوعا متوهجاً فخشى أن يتجاهل الناس القرآن ولا يعطونه الأهمية التي يستحقها ، ولهذا منع الناس من التداول المفرط للحديث .

وعلى الرغم من أمر التحريم المتعلق بتقنين السنة ، فلم يقلل من أهمية الحديث . بل كان كعادة سلفه أبي بكر (٤) ، إذا **استشكل** عليه أمر في القضاء ، أمعن النظر في القرآن أولاً وأصدر قراره في ضوء القرآن . ولكن إذا لم يجد حكما في القرآن يولى بصره قبلة سنة النبي ﷺ ويحكم

---

(١) Papyri (2 : 66) ، تهذيب الأسماء واللغات (١ : ١ : ١٠٩) .

(٢) الإكمال في أسماء الرجال (٥٨٦) ، ينبغي أن يلاحظ أنه استخدم ليعلم الحديث في مسجد المدينة . انظر طبقات ابن سعد (٣ : ٢ : ٢٣) .

(٣) انظر في الفصل الثالث ، تحت عنوان (نشأة الكتابة - الذاكرة) ، وأسباب معارضة كتابة الأحاديث .

(٤) سنن الدارمي (طبعة المدينة) ، (٢ : ٥٣ - ٥٤) ، تذكرة الحفاظ (١ : ٣ - ٤) .

طبقا لها . إما إذا لم يجد شيئاً أيضاً فكان يستشير الصحابة ثم يعول على رأيه في إصدار الحكم مطابقاً للقرآن والسنة (١) .

ولهذا كان يحدث أحياناً أن يغير قراره إذا علم أن قراره مخالفا لسنّة النبي ﷺ . فعلى سبيل المثال يروى أنه غير حكمه في قضية الميراث بعد أن علم بحديث للنبي ﷺ في هذا . وروى له الحديث بخصوص هذه القضية ضحاك بن سفيان الذي أخبره بأن هذا الحديث أرسله له النبي ﷺ كتابةً (٢).

ويروى أيضاً أنه تراجع عن حكم أصدره بخصوص دية الأصابع بعد أن عرف بحكم مخالف لحكم أصدره النبي ﷺ في هذا الشأن (٣) .

ومن المهم أن نلاحظ أنه كان حريصاً للغاية في قبول الأحاديث ولا يأخذ أي حديث بظاهره . فأحيانا ما طلب شهود لإثبات صحة حديث مروي . ولنأخذ ميثالاً لذلك . عندما روى عمرو بن أمية الضّمري حديثا بخصوص الصدقة أمره عمر أن يحضر شاهداً ليؤكد ما إذا كان النبي ﷺ رواه أم لا ، وحينئذ أخذه عمر إلى عائشة التي شهدت بصدق الحديث (٤) . وعلى سبيل المثال أيضا طلب شهودا من أبي موسى الأشعري (٥) ، والمغيرة بن

---

(١) الخراج (٨١ - ٨٢) ، وأيضاً انظر سنن الدارمي (١ : ٥٥) في موضوع كتاب الفاروق عمر لشريح .

(٢) جامع بيان العلم (٢ : ١٢٣) ، الرسالة (٥٩) ، اختلاف الحديث للشافعي (١٩ - ٢٠) ، الأم (٦ : ٧٧) في باب « ميراث الدية » .

(٣) اختلاف الحديث (١٧ - ١٨) .

(٤) مسند الإمام أحمد . طبعة شاكر (٦ : ١٩٤ - ١٩٥) ، الحديث رقم (١٣٦٤) .

(٥) مسند الإمام أحمد . طبعة شاكر (٢ : ٢٠) و (٩ : ٢٨٧) ، صحيح البخاري (٤ : ١٧٠ - ١٧١) في كتاب الاستئذان ، وتذكرة الحفاظ (١ : ٦)

شعبة [1] ، وأبي بن كعب [2] للأحاديث التي رووها .

ولهذا نرى أن الفاروق عمر أعطى أهمية كبيرة للأحاديث . وفي مراسلاته مع المسئولين بالدولة نجد إشارات عديدة من السنة جنبا إلى جنب مع الآيات القرآنية [3] . وهذا يبين أنه لم يقلل من شأن الحديث . بل أعطاه مكانته التي يستحقها . وما حدث منه بالفعل كان خطوة عملية في التصدي لخطر اختلاط القرآن بالحديث [4] .

وينعكس هذا الخوف بصورة جلية في النصيحة التي أعطاها لرسله إلى الكوفة عند رحيلهم ، ويذكر أنه قال : « إنكم تأتون أهل قريةٍ لهم دوي بالقرآن كدوي النحل ، فلا تصدوهم بالأحاديث فتشغلوهم ؛ جردوا القرآن ، وأقلوا الرواية عن رسول الله ﷺ ، وأنا شريككم » [5] .

أما عن كتابة عمر للحديث فيروى أنه عَزَمَ وأصْدر أوامره المشددة بتقنين السنة ، واستشار الصحابة في هذه المسألة [6] .

---

(١) صحيح البخاري (٤ : ٣٢٥) في الديات ، سنن أبي داود (٤ : ٢٦٦) في الديات ، حديث (٤٥٧.) ، وتذكرة الحفاظ (١ : ٨) .

(٢) طبقات ابن سعد (٤ : ١ : ١٣ - ١٤) .

(٣)انظر في رسالته إلى أبي موسى الأشعري . الوثائق السياسية ، الوثيقة رقم (٣٢٧) ، ونهاية الأرب (٦ : ٢٥٧) .

(٤) طبقات ابن سعد (٣ : ١ : ٢.٧) .

(٥) جامع بيان العلم (٢ : ١٢. - ١٢١) ، تذكرة الحفاظ (١ : ٧) ، طبقات ابن سعد (٦ : ٢) ، المحدث الفاصل للرامَهُرْمُزي لوحة (٦٥ ب) .

(٦) ومن الجدير بالذكر أن نلاحظ أن تبادل الرأي في القضايا الهامة مع العلماء الأكفاء كانت عاده شائعة أتّبعها الصديق أبو بكر والفاروق عمر .

وانظر : الأم (٧ : ٢٤٢ ، ٢٤٦) وطبقات ابن سعد (٢ : ٢ : ١.٩ - ١١.) ، حجة الله البليغة (١ : ٢٩١) .

ولكن قبل أن تتخذ الأجراءات الرسمية لتنفيذ هذه الخطة ، أستخارَ اللّه ، وَقَرَّرَ التخلي عن هذه الفكرة نهائياً (١) .

وهذا الحديث السابق من النوع المرسل (٢) وبالتالي فهو مشكوك في صحته ، بل وحتى لو قبلناه على أنه صادق ، على أساس أن مجموعة من العلماء أجازوا الأحاديث المرسلة ، فهذا لا يبرهن على أن الفاروق عمر كان معارضاً لتدوين الأحاديث ، والحقيقة أنه لم يوافق على التقنين الرسمي للسنة . ونحن نعرف أن القرآن حتى ذلك الوقت لم يكن قد قنن بعد ، ولم تنتشر نسخه (٣) . وفي ظل هذه الظروف . كان الفاروق عمر يشعر بحق أن هناك ضرورة ملحة لتقنين القرآن عن السنة (٤) .

وينبغي أن نَضَعَ في اعتبارنا أنه ركز على أن معارضته لكتابة الأحاديث لم

---

(١) جامع بيان العلم (١ : ٦٤) ، تقييد العلم (٥٠) ، طبقات ابن سعد (٣: ١ : ٢٠٦) ، كتاب العلم لأبي خيثمة (٤ أ) .

(٢) في كل أسانيده (عدا الفريابي ، الثوري - معمر ، الزهري ، عروة - ابن عمر - عمر) ، ومن خلال كل رواياته نقص اسم « ابن عمر » .

انظر : تقييد العلم (٤٩ - ٥٣) ، طبقات ابن سعد (٣ : ١ : ٢٠٦) .

(٣) وعلى الرغم من هذا فيروى أنه في عصر عمر أقيمت المدارس حيث اعتاد المدرسون أن يُبْعثوا ليعلموا القرآن والسنة ، ولم يكن مع هؤلاء المعلمين نسخاً من القرآن ليعلموا منها . انظر كتاب الفاروق لشبلي ، ص (٣٧١ - ٣٧٥) .

(٤) ويجب أن نتذكر في هذا السياق أن عمر الذي كان يملك نسخة من القرآن قبل ظهور نسخة عثمان كان متحفظاً للغاية في مسألة التفسير . وقد عرفنا أنه عاقب صابغ بن عيسى - أحد الخوارج لأنه طرح أسئلة عن غموض وصعوبة بعض السور القرآنية بطريقة غنية ومستقرة . وعندما رأى نسخة من القرآن يصاحبها تفسير لهذه السور أية بآيه فقام بتمزيق التفسير وترك نسخة القرآن الأصلية .

انظر : صحيح البخاري (٣ : ٣٩٣) في فضائل القرآن ، وحلية الأولياء (٢ : ٥١) ، وسنن الدارمي (١ : ٥٤ - ٥٥) وغيرها .

يكن مرده التحريم النبوي المزعوم لتدوين الأحاديث ، لأنه إذا كان هذا صحيحا لما اهتمّ جديا بتقنين الحديث ، واستشارة عمر للصحابة في هذه المسألة يؤكد على هذا الاهتمام [1] .

وعلى الرغم من قراره بعدم جَمْعِ الحديث رسميا ، فقد كان عمر حريصاً على نَشْرِ الحديث ، بل وحتى كتابته ، واعتاد أن يقول : « إن خير هَدْيٍ هو هَدْيُ النبي ﷺ ، ومن سمع حديثا وأعاد تلاوته مرة ثانية كاملا فهو بمنأى عن النار » .

ويروى أنه كان ينصح الناس قائلاً « تعلموا السنة والفرائض واللحن مع القرآن » [2] .

ووجدنا روايات أخرى يوصف فيها بأنه قال : « دفتر العلم = الحديث كتابته » [3] .

وفي ضَوْءِ هذه المقولات . فرواية سجنه لأبي مسعود الأنصاري ، وأبي الدرداء ، وعبد الله بن مسعود بتهمة نقل عددٍ من الأحاديث [4] تبدو أنها مشكوك فيها .

وفي الحقيقة يمكن رفض هذه الرواية على أساس اسنادها ومتنها .

ومن الثابت تاريخيا بما لا يقبل الشك أنه أرسل عبدَ الله بن مسعود [5] ،

---

(١) ولقد وافق الصحابة على رأي الفاروق عمر بالنسبة لتقنين السنة . انظر جامع بيان العلم (١ : ٦٤) .

(٢) جامع بيان العلم (٢ : ١٢٣) .

(٣) المصدر السابق (١ : ٧٢) ، والمحدث الفاصل (٣٦ أ) .

(٤) تذكرة الحفاظ (١ : ٧) ، المحدث الفاصل (٦٥ ب) .

(٥) طبقات ابن سعد (٢ : ٢ : ١١٤) و (٦ : ٣) ، وإزالة الخيفة (٢ :٦) ، منهاج السنة لابن تيمية (٤ : ١٤٢) ، تهذيب الأسماء واللغات (١ :١ : ٢٩٠) .

وأبا الدرداء [١] كمعلمين في الكوفة ، ودمشق بصفةٍ خاصة ، فكيفَ يسجنهم إذاً لروايتهم الأحاديث ؟!

وأكثر من هذا وَجَدْنا اسم إبراهيم في إسناد هذه الرواية . وابراهيم هذا ولد سنة ٢٠ هـ أو سنة ٢١ هـ [٢] أي في أخريات حياة عمر فمن غير المحتمل على الإطلاق أن يروى أي شيء مباشر عن فترة الفاروق عمر ، وعلى هذا الأساس أوضح ابن حزم بجلاءٍ أنَّ نسبة هذا الحديث إلى عمر غير صحيحة [٣] ، وشكك الجزائري في صحة هذا الحديث على أساس إسناده أيضاً [٤] .

وحقيقة أنَّ الفاروق عمر كان مهتما بتعليم القرآن والحديث واضحٌ من إرساله بعض الصحابة إلى مختلف أجزاء الدولة الإسلامية لا ليعلموا القرآن فحسب ، بل وسنة المصطفى ﷺ [٥] ، ومن بين المعلمين الذين أرسلوا إلى هذه الأقاليم يمكن أن نذكر عُباده بن الصامت [٦] معاذ بن جبل [٧]

---

(١) سير أعلام النبلاء (٢ : ٢٤٨) ، إزالة الخيفة (٢ : ٦) ، منهاج السنة (٤ : ١٤٢) ، تهذيب الأسماء واللغات (١ : ١ : ٢٥٦) .

(٢) مشاهير علماء الأمصار ، ص (٦٦) ، الترجمة رقم (٤٥٠) . « إبراهيم ابن عبد الرحمن بن عوف » .

(٣) إحكام الأحكام (٢ : ١٤١) .

(٤) توجيه النظر (١٨) .

(٥) الخراج (١٦) ، طبقات ابن سعد (٢ : ٢ : ١١٤) و (٣ : ١ : ٢٠١) ، منهاج السنة (٣ : ٢٧٢) و (٤ : ١٤٢) .

(٦) تهذيب الأسماء واللغات (١ : ١ : ٢٥٧) ، إزالة الخيفة (٢ : ٦) ، منهاج السنة (٤ : ١٤٢) ، الاستيعاب (٢ : ٤٥٠) .

(٧) منهاج السنة (٤ : ١٤٢) .

اللذان أرسلا إلى الشام ، وعبد الله بن مسعود [١] ، وحذيفة بن اليمان [٢] إلى العراق ، وعمران بن حصين [٣] ، وعبد الله بن مغفل [٤] أرسل إلى البصرة ، ويروى أن فريقا مكونا من عشر معلمين أرسل إلى البصرة أيضاً [٥] .

وعلى الرغم من حقيقة أنَّ الفاروق عمر تَخَلَّى عن فكرة تقنين السنة ؛ فقد استشهد بالأحاديث في كتبه الرسمية [٦] ، وأكثر من هذا فقد كان لديه بعض الأحاديث المكتوبة . ويذكر على سبيل المثال أنه جمع بعض الأحاديث الخاصة بالصدقات [٧] في الكتاب الذى انتقل بعد ذلك إلى حوزة ابنه عبد الله [٨] ، ويُروى أن نافعاً المولى الذي أعتقه ابن عمر قرأ الأحاديث من مخطوطة ابن عمر مرات عديدة [١] .

---

(١) طبقات ابن سعد (٢ : ١ : ١٠٥) ، و(٦ : ٣) ، وإزالة الخيفة (٢ : ٦) ، ومنهاج السنة (٤ : ١٤٢) .

(٢) منهاج السنة (٤ : ١٤٢) .

(٣) سير أعلام النبلاء (٢ : ٣٦٣) ، وإزالة الخيفة (٢ : ٦) ، و (Papyri 2 : 211) .

(٤) سير أعلام النبلاء (٢ : ٣٤٥) ، وإزالة الخيفة (٢ : ٦) .

(٥) سير أعلام النبلاء (٢ : ٣٤٥) .

(٦) مسند الإمام أحمد (١ : ٢٨ ، ٣٦ ، ٤٦ ، ٥٠) ، وصحيح البخاري (٤ : ٨٢) في كتاب اللباس ، وصحيح مسلم (٣ : ٣١٥ - ٣١٦) في اللباس أيضاً ، والكفاية للخطيب البغدادي (٤٨) .

(٧) الأموال (٣٦٢ - ٣٦٣ ، ٣٦٦) ، وما بعدها ، الموطأ (٢: ١١٢ - ١١٤) في كتاب الزكاة .

(٨) سنن أبي داود (٢ : ١٣٣) ، في كتاب الزكاة ، حديث رقم (١٥٧) .

(٩) الأموال (٣٩٣) .

ويذكر في المصادر أنَّ الصحيفة التي أحْتَوت على أحكام الزكاة المقررة على الإبل وُجِدَتْ ملتصقةً بسيفه بعد موته [(١)] .

وربما كانت هذه الوثيقة هي نفس الوثيقة التى كتبها النبي ﷺ ولكنها فقدت قبل أن يرسلها إلى الولاة [(٢)] .

وقد حُفظَ هذا الكتاب ، وكان مع أبي بكر الصديق ، وعندما توفي انتقل إلى الفاروق عمر الذي استخدمه في النواحي الإدارية [(٣)] ، ثم حُفظَ في عائلته حتى عَهْدَ عمر بن عبد العزيز الذي يقال إنه نسخ نسخة منه[(٤)] ، أما الزهري الذي قرأ وحفظ هذه المخطوطة فقد شهد - كعالم حديث - بصحتها [(٥)] .

وفى الحقيقة أن الفاروق عمر الذي عرف فن الكتابة قبل ظهور الإسلام[(٦)] وكان يعد كاتباً للنبي ﷺ [(٧)] وظف الكتابة ، أحسن توظيف على مدارِ حياته ، أما بالنسبة لمجموعته المكتوبة فقد وجدنا رواية تقول :

---

(١) الكفاية (٥.٥) .

(٢) سنن الدارمي (١ : ٣٨١) ، وسنن أبي داود (٢ : ١٣١) ، حديث رقم (١٥٦٨) ، في كتاب الزكاة ، وسنن ابن ماجه (١ : ٥٤٩) ، وموطأ الإمام مالك (٢ : ١١٢) ، في الزكاة ، وجامع الترمذي (٣ : ١.٦ - ١.٧) في كتاب الزكاة .

(٣) سنن أبي داود (٢ : ١٣١ - ١٣٣) ، في كتاب الزكاة ، الأحاديث (١٥٦٧- ١٥٧.) . وسنن ابن ماجه (١ : ٥٤٩ - ٥٥.) في الزكاة ، وموطأ مالك (٢ : ١١٢) في الزكاة أيضاً .

(٤) سنن أبي داود (٢ : ١٣٣) في الزكاة ، حديث رقم (١٥٧.) .

(٥) سنن أبي داود (٢ : ١٣٣) في الزكاة ، حديث رقم (١٥٧.) .

(٦) فتوح البلدان (٤٥٧) .

(٧) إمناع الأسماع (١ : ٣.٥) ، الوثائق السياسية ، وثيقة رقم (١٣)

أنه أمتلك تابوتاً مملوءاً بالاتفاقيات والمعاهدات [١] احترق وتحول إلى رماد مع الديوان [٢] سنة ٨٢ هـ [٣] ، ولابد أنه احتوى على الأقل بعض الأحاديث كذلك .

وحقيقة أن عند الفاروق عمر بعض الأحاديث المكتوبة ، يمكن استنتاجه من رواية يصدر فيها عمر بن عبد العزيز التعليمات إلى أبى بكر بن حزم ليجمع ويرسل إلى العاصمة أحاديث عمر بن الخطاب مع أحاديث النبيﷺ[٤] ، وتشير هذه الرواية إلى أن بعض الأحاديث المكتوبة كانت موجودة بالفعل حتى عصر عمر الثاني ، والحقائق التي تقول أن عمر بن العزيز كان يبحث عن الوثائق الموثقة للعصور المبكرة ، وبخاصة في فترة الصديق أبى بكر ، والفاروق [٥] ، وكانت توجيهاته : إلى أبي بكر بن حزم جزءاً من خطة كبيرة تبين بوضوح أنه كانت هناك أحاديث مكتوبةً - وليست شفهية - للفاروق عمر بن الخطاب بدليل أن عمر بن عبد العزيز طَلَبَ من أبي بكر بن محمد بن حزم أحاديث الفاروق مما لا شك فيه أن عمر بن عبد العزيز طلب السنن غير المكتوبة للخليفة عمر بن الخطاب وكانت هذه فى الواقع رسالة أخرى أرسلها إلى شخص آخر يسمى سليم بن عبد الله [٦] .

---

(١) الوثائق السياسية ، وثيقة رقم (١٠) .

(٢) كان الديوان سجلاً رسمياً متعلقاً بالشئون العامة ، وكانت المرتبات توزع طبقا للقائمة المتضمنه فى هذا السجل . انظر (طبقات ابن سعد (٣ : ١ : ٢١٢) ، وHISTORICAL SOURCES (135)

(٣) الوثائق السياسية ، رقم (١٠) .

(٤) سنن الدارمي (١ : ١٢٦) ، موطأ مالك برواية الشيباني (٣٨٩) ، طبقات ابن سعد (٢ : ٢ : ١٣٤) و (٨ : ٣٥٣) .

(٥) pA pyri (2 : 29)

(٦) تاريخ الخلفاء (١٦١) .

٩ - أبو الدرداء (م = ٣٢ / ٣٤ هـ) :

كان عويمر بن زيد أبو الدرداء واحداً من أئمة الحديث البارزين في الشام جامعاً مجتهداً للحديث ، وهو واحد من الصحابة الثلاثة الذين يُزعم أن الفاروق عمر قد حبسهم لإكثارهم رواية الأحاديث عن النبي ﷺ (١) ، وهذا الإدعاء كما أوضحنا سابقا خاطىء لأننا رأينا أن أبا الدرداء لم يرو إلا ١٧٩ حديثا فحسب (٢) ، ولكنه كان عالماً محدثاً بدليل أن الفاروق عمر أرسله كمعلم فقيه إلى دمشق (٣) .

ففي حين كان يبحث الصحابة الآخرون (٤) عن معرفته بالحديث ، كان هو نفسه مشغولا بجمع المزيد والمزيد من الأحاديث ، ولهذا نرى أنه تسلم بناءاً على طلبه عدداً من الأحاديث من سلمان الفارسي ، ويروى أيضاً أنه جمع مجموعة من الأحاديث المكتوبة (٥) ، ولكنه أتلفها ، خشية أن يساء استخدامها (٦) .

---

(١) تذكرة الحفاظ (١ : ٧) ، سير أعلام النبلاء (٢ : ٢٤٨) ، تهذيب الأسماء واللغات (١ : ١ : ٢٥٦) ، إزالة الخيفة (٢ : ٦) ، منهاج السنة (٤: ١٤٢) .

(٢) جوامع السيرة لابن حزم (٢٧٦ - ٢٧٧) .

(٣) سير أعلام النبلاء (٢ : ٢٤٨) .

(٤) جامع بيان العلم (١ : ٣٣) ، مسند الإمام أحمد (٥ : ١٩٦) ، سنن أبي داود (٣ : ٤٣٢) ، في كتاب العلم (حديث رقم (٣٦٤١) ، جامع الترمذي (١٠ : ١٥٤ - ١٥٥) في كتاب العلم ، حيث روي أن رجلا من المدينة قدم دمشق ليسمع حديثاً من أبي الدرداء .

(٥) ميزان الاعتدال (٤ : ٥٤٦) ، الترجمة رقم (١٠٣٧٥) .

(٦) تقييد العلم (١١٧ - ١١٨) .

ومن بين مجموعته المكتوبة يمكن أن نذكر الصحيفة [١] التى كانت منتشرة فى سوريا والتى روي أن رجلا أحضرها لابن مسعود « فى المدينة» للإطلاع عليها ، فقام بإتلافها ، وذلك بعد أن قرأ محتوياتها ، ومن هذه الرواية يتضح أن هذه الصحيفة كانت تحتوى على آراء أبى الدرداء الإجتهادية (فيما يتعلق بالمسائل الشرعية) [٢] .

١٠ - سَلمَان الفارسى (م = ٣٢ / ٢٦ هـ) :

عرف سلمان الفارسى باسم سلمان الخير [٣] ، ويقال أنه عاش لمدة ٢٥٠ سنة [*] وكرس نفسه لدراسة الدين حتى قبل ظهور الإسلام ، وقرأ كتبا كثيرة فى المسيحية [٤] . وبعد اعتناقه الإسلام حضر المجالس الإسلامية لفهم ودراسة القرآن والحديث ، وكان موضعا لتقدير النبى ﷺ والصحابة[٥] لبعد نظره . وتعدد مواهبه . واعترافا بمعرفته الدينية العميقة وصفه الإمام عَلىٌ بأنه محيط لا ينضب « بحر لا ينزف » [٦] .

ومن بين الصحابة الذين نقلوا الحديث منه أبو هريرة ، وأنس بن مالك [٧] .

---

(١) تقييد العلم (٢٥ ، ٥٤) .
(٢) تقييد العلم (٥٤) .
(٣) مشاهير علماء الأمصار ، الترجمة رقم (٢٧٤) ، ص (٤٤) .
(*) وقيل : ٣٥٠ سنة . انظر أسد الغابة ط . دار الشعب بالقاهرة (٢ : ٤٢١) = المترجم .
(٤) طبقات ابن سعد (٦ : ٩) ، والإكمال في أسماء الرجال (٥٩٧) .
(٥) طبقات ابن سعد (٤ : ١ : ١٦) .
(٦) طبقات ابن سعد (٦ : ١ : ٦١) .
(٧) الإكمال في أسماء الرجال (٥٩٧) .

ولم نعرف على وجه الدقة ما إذا كان لديه مجموعة مكتوبة من الأحاديث أو لا ، ومع ذلك وجدنا رواية تقول أنه أرسل بعض الأحاديث المكتوبة إلى أبى الدرداء [١] .

١١- فاطمة بنت قيس :

هذه المرآة الصحابية تنتمى إلى الرعيل الأول من بين مجموعات النساء اللاتى هاجرنَ إلى المدينة [٢] . وكانت عالمة مشهورة فى الحديث لم تعط دروساً فحسب ، بل **أملت** الأحاديث على طلابها ، وقام أبو سلامة بن عبد اللّه بن عبد الرحمن « المتوفى سنة ٩٤ هـ » [٣] بتكوين مجموعة من الأحاديث من إملائها .

١٢ - أسماء بنت عميس (م - ٣٨ هـ) :

كانت أسماء زوجة لجعفر بن أبى طالب ، وصحبته أثناء الهجرةَ إلى الحبشة ، وبعد أن توفى جعفر تزوجت أبا بكر ، وبعد أن توفى تزوجت من على بن أبى طالب ، ولأنها كانت من الرواة الثقات فى الحديث فقد نقل عددٌ كبيرٌ من الصحابة الكبار الأحاديث منها [٤] . أما بالنسبةَ لمجموعتها المكتوبة من الأحاديث فيروى أنها جمعت عدداً كبيراً من أحاديث النبىﷺ فى كتاب [٥] .

---

(١) ميزان الاعتدال (٤ : ٥٤٦) ، الترجمة رقم (١.٣٧٥) .

(٢) صحيح مسلم (٢ : ٦٨٢) ، في كتاب الطلاق ، والإكمال في أسماء الرجال (٦١٣) .

(٣) صحيح مسلم (٢ : ٦٧٣) ، في الطلاق ، وطبقات ابن سعد (٨ : ٢.١)، ومسند الإمام أحمد (٦ : ٤١٣) .

(٤) الإكمال (٥٨٧) .

(٥) دراسات إسلامية لجولد تسيهر (٢ : ٩ / ٢٢) .

١٣ - أبو موسى الأشعري (م - ٤٢ ، ٤٤ ، ٥١) :

هذا الوالي الشهير للبصرة في خلافه الفاروق عمر ، وُضِعَ في قائمة المعارضين لكتابة الأحاديث [١] ، ويقال أنه محا كتابات أحد تلاميذه[٢].

ولكن كراهيته للكتابة ربما كانت ترجع إلى عدم قدرته على الكتابة بنفسه ، ويروى إنه تعلم الكتابة فقط في سن متأخرة [٣] وعلى الرغم من كراهيته للكتابة ، فيروى أنه أرسل بعض الأحاديث إلى عبد الله بن مسعود بشكل مكتوب [٤] .

١٤ - زيد بن ثابت « المتوفى سنة ٤٥ هـ » :

كاتب الوحي للنبي ﷺ ، ورئيس تحرير النسخة العثمانيةَ من القرآن ، هذا العالم العبقرى ، زيد بن ثابت كان حجة في قانون الميراث والمسائل التشريعية الأخرى [٥] . وكان المصدر الهام لأحاديث النبى ﷺ [٦] .

---

(١) تقييد العلم (٣٩ - ٤١) .

(٢) تقييد العلم (٤٠ - ٤١) ، جامع بيان العلم (١ : ٦٦) ، سنن الدارمي (١ : ٢٢) ، (كتاب العلم لأبي خيثمة (١١ ب) ، وطبقات ابن سعد (٨٣:١:٤) ، والمحدث الفاصل (٣٦ ب - ٣٧ أ) .

(٣) طبقات ابن سعد (٤ : ١ : ٨٣) .

(٤) مسند الإمام أحمد (٤ : ٣٩٦ ، ٤١٤) .

(٥) إزالة الخيفة (١ : ١٥) ، وطبقات ابن سعد (٢ : ٢ : ١١٥ - ١١٧) .

(٦) إعلام الموقعين (١ : ١٢) ، كتاب العلم لأبي خيثمة (٧ أ - ٨ أ) ، وتذكرة الحفاظ (١ : ٥١ - ٥٢) .

أما بالنسبة لقدرات زيد اللغويةَ ، ففضلا عن العربية عرف العبرية والسريانية [١] ، وكان يتحدث الفارسية ، واليونانية ، والحبشية والقبطية[٢] . وكان يعمل مترجماً للنبى ﷺ فى تلك اللغات .

وعلى الرغم من حقيقة أنه اعتاد أن يكتب بالعربية فى كافة مكاتباته العامة [٣] ، فإنه يعتقد عموماً أنه كان معارضاً لكتابة الأحاديث [٤] وهذا الإستنتاج خرجنا به من رواية وصف فيها زيد بأنه كان شاهداً على تحريم النبى ﷺ لتسجيل الحديث فعلى أساس هذا الحديث ، وفضلاً عن رواية أخرى يطلب فيها زيد من مروان بن الحكم أن يمحو الأحاديث التى سجلها دون معرفته يؤكد أنه كان من المعارضين لتسجيل الحديث [٥] .

ولكن هذه السابقة لا تبدو أنها صادقة على أساس أن الذي رواها هو عبد المطلب بن حنطب ، والذي لم يسبق له أن قابل زيداً على الإطلاق ، فضلا عن أن الشعبى روى أن المادة المروية لم تكن حديثا للنبى ﷺ ولكن رأيه الشخصى لأن زيداً ذكر هذا بنفسه ويذكر أنه قال أغَدْراً يا مروان ، إنما أقول برأيي [٦] .

---

(١) طبقات ابن سعد (٢ : ٢ : ١١٥) .

(٢) ، بالنظر السعودي في كتابة « التنبيه والإشراف » طبعة ، لعام (١٨٩٤) ، ص (٢٨٣) .

(٣) سنن الدارقطني (٤٦٤) .

(٤) كتاب الآثار للشيباني (٢١٢) ، الجرح والتعديل (١ : ٢ : ٥٥٨) ، وتقييد العلم (١٥) وتذكرة الحفاظ (١ : ٢٩ - ٣٠) .

(٥) تقييد العلم (٣٥) ، جامع بيان العلم (١ : ٦٥) ، طبقات ابن سعد (٢: ١ : ١١٧) .

(٦) طبقات ابن سعد (٢ : ١ : ١١٧) ، سير أعلام النبلاء (٢ : ٣١٣) .

وذلك عندما دعا مروان زيد بن ثابت ، وأجلس له قوماً خلف سترٍ ، فأخذ يسأله ، وهم يكتبون ، فَفَطِنَ زيد ، وقال قولته تلك . (المترجم) .

ولأنه لم يكن مدركا بأن روايته سوف تسجل فقد روى الأحاديث مختلطة بآرائه في مسائل بعينها ، وهذا احتمال وارد بسبب بسيط هو أن زيداً كان فقيهاً [1] وخلط معرفة الحديث بالفقه [2] ، وعندما علم أن رواياته جميعها قد سجلت كان طبيعيا أن يطلب التخلص من هذه المخطوطات ، وهذا ظهر بوضوح فى رواية أخرى لمقولة رواها شعبى . وطبقا لهذه الرواية فقد طلب زيد أن يتخلص مروان من هذه المخطوطة قائلاً : « كل ما نقلته إليك ليس هو نفس ما رويته إليك « لعلىَّ شىء حدثتكم به ليس كما حدثتكم بمعنى أنه لم يكن مطابقا لأحاديث النبى ﷺ [3] .

وحقيقة أنه لم يكن معارضا لكتابة الأحاديث واضح من أنه جمع كتابا فريدا من نوعه في الفرائض [4] . وأكثر من هذا فعادته فى السماح لتلاميذه بكتابة أحاديثه لا يدل على أنه كان من المعارضين للمادة المكتوبة . وشهد كثير بن أفلح بهذه العادة قائلاً : « لقد أعتدنا أن ندون الأحاديث في دروس زيد بن ثابت » [5] .

١٥ - المغيره بن شعبة « المتوفى سنة . ٥ » :

يقال إن المغيره أملى عدداً قليلا من الأحاديث لمولاه ، « ورّاد » ، وقد أرسلت إلى الخليفة مَعاويةَ بناءً على طلبه [6] . وكان عدد

(١) الآثار للشيباني (٢١٢) ، ومشاهير علماء الأمصار ص (١٠) الترجمة رقم (٢٢) .

(٢) تقييد العلم (١٠٢) .

(٣) جامع بيان العلم (١ : ٦٥) .

(٤) سير أعلام النبلاء (٢ : ٣١٢) ، وتقييد العلم (٩٨ - ٩٩) .

(٥) تقييد العلم (١٠٢) .

(٦) صحيح البخاري (١ : ٢١٧) ، في كتاب الأذان ، و (١ : ٣٧٥) في=

هذه الأحاديث أربعة وقد ضمها مسند ابن حنبل (١) .

وأثناء خلافه أبى بكر ، عندما طرحت قضية الدية وتطلبت هذه القضية فتوى ، أعطى المغيرة لأبى بكر حديثا عن النبى ﷺ بخصوص هذا الموضوع (٢) .

وربما مرد هذا يرجع إلى شهرته كحافظ لأكبر عدد من الأحاديث لدرجة أن معاوية كتب إليه أن يرسل الأحاديث التى سمعها من النبى ﷺ ، وذكر «ورأد» أنه عندما زار معاوية بعد ذلك سمعه يعطى الأوامر بأن الأحاديث الذى أرسلها المغيرة يجب أن تتبع (٣) .

١٦ - جرير بن عبد الله بن جابر البجلى « المتوفى سنة ٥١ »:

يقال إن جريراً روى مئة حديث عن النبى ﷺ بعضها وجد فى نصوص متون الكتب الستة والمسانيد . ومن بين الصحابة الذين نقلوا منه : أنس ابن مالك ، وقيس بن أبى حازم ، والشعبى ، وآخرون غيرهم كثيرون (٤) .

أما بالنسبة للسجل المكتوب للأحاديث ، فيذكر أنه أرسل عدداً من الأحاديث إلى معاوية بشكل مكتوب (٥) .

= الزكاة ، و(٤ : ١٩٢) في كتاب الدعوات ، و (٤ : ٢٦٦) في كتاب القدر و (٤ : ٤٢٣) في كتاب الاعتصام بالسنة ، وسنن أبي داود (٢ : ١١٠) ، في كتاب الوتر ، حديث رقم (١٥٠٥) ، وكتاب العلم لأبي خيثمة (٤ ب) ، الكنى للدولابي (٢ : ٦٦) ، الجرح والتعديل (١ : ٢ : ٣٥٧) ، مسند الإمام أحمد (٤ : ٢٤٥ ، ٢٤٧ ، ٢٤٩ ، ٢٥٠ ، ٢٥٤) ، الكفاية (٤٨٢) .

(١) مسند الإمام أحمد (٤ : ٢٤٤ - ٢٤٥) .

(٢) سنن أبي داود (٤ : ٢٦٦) في الديات ، حيث رقم (٤٥٧٠) .

(٣) معرفة علوم الحديث (١٥) .

(٤) تهذيب الأسماء واللغات (١ : ١ : ١٤٧) .

(٥) مسند الإمام أحمد (٤ : ٣٦١) .

١٧ - أبو أيوب الأنصاري « المتوفى سنة ٥٢ هـ » :

كان خالد بن زيد أبو أيوب الأنصارى باحثا عن أحاديث النبي ﷺ ، ويذكر أنه ذات مرة قام برحلة طويلة من المدينة إلى مصر ليتأكد من عقبة ابن عامر عن بعض الأحادث[١] المروية عنه [٢] .

إما بالنسبة للمجموعة المكتوبة فيروى أنه أرسل عدداً من الأحاديث بشكل مكتوب إلى ابن أخيه [٣] ، بالإضافة إلى مجموعة ضمنت (١٢) أحاديث منسوبة إلى حفيدة أيوب بن خالد [٤] يمكن أيضاً أن تكون من عمله وربما وصلت إلى حفيده بعد موته .

١٨ - أبو بَكْرَة الثقفى « المتوفى سنة ٥٩٥٣ هـ » :

نُفَيْع بن الحارث أبو بكرة كان عبدا أعتقه النبى ﷺ ويقال إنه نقل (١٣٢) حديثاً [٥] ، وبعضها لا يزال موجوداً في المصادر .

وأرسل فى شكل مكتوب حديثاً متعلقا بأحكام الشريعة إلى ابنه عبد الرحمن وإلى إقليم سجستان [٦] .

---

(١) وكان الحديث بخصوص هذه المسألة « هل الشخص الذى يكفر عن ذنوبه فى الدنيا يغفر له الله يوم القيامة ؟ » وكان المالك الوحيد للحديث هو عقبه بن عامر المصرى . (أنظر صحيح البخارى (٢ : ٩٨) في المظالم ، وكتاب العلم لأبي خثيمة (٤ب).

(٢) معرفة علوم الحديث (٧ - ٨) ، جامع بيان العلم (١ : ٩٣ - ٩٤)

(٣) مسند الإمام أحمد (٥ : ٤١٣) .

(٤) مسند الإمام أحمد (٥ : ٤٢٣) .

(٥) تهذيب الأسماء واللغات (١ : ٢ : ١٩٨) .

(٦) صحيح البخاري (٤ : ٣٨٨) في كتاب الأحكام ، وسنن أبي داود (٣ : ٤١١) ، في كتاب الأقضية ، حديث رقم (٣٥٨٩) .

١٩ - عائشة زوجة النبى ﷺ :

كانت عائشة واحدة من أعظم النساء المحدثات والمشرعات ، وكانت تنتمى إلى مجموعة المكثرين « أى هؤلاء الذين رووا عدداً كبيراً من الأحاديث » ويقال أنها روت ٢٢١٠ حديثا عن النبى ﷺ (١) .

ونقل أكبر عدد من العلماء ، ومن بينهم الصحابة والتابعين الحديث . منها (٢) .

وكانت تعد مسئولة عن أحاديث النبى ﷺ ، ورأينا أن عمرو بن أمية الضمري طلب منها أن تشهد له بحديث رواه ، وذلك أمام الفاروق عمر (٣) .

ويبدو أنها لم ترو الأحاديث فحسب ، بل دونتها كذلك . ويروى أن معاوية استلم بعض الأحاديث منها بشكل مكتوب (٤) .

ومن غير المؤكد ما إذا كانت قد كتبت الحديث بنفسها أو قام شخص آخر بالكتابة لها . ويبدو أن الرأى الآخير هو الصحيح . ومن بين التلاميذ الذين جمعوا مجموعات مكتوبة منها : ابن أختها عروه بن الزبير (٥) .

٢٠ - شداد بن أوس « المتوفى سنة ٥٨ هـ » :

كان ابن أخ حسن بن ثابت ، شداد ، حجه فى الحديث وذلك فى مدينة القدس . ويقال أنه أملى بعض الأحاديث إلى عدد من الصحابة التابعين

(١) الإكمال في أسماء الرجال (٦١٢) ، فتح المغيث (٣٧٩)

(٢) الإكمال في أسماء الرجال (٦١٢) .

(٣) مسند الطيالسي (٤ : ١٩٤ - ١٩٥) ، حديث رقم (١٣٦٤) .

(٤) مسند الإمام أحمد (٤ : ٨٧) ، والمحدث الفاصل (٤٩ ب) .

(٥) الكفاية (٤٨٩) .

وهم فى طريقهم إلى الحج [١] .

٢١ - معاوية بن أبى سفيان « المتوفى سنة ٦٠ » :

على الرغم من تجاهل دوائر معينة للإنجازات الأدبية والثقافية للأمويين. وجدنا روايات تبين أنه لم يكن طلاب العلم فقط هم المهتمون بل والحكام أيضا فى تلك الفترة . ومن هؤلاء هذا الخليفة الورع عمر بن عبد العزيز الذى كان عالما دينيا لا يشق له غبار ، ولعب دوراً هاماً فى غرس وتقوية الإخلاص الدينى وخاصة فى الحديث . ولنبدأ بمعاوية مؤسس الدولة الأموية وقد أظهر معظم الخلفاء والولاة الذين جاءوا من بعده مثل مروان بن الحكم [٢] عبد الملك بن مروان [٣] عبد العزيز بن مروان [٤] . وهشام [٥] اهتماماً بدراسة الحديث وحفظه .

---

(١) سير أعلام النبلاء (٢ : ٣٣٣) .

(٢) لجأ إلى حبلة ليحصل على أحاديث مكتوبة من زيد بن ثابت وأبى هريرة (أنظر : الإصابة (٤ : ٢٠٥) ، الترجمة (١١٩٠) ، الكنى للدولابي (٣٣) ، طبقات ابن سعد (٢ : ١ : ١١٧) ، تقييد العلم (٣٥ - ٤١) تدوين حديث (٨١ - ٨٢) ، جامع بيان العلم (١ : ٦٥) و (٢ : ١٤٣ - ١٤٤) ، سير أعلام النبلاء (٤٣١ - ٤٣٢) .

(٣) حفظ بعض الأحاديث ونقلها . انظر : (طبقات ابن سعد (٥ : ١٦٧ ، ١٧٤) و(papyri (1 : 16) .

(٤) وضع بين أئمة الحديث وكان لديه أحاديث أبى هريره بشكل مكتوب وطلب من كثير بن مرة عالم الحديث في الشام أن يجمع له أحاديث المحدثين الآخرين ويرسلها له . طبقات ابن سعد (٧ : ٢ : ١٥٧) .

(٥) وضع الزهرى بين أفضل علماء الحديث ودون الحديث كتابة لأبنائه . أنظر جامع بيان العلم (٧٦ - ٧٧) ، وحلية الأولياء (٣ : ٣٦١) .

ولهذا فليس ، بمستغرب أن بعض الحكام وضعت أسماؤهم ضمن أئمة الحديث [١] .

أما بالنسبة لمعاوية محور اهتمامنا حاليا ؛ فقد كان مهتما للغاية بالتاريخ، وعلم الأنساب ، والشعر [٢] ، ولكن كل هذا لا يعادل اهتمامه بالحديث لأنه وجد متعة عظيمة فى الإستماع إلى الأحداث الشيقة التى حدثت فى الماضى من جليسه ليلا : عبيد بن شرية [٣] . وكان سعيداً للغاية عندما يقيم حلقات دراسة الحديث ، يتناول فيها أحاديث أبى هريرة [٤] .

واهتمام معاوية بالحديث واضح فى أنه من وقت لآخر كان يستخدمه في رسائله [٥] ، وفى خطبه [٦] ، وعند اجتماع كوكبة من العلماء [٧] فى قصره . وكان حريصا على تعلم الأحاديث لدرجة أنه طلب من الآخرين أنْ

---

(١) طبقات ابن سعد (٧ : ٢ : ١٢٨) ، الجرح والتعديل (٤ : ١ : ٣٧٧)، الإصابة (٣ : ٤٣٤) ، الترجمة رقم (٨.٦٨) ، والإستيعاب (٣ : ٤.. - ٤.١) . وضمن محدثي الشام وضع معاوية ، وأنظر : الجرح والتعديل (٢ : ١ : ١٣. - ١٣١) . وتذكرة الحفاظ (١ : ٨٣) .

ومن أجل سليمان كمحدث أنظر : طبقات ابن سعد (٥ : ١٧٥) ، والجرح (٢: ٢ : ٣٩٣) .

(٢) معجم الأدباء (١ : ٢٩ - ٣.) ، المحبر (٤٧٨) ، و المعارف (١٨١) و pA pyri (1 : 14 - 15)

(٣) رواية عبيد جمعت أخيراً فى كتاب بأمر معاوية وعرف هذا الكتاب باسم أخبار عبيد ، وعلى الرغم من التناقضات الواضحة فى بعض موضوعاته إلا أنه نشر.

(٤) الإملاء (٥٧ - ٥٨) .

(٥) مسند الإمام أحمد (٤ : ٩٤) .

(٦) مسند الإمام أحمد (٤ : ٩١ - ١.٢) ، وما بعدها .

(٧) مسند الإمام أحمد (٤ : ٩١ - ١.٢) ، وما بعدها .

يُرْسِلَ له الحديث كتابة . فعلى سبيل المثال فقد كتب إلى المغيرة بن شعبة والي الكوفة أن يرسل له الأحاديث التى سمعها من النبى ﷺ ، ويروى أن المغيرة أملى بعض الأحاديث على كاتبه « ورّاد » وأرسلها إلى معاوية (١) .

وطلب من زيد بن ثابت أن يروى الأحاديث . وعندما جمع زيد هذه الأحاديث أخذها الخليفة بشكل مكتوب دون معرفة زيد ولكن هذه المجموعة قد تم التخلص منها بناءً على رغبة زيد (٢) وكتب إلى عائشة العديد من المرات طلبا للحديث وجمعت له الحديث بناءً على طلبه (٣) .

وبالنظر لمجموعته من الأحاديث ، فُيَسجل أن عنده مجموعة من الأحاديث تبلغ (١٦٠) (٤) حديثاً ، وحفظت في مسند الإمام أحمد بن حنبل (٥) .

٢٢ - مسروق بن الأجدع (المتوفى سنة ٦٣ هـ) :

كان واحداً من أئمة الحديث ، وقاضياً ، وجامعاً نَشِطا للحديث ، وبحثا.

---

(١) الكفاية (٤٨٢) ، الكنى للدولابي (٢ : ٦٦) ، الجرح والتعديل (١ : ٢ : ٣٥٧) ، مسند الإمام أحمد (٤ : ٢٤٥ ، ٢٤٧ ، ٢٤٩ ، ٢٥٠ ، ٢٥٤) ، صحيح البخاري (١ : ٢١٧) ، في كتاب الأذان ، و (١ : ٣٧٥) في الزكاة ، و (٤ : ١٩٢) في الدعوات ، و (٤ : ٢٥٦) في القدر ، و (٤ : ٤٢٣) في الإعتصام بالنسبة ، وسنن النسائى (٣ : ٧٠ - ٧١) في السهو ، وسنن أبي داود (٢ : ١١٠) في الوتر ، حديث (١٥٠٥) ، وصحيح مسلم (٣ : ١٢١) في الأقصنية .

(٢) جامع بيان العلم (١ : ٦٣) .

(٣) مسند الإمام أحمد (٦ : ٨٧) ، المحدث الفاصل (٤٩ ب) .

(٤) pA pyri (2 : 18)

(٥) مسند الإمام أحمد (٤ : ٩١ - ١٠٢) .

عنه رجل من إقليم إلى آخر (١) وأعطى الشعبى تفسيراً لرحلته من العراق إلى الشام (٢) وتكمن أهمية هذه الرحلات فى حقيقة الأمر من كونه لم يسمع الأحاديث من مشايخه فحسب خلال أسفاره ، بل دَوَّن هذه الأحاديث أيضاً (٣) .

وفَضْلاً عن رحلاته طلباً لحديث رسول الله ﷺ ، كان أحيانا يحصل على بعض هذه الأحاديث من خلال المكاتبة والمراسلة ، فقد روي أنه وعبد الله ابن عتبة كتبا إلى سُبَيْعة الأسلمية يسألاها عن حديث خاص بالعدة ، ويذكر أن سبيعة استجابت لسؤاليهما وأرسلت الحديث لهما مكتوباً ، وهذا الحديث كان خاصاً بتعليمات النبى ﷺ في هذه القضية الشرعية (٤) .

ولا بأس أن نورد مثالاً آخر ، فذات مرة طلب مسروق من علقمة أن يدوِّن له بعض عادات النبى ﷺ السالفة « النظائر » وكان علقمة من المعارضين لكتابة الحديث ، فقال : « ألم تعط علما بأن الكتابة مكروهة؟ » فرد عليه « في هذه الحالة سَامْحُها بعد حفظها (٥) » .

---

(١) حلية الأولياء (٢ : ٩٥) ، جامع بيان العلم (١ : ٩٤) ، حيث رحل بحثاً عن حديث رسول الله ﷺ ، ولما كثرت رحلاته طلباً للعلم أطلق عليه : «أبو السفر» . انظر تهذيب التهذيب (١٠ : ١١٠) .

(٢) حلية الأولياء (٢ : ٩٥) ، كتاب العلم لأبي خيثمة لوحة (٤ب)، المحدث الفاصل (٤١ ب) .

(٣) جامع بيان العلم (١ : ٦٦) ، تقييد العلم (٣٩) ، الجرح والتعديل (٤: ١ : ٣٩٦ - ٣٩٧) ، طبقات ابن سعد (٦ : ٥٠ - ٥٦) ، و

(٤) سنن ابن ماجة (١ : ٦٢٥ - ٦٢٦) في كتاب الطلاق ، والكفاية (٤٨١)

(٥) جامع بيان العلم (١ : ٦٦) ، وتقييد العلم (٥٨ - ٥٩) .

وهذا الحديث جعل بعض العلماء يعتقدون أن مسروقاً كان من هؤلاء الذين كتبوا الحديث بغرض الحفظ فقط [1] ، ولكن هذا الإفتراض غير صحيح للأسباب الآتية :

على الرغم من أن الحديث يبين استعداد مسروق أن يمحى ماكتبه من نصوصٍ ، إلا أنَّه لم يذكر أنه بالفعل قام بإتلاف ما كتبه أو إزالته ، فالإحتمالان قائمان ، فضلا عن أن مقولة « دَوِّنْ لي » لا تُظْهر بوضوح أن المقصود منها « الكتابة المؤقتة » ، إنها على النقيض من ذلك تشير إلى أن مسروقاً نفسه اعتادَ أنْ يَحْتَفِظَ بالحديث بشكلٍ مكتوب كمبدأ عنده ، ولهذا ، طلب النص مكتوبا من الآخرين كذلك ، أما تعليق علقمة « ألم تعلم بأن الكتابة مكروهة » تثبت أن مسروقاً ينتمى إلى مجموعة العلماء المؤيدين للكتابة ، كما يبدو أن وعده بمحو النص المكتوب بعد حفظه حتى يغري علقمة في كتابة الحديث له ، ولو تَنَاوَلْنا مقولة مسروق بالمعنى الحرفي فإنها تعنى أنه عزم أن يتلف النص بعد قراءته ، وهذا يعنى ببساطة أنه سيلجأ فى هذه الظروف فقط أن يفعل ذلك كظرف استثنائى ، أما فى الظروف المادية فقد اعتاد أن يحفظ الأحاديث بشكل مكتوب .

٢٣ - نعمان بن بشير « المتوفى سنة ٦٤ هـ » :

كان النعمان قاضيا لدمشق ، ثم عينه ابن الزبير واليا لحمص [2] ، أما بالنسبة لكتابته للأحاديث فيروى أنه دون عدداً من الأحاديث في كتاب وأرسلها إلى قيس بن الهيثم [3] ، وتسلم ابنه يزيد أيضاً عدداً من

(١) تقييد العلم (٥٨) .

(٢) مشاهير علماء الأمصار ، صفحة (٥١) ، الترجمة رقم (٣٣٢) .

(٣) مسند الإمام أحمد (٤ : ٢٧٧) .

الأحاديث المكتوبة منه من خلال كاتبه الذى كان يسمى حبيب بن سليم [١].

٢٤ - ضحاك بن قيس بن خالد « المتوفى سنة ٦٥ هـ » :

من بين مجموعة الأحاديث المكتوبة لمنحاك أرسل منها عدداً في كتاب إلى قيس بن الهيثم [٢] .

٢٥ - مروان بن الحكم « المتوفى سنة ٦٥ هـ » :

امتلك مروان مجموعة موثقة من الأحاديث رواها أبو هريرة [٣] وهذه الأحاديث كما عرفنا كان قد حصل عليها مبكراً بحيلة [٤] ويروى أن الخليفة لم يقم بمناورة ليحصل على هذه الأحاديث دون علم أبي هريرة فحسب [٥] ، بل فحصها ورتبها ترتيبا صحيحاً من خلال رواية أبى هريرة فى العام الذي تلا ذلك [٦] .

وفضلاً عن هذا فقد حصل مروان على عددٍ من الأحاديث المكتوبة من زيد بن ثابت [٧] - على الرغم من أنه فى بعض الروايات يقال أنه تخلص

---

(١) مسند الإمام أحمد (٤ : ٢٧٣) .

(٢) مسند الإمام أحمد (٣ : ٤٥٣) ، أسد الغابة (٣ : ٣٧) ، الإصابة (٢:٢٠٧) ، الترجمة رقم (٤١٦٩) .

(٣) تقييد العلم (٤١) ، سير أعلام النبلاء (٢ : ٤٣١ - ٤٣٢) .

(٤) لقد لجأ إلى هذه الحيلة لأن أبا هريرة لم يكن على استعداد ، خاصة فى بداية حياته ، أن يملى الأحاديث . ومما هو جدير بالذكر أن أبا هريرة تخلى عن كراهيته للكتابة فى أخريات حياته .

(٥) تقييد العلم (٤١) ، سير أعلام النبلاء (٢ : ٤٣١ - ٤٣٢) .

(٦) سير أعلام النبلاء (٢ : ٤٣١) ، والإصابة (٤ : ٢٠٥) ، الترجمة (١١٩٠)

(٧) تقييد العلم (٢٠) ، جامع بيان العلم (١ : ٦٥) و (٢ : ١٤٣ -١٤٤) وطبقات ابن سعد (٢ : ٢ : ١١٧) ، وسنن الدارمي (١ : ١٢٢ - ١٢٣) .

منها بناءً على طلب زيد [١] .

٢٦ - زيد بن أرقم « المتوفى سنة ٦٥ / ٦٦ هـ :

كان زيد واحداً من هؤلاء العلماء الذين وافقوا على الكتابة في نقل الحديث ، ولهذا يروى أنه أرسل عدداً من الأحاديث إلى أنس بن مالك[٢] .

٢٧ - جابر بن سَمُرَة « المتوفى سنة ٦٦ هـ » :

لقد حصل جابر على ١٤٦ أحديثا من النبي ﷺ [٣] وظل بعضا من هذه الأحاديث قائما فى مجموعات الحديث الكبرى [٤] وأرسل حديثا واحداً مكتوباً إلى عامر بن سعد بن أبى وقاص بناءً على طلبه [٥] .

٢٨ - براء بن عازب « المتوفى سنة ٧١ / ٧٢ هـ » :

هذا الصحابى اليهودى الأصل تطوع بنفسه ليشترك فى غزوة بدر ، ولكن النبى ﷺ رفض طلبه لكبر سنه [٦] ، ثم اشترك بعد ذلك فى خمس عشرة غزوة بما فى ذلك غزوة أحد [٧] .

أما عن اهتمامه بالحديث ، فيروى أنه اعتاد أن يملى أحاديث النبى ﷺ

---

(١) جامع بيان العلم (١ : ٦٥) و (٢ : ١٤٣ - ١٤٤) .

(٢) تهذيب التهذيب (٣ : ٣٩٤) .

(٣) تهذيب الأسماء واللغات (١ : ١ : ١٤٢) ، و (2 : 66) pApyri حيث شككت « نبيهة عبود » في الرقم (١٦٤) حدثاً .

(٤) تهذيب الأسماء واللغات (١ : ١ : ١٤٢) .

(٥) صحيح مسلم (٤ : ٦٥ - ٦٦) ، في كتاب الفضائل .

(٦) مشاهير علماء الأمصار ، ص (٤٤) ، الترجمة (٢٧٢) .

(٧) تهذيب الأسماء واللغات (١ : ١ : ١٣٢) .

على طلابه [١] ، وأثناء زيادة الحاكم النيسابوري للكوفة فى سنة ٣٤٥ هـ رأى آثار المكان « أسطوانة » الذى أعتاد أن يعقد فيه براء حلقات الحديث[٢]

٢٩ - عبد الله بن الزبير « المتوفى سنة ٧٣ » :

من بين الصحابة الأربعة الذين تبدأ أسماؤهم باسم عبد الله [٣] كان عبد الله بن الزبير ، وقد حصل عبد الله على أحاديث من النبي ﷺ [٤] . لا يزال يوجد بعضها في مجموعة الحديث الكبرى [٥] وقد قام جمهرة من علماء الحديث بما فيهم أخيه عروة بنقل الأحاديث منه .

إما بالنسبة لأحاديثه المكتوبة ، فيروي أنه كتب عدداً من الأحاديث التشريعية وأرسلها إلى عبد الله بن عتبة بن مسعـــود «المتوفـى سنة ٧٤هـ »[٦]

٣. - عبد الله بن عتبة بن مسعود « المتوفى سنة ٧٤ هـ » :

عالم بارز فى الحديث والفقة ، وكان لديه عدد كبير من الأحاديث [٧] ولم

(١) كتاب العلم لأبي خثيمة (١١ ب) ، وسنن الدارمي (١ : ١٢٨) ، وتقييد العلم (١.٥) ، وجامع بيان العلم (١ : ٧٣) .

(٢) معرفة علوم الحديث (١٩١ - ١٩٢) .

(٣) أما الثلاثة الآخرين الذين تبدأ أسماؤهم باسم عبد الله فهم عبد الله بن عمرو ابن العاص ، عبد الله بن عمر ، عبد الله بن عباس .

(٤) تهذيب الأسماء واللغات (١ : ١ : ٢٦٧) .

(٥) تهذيب الأسماء واللغات (١ : ١ : ٢٦٧) .

(٦) مسند الإمام أحمد (٤ : ٤) .

(٧) طبقات ابن سعد (٥ : ٤٢) .

ينقل الأحاديث من النبي ﷺ فحسب ، بل من الصحابة المشهورين أيضاً مثل : عبد الله بن مسعود ، عمر ، عمار ، وأبي هريرة (١) .

ومن بين مجموعته المكتوبة من الأحاديث ، حديثاً أرسله إليه عمر بن عبد الله بن الأرقم ، وكان قد حصل عليه من سُبيعة الأسلمية « م - ١٠ هـ » (٢) وكان الحديث خاص بمسألة العدة « أي المدة التى تنتظرها الأرملة أو المطلقة قبل الزواج » وطبقا لرواية أخرى يقال : إن سُبَيْعة بنفسها أرسلت هذا الحديث إلى عبد الله بن عتبة بناءً على طلبه (٣) .

كما كان عند عبد الله بن عتبة بعض الأحاديث المتعقلة بالأحكام أرسلت إليه من عبد الله بن الزبير بشكل مكتوب (٤) .

٣١ - رافع بن خديج « المتوفى سنة ٧٤ هـ » :

مولى النبى ﷺ أعتقه ، وسمح له أن يكتب أقواله ﷺ (٥) .

وعلى الرغم من أن المصادر قد ذكرت أن هذا التصريح قد حصل عليه رافع بالفعل من النبى ﷺ إلا أنه لم يذكر ما إذا كان قد جَمَعَ مجموعة أحاديث خاصة به أم لا ، ولكن الإحتمال الأقوى أنه جمع بالفعل لأننا وجدنا حديثاً يخبر هو فيه مروان بأن حديثا خاصة بحرمة المدينة مكتوب معه

---

(١) تهذيب التهذيب (٥ : ٣١١) .

(٢) صحيح البخاري (٣ : ٦٢ - ٦٣) في كتاب المغازي ، و (٣ : ٤٧٨) في كتاب الطلاق ، وصحيح مسلم (٢ : ٦٨٧ - ٦٨٨) في كتاب الطلاق ، الكفاية (٤٨١) ، تهذيب التهذيب (٨ : ٧٥) .

(٣) سنن ابن ماجة (١ : ٦٢٥ - ٦٢٩) في الطلاق ، الكفاية (٤٨١) .

(٤) مسند الإمام أحمد (٤:٤) .

(٥) تقييد العلم (٧٢ - ٧٣) .

على « جلد يمنى » (١) .

وربما كان هذا الحديث الخاص واحداً من أحاديث عديدة كتبها وأحتفظ بها معه .

٣٢ - أبو سعيد الخدرى « المتوفى سنة ٧٤ هـ » :

هو واحد من الرواة الأساسيين للحديث (٢) الذي ينص على كراهة النبي ﷺ تدوين الحديث (٣) . وعلى الرغم من أنه لم يسمح لطلابه بعمل سجل مكتوب لما يرويه إلا أنه هو نفسه كان لديه عددٌ قليل من الأحاديث . وهذا واضح من مقولته التي قال فيها « نحن لم نكتب شيئا سوى القرآن والتشهد (٤) » وبسبب حقيقة أن التشهد هو في حَدٍّ ذاته حديث وُجِدَ في النصوص الحديثية فيمكن أن نقول ونحن مطمئنون إن أبا سعيد الخدرى كتب على الأقل عدداً من الأحاديث .

٣٣ - عَمْرو بن ميمون الأوْدي (م = ٧٤ / ٧٥ هـ) :

هذا الحافظ الكوفى نقل الأحاديث من عبد الله بن مسعود ، وعلي بن أبى طالب ، والفاروق عمر ، وآخرين (٥) ، وكان مهتما أصلا بالأحاديث التاريخية .

---

(١) مسند الإمام أحمد (٤ : ١٤١) ، وتقييد العلم (٧٢) .

(٢) تقييد العلم (٢٩ - ٣٣) ، المصاحف لابن أبي داود (٤) ، صحيح مسلم (٤ : ٣٥٦) في كتاب الزهد .

(٣) تقييد العلم (٣٦ - ٣٨) ، كتاب العلم لأبي خيثمة (٨ ب) ، والمحدث الفاصل (٣٦ أ) .

(٤) تقييد العلم (٩٣) .

(٥) حلية الأولياء (٤ : ١٥٠) ، طبقات ابن سعد (٦ : ٨٠) .

وكان سجله الأساسى المكتوب هو كتابه الخاص باغتيال عمر بن الخطاب وتعيين مجلس منتخب [١] . ويقال إن ابن إسحاق فى سيرته أشار باستفاضة إلى هذا العمل دون ذكر للمؤلف أو كتابه [٢] .

وبعض الأحاديث التى نقلها تم حفظها في مجموعات الحديث المصنفة فيما بعد [٣] .

٣٤ - واثلة بن الأسقع (م = ٨٣ هـ) :

عالم البصرة ، وواحد من رواة الحديث الأوائل ، الذين وظفوا الإملاء فى نشر الأحاديث [٤] . وتوفى هذا الرجل بعد عمر مديد وصل إلى ١٠٥ سنة [٥] أما بالنسبة لمجموعته الخاصة من الأحاديث فلا نعرف عنها شيئاً .

ولكن ذكر فى المصادر بوضوح أنه أعتاد أن يعقد حلقات الحديث ويملى الأحاديث على طلابة [٦] . ولابد أنه أن هذه العادة تشير إلى جمعه لعدد من كتب الحديث .

٣٥ - ضحاك بن سفيان :

كان ضحاك من المدافعين عن كتابة الحديث ، واعتاد أن يقول : « عندما

---

(١) Papyri (1 : 25 , 98)

(٢) Papyri (1 : 25 , 90) , (2 : 11 - 12)

(٣) تذكرة الحفاظ (٦١:١) ، تهذيب الأسماء واللغات (١ : ٢ : ٣٤ - ٣٥)

(٤) الإملاء (١٣) ، ميزان الاعتدال (٤ : ١٤٥) ، الترجمة رقم (٨٦٥٨)

(٥) مشاهير علماء الأمصار ، ص (٥١) ، الترجمة رقم (٣٢٩)

(٦) ميزان الاعتدال (٤ : ١٤٥) ، الترجمة رقم (٨٦٥٨) ، سير أعلام النبلاء (٣ : ٢٥٩) ، الإملاء (١٣) .

أسمع حديثاً أدونه « وإذا لم تتوفر لى مادة الكتابة » أكتبه حتى ولو على الجدران » [١] .

ويقال إنه استلم حديثا بشكل مكتوب من النبي ﷺ ، وقد ذكر هذه المقولة هو نفسه مصادفة أثناء خلافة الفاروق عمر ، وعندما أصدر الخليفة حكمة قائلا : « لا حق للمرأة في دية قتل زوجها » اختلف ضحاك معه وأخبر الخليفة أن لديه حديثاً مكتوباً أرسله له النبي ﷺ يمنح الأرملة أيضاً نصيباً في دية زوجها [٢] ويعلق الشافعي قائلا : « حينئذ راجع عمر حكمه وغيره طبقا لهذا الحديث . [٣] .

٣٦ - عبد الله بن أبي أوفى (م - ٨٦ هـ) :

كان ابن أبي أوفا آخر الصحابة الذين ماتوا في الكوفة [٤] وهو لم يكن من المؤيدين لكتابة الحديث فحسب ، بل استخدم أيضاً طريقة المكاتبة المتعلقة بقانون الحرب إلى عمر بن عبيد الله [٥] وذكر كاتب عمرو أنه تسلم وقرأ هذه الأحاديث على عمر إلى أن وصلوا إلى الحرب ضد « الحرورية » [٦] .

---

(١) جامع بيان العلم (١ : ٧٢) .

(٢) تهذيب الأسماء واللغات (١ : ٢٥٠) ، الوثائق السياسية ، وثيقة رقم (٢٢٨) ، كتاب اختلاف الحديث للشافعي (١٩-٢٠)، سنن أبي داود (٣:١٧٨) ، في كتاب الفرائض ، الحديث رقم (٢٩٢٧) ، سنن ابن ماجه (٢ : ١٤٢) ، في كتاب الديات ، والموطأ (٤ : ١٩٤ - ١٩٥) في العقول .

(٣) الرسالة للشافعي (٥٩) ، اختلاف الحديث (١٩ - ٢٠) ، الأم (٤ : ٧٧) في باب ميراث الدية .

(٤) تهذيب الأسماء واللغات (١ : ٢٦١) ، المعارف (١١٦) .

(٥) الكفاية (٤٨١) ، صحيح البخاري (٢ : ٢٠٦ ، ٢١٠ ، ٢٣٩-٢٤٠) في كتاب الجهاد ، و (٤ : ٤١٠) ، في كتاب التمني .

(٦) صحيح البخاري (٢ : ٢٣٩ - ٢٤٠) في كتاب الجهاد .

وكان اسماعيل بن أبي خالد عالما أيضا تسلم الأحاديث من ابن أبي أوفى بشكل مكتوب [(١)] .

٣٧ - سهل بن سعد بن مالك « المتوفى سنة ٨٨ / ٨٩ » :

كان سهل آخر الصحابة الذين توفوا في المدينة [(٢)] ، وفي حين نقل علماء مشهورون بما فيهم الزهري ، جمع البعض الآخر مجموعة أحاديث من روايته [(٣)] ، وجمع مثل هذه المجموعة سلمة بن دينار ، ونقل منها ، ابن أبي حازم مخطوطته [(٤)] .

٣٨ - وهب بن منبه « المتوفي سنة .١١ هـ / سنة ١١٤ هـ) :

وهب هو شقيق العالم الشهير همام ، كان مهتما بالسيرة الذاتية للنبي ﷺ وكثير من القادة الدينين ، كما ظهر من عنوان كتبه [(٥)] وقد قرأ وهب كثيراً من العهد القديم لليهود [(٦)] ومن الإسرائيليات ، ولكن كان معروفا بإخلاصه وصدقه « اتفقوا على أنه من الثقات » [(٧)] .

---

(١) تهذيب التهذيب (٥ : ١٥١)

(٢) مشاهير علماء الأمصار ، ص (٢٥)، الترجمة رقم (١١٤)، المعارف (١١٦).

(٣) الجرح والتعديل (٢ : ١ : ١٩٨) ، تاريخ الطبري (٢ : ٨٥٥) ، الاستيعاب (٢ : ٩٥ - ٩٦) ، الإصابة (٢ : ٨٨) ، الترجمة رقم (٣٥٣٣)

(٤) الجرح والتعديل (٢ : ٢ : ٣٨٢) ، تهذيب التهذيب (٦ : ٣٣)

(٥) كان عند وهب الكتب التالية : كتاب القدر [انظر : ميزان الاعتدال (٤ : ٣٥٣) ، الترجمة رقم (٩٤٣٣)] ، كتاب قصص الأنبياء [أنظر : كشف الظنون (٢ : ١٣٢٨)] ، كتاب المبتدأ [أنظر : تاريخ بغداد (١ : ٤١٦) ، تاريخ الأدب العربي لبروكلمان في طبعته الألمانية (١ : ١.١) ، و 45 , 26 : 1) (87,8, ، وكتاب التيجان [انظر : (1:36) papyri] وكتاب المغازي [انظر : كشف الظنون (٢ : ١١٤٦ - ١١٤٧)

(٦) Papyri (1 : 36 , 45 , 59)

(٧) تهذيب الأسماء واللغات (١ : ٢ : ١٤٩)

وكان مشهوراً بدراسته الواسعة في الأدب غير الإسلامي (١) ويروى على مسئوليته أنه قرأ أكثر من سبعين كتابا تتعلق بالأنبياء المختلفين (٢). ويقال إن هذا الكتب كانت متوفرة في أماكن العبادة (٣) ، أو من خلال الشراء ، وعلى الرغم من أن عدد الكتب التي ذكرت هنا يبدو مبالغاً فيها إلا أنه يبين أن وهباً كان عالماً وعاشقاً للكتب ، ووجدنا دليلا دامغاً لهذه الحقيقة في رواية تقول إن أخاه اعتاد أن يشترى الكتب له (٤) .

أما بالنسبة لاهتمامه بالحديث فيروى أنه سمع أحاديث من الصحابة المشهورين مثل : جابر بن عبد الله ، وعبد الله بن عباس ، وعبد الله بن عمرو بن العاص ، وأبو هريرة ، وأنس بن مالك ، وآخرون ، وهو بدوره نَقَلَ إلى عمرو بن دينار ، المغيرة بن حكيم ... وغيرهم (٥) .

وبالإضافة إلى نقله الشفهي ، يقال أنه جمع مجموعة من الأحاديث تكونت من ٢٧ ورقة (٦) .

٣٩ - نافع ، المولى الذى أعتقه ابن عمر :

كان نافع عالماً عظيماً في الحديث والسنة ، واعترف علماء الحديث بحفظه وصدقه (٧) ، وكان واحداً من سلسلة الذهب الثلاثة ، ألا وهم :

---

(١) المعارف (١٥٨) ، وتهذيب الأسماء واللغات (١ : ٢ : ١٤٩)

(٢) ميزان الاعتدال (٤ : ٣٥٣) ، وطبقات ابن سعد (٥ : ٣٩٥) ، حيث ذكر أن عدد الكتب (٩٢) كتاباً .

(٣) طبقات ابن سعد (٥ : ٣٩٥ - ٣٩٦)

(٤) تهذيب التهذيب (١١ : ٦٧)

(٥) تهذيب الأسماء واللغات (١ : ٢ : ١٤٩)

(٦) Papyri (2 : 57)

(٧) تهذيب الأسماء واللغات (١:٢:١٢٤) و تهذيب التهذيب (١٠:٤١٢:٤١٥ .)

مالك - نافع - ابن عمر ، أما بالنسبة لصدق الأحاديث التي نقلها فيقول الإمام مالك : « عندما اسمع حديثا من نافع ، لا اهتم كثيراً بسماعه من آخرين » [١] .

ويقول ابن عُيَيْنَة : « لا يوجد أحاديث أصدق من الأحاديث التي نقلها نافع » [٢] .

وبسبب شهرته العلمية في مجال الدراسات الدينية أرسله عمر بن عبد العزيز إلى مصر ليعلم أهلها السنن [٣] .

وكان من المؤيدين لكتابة الأحاديث ودون مجموعة كبيرة من ابن عمر [٤] الذي خدمه أكثر من ثلاثين عاماً [٥] ، أما بالنسبة لكتابة تلاميذه المقربين [٦] ، فقد اعتاد أن يملي عليهم الأحاديث ، وطلب منهم إحضار كتاباتهم لتصحيحها ومراجعها [٧] . وطلب منهم قراءة المخطوطة عليه قبل أن ينقلوها الى تلاميذهم [٨] ، واستخدم طريقة

---

(١) تهذيب الأسماء واللغات (١ : ٢ : ١٢٤)

(٢) تهذيب الأسماء واللغات (١ : ٢ : ١٢٤)

(٣) تهذيب الأسماء واللغات (١ : ٢ : ١٢٤) ، تذكرة الحفاظ (١ : ٩٤)

(٤) تاريخ بغداد (١٠ : ٤٠٦) ، تاريخ الإسلام للذهبي (٥ : ١١) ، صحيفة همام (٣٤)

(٥) تذكرة الحفاظ (١ : ٩٤)

(٦) العلم لأبي خيثمة (٤ ب) ، المحدث الفاصل (٧٦ أ) ، الإملاء (١٣) سنن الدارمي (ط . المدينة) = (١ : ١٠٦)

(٧) الإملاء (٧٨)

(٨) الكفاية (٣٨٥) ، (٤٠٧)

المكاتبة في نقل الحديث ، وبهذه الطريقة استلم العلماء منه هذه الأحاديث بشكل مكتوب [١] ، فعبد الله (م - ١٥١ هـ) على سبيل المثال حَصَلَ على عددٍ من الأحاديث بهذه الطريقة [٢] .

ومن بين مجموعة الحديث التي نَقَلها ، كانت هناك نسخة [٣] عند تلميذه عبيد الله بن عمر [٤] ، ونسخة عند ابن جريج المكي ، وكان عنده أيضا حقيبة مليئة بأحاديث نافع المكتوبة [٥].

ومن بين التلاميذ الذين نقلوا الحديث منه أيضا بشكل مكتوب يمكن أن نذكر أيوب السختياني [٦] ، خالد بن زياد [٧] ، ليث بن سعد [٨] ، مالك اابن أنس [٩] ، محمد بن عبد الرحمن [١٠] ، موسى بن عقبة [١١] ،

---

(١) مسند أحمد (٢ : ٣١ - ٣٢) ، صحيح البخاري (٢ : ١٢٣) في كتاب العتق .

(٢) أنساب الأشراف (١ : ٣٤٢) ، الأموال (١١٩) ، صحيح البخاري (٢: ١٢٣) في كتاب العتق .

(٣) أيضاً ذكرت كصحيفة . انظر مشاهير علماء الأمصار ص (١٩٠) ، الترجمة رقم (١٥٢٤) .

(٤) الكفاية (٣٢١) ، و(٣٢٩) ، مشاهير علماء الأمصار ، ص (١٩٠)، الترجمة رقم (١٥٢٤) ، ومجموعته عاشت حتى اليوم ، وقد حفظت بالمكتبة الظاهرية - بدمشق تحت رقم : مجموع (١٠٥) ، اللوحات من (١٣٥ - ١٤٩).

(٥) الكفاية ص (٤٣٤) ، تاريخ بغداد (١٠ : ٤٠٦) .

(٦) الكفاية ص (٤٨٨) ، المحدث الفاصل (٤٨ ب) .

(٧) تهذيب التهذيب (٣ : ٩٠) .

(٨) الكفاية (٤٠٧) .

(٩) مشاهير علماء الأمصار ص (١٩٠) ، الترجمة رقم (١٥٢٤) .

(١٠) تهذيب التهذيب (١٠ : ٣٠٠) .

(١١) الكفاية ، ص (٣٢١) .

شعيب بن أبى حمزة [1] .

ثانيا كتابات أخرى للتابعين والعلماء الأوائل :

وبعد أن تناولنا الصحيفة ، والكتاب ... إلخ لكل من الصحابة والتابعين[2] ، وناقشنا أيضا السجلات الأخرى المكتوبة للصحابة باستفاضة - ننتقل الأن إلى مناقشة السجلات الأخرى المكتوبة للتابعين والعلماء الأوائل ، وذلك قبل الفترة العباسية فقط ، لأنّ كتابات ما بعد تلك الفترة معروفة بما فيها الكفاية ، ولا تحتاج إلى مزيد من إلقاء الضوء عليها .

والترتيب الزمنى لهؤلاء العلماء الذين سنناقش أعمالهم هنا سيكون طبقاً لتاريخ وفياتهم :

١ - الحارث بن عبد الله الأعور « المتوفى سنة ٦٥ هـ » :

كان لدى الحارث بن عبد الله الأعور كتباً عديدة [3] .أما بالنسبة لمجموعته المكتوبة من الأحاديث ، فيروى أنه أمتلك مجموعة من الأحاديث من الإمام على بن أبي طالب لأنه ظل فى صحبه الإمام علي لفترة من

---

(١) أنظر ما تقدم في هذا الفصل من هذا الكتاب ، تحت عنوان : صحف ونسخ الصحابة والتابعين .

(٢) أنظر ما تقدم في هذا الفصل من هذا الكتاب ، تحت عنوان : كتابات الصحابة .

(٣) الجرح والتعديل (١ : ٢ : ٧٨) .

الوقت [١] ، ويقال إن هذه الأحاديث أعطاها له الإمام على بن أبي طالب بشكل مكتوب - والوثيقة التى تضمنتها هذه الأحاديث كانت إلى حد ما كبيرة لأنه يذكر أن الإمام علي كتب له « علماً كثيراً » [٢] .

ولأنه كان من المؤيدين للكتابة فقد أملى الأحاديث على تلاميذه ولهذا جمع عبد الأعلى [٣] ، وأبو إسحاق السبيعي [٤] منه مجموعة مكتوبة من الأحاديث .

٢ - سليمان بن قيس الهلالى :

كان سليمان واحدا من أتباع الإمام على بن أبي طالب ، ويقال إنه جمع بعض الأحاديث في كتاب [٥] ، أعطاه بعد ذلك لأبان بن عياش ، وكان أبان هو الناقل الوحيد من تلك المخطوطة .

ويعطى ابن النديم تفسيرا شيقا لكيفية اضطهاد سليمان فى عهد الأمويين ، وكيف أصبح لاجئاً في بيت أبان ، وردًّ المعروف لأبان فأعطاه كتابا وهو على فراش الموت باعتباره منقذه [٦] .

---

(١) الإكمال في أسماء الرجال (٥٩١) .

(٢) طبقات ابن سعد (٦ : ١١٦) ، تقييد العلم (٩.) ، صحيفة همام (٣٢) ، تدوين حديث (٤٢٩) .

(٣) الجرح والتعديل (٣ : ١ : ٢٦) .

(٤) ميزان الإعتدال (١ : ٤٣٥) ، الترجمة رقم (١٦٢٧) ، وتهذيب التهذيب (٨ : ٦٥) .

(٥) دراسات إسلامية لجولد تسيهر (٢ : ١١ / ٢٤) ، والفهرست (٣.٧ - ٣.٨) .

(٦) الفهرست (٣.٧ - ٣.٨) .

ولا يزال كتاب سليمان محفوظاً فى مكتبة سيد نصير حسين الموسوى إمام الشيعة في « لكنو » في الهند [١] .

٣ - يحى بن الجزار العرني :

كان يحى تلميذاً للإمام علي بن أبى طالب ، ونقل عدداً من الأحاديث منه [٢] ، وسجل له كتاباته المنقولة : حكم بن عتيبة وذلك بالمداد الأسود [٣].

٤ - عبد الرحمن بن عبد الله بن مسعود «المتوفى سنة ٧٩هـ »

اعتاد أن يدون الأحاديث التى نقلها والده دون علمه ويروى أنه ذات مرة عرف والده بعادته هذه وطلب منه المواد المكتوبة وأزالها [٤] .

وفى رواية أخرى احتفظ عبد الرحمن بهذه الأحاديث في صحيفتة [٥] .

٥ - عبد الرحمن بن عائذ :

عالم مميز من الشام ، كان لديه عدداً من الكتب ، كانت موضعاً لتقدير أهل حمص [٦] . ويبدو أنه اعتاد أن يملى الأحاديث على طلابه . وعندما

---

(١) مجلة المنار لمنشئها السيد / محمد رشيد رضا ، المجلد العاشر ص (٧٥٠- ٧٥١) .

(٢) تهذيب التهذيب (١١ : ١٩١) .

(٣) تاريخ بغداد (٧ : ٣٤٨) ، وتهذيب التهذيب (٢ : ٣٠٥) .

(٤) تقييد العلم (٣٩) .

(٥) تقييد العلم (٣٩) .

(٦) تهذيب التهذيب (٦ : ٢٠٤) .

زار العراق أثناء حكم هشام دون عدد من الطلاب من الكوفة والبصرة الأحاديث منه (١) .

٦ - سعيد بن فيروز الطائي « المتوفى سنة ٨٢ هـ » :

عرف أيضاً باسم « أبو البختري » وكان معترفا به كأحد ثقاة الحديث(٢) . ونقل الأحاديث من ابن عباس ، ابن عمر ، أبي سعيد الخدري وغيرهم (٣) ويقال إنه كان عنده عدداً من الأحاديث بشكل مكتوب (٤) .

٧ - معاذه بنت عبد الله « المتوفية سنة ٨٣ هـ » :

نقلت معاذة بنت عبد الله العدوية الأحاديث من عائشة وعليٍّ ... إلخ .. ونقل منها أبو قلابة ، قتادة ، يزيد الرشك ، وآخرون (٥) .

ودون بعض المراد المنقولة طلابها . ويقال إن واحداً من هذه المجموعات احتفظ به يزيد الرشك ، ونسخ شعبة نسخة منه عندما زار يزيداً في بيته(٦) .

٨ - مغيث بن سميٍّ الأوزاعي :

يقال إن هذا العالم قابل ما يقرب من ألف صحابي (٧) . وروى

---

(١) مشاهير علماء الأمصار ، ص (١١٣) ، الترجمة (٨٦٧) .

(٢) تهذيب التهذيب (٤ : ٧٣) .

(٣) حلية الأولياء (٦ : ٣٨١) ، وتهذيب التهذيب (٤ : ٧٢) .

(٤) الأموال (١١) .

(٥) تهذيب التهذيب (١٢ : ٤٥٢) .

(٦) الكفاية (٣٤٠) .

(٧) مشاهير علماء الأمصار ، ص (١١٤) ، الترجمة رقم (٨٦٩) ، وتهذيب التهذيب (١٠ : ٢٥٥) .

الأحاديث من عمر وابن مسعود ، وأبى هريرة وآخرين (١) .

ويقال أنه أحتفظ بالأحاديث فى كتب عديدة « كان صاحب الكتب » (٢) .

٩ - عبد الله بن رابح الأنصارى « المتوفى سنة ٩٠هـ » :

كان عبد الله بن رابح من رواة الحديث الموثوق فى روايتهم (٣) ، ونقل من أبي بن كعب ، وعمار بن ياسر ، وأبي هريرة وآخرين ، ونقل عنه ثابت البناني ، وعاصم الأحول ، وأبو عمران (٤) .

وعلى الرغم من أننا لا نعرف وحدة مجموعاته ، فيذكر أن عبد الملك بن حبيب الأزدى (٥) وأبا عمران (٦) قد دونا الأحاديث منه .

١٠ - جابر بن زيد الأزدى :

كان جابر بن زيد مشرعاً (٧) وجمع بين معرفة الفقة والحديث وعلى الرغم من أنه وافق على المجموعة المكتوبة من الأحاديث إلا أنه لم يوافق على تسجيل الرأى التشريعى (٨) . ووجد هو نفسه يدون الأحاديث على الألواح في درس عبد الرحمن بن سابط (٩) .

---

(١) تهذيب التهذيب (١٠ : ٢٥٥) .

(٢) تهذيب التهذيب (١٠ : ٢٥٥) .

(٣) طبقات ابن سعد (٧ : ١ : ١٥٤) .

(٤) تهذيب التهذيب (٥ : ٢٠٧) .

(٥) تهذيب التهذيب (٦ : ٣٨٩) .

(٦) صحيح مسلم (٤ : ٢١٩ - ٢٢٠) ، في كتاب العلم ، ومسند الإمام أحمد (٢ : ١٩٢) .

(٧) تقييد العلم (٢٠) ، طبقات ابن سعد (٧ : ١ : ١٣١ - ١٣٢) .

(٨) جامع بيان العلم (٢ : ٣١) ، طبقات ابن سعد (٧ : ١ : ١٣١) .

(٩) جامع بيان العلم (١ : ٧٢) ، تقييد العلم (١٠٩) .

وهو بدوره نقل عنه طلابه [١] .

١١ - عروة بن الزبير « المتوفى سنة ٩٤ هـ » :

واحد من الفقهاء السبعة في المدينة [٢] ، وكان حُجَّةً في الحديث والفقه والمغازى . وكان لديه عدد ضخم من الأحاديث « كثير الأحاديث » [٣] . حصل على معظمها من خالته عائشة [٤] . ويروى أنه جمع مجموعة مكتوبة من أحاديث عائشة [٥] . ولكن لسوء الطالع فإن هذه المجموعة تلفت أثناء الحرب الأهلية فى حراء وذلك سنة ٦٣ هـ [٦] . ويقال أن عروة نفسه حرق هذه الكتب وندم على ذلك ندما شديداً فى أخريات حياته واعتاد أن يقول : « لعمرى .. كان أهون على أن أضحى بأسرتى وما ملكت يداى فى مقابل أن أحتفظ بكتبى » [٧] .

ولم توضح المصادر الأسباب التى جعلت عروة يحرق هذه الكتب فربما خشى أن يساء استخدام هذه الكتب الدينية أثناء الحروب الأهلية . ويمكن

---

(١) طبقات ابن سعد (٧ : ١ : ١٣١) .

(٢) تهذيب الأسماء واللغات (١ : ١ : ٣٣١) ، مشاهير علماء الأمصار ص (٦٤) ، الترجمة رقم (٤٢٨) ، الإكمال في أسماء الرجال (٦١١) .

(٣) تهذيب الأسماء واللغات (١ : ١ : ٣٣٢) ، طبقات ابن سعد (٥ : ١٣)

(٤) تهذيب الأسماء واللغات (١ : ١ : ٣٣٢) ، الإكمال في أسماء الرجال (٦١١) .

(٥) صحيفة همام بن منبه (٢٧) ، الكافية (٥ . ٢) .

(٦) تهذيب التهذيب (٧ : ١٨٣) ، طبقات ابن سعد (٥ : ١٣٣) و E2 (Erliest biograbhies ... ic, i, 548)

(٧) طبقات ابن سعد (٥ : ١٣٣) ، تهذيب التهذيب (٧ : ١٨٣) ، تهذيب التهذيب (٧ : ١٨٣) ، صحيفة همام (٢٧) ، جامع بيان العلم (١ : ٧٥) ، تقييد العلم (٦٠) و (Earliest biogrphies, i.c, 1 : 547 - 548) pA pyri (1 : 17)

أن نستنتج أن عروة اتخذ موقفا محايدا تجاه القلاقل السياسية فى ذلك الوقت . ويبدو أنه انعزل عن الحياة السياسية ليكرس نفسه للقراءة والكتابة .

لقد كان عروة مهتما أساساً بالحفاظ على الأحاديث ونقلها (١) . ولهذا لم يدون الأحاديث فحسب بل أملاها على طلابه (٢) . وأكثر من ذلك فقد أصدر تعليمات إلى طلابه بمراجعة المادة المكتوبة بعد كتابتها وكانت هذه التعليمات تصدر على الأقل لابنه وتلميذه ، هشام (٣) ويروى هشام أن والده اعتاد أن يسأله : « هل دونت شيئا » ؟ وحينما أجيب بالإثبات . يستفسر أبى : هل راجعت ما كتبته ؟ ورداً على هذا السؤال إذا أجبت بالنفى ، أعتاد أن يعلق قائلاً : « كأنك ما كتبت (٤) » ويعنى بذلك لا يمكن أن تكون الكتابة صادقة بدون مراجعة .

وبالإضافة إلى الحديث ، كان عروة مهتما بالفقه ، ولهذا قرأنا أنه راسل عمر بن عبد العزيز بخصوص فقيه الأحكام (٥) - وحقيقة أنه كان حجة فى الشريعة ، والتشريع واضح فى أنه كان واحدا من الفقهاء السبعة ذائعى الصيت فى المدينة .

وفضلاً عن الحديث والفقه كان عروة أيضاً عالماً فى المغازى وجمع كل ما كتب عن سيرة النبى ﷺ (٦) الذاتية وكون كتاباً فى هذا الموضوع (٧)

---

(١) العلم لأبي خيثمة (٣ ب) .

(٢) الكفاية (٤٦.) ، الإملاء (٧٨) .

(٣) الإملاء (٧٩) .

(٤) الكفاية (٣٥.) ، المحدث الفاصل (٦٤ أ - ٦٤ ب)

(٥) جامع بيان العلم (٢ : ٢٤) .

(٦) تاريخ الطبري (١ : ١١٨. ، ١٢٢٤، ١٢٢٥ ، ١٢٣٤ ، ١٢٨٨ ، ١٥٢٩ ، ١٥٣٤ ، ١٥٤٩ ، ١٥٥١ ، ١٦٣٤ ، ١٦٥٤ ، ١٦٦٩ ، ١٦٧. ،

واستشاره الخليفة عبد الملك عندما احتاج بعض المعلومات المتعلقة بمغازى النبى ﷺ (١) . وقد حفظت بعض كتابات عروة في رده على أسئلة عبد الملك في فهرس الطبرى (٢) .

١٢ - سعيد بن المسيب « المتوفى سنة ٩٣ / ٩٤ هـ » :

كان ابن المسيب أيضاً واحداً من الفقهاء السبعة ذائعي الصيت فى المدينة (٣) ، وهو لم يكن فقيها عظيما فحسب ، بل ومحدثا شهيرا كذلك(٤) .

=.١٧٧ ، كشف الظنون (٢ : ١٧٤٦ - ١٧٤٧) .

و(Earliest biographies ... ic, i , 536, 545)

(Mecca pp . xii, 40, 100 - 101 , 106 - 107, 145 - 146, 180 - 182) (Formative period , 69 - 70)

(٧) ظل هذا الكتاب موجوداً في شكل أجزاء منه فقط . أنظر : تاريخ الطبري (١ : .١١٨ ، ١٢٢٤ - ١٢٢٥ ، ١٢٨٤ - ١٢٨٨ ، وما بعدها ، فتوح البلدان (٤٣ ، .٩) ، مسند الإمام أحمد (٤ : ٣٢٣ - ٣٢٦) . و (٦ : ٢١٢) ، وصحيح البخاري و(٣ : ١١٢ - ١١٥) في كتاب المغازي (٤ : ٣٩٥ - ٣٩٦) في كتاب الأحكام .

(١) Mecca (182) وهو كتاب محمد ومكة لـ : واتّ .

(٢) السيرة (ط . Guil) = ص (١٤ - ١٥) ، وتاريخ الطبري (١ : .١١٨ ، ١٢٢٤ ، ١٢٤٣ ، ١٢٨٤ ، ١٦٣٤ ، ١٦٥٤ ، .١٦٧) و (٣ : ٢٤٥٨) و (Historica sources (128)

(٣) قواعد التحديث (١٢٣) ، معرفة علوم الحديث (٢٥ - ٢٦) ، الجواهر المعنية (٢ : ٤٢١ - ٤٢٢) التهذيب الأسماء واللغات (١:١:.٢٢) .

(٤) تهذيب الأسماء واللغات (١ : ١ : .٢٢) ، الإكمال في أسماء الرجال (٥٩٨) .

واعتادَ أن يعقد حلقات لدراسة الحديث فى المدينة [١] وكان متحمساً للغاية فى أن يجمع الأحاديث التى سافر من أجلها أياماً وليال حتى لو كان هذا السفر من أجل حديث واحد [٢] .

ويقال إنه لم يكن من الموافقين على كتابة الأحاديث [٣] . ولكن فى أحد الأحاديث وجد أنه أعطى تصريحاً لعبد الرحمن بن حرملة « المتوفى سنة ١٤٥ » ليسجل الأحاديث التى نقلها منه [٤] . ويمكن أن نستنتج أنه تخلى عن هذه الكراهية فى أخريات حياته ، وحقيقة أنه وافق على الكتابة واضح من رواية أخرى تقول أن الحسن البصرى اعتاد أن يتناول الخطابات معه ، عندما واجهة ببعض القضايا التشريعية المعقدة [٥] .

١٣ - أبو عثمان النهدى « المتوفى سنة ٩٥ هـ »

توفى أبو عثمان النهدي بعد عمر مديد وصل إلى ١٣٠ سنة [٦] وقد نقل الأحاديث من العديد من الصحابة المشهورين . ومجموعتة المكتوبة من الأحاديث احتفظ بها سليمان التيمي [٧] .

---

(١) طبقات ابن سعد (٥ : ٩٦ ، ٩٨) .

(٢) طبقات بن سعد (٥ : ٨٩) ، جامع بيان العلم (١ : ٩٤) ، معرفة علوم الحديث (٨) ، تهذيب الأسماء واللغات (١ : ١ : ٢٢٠) .

(٣) تذكرة الحفاظ (١ : ١٠٥) ، جامع بيان العلم (٢ : ١٤٤) ، تقييد العلم (١٥ ، ٢٠ ، ٤٨) .

(٤) المحدث الفاصل (٣٦ أ) ، جامع بيان العلم (١ : ٧٣) ، تقييد العلم (٩٩) ، ميزان الإعتدال (٢ : ٥٥٦) ، الترجمة رقم (٤٨٤٨) .

(٥) تذكرة الحفاظ (١ : ٥٢) .

(٦) تذكرة الحفاظ (٤ : ٢٧٨) ، مشاهير علماء الأمصار (٩٩) ، الترجمة رقم (٧٣٤) :

(٧) صحيح البخاري (٤ : ١١٥ - ١١٦) في كتاب الأدب .

١٤ - إبراهيم بن يزيد النخعي « المتوفى سنة ٩٦ هـ » :

مشرع شهير لمدينة الكوفة ، وكان حجة فى الحديث والفقه [١] وكان معروفا بأنه « صيرفى الحديث [٢] » (أى مثمن ومقيِّم الحديث) بمعنى أنه خبير فى تأكيد قيمة وصدق الأحاديث المختلفة ، وكان من المؤيدين لرواية الأحاديث طبقا لمعانيها [٣] .

وعلى الرغم من أنه لم يشجع تدوين الأحاديث إلا أنه كان يقول : « من يكتب ، يعتمد عليه [٤] » ووجدنا روايات توضح موافقته على الكتابة . ولهذا وجدنا حماد بن أبى سليمان يدون الأحاديث فى دروسه [٥] . وأيضا عند ما كتب قتادة وأصحابه إليه يطلبون منه رأيه في بعض القضايا المتعلقة بعلاقة الرضاعة أرسلها بشكل مكتوب . وكانت هذه الأحاديث عن النبي ﷺ والصحابة الآخرين [٦] .

ومع ذلك فمن المؤكد أنه لم يكن هو نفسه يمتلك مجموعة مكتوبة من الأحاديث كما أشار هو بذلك قائلاً : « على الرغم من أننى لم أكتب أى شيء « كتسجيل دائم » إلا أننى تمنيت لو كنت فعلت ذلك » [٧] .

---

(١) تذكرة الحفاظ (١ : ٦٩) ، تهذيب الأسماء واللغات (١ : ١ : ١٠٤ - ١٠٥)

(٢) تذكرة الحفاظ (١ : ٦٩) تهذيب الأسماء واللغات (١ : ١ : ١٠٥) .

(٣) طبقات ابن سعد (٦ : ١٩٠) .

(٤) طبقات ابن سعد (٦ : ١٨٩) .

(٥) طبقات ابن سعد (٦ : ٢٣٢) .

(٦) المحدث الفاصل (٤٨ ب) .

(٧) طبقات ابن سعد (٦ : ١٨٩) .

١٥ - سالم بن أبى الجعد « المتوفى سنة ٩٧ هـ » :

كان هذا العالم يعد من الرواة الصادقين للأحاديث ونقل الأحاديث من ابن عمر ، وجابر ، وأنس ... إلخ ونقل عنه أبناؤه ومنصور ، والأعمش[١]. ويروى أنه أحتفظ بالأحاديث بشكل مكتوب [٢] .

١٦ - حسن بن محمد بن الحنفية « المتوفى سنة ٩٩ هـ » [٣]

عالم شيعي [٤] اعترف به كراوٍ ثقة حتى من قبل علماء السنة ، ونقل الأحاديث من سلمة بن الأكوع ، جابر بن عبد الله ، وآخرين .

ومن بين هؤلاء الذين رووا عنه عمرو بن دينار ، والزهرى [٥] ، ويقال أنه كان لديه كتيباً « رساله صغيرة بخصوص العقيدة « العقائد [٦] »

١٧ - عبد الله بن محمد بن على « المتوفى سنة ٩٩ هـ » :

عبد الله بن محمد واحد من أهل بيت النبى ﷺ البارزين . وكان قارئاً

---

(١) الإكمال في أسماء الرجال (٥٩٩) ، معرفة علوم الحديث (١٥٦) .

(٢) تقييد العلم (١٠٨ - ١٠٩) ، طبقات ابن سعد (٦ : ٢٠٣) ، جامع بيان العلم (١ : ٧٠) ، سنن الدارمي (١ : ١٢٣) ، معرفة علوم الحديث (١٥٦ - ١٥٧) .

(٣) تهذيب الأسماء واللغات (١ : ١ : ١٦٠) ، وطبقاً لرواية ابن حبان البستي ، فقد مات في خلافة عبد الملك بن مروان (٦٥ - ٨٦) هـ ، انظر : مشاهير علماء الأمصار ، ص (٦٢) ، الترجمة رقم (٤٢١) .

(٤) بَيْدَ أنه مال إلى المذهب السني ، وكان يقول : « من ينكر شرعية خلافة الصديق أبي بكر ، والفاروق عمر ، فقد أنكر السنة » ، أنظر : مشاهير علماء الأمصار ، ص (٦٢) ، الترجمة (٤٢١) .

(٥) تهذيب الأسماء واللغات (١ : ١ : ١٦٠) .

(٦) مباحث في علوم السنة (٨٥) ، و (18 : 2) pA pyri

للقرآن ومقيما فى المدينة [١] . وكان لديه كتابٌ يحتوى على أحاديث النبى ﷺ أصبح بعد ذلك ملكا لمحمد بن على بن عبد الله بن عباس [٢] .

١٨ - عبد الله بن هرمز « المتوفى سنة ١٠٠ هـ » :

كان واحداً من نقلة الحديث الصادقين . ونقل الحديث من سعيد ومحمد أبناء عبيد المازنى ومن أبى هريرة [٣] .

ويقال أنه أرسل عدداً من الأحاديث بشكل مكتوب إلى تميم الجيشانى[٤] .

١٩ - ذكوان أبو صالح « المتوفى سنة ١٠٩ هـ » :

كان أبو صالح السمان [٥] مولى لجويرية بنت الأحمس [٦] وكان فى المدينة حين اغتيل عثمان [٧] .

ولأنه كان مؤيداً للكتابة . فقد أملى الأحاديث على طلابه وتسلم الأعمش [٨] وذكوان أبناء سهيل [٩] بعض الأحاديث منه بشكل مكتوب.

---

(١) مشاهير علماء الأمصار (١٢٧) ، الترجمة (٩٩٤) .

(٢) طبقات ابن سعد (٥ : ٢٤١) ، وتهذيب التهذيب (٦ : ١٦) .

(٣) تهذيب التهذيب (٦ : ٦٢) ، ومسند الإمام أحمد (٢ : ٥٣١) .

(٤) مسند الإمام أحمد (٢ : ٥٣١) .

(٥) وعرف أيضا بأسم الزيات ، وكلمتا زيات وسمان تشيرا إلى مهنته ، فقد أعتاد أن يحضر السمن وزيت الزيتون من الكوفة إلى المدينة لبيعه هناك . مشاهير علماء الأمصار ص (٧٥) ، الترجمة (٥٣٠) .

(٦) تهذيب التهذيب (٣ : ٢١٩) .

(٧) تهذيب التهذيب (٣ : ٢١٩) .

(٨) لقد استلم (١٠٠٠) حدث من ذكوان . انظر : تذكرة الحفاظ (١:٨٣, ١٤٥-١٤٦)

(٩) الجرح والتعديل (٢ : ١ ٢٤٦ - ٢٤٧) ، ميزان الإعتدال (٢ : ٢٤٣)، الترجمة رقم (٣٦٠٤) .

٢ - عمر بن عبد العزيز « المتوفي سنة ١٠١ هـ » :

بالنسبة لهذا الخليفة الأموي الورع ، دارت المناقشات حول رسالته إلى أبي بكر بن محمد بن عمرو بن حزم كي يدون الأحاديث . وسوف نناقش هذه الرسالة « الحديث » باستفاضة في موضع آخر (١) ولن نقصر أنفسنا هنا عليها .

ومن الجدير بالذكر أن نقول أن عمر بالدور الذي لعبه يعد باعثاً ومجدداً للسنة (٢) مرة ثانية ، لأنه لم يأمر الولاه ولا العلماء أن يسجلوا الأحاديث فحسب ، بل قام هو بنفسه برواية وجمع الأحاديث ، ولهذا ليس بمستغرب أن نرى أسمه من بين قائمة رواة الحديث (٣) .

لقد سمع الأحاديث من رواة الحديث البارزين مثل عروة ، الزهري ، أبي بكر بن حزم . ومما هو جدير بالإشارة إلية أن هؤلاء الرواة بالذات نقلوا بدورهم الأحاديث منه (٤) .

ففضلاً عن السماع والنقل الشفهي ، كان عمر أحيانا يدون الأحاديث .

---

(١) انظر ما يأتي في الترجمة : ٥١ - أبو بكر محمد بن عمر بن حزم الأنصاري وجهوده في السنة صفحة (٥٧٨ - ٥٨٧) من هذا البحث .

(٢) لقد أرسل أكثر من مئة كتاب إلى ولاته وغيرهم من المسؤولين في عهده طالباً منهم أن يحكموا طبقاً للسنة النبوية . انظر مصنف ابن أبي شيبة في مواضع كثيرة .

(٣) محاضرات الأدباء للراغب الأصفهان (١ : ١٤٥) ، تهذيب الأسماء واللغات (١ : ٢ : ١٧) ، الجرح والتعديل (٣ : ١ : ١٢٢) ، حلية الأولياء (٥ : ٣٥٩ - ٣٦٠) ، صحيح البخاري (١ : ٣٨) في كتاب العلم ، تهذيب التهذيب (٧ : ٤٧٥ - ٤٧٦) ، تذكرة الحفاظ (١ : ١١٢ - ١١٤) .

(٤) تهذيب الأسماء واللغات (١ : ٢ : ١٧) ، تهذيب التهذيب (٧ : ٤٧٥ - ٤٧٦) و Papyri (2 : 25) .

وهناك بعض الإشارات العارضة إلى عادته هذه وجدت في حديث ضمن كتاب سنن الدارمي . ويروى أنه ذات مره روى حاملا القراطيس وعندما سأله أبو قلابة عما يكتب ، أجاب عمر « إن هذا الكتاب يحتوي على حديث رواه عون بن عبد الله ، ولأهميته لي فسوف أدونه » (١) .

وأكثر من هذا يروى أنه أرسل بعض الأحاديث المكتوبة إلى عبد الملك ابن طفيل الجزري ، والذي قام بدوره بنقل هذه الأحاديث إلى طلابه (٢) ويروى أيضاً أنه ترك مجموعة من المخطوطات التي من المحتمل أصبحت بعد ذلك ملكا لأبي قلابة (٣) .

ففضلا عن كل هذا فيروى أن عمر جمع الأحاديث في المسند الذي وصل إلينا بعد ذلك . وطبقه (A . H . HARLEY) (٤) .

ومن الجدير بالذكر أن نلاحظ أن عمر كان مهتما أيضاً بالقضايا العقائدية (٥) لأن هذا يتضح من أحاديث عن حواره مع عالم مذهب القدرية المشهور غيلان بن مسلم الدمشقي (٦) . وفضلا عن هذا يروى أنه كتب رسالة مطولة عن حرية الإرادة (٧) وكتب رسالة عن طائفة الجهمية (٨) .

---

(١) سنن الدارمي . ط . المدينة (١ : ١٠٧) .

(٢) تهذيب التهذيب (٧ : ٤٧٦) .

(٣) Papyri (2 : 44) .

(٤) مسند عمر بن عبد العزيز A . H . HARLEy
في مجلة PASB = لعام ١٩٢٤ ، ص (٣٩٩ - ٤٨٨) .

(٥) Formative Period (85 - 86) .

(٦) Papyri (1 : 90) , (2 : 28 , 228) .

(٧) Papyri (2 : 28) .

(٨) المصدر السابق .

ولكن إسهامه الحقيقي كان في مجال الحديث والسنة . ومع أن فترة حكمه استمرت فترة قصيرة تصل إلى سنتين ونصف فقط ، وتوفى في منتصف العمر حيث أنه توفى عن تسعة وثلاثين عاماً ، إلا أن اسهامه في جمع وتدوين الحديث كان بالغاً ولا يمكن إنكاره .

٢١ - طاوس بن كيسان (م - ١٠١ / ١٠٦ هـ) :

عالم الحديث اليمني الشهير الذي توفى عن عمر يناهز التسعين عاماً ويذكر أنه جمع الأحاديث بشكل مكتوب ، وبالنظر إلى عمره المديد ، يستطيع المرء أن يتوقع أنه جمع مجموعات كثيرة من الأحاديث وتقول المصادر أنه كان يملك بالفعل كتبا عديدة ، ولكن لسوء الطالع لم تبق حتى الآن واندثرت ، ويروى أنه طلب من ابنه أن يحرق مخطوطاته [١] وعلى الرغم من أنه لم يذكر ، ما إذا نفذ أبيه أم لا ، ولكن يبدو أنه نفَّذه واعتاد طاووس أن ينقل الأحاديث [٢] حرفيا وأصر على ذلك . ولأنه لم يكن متأكدا ما إذا كانت هذه الطريقة سيلتزم بها الجميع في نقل الأحاديث أم لا ، فلهذا قرر أن بتخلص من كتبه ومخطوطاته وترك وصية في هذا الشأن .

وعلى أي حال ، فمن المؤكد أنه امتلك بعض الأحاديث بشكل مكتوب.

٢٢ - مجاهد بن جبر المكيّ « المتوفى سنة ١٠٢ هـ / سنة ١٠٣ هـ / سنة ١٠٤ هـ » :

يقال إن مجاهداً كان من المعارضين للكتابة [٣] . ولكن الروايات وردت لا عن كتاباته فحسب بل وعن وإملائه أيضا تؤكد أنه كتب ودون ، وكذلك

---

(١) تقييد العلم (٦١) ، المصاحف (١٩٥) ، طبقات ابن سعد (٥ : ٣٩٣) .

(٢) الجرح والتعديل (٢ : ١ : ٥٠١ - ٥٠٢) ، طبقات ابن سعد (٥ : ٣٩٤) .

(٣) تقييد العلم (١٩) سنن الدارمي (١ : ١٢٨) .

روي أنه جمع تفسيرا للقرآن [١] ، نسخه بعض تلاميذه [٢] . وفضلا عن التفسير . فقد دون بعض الأحاديث واحتفظ بها في كتاب ، وروي كذلك على أنه أخذ أبا يحيى الكناسي إلى حجرته وأعطى له كتبه لينسخها [٣] .

ولكنه لم يسمح لطلابه بالاحتفاظ بالأحاديث في كراريس مدون عليها القرآن [٤] وهو في هذا يشبه ضحاك بن مزاحم .

وكان يملك مجموعة الكتب الخاصة بجابر بن عبد الله الذي اعتاد أن ينقل الأحاديث لطلابه [٥] .

٢٣- عطاء بن يسار « المتوفى سنة ١٠٣ هـ » :

كان عطاء خادما لميمونة زوجة النبي ﷺ » [٦] والأحاديث التي رواها احتفظ بها علماء المدينة ومصر والشام [٧] .

أما بالنسبة لمجموعتة المكتوبة ، فقد كان لديه كتابا يحتوى على الأحاديث . وقرأ هذا الكتاب : عمر بن اسحاق بن يسار [٨] .

---

(١) تقييد العلم (١٠٥) ، تاريخ بغداد (١٣ : ١٦٤\١) ، ميزان الاعتدال (٣ : ٤٣٩) ، الترجمة رقم (٧٠٧٢) .

(٢) تقييد العلم (١٠٥) ، سنن الدارمي (١ : ١٢٨) .

(٣) تقييد العلم (١٠٥) ، سنن الدارمي (١ : ١٢٨) .

(٤) سنن الدارمي (١ : ١٢١) ، حيث استخدمت كلمة (علم) للدلالة على الأحاديث . تقييد العلم (١٠٥) .

(٥) طبقات ابن سعد (٥ : ٣٤٤) .

(٦) مشاهير على الأمصار ، ص (٦٩) ، الترجمة رقم (٤٧٤) .

(٧) الموضع السابق .

(٨) تعجيل المنفعة (٢٩٦) ، مسند الإمام أحمد (٦ : ٣٣٣) .

٢٤- أبو سلامة بن عبد الرحمن بن عوف « المتوفى سنة ١٠٤ هـ » :

كان أبو سلامة واحداً من الفقهاء السبعة للمدينة ومحدثاً ومن المؤيدين بشدة لكتابة الحديث ، واعتاد أن يحضر دروس فاطمة بنت قيس ودوّن الأحاديث من إملائها [١] . فهو لم يدون بنفسه الأحاديث [٢] فحسب ، بل أملى الآخرين من معينه الذي لا ينضب من المعرفة [٣] .

وكان في منتهى الحرص على تكوين سجل مكتوب من الأحاديث لدرجة أنه اعتاد أن يحضر أطفال المدرسة إلى بيته ويملي عليهم الأحاديث [٤] .

٢٥ - قاسم بن محمد بن أبي بكر « المتوفى سنة ١١٨ هـ » :

إن قاسم حجة الحديث والفقه [٥] كان عالماً بارزاً من علماء المدينة . ووصفة ابن سعد قائلاً : « مشرع صادق وأمين امتلك عدداً كبيرا من الأحاديث « كان ثقة .... فقيها ، إماماً .... كثير الحديث » [٦] .

وشهرته كعالم في الحديث جعل عمر بن عبد العزيز يطلب من واليه أبي بكر ابن محمد عمرو بن حزم أن يجمع مجموعة مكتوبة من الأحاديث منه [٧] .

---

(١) طبقات ابن سعد (٨ : ٢٠٠ - ٢٠١) ، مسند الإمام أحمد (٦ : ٤١٣)، صحيح مسلم (٢ : ٦٨٣) ، في كتاب الطلاق .

(٢) سنن الدارمي (٢ : ١٣٥) .

(٣) الجرح والتعديل (٢ : ٢ : ٢٩٣ - ٢٩٤) .

(٤) تاريخ بغداد (١ : ٢١٨) .

(٥) طبقات ابن سعد (٥ : ١٤٣) ، تذكرة الحفاظ (١ : ٩١) ، تهذيب التهذيب (٨ : ٣٣٤) ، تهذيب الأسماء واللغات (١ : ٢ : ٥٥) .

(٦) طبقات ابن سعد (٥ : ١٤٣) .

(٧) تهذيب التهذيب (١٢ : ٣٩) ، الجرح والتعديل في المقدمة ، ص (٢١) ، والجرح والتعديل (٤ : ٢ : ٣٣٧) .

واعتاد أن ينقل الأحاديث بحرفيتها (١) ولهذا لم يشجع كتابة الحديث ، ويقال : أنه لم يمل الأحاديث على الإطلاق على تلاميذه (٢) ، فقد رأينا أنه أملى أحاديث قليلة إلى خالد بن أبي عمران (٣) . ومجموعة مكتوبة أخرى من الأحاديث جمعها طلحة بن عبد الملك الأيلي ، وهذه المجموعة لا بد أنها كانت غاية في صحتها لأنه ثم جمعها تحت إشرافه الدقيق ، ويروى أنه كلف ابنه بمراقبة طلحة أثناء إملائه (٤) . وهذه الإحتياطات اتخذت لتجنب أي خطأ في التسجيل أثناء إملائه .

ويبدو أن بعض أحاديثه دونها أبو بكر بن محمد كذلك لأنه يظهر أن الكتب التي أعدها بأوامر من عمر بن عبد العزيز لتسجيل أحاديث قاسم التي فقدت (٥) . وهذا يقتضي ضمنا تدوين أبو بكر لأحاديث قاسم .

٢٦- عامر بن شراحيل الشعبي « المتوفى سنة ١١٠ هـ » :

« إن الشعبي المحدث والفقيه (٦) والقاضي ، ومعلم ابن الخليفة عبد الملك كان عالماً بارزاً في الكوفة » وكان حجة في الفقه والحديث ، ويعبر عن هذا الزهري بقوله : « إن العلماء البارزين في عصره أربعة . سعيد بن المسيب في المدينة ، والشعبي في الكوفة ، والحسن البصري في البصرة ، ومكحول في الشام » (٧) .

---

(١) طبقات ابن سعد (٥ : ١٣٩) .

(٢) طبقات ابن سعد (١٤٠) .

(٣) الجرح والتعديل (١ : ٢) : ٣٤٥)
Papyri (1 : 22) , (2 : I3 , 43 , 214) .

(٤) المحدث الفاصل (٦٣ ب) .

(٥) تهذيب التهذيب (١٢ : ٣٩) .

(٦) تاريخ الطبري (٢ : ٦١٣) .

(٧) تذكرة الحفاظ (١ : ٧٦ - ٧٧ ، ٧٩) ، الإكمال (٦١٩) .

ويقول عاصم الأحول : ما رأيك عالما قط على وعيٍ تام بالحديث من بين علماء الكوفة والبصرة والحجاز بأفضل من الشعبي » [(١)] .

إما عن كون الشعبي كان من المؤيدين لتدوين الأحاديث فقد أوضحناه بالفعل السابق [(٢)] ولهذا فمعظم الروايات التي وصف فيها بأنه من المعارضين للكتابة ، يجب تفسيرها بمعنى أنه كان يتمتع بذاكرة ممتازة [(٣)] وليس معنى تمتعه بذاكرةٍ قوية أنه لم يعد بحاجة إلى الكتابة ليحتفظ بمعلوماته .

وفضلاً عن هذا ، فالحقائق الثابتة أنه عاش في عصر الزهري وفيه كانت الكتابة شائعة ، ومن الحقيقة الثابتة أيضاً أنه أوصى بشده بالكتابة من أجل طلابه [(٤)] ، وأملى الأحاديث عليهم بنفسه [(٥)] ، والحقيقة الثالثة أنه كان يملك العديد من الكتب . وكل هنا يثبت أنه كان من المؤيدين للكتابة .

وفي الحقيقة أنه كان واحداً من الجامعين الأوائل للحديث ، وقد ذكر هذه الحقيقة وارث علمه وتلميذه الخاص أبوحصين عثمان بن عاصم (المتوفى سنة ١٢٨ هـ) الذي روى أنه لم توجد كتبٌ بعد وفاة الشعبي سوى كتاب الفرائض والجراحات [(٦)] .

---

(١) تذكرة الحفاظ (١ : ٧٩) .

(٢) تقدم في الفصل الرابع من الكتاب ، تحت عنوان « أقوال عن رواة الحديث » .

(٣) ولكن عند ما تقدم به السن لم تعد الذاكرة يعول عليها كثيرا . المحدث الفاصل (٣٦ ب) ، تاريخ بغداد (١٢ : ٢٢٩) .

(٤) طبقات ابن سعد (٦ : ١٧٤ - ١٧٥) ، تقييد العلم (١٠٠) ، العلم لأبي خيثمة (١١ ب) ، تاريخ بغداد (١٢ : ٢٢٧ ، ٢٢٩ ، ٢٣٢) ، تذكرة الحفاظ (١ : ٨٠) ، المحدث الفاصل (٥ذ ب - ٣٦ أ) .

(٥) تذكرة الحفاظ (١ : ٨٠) ، طبقات ابن سعد (٦ : ١٧٤) .

(٦) طبقات ابن سعد (٦\ : ١٧٤ ، ٢٢٤) ، تاريخ بغداد (١٢ : ٢٣٢) و Papyri (2 : 228) .

ومع هذا فقد نسبت المصادر الأعمال التالية إليه :

أ - كتاب الجراحات [١] .

ب - كتاب الطلاق [٢] .

جـ - كتاب الفرائض [٣] .

د - كتاب عن المغازي [٤] .

هـ - مجموعة أحاديث متعلقة بالقضايا الشرعية .

وقد احتفظ بهذه المجموعة الأخيرة له عاصم الأحول لكي يحصل على تصريح بالنقل منها على مسئوليته ، ويقال أن الشعبي منحه هذا التصريح [٥] .

ويروى أن الشعبي هو أول من رتب مادة الحديث طبقا لموضوعها فعلى سبيل المثال جمع الأحاديث المتعلقة بالطلاق في نصل بعنوان الطلاق ، وعلق قائلا : « هذا فصل كبير عن الطلاق « هذا باب الطلاق الجسيم » [٦] .

٢٧ - حبيب بن سالم :

أحد العلماء التابعين ، وكان مولىً وكاتباً للنعمان بن بشير (المتوفى

---

(١) تاريخ بغداد (١٢ : ٢٣٢) .

(٢) تدريب الراوي (٢٤) .

(٣) تهذيب التهذيب (٩ : ١٧٧) ، الجرح والتعديل (٦ : ١ : ٤١) ، تاريخ بغداد (١٢ : ٢٣٢) .

(٤) تاريخ بغداد (١٢ : ٢٣٠) ، تهذيب التهذيب (١٠ : ٤٠) .

(٥) الكفاية (٣٨٦) .

(٦) تدريب الراوي (٢٤) ، توجيه النظر (٧ - ٨) ، المحدث الفاصل (٧٨ أ - ٧٨ ب) .

سنة ٦٤ هـ) [١] . ويروى أنه دون عدداً من الأحاديث أرسلها إلى قتادة [٢] واستلم يزيد بن النعمان أيضا منه بعض الأحاديث بشكل مكتوب [٣] .

٢٨ - ضحاك بن مزاحم (المتوفى سنة ١.٥ هـ) :

كان معلما مشهوراً في الكوفة [٤] ، ويقال أن لديه عدداً كبيراً من التلاميذ وصل إلى ثلاثة آلاف تلميذ ، لدرجة أنه اعتاد أن يشرف عليهم بالمرور عليهم وهو ممتطيا حماره [٥] ، ويروى أنه اعتاد أن يعلم الكتابة مجانا [٦] .

وكان معروفا بأنه كان عالماً في القرآن والحديث . وكتب تفسيراً للقرآن [٧] ، كان موضعاً لتقدير رفيع من سفيان الثوري [٨] أما بالنسبة للحديث ، فقد

---

(١) الإكمال في أسماء الرجال (٥٩٢) .

(٢) مسند الإمام أحمد (٤ : ٢٧٦) .

(٣) مسند الإمام أحمد (٤ : ٢٧٣) .

(٤) طبقات ابن سعد (٦ : ٢١. - ٢١١) ، معجم الأدباء (٣ : ٢٧٢ - ٢٧٣) ، تدوين حديث (٢١٦) .

(٥) حيث يروى أنه من بين ثلاثة آلاف تلميذ ، كانت هناك سبع مئة فتاة ، وهذا يوضح انتشار تعليم الإناث في مرحلة مبكرة من الإسلام . معجم الأدباء (٤ : ٢٧٢) ، ميزان الاعتدال (٢ : ٣٥٢) ، الترجمة رقم (٣٩٤٢) ، تدوين حديث (٢١٦) .

(٦) المعارف (١٨٥) ، مشاهير علماء الأمصار ، ص (١٩٤) ، الترجمة (١٥٦٢) .

(٧) طبقات ابن سعد (٦ : ٢١. - ٢١١) ، و (٧ : ٢ : ٥٥ ، ١.٢ ، ١.٥) ، تقييد العلم (١٩ ، ٤٧ ، ١..) ، الكُنى (١ : ١٤٩) ، تاريخ بغداد (١٣ : ١٦٥) ، الجرح والتعديل (١ : ٢ : ٣١٩) ، المصاحف (١٣٤ - ١٣٥) .

(٨) طبقات ابن سعد (٧ : ٢ : ٥٥) ، الكنى (١ : ١٤٩) ، تاريخ بغداد (١٣ : ١٦٥) .

أملى كتاب المناسك لحسين بن عقيل [١] .

ومع أنه دون الحديث [٢] ، إلا أنه كان يعتقد أحيانا أنه ضد تسجيله [٣] وتأييدا لهذا الإعتقاد ، نقل عنه قوله :

« لا تتخذوا للأحاديث كراريس ككراريس المصحف » [٤] .

وقد تم تفسير المقولة السابقة باستفاضة . فقد تم تفسيرها بمعنى « لا تجمع الأحاديث في كتب تأخذ شكل القرآن » [٥] ، وهذا يعطى انطباعاً بأن الضحاك كان معارضاً لتسجيل الأحاديث ، ولكن لو فسرنا هذه المقولة في سياقها التاريخي ، سنصل إلى نتيجة مختلفة ، فكما نعرف ، كان الضحاك ينتمي إلى هذه المجموعة من العلماء الذين أعطوا مكانةً فريدة للقرآن [٦] .

وكان متحمسا لإثبات علو شأن القرآن عن الحديث لدرجة أنه كره وضع كتب الأحاديث على الحامل الذي كان من المعتاد أن يوضع القرآن عليه [٧] وبنفس الطريقة اعترض على تسجيل الأحاديث في نفس الكراريس التي كان يكتب فيها القرآن . وفي ضوء وجهة النظر هذه يمكن أن نقول أن الضحاك لم يكن ضد كتابة الحديث بوجه عام . بيد أنه عارض فقط كتابته على نفس أنواع الكراسات التي كانت تستخدم في ذلك الوقت في كتابة القرآن .

---

(١) جامع بيان العلم (١ : ٧٢) .

(٢) Papyri (1 : 52 , 97 - 98) , (2 : 16 , 112) .

(٣) تقييد العلم (١٩ ، ٤٧) .

(٤) الموضع السابق .

(٥) Origins of Writing ... JASB XXV , P : 309 .

(٦) جامع بيان العلم (١ : ٦٧) ، تقييد العلم (٤٧ - ٤٨) .

ويبدو أن النتيجة الخاطئة التي خرجنا بها بأن الضحاك كان من المعارضين لكتابة الحديث كان مردها للأسباب الرئيسيه التالية :

أولاً : أن وجهة نظر الضحاك فيما يتعلق بمكانة القرآن في مقابل الحديث لم تؤخذ في الإعتبار . ثانيا : أن مصطلح كراريس تم تفسيره بمعنى عام أي بمعنى كتب . دون ملاحظة أن هذا المصطلح وضع في الأصل « للمصحف » وما تشير إليه العبارة في الواقع هو نوع واحد من الكراريس « ربما في حجم متوسط ، وفي شكل كتاب » كان يستخدم في تدوين القرآن وبالتالي يجب ألا يستخدم في تدوين الحديث . ومن ثم يمكن تسجيل الحديث على أي نوع آخر . فكراهية الضحاك لكتابة الحديث كانت مسايرة لوجهة نظر علماء القرآن الذين كانوا يدافعون عن نوع خاص من الكتابة ، وشكل فريد ، من أشكال القراءة من المصحف بوضعه على حامل « كرسي » مخصص له والقراءة منه .

٢٩ - أبان بن عثمان « المتوفى سنة ١٠٥ هـ » :

يذكر أن أباناً كان واحداً من فقهاء المدينة [٢] . وكان عالما متميزاً في الحديث والفقه والمغازي [٣] . ويجمع العلماء على أنه من الثقات [٤] .

ويروى أنه دون بعض الأحاديث التي تتعلق بحياة النبي ﷺ » . وفي الحقيقة يعد أول عالم يخصص مجموعة تتعلق بالمغازي [٥] . وكان لدى

---

(١) المصاحف (١٣٥) ، « لا تتخذوا للحديث كراس ككراسي المصاحف » .

(٢) تهذيب الأسماء واللغات (١ : ١ : ٩٧) ، تهذيب التهذيب (١ : ٩٧).

(٣) تهذيب الأسماء واللغات (١ : ١ : ٩٧) ، و « EARliest biographies ... » Ic , I 536 - 539 .

(٤) تهذيب الأسماء واللغات (١ : ١ : ٩٧) ، تهذيب التهذيب (١ : ٩٧).

(٥) « EARliest biographies ... » Ic , I , 539 .

المغيرة بن عبد الرحمن نسخة من هذا الكتاب . ويقال أنه طلب من أبنائه أن يتعلموا شيئاً عن المغازي (١) .

٣. - سالم بن عبد الله بن عمر « المتوفى سنة ١٠٦ هـ » :

يوضع سالم كواحد من الفقهاء السبعه للمدينة (٢) ، وكان من المعارضين لكتابة الحديث في البداية ، ولكن تخلى عن وجهة النظر هذه بعد ذلك . وشجع طلابه على تدوين الأحاديث (٣) ، ويروى أن خالد بن أبي عمران « المتوفى سنة ١٢٥ هـ » العالم التونسي كان يملك مجموعة كبيرة احتوت على الأحاديث التي نقلها سالم بن عبد الله بن عمر ، وقاسم بن محمد بن أبي بكر ، وسليمان بن يسار (٤) .

وكما رأينا فيما سبق ، فإن كتاب الصدقة الذي أملاه النبي ﷺ لإرشاد ولاة الأقاليم ، وصل في النهاية إلى عائلة عمر ، ووجد في نهاية المطاف في حوزة سالم وأخيه عبد الله (٥) .

واستعاره منهم الخليفة عمر بن العزيز ونسخ نسخة منه (٦) . ويقال إن الزهري حفظ هذه النسخة عن ظهر قلب (٧) .

---

(١) طبقات ابن سعد (٥ : ١٥٦) .

(٢) تهذيب الأسماء واللغات (١ : ١ : ٩٧ ، ٢٠٨) ، الإكمال في أسماء الرجال (٥٩٩) .

(٣) Papyri (2 : 198) .

(٤) Papyri (2 : 214) .

(٥) سنن أبي داود (٢ : ١٣٣ ٩ ، في كتاب الزكاة ، حديث رقم (١٥٧٠) .

(٦) سنن أبي داود (٢ : ١٣٣) ، في كتاب الزكاة ، حديث رقم (١٥٧٠) وجامع الترمذي (٣ : ١٠٦) ، في الزكاة .

(٧) في الحاشية السابقة .

وفي رواية وجدت في كتاب تاريخ الخلفاء ، يبدو أن سالماً نفسه هو الذي نسخ الكتاب وأرسله للخليفة بناءً على طلبه [(١)] .

٣١ - أبو مجلز « المتوفى سنة ١٠٦ هـ أو سنة ١٠٩ هـ » :

كان أبو مجلز بن حميد السدوسي عالم شهير من البصره ، وعرف بمجموعته الشهيرة من الأحاديث الخاصة بسيرة النبي ﷺ ونقل الأحاديث من جندب بن عبد الله ، أنس بن مالك ، حفصة ، وأبي موسى ، وآخرين [(٢)] . وكان يعد من الرواه الثقاة في الحديث [(٣)] .

وكانت مجموعة أعماله المنقولة كبيرة إلى حد ما ، وكما يقول شبرنجر « هناك سبب بعينه للاعتقاد بهذه الحقيقة هو أنه دون هذه المجموعات على امتداد حياته » [(٤)] .

٣٢ - سليمان بن يسار « المتوفى سنة ١٠٧ هـ / سنة ١٠٩ هـ » :

هو مولى ميمونة الذي أعتق ، وكان واحداً من المشرعين السبعة في المدينة . ونقل الأحاديث من أبي هريرة ، وميمونة وآخرين [(٥)] .

أما بالنسبة لسجله المكتوب من الأحاديث فيروى أنه كان لديه كتابٌ نقله بكير [(٦)] .

---

(١) تاريخ الخلفاء (٢٣١) .

(٢) تهذيب الأسماء واللغات (١ : ٢ : ٧٠) .

(٣) طبقات ابن سعد (٧ : ١ : ١٥٧) ، تهذيب الأسماء واللغات (١:٢:٧٠).

(٤) طبقات ابن سعد (٧ : ١ : ١٥٧) ،

و JASB XXV , 1856 , P : 220 « Von Kremer Edition ... » .

(٥) تهذيب التهذيب (٤ : ٢٢٨ - ٢٢٩) .

(٦) ميزان الاعتدال (٤ : ٨١) ، الترجمة رقم (٨٣٨٤) ، تهذيب التهذيب (١٠ - ٧٠ - ٧١) .

ثم ورّث هذا الكتاب لابنه عكرمة بعد ذلك (١) .

٣٣ - عتبة بن حميد الضّبي « المتوفى سنة ١١٠ هـ » :

كان عتبه من المهتمين للغاية بالحديث ، ويقال أنه رحل كثيرا بحثا عن الأحاديث (٢) .

وهو لم يسمع الأحاديث فحسب من معلميه بل دونها . ويروى أنه كتب عدداً ضخماً من الأحاديث (٣) .

٣٤ - محمد بن سيرين « المتوفى سنة ١١٠ هـ » :

يعتقد بصفة عامة أن محمّد بن سيرين كان واحدا من المعارضين لكتابة الحديث (٤) . ولكن يبدو أن كراهيته لتدوين الأحاديث كانت قاصرة على عملية التسجيل من أجل الخلف (٥) ، وهناك وجهة نظر أخرى للعديد من علماء الحديث كذلك نرى أنه وافق على كتابة الأحاديث بل وحتى أملاها (٦) . ويروى على سبيل المثال أنه أملي عدداً من الأحاديث على هشام بن حسّان الذي تخلص منها بمحوها بعد ما حفظها (٧) .

---

(١) تهذيب التهذيب (١٠ : ٧٠) .

(٢) تهذيب التهذيب (٧ : ٩٦) .

(٣) الجرح والتعديل (٣ : ١ : ٣٧٠) تذكرة الحفاظ (٧ : ٩٦) .

(٤) طبقات ابن سعد (٧ : ١ : ١٤١) ، العلم لأبي خيثمة (١١ ب) ، تقييد العلم (٤٦ ، ٦١) ، سنن الدارمي (١ : ١٢٠ ، ١٢٢) ، جامع بيان العلم (١:٦٧) .

(٥) المحدث الفاصل (٣٦ ب) .

(٦) طبقات ابن سعد (٧ : ١ : ١٤١) ، تقييد العلم (٦٠) .

(٧) ميزان الاعتدال (٤ : ٢٩٧) ، الترجمة رقم (٩٢٢٠) ، المحدث الفاصل (٣٦ ب) .

وعلى الرغم من هذا النقل الذي تم بمنتهى الحرص فإن نسخته احتوت على الأحاديث وأملاها بنفسه واحتفظ بها الأوزاعي (١) . بل وأكثر من هذا ، يبدو أن محمد بن سيرين كان لديه كتابٌ مكتوبٌ أخذه - بعد ذلك - أخوه يحيى بن سيرين (٢) .

إن الرويات المتناقضة عن موافقته ، وعدم موافقته على تدوين الأحاديث يمكن تنسيقها بالقول بأنه في بداية حياته كان مؤيداً لكتابة الأحاديث ، ولكنه تخلى عن هذا التأييد في أخريات حياته . ومن المحتمل أنه في الفترة الأخيرة سلم هذا الكتاب لأخيه .

٣٥ - رجاء بن حيوة « المتوفى سنة ١١٢ هـ » :

عالم شامي من علماء الحديث ، امتلك عدداً كبيرا من الأحاديث وكان معروفا بمعلوماته الغريزة في الفقه كذلك (٣) واعتاد أن ينقل من أبي الدرداء ، معاذ بن جبل ، أبي سعيد الخدري ، جابر بن عبد الله ، وكوكبة أخرى من الصحابة والتابعين (٤) .

ويبدو أنه اعتاد أن يدون الأحاديث ، وهذا المعنى متضمن في الرواية التالية : فذات مره طلب هشام من رجاء عدداً معيناً من الأحاديث . وحينئذ علق رجاء قائلا : « إذا لم احتفظ بهذه الأحاديث بشكل مكتوب سأنساها » (٥) .

(١) تهذيب التهذيب (٦ : ٢٤٠) .

(٢) الإملاء (١٧٣) ، وانظر أيضاً ماتقدم تحت عنوان الكتابات الغير رسمية في المرحلة المتأخرة .

(٣) تهذيب الأسماء واللغات (١ : ١ : ١٩٠) .

(٤) تهذيب الأسماء واللغات (١ : ١ : ١٩٠) ، وتذكرة الحفاظ (٣:٢٦٥) .

(٥) تقييد العلم (١٠٨) ، وسنن الدارمي (١ : ١٢٥) .

٣٦ - مكحول الشامي « المتوفى سنة ١١٢ هـ / ١١٨ هـ » :

هو المعلم الشهير للزهري ، وأحد علماء الشام البارزين ، ويروى أنه كان لديه مجموعات عديدة الأحاديث المكتوبة . وكان جامعاً مجتهداً للأحاديث ، وسافر كثيرا [١] أجل البحث عنها ، ويعبر هو نفسه عن هذا بقوله « لقد طفت حول العالم بحثا عن العلم » [٢] .

وكان لديه ثلاثة أعمال تحت هذه العناوين :

كتاب السنة ، والفقه [٣] ، كتاب المسائل في الفقه [٤] ، وكتاب الحج [٥] .

ومن بين العلماء الذين نقلوا الأحاديث منه بشكل مكتوب . عبيد الله ابن عبيد الكلاعي [٦] ، العلاء بن الحارث [٧] عمرو بن الوليد [٨] ، العلاء بن كثير [٩] .

---

(١) حيث إنه لم يسافر إلى مصر وسوريا وعاش في المدينة فترة فحسب ، بل سافر حول العالم جامعاً الأحاديث من العلماء المشهورين . تذكرة الحفاظ (١ : ١٠٢) ، ودراسات إسلامية لجولد تسيهر (٢ : ٣٣ / ٤٢) .

(٢) تهذيب الأسماء واللغات (١ : ٢ : ١١٤) ، الجرح والتعديل (٤ : ١ : ٤٠٧) ، كتاب العلم لأبي خيثمة (٥ أ) .

(٣) Papyri (2 : 245) ودراسات إسلامية لجولد تسيهر (٢ : ٢١٢ / ١٩٧) والفهرست (٣١٨) .

(٤) الفهرست (٣١٨) .

(٥) تهذيب التهذيب (٨ : ١٧٨) .

(٦) الكفاية (٤٥٨) .

(٧) تهذيب التهذيب (٨ : ١٧٨) .

(٨) الكفاية (٣٨٧) .

(٩) تهذيب التهذيب (٨ : ١٩١) .

وفي حين جمع معظم تلاميذ مكحول عدداً من الكتب [1] فإن قليلاً منهم قام بإعطائهم نسخا جاهزة لهم . فعلى سبيل المثال أعطى عبيد الله الكلاعي كتاباً « دفترا » وذيله بتعليق منه قائلا « خذ هذا الكتاب وانقل منه على مسئوليتي » [2] .

٣٧ - عبد الله بن بشير الكاتب « المتوفى سنة ١١٣ هـ » :

كان عبد الله يعد واحداً من الناقلين الثقات ، وقد اعتاد أن يسجل تلاميذه أحاديثه . ويقال إن شعيباً كان واحداً من تلاميذه [3] وكان لديه مجموعة واحدة من مجموعات الأحاديث المكتوبة [4] .

٣٨ - يزيد بن سفيان ، أبو المهزم (م = ١١٥ هـ) :

نقل يزيد الأحاديث من أبي هريرة [5] . ويروى أن شعبة الذي كان واحداً من طلابه دون مئة حديث منه [6] .

٣٩ - عثمان بن حضير الحِمْيَرى « الكتوفى سنة ١١٥ هـ » :

أحد رواة الحديث اليمنيين وأحد من تلاميذ ابن عباس [7] ، وذكر أنه ذهب إلى مكة وروى الأحاديث ثمة ، ويروى أن رواياته كان يدونها أهل الحجاز [8] .

---

(١) الكفاية (٣٨٥ - ٣٨٧) .

(٢) الكفاية (٤٥٨) .

(٣) تهذيب التهذيب (٥ : ١٦١) .

(٤) الكفاية (٢٣١) طبعة حيدر آباد .

(٥) تهذيب التهذيب (١٢ : ٢٤٩) .

(٦) تهذيب التهذيب (١٢ : ٢٤٩) ، الجرح والتهديل (٤ : ٢ : ٢٦٩) .

(٧) تهذيب التهذيب (٧ : ١٠٩) ومشاهير علماء الأمصار (١٢٤) ، الترجمة (٩٧٦) .

(٨) مشاهير علماء الأمصار ، ص (١٢٤) ، الترجمة رقم (٩٧٦) .

٤ - حكم بن عتيبة :

مشرع الكوفه المعروف ، وراوي الأحاديث من شريح ، ابن أبي ليلى ، سعيد بن جبير ، وأخرين ، ومن بين العلماء الذين رووا عنه : الأوزاعي وشعبة الخ (١) وكانت جلسات الحديث التي يعقدها في المسجد يحضرها جمهور كبير يضم بين صفوفه مشاهير العلماء في ذلك العصر اليوم .

وكان مشهوراً بمعلوماته في السنة وفي الفقه والحديث ولقب بالفقيه وصاحب السنة (٢) .

أما بالنسبة لمجموعته المكتوبة من الأحاديث ، فيروى أنه دَوَّن مجموعة كبيرة من الأحاديث من مصادر مختلفه مشافهةً وكتابةً (٣) .

وعلى سبيل المثال فقد نقل الأحاديث من مقسم بن بجرة المتوفى سنة ١٠١ هـ (٤) ومن مجاهد بن جبر (م - ١٠٢ هـ) (٥) ، ويحيى بن يزيد العرني (م - ٨٠ هـ) (٦) بشكل مكتوب .

---

(١) تذكرة الحفاظ (١ : ١١٠) .

(٢) تذكرة الحفاظ (١ : ١١١) .

(٣) تاريخ بغداد (٧ : ٣٤٨) ، تذكرة الحفاظ (١ : ١١٠ - ١١١) ، و Papyri (2 : 44) .

(٤) تهذيب التهذيب (٢ : ٤٣٤) و (١٠ : ٢٨٩) ، مقدمة الجرح والتعديل (١٣٠) .

(٥) مشاهير علماء الأمصار (١٤٦) ، الترجمة (١١٥٣) ، تهذيب التهذيب (٢ : ٤٣٤) .

(٦) تاريخ بغداد (٧ : ٣٤٨) ، تهذيب التهذيب (٢ : ٣٠٥) .

ولقد أعطى مجموعة أحاديثه المكتوبة لحسن بن عمارة (م - ١٥٣ هـ) ، وهو الراوي عنه [١] .

ويروى أن شعبة بن الحجاج (م - ١٦٠ هـ) ، قد تسلم حيثية من مجموعة الأحاديث النادرة من الحكم بن عتيبة [٢] .

٤١ - الأعرج (م - ١١٧ هـ) :

لم يكن أبو داود عبد الرحمن بن هرمز الأعرج مجرد ناسخ لآيات القرآن الكريم [٣] ، بل كان عالماً في الحديث أيضاً [٤] . وكان معلماً للعديد من رواة الحديث المشاهير بما فيهم الزهري [٥] ، أبي الزناد [٦] ، ومالك بن أنس [٧] .

---

(١) تذكرة الحفاظ (١١٠ - ١١١) ، تاريخ بغداد (٧ : ٣٤٨) ، Papyri (1 : 23) , (2 : 50) No : 149

(٢) تاريخ بغداد (٩ : ٢٥٩ - ٢٦٠) ، حلية الأولياء (٧ : ١٥٧) ، تذكرة الحفاظ (١ : ١١٠ - ١١١) ، Papyri (2 : 50) .

(٣) مشاهير علماء الأمصار ص (٧٧) ، الترجمة رقم (٥٥٩) ، وردت فيه العبارة هكذا : كان يكتب المصاحف . وانظر أيضاً : تقييد العلم (٥٩) ، تذكرة الحفاظ (١ : ٩١) .

(٤) طبقات ابن سعد (٥ : ٢٠٩) ، تهذيب الأسماء واللغات (١ : ١ : ٣٠٥ - ٣٠٦) .

(٥) تقييد العلم (٥٩) ، تهذيب الأسماء واللغات (١ : ١ : ٣٠٦) ، الجرح والتعديل (٢ : ٢ : ٢٩٧) ، و Papyri (2 : 124 , 139) .

(٦) الإملاء (١٧٣) ، تهذيب الأسماء واللغات (١ : ١ : ٣٠٦) .

(٧) Papyri (2 : 41) .

وقد رحل من المدينة إلي الشام ، ومصر بحثاً عن حديث رسول الله ﷺ (١) .

وقد روى أن مجموعته من الأحاديث قد دونها تلاميذه (٢) .

ومن بين تلاميذه الذين دونوا الأحاديث منه كان : الزهري « المتوفى سنة ١٢٤ هـ » (٣) ، يزيد بن أبي حبيب (المتوفى سنة ١٢٨ هـ) (٤) ، عكرمهة بن عمار المتوفى سنة ٩ . ١ هـ) (٥) .

واعتاد أن يشجع طلابه على مراجعة ما يكتبوبه . ومنعهم من استخدام تعبير : حدثنا (بدلا من أخبرنا) كصيفة عند نقلهم نفس الأحاديث إلى الآخرين (٧) .

وعلى الرغم من أنه سمع الأحاديث من أبي هريرة ، ومن أبي سعيد ، ومن العديد من التابعين (٨) ، فكان يعتبر حجة في الأحاديث التي رواها أبو هريرة (٩) وأجمع العلماء على أنه من الثقات (١٠) .

---

(١) طبقات ابن سعد (٥ : ٢.٩) و (Papyri (2 : 41 .

(٢) طبقات ابن سعد (٥ : ٢.٩) ، تقييد العلم (٥٩) .

(٣) لقد كتب كل أحاديث الأعرج الطوال . انظر تقييد العلم (٥٩) .

(٤) الكفاية . ط . حيدر آباد ، ص (٣٥٥) .

(٥) الإملاء (١٧٣) .

(٦) تقييد العلم (٥٩) .

(٧) طبقات ابن سعد (٥ : ٢.٩) ، مصادر الشعر الجاهلي (١٨٢) ، و (Papyri (2 : 139 .

(٨) تهذيب الأسماء واللغات (١ : ١ : ٣.٦) .

(٩) تهذيب الأسماء واللغات (١ : ١ : ٣.٥) ، تهذيب التهذيب (٥ : ٢٩١) .

(١.) تهذيب الأسماء واللغات (١ : ١ : ٣.٦) ، تهذيب التهذيب (٥ : ٢٩. - ٢٩١) .

٤٢ - بكير بن عبد الله بن الأشج (المتوفى سنة ١١٧ / ١٢٧ هـ) :

نقل الأحاديث من الصحابة من أمثال سائب بن يزيد ، وربيعة بن عبادة ومن مجموعة من التابعين بما فيهم سعيد بن المسيب . وسالـم بن عبد الله [١] . ويبدوا أنه كون مجموعات عديدة من الأحاديث ، لأننا نقرأ أن ابنه مخرمة (المتوفى سنة ١٥٩ هـ) اعتاد أن ينقل من كتب والده [٢] .

ويروى أن مخرمة لم يسمع هذه الكتب من والده [٣] فهذا يعني أنه لم يصرح له بالكتابة . وعلى الرغم من أن الرواية تذكر أن مخرمة نقل من هذه الكتب إلا أنه لم يتأكد ما إذا حصل على الكتب والده أو عن طريق الوجادة . ولكن المؤكد أنه نقل هذه الأحاديث أحاديثها دون تصريح بالرواية . ولهذا كان عرضة للنقد من جانب العلماء [٤] .

ومن المهم أن نلاحظ أن أحد الوسائل القديمة جدا في نقل الأحاديث كانت طريقة الوجادة .

٤٣ - جميل بن زيد الطائي :

نقل الأحاديث من ابن عمر ، وكعب بن زيد (ويقال زيد بن كعب) ونقل عن جميل كل من الثوري ، أبو بكر بن عياش ، أبو معاوية ، اسماعيل بن زكريا وآخرون .

ويقال انه أمتلك مجموعة مكتوبة من الأحاديث كان ابن عمر قد رواها

---

(١) تهذيب التهذيب (١ : ١ : ١٣٥) .

(٢) الجرح والتعديل (٤ : ١ : ٣٦٣ - ٣٦٤) ، ميزان الاعتدال (٤ : ٨١) ، الرجمة رقم (٨٣٨٤) ، تهذيب التهذيب (١٠ : ٧٠ - ٧١) .

(٣) ميزان الاعتدال (٤ : ٨١) ، الترجمة رقم (٨٣٨٤) .

(٤) الجرح والتعديل (٤ : ١ : ٣٦٣ - ٣٦٤) .

ووصف هو نفسه زمان ومكان كتابتها [١] وذكر أنه بعد موت ابن عمر قد زار المدينة ودون الأحاديث التي نقلها عن ابن عمر ، ولأن هذا حدث بعد موت ابن عمر ، فإما أن هذه المجموعة تكونت إما من خلال النقل الشفهي من أحد تلاميذ ابن عمر أو من خلال النسخ من مخطوطة مكتوبة بالفعل ، وعلى أي حال فمن المؤكد أن جميلاً كان لديه عدداً من الأحاديث بشكل مكتوب .

٤٤ - عبد الرحمن بن سابط (المتوفى سنة ١١٨ هـ) :

كان عبد الرحمن بن سابط ناقلا صادقا للأحاديث [٢] ويبدو أنه لم يكن يرو الأحاديث ، بل أملاها أيضا على طلابه ، ويروى على سبيل المثال أن جابر بن زيد (المتوفى سنة ٩٣ هـ) اعتاد أن يدون الأحاديث منه [٣] .

٤٥ - حبيب بن أبي ثابت (المتوفى سنة ١١٩ هـ) :

كان حبيب عالماً من الثقات ، سمع الأحاديث من ابن عمر ، من وابن عباس [٤] .

ويروى بشهادته أنه كان لا يملك سوى حديثاً واحداً احتفظ به في صندوق وقال « لم يكن عندي أحاديث مكتوبة سوى حديث واحدٍ احتفظت به في تابوتي [٥] » .

٤٦ - قيس بن سعد الحبشي (المتوفى سنة ١١٩ هـ) :

(١) تهذيب التهذيب (٢ : ١١٤) ، تعجيل المنضعة (٧٣) ، ميزان الاعتدال (١ : ٤٢٣) ، الترجمة رقم (١٥٥٦) .

(٢) تهذيب التهذيب (٦ : ١٨١) .

(٣) تقييد العلم (١.٩) ، جامع بيان العلم (١ : ٧٢) .

(٤) ميزان الاعتدال (١ : ٤٥١) ، الترجمة رقم (١٦٩.) .

(٥) طبقات ابن سعد (٦ : ٢٢٣) .

كان قيس [١] معلما في مكة ، لم يعلم الأحاديث فحسب لتلاميذه بل أملاها أيضاً [٢] . ويقال إنه جمع الأحاديث في كتاب [٣] حصل عليه بعد ذلك حماد بن سلمة بن دينار (المتوفى سنة ١٦٧ هـ) بإرادته أو عن طريق الوجادة ، وكان دينار أحد علماء البصرة البارزين [٤] . ويقال عن حماد أنه لم يكن لديه سوى كتاب قيس بن سعد [٥] .

٤٧ - أبو رجاء مطر بن طهمان (المتوفى سنة ١١٩ هـ) :

عالم خراسان الذي جاء إلى البصرة وأقام فيها . وكان يعمل وراقا (أي صاحب مكتبة لبيع الكتب والنسخ) واعتاد أن يدون الأحاديث .

---

(١) ويحدد شبرنجر بطريقة خاطئة قيساً بأنه قيس بن سعد بن عباده (المتوفى ٦٠/ ٨٥ هـ) . ولكن المصادر أثبتت بأنه شخص مختلفاً تماما ، كان كل اهتمامه منصباً على النواحي السياسية أكثر من اهتمامه بالنواحي الأكاديمية . أما ما يشير إليه المؤلف هنا فهو قيس بن سعد الحبشي (المتوفى سنة ١١٧ / سنة ١١٩) الذي وصف بأنه من أكبر العلماء وأحد المشرعين في مكة (من قدماء مشايخ مكه ومن فقهائها) . مشاهير علماء الأمصار ص (١٤٦) ، الترجمة رقم (١١٥١) .

(٢) ميزان الاعتدال (٣ : ٣٩٧) ، الترجمة (٦٩١٥) ، وتهذيب التهذيب (٧ : ٢٤٤) .

(٣) تهذيب التهذيب (٣ : ١٥) ، الجرح والتعديل (٣ : ٢ : ٩٩) ، تذكرة الحفاظ (١ : ١٩٠) .

(٤) ميزان الاعتدال (١ : ٥٩٢) ، الترجمة رقم (٢٢٥١) ، مشاهير علماء الأمصار ، ص (١٤٦) ، الترجمة رقم (١١٥١) ، تهذيب التهذيب (٣ : ١٥) ، تذكرة الحفاظ (١ : ١٨٩ - ١٩٠) .

(٥) ميزان الاعتدال (١ : ٥٩٢) ، الترجمة رقم (٢٢٥١) ، مشاهير علماء الأمصار ، ص (١٤٦) ، الترجمة رقم (١١٥١) ، تهذيب التهذيب (٣ : ١٥) ، الجرح والتعديل (٣ : ٢ : ٩٩) ، تذكرة الحفاظ (١ : ١٩٠) .

ويبدو أنه دون بعض الأحاديث من عبد الله بن بريد الأسلمي (المتوفى سنة ١١٥ هـ) [١] .

وكان تابعا لأبى قلابه (المتوفى سنة ١٠٤ هـ) ووفر له هذا معرفة مخطوطاته ومنها نقل الأحاديث ، ونقل الأحاديث أيضاً من ابن سيرين ، ومن الحسن البصرى ، شعبة ، سعيد بن أبى عروبة وحماد بن سلمة [٢] .

٤٨ - زيد بن رفاعه الجزري :

فقيه شامي اعتاد أن يروي الأحاديث من عبيد الله بن عبد الله بن مسعود (المتوفى سنة ٨٢ هـ) بينما روى أحاديثه : محمد بن حمزة [٣] .

وكان لديه مجموعة مكتوبة من الأحاديث (كتاب) كانت تخص عبد الحميد بن يوسف [٤] ويروى أن حماد بن عامر النصيبي نسخ هذا الكتاب من عبد الحميد ونقل أحاديثه مباشرة على مسئولية زيد [٥] ، ولهذا عرف بأنه ناقل غير صادق للحديث [٦] .

---

(١) تهذيب التهذيب (٦ : ١٥٨) .

(٢) الجرح التعديل (٦ : ١ : ٢٨٧ - ٢٨٨) ، الكنى (٢ : ١٧٣ - ١٧٤) تاريخ الطبري (٣ : ٢٥٠٢) ، حلية الأولياء (٢ : ٢٨٤) .

(٣) ميزان الاعتدال (٢ : ١٠٣) ، الترجمة رقم (٣٠٠٦) .

(٤) ميزان الاعتدال (١ : ٥٩٨) ، الترجمة رقم (٢٢٦٢) ، تاريخ بغداد (٨: ١٥٤) .

(٥) ميزان الاعتدال (١ : ٥٩٨) ، الترجمة رقم (٢٢٦٢) .

(٦) ميزان الاعتدال (١ : ٥٩٨) ، الترجمة رقم (٢٢٦٢) .

٤٩ - حماد بن أبى سليمان (المتوفى سنة ١١٩ هـ ، سنة ١٢٠ هـ) :

كان حماد واحداً من الفقهاء البارزين فى الكوفة [١] ، الذين نقلوا الأحاديث من إبراهيم النخعى وآخرين [٢] ، وكان من المؤيدين للكتابة ، وروى بالفعل سجلاً للأحاديث التي رواها إبراهيم النخعي [٣] . وأملاها بدوره على طلابه .

وكان العالم المشهور ، أبو حنيفة ، أحد تلاميذه [٤] الذين دونوا عدداً من الأحاديث منه [٥] ، ومن بين الذين تسلموا الأحاديث منه : شعبه [٦] ، ومحمد بن جابر اليماني [٧] .

ويقال أنه تسلم كتابا عن قواعد الزكاة من ثمامة بن عبد الله بن أنس هذا الكتاب الذى احتفظت به عائلة ثمامة حتى عهد أبى بكر [٨] الذى كان قد أرسله لأنس حين كان واليا على البحرين [٩] .

---

(١) جامع بيان العلم (٢ : ١٥٣) ، ميزان الإعتدال (١ : ٥٩٥) ، الترجمة رقم (٢٢٥٢) .

(٢) طبقات ابن سعد (٦ : ٢٣٢) ، الإكمال في أسماء الرجال (٥٩١) .

(٣) طبقات ابن سعد (٦ : ٢٣٢) ، العلم لأبي خيثمة (١١ أ - ١١ ب) .

(٤) مقدمة كتاب الآثار للشيباني ، ص (٣) ، جامع بيان العلم (٢ : ١٥٣ - ١٥٤) ، تاريخ بغداد (١٣ : ٣٢٣ - ٣٢٤) .

(٥) جامع بيان العلم (٢ : ١٥٣ - ١٥٤) ، الجرح والتعديل (٤ : ١ : ٤٥) .

(٦) تاريخ الإسلام (٦ : ١٩٣) .

(٧) الجرح والتعديل (٤ : ١ : ٤٥) .

(٨) تقييد العلم (٨٧) .

٥٠ - إبراهيم بن عبد الأعلى الجعفى :

كان يعد واحداً من الناقلين الثقات الذين دونوا ما نقلوه (١) . ومن بين الطلاب الذين نقلوا من إبراهيم كان إسرائيل والثوري (٢) ، ويقال إن إسرائيل دون عدداً من الأحاديث من شيخه وأرسلهم إلى شعبة بناءً على رغبته (٣) .

٥١ - أبو بكر بن محمد بن عمرو بن حزم الأنصاري :

كان أحد رواة الحديث البارزين فى المدينة ، وهو الذى عقد معه عمر بن عبد العزيز مناظرات علمية ، عندما كان واليا على مكة والمدينة .

وكانت تربطه علاقة قرابة بعمرة بنت عبد الرحمن (المتوفية سنة ٩٨ هـ/ ١٠٦ هـ) باعتبارها خالته ، وكانت هذه المرأة حجة في الأحاديث التى روتها عاشة وأم سلمة (٤) .

---

(٩) تقييد العلم (٨٧) ، سنن أبي داود (٢ : ١٢٩) ، ح (١٥٦٧) في كتاب الزكاة ، صحيح البخاري (١ : ٣٦٦ - ٣٦٨) ، في كتاب الزكاة ، و (٤ : ٣٣٩) في كتاب الحيل ، سنن النسائي (٥ : ١٨ - ٢٣) ، في الزكاة ، سنن ابن ماجة (١ : ٥٥١) ، في الزكاة .

(١) تهذيب التهذيب (١ : ١٣٧) .

(٢) تهذيب التهذيب (١ : ١٣٧) .

(٣) تهذيب التهذيب (١ : ١٣٧) ، والجرح والتعديل (١ : ١ : ١١٢) .

(٤) إن الزهرى كان متأثراً للغاية بعلم عمرة لدرجة أنه وصفها بأنها معين لا ينضب (بحر لا ينزف) ، واعترف عمر بن عبد العزيز بها كعالمة عظيمة وقال : «لا يوجد شخص أخر على معرفة بأحاديث عائشة بأفضل بن عمره ، ولهذا طلب عمر بن عبد العزيز من أبى بكر بن محمد أنه يجمع الأحاديث من خالته عمرة تهذيب التهذيب (١٢ : ٤٣٩) . واعتاد أبو بكر والزهرى أن ينقلا الأحاديث عنها (ابن سعد (٨: ٣٥٣) . وهى بدورها نقلت من عائشة ، وأم سلمة ، وآخرين .

ويقول شبربخر في ص (٢٢.) من (1856) ,jasb « إن عمرة جمعت كثيرا من الأحاديث من عائشة ومن زوجات النبى ﷺ الأخريات .

وعندما أصبع عمر بن عبد العزيز خليفة ، وقرر أن يقنن السنة رسميا ، كتب إلى أبى بكر والى المدينة ، أن يجمع الأحاديث ويرسلها له بصفة عامة ، الأحاديث التى تخص عمرة بنت عبد الرحمن [١] وقاسم بن محمد[٢] بصفة خاصة [٣] ، وإذعانا لهذا الأمر يقال إن أبا بكر استدعى هؤلاء العلماء وأعد مجموعة من أحاديثهما ولكن قبل إرسال هذه المجموعة إلى الخليفة توفى أبا بكر [٤] .

وظلت هذه الرواية موضعاً لمناقشة طويلة ، ففي حين اعتبرها جولد تسيهر [٥] ومن تبعه ، من أمثال Guilla ume [٦] وعلماء آخرون [٧] وبخاصة schacht [٨] رواية غير صادقة ، وشككوا فيها ، فإن علماء لايقلون عنهم شهرة من أمثال مور Muir [٩] ، Horovitz [١٠] ،

(١) وكما رأينا فإن عمرة قد تمتعت بشهرة طيبة كعالمة فى تلك الأيام .

(٢) كان قاسم بن أخت عائشة طبقت شهرته الآفاق ، وبمعرفته للسنة كان موضعاً لتقدير عمر بن عبد العزيز لدرجة أنه رشحه خلفا له فى الخلافة انظر ابن سعد (٥ : ١٤.) ، تذكرة الحفاظ (١ : ٩١) .

(٣) الموطأ برواية الشيباني (٣٨٩) ، الأموال (٥٧٨) ، طبقات ابن سعد (٢: ٢ : ١٣٤) ، و (٨ : ٣٥٣) ، تقييد العلم (١.٥) سنن الدارمي (١ : ١٢٦) ، تنوير الحوالك (١ : ٤) .

(٤) تنوير الحوالك (١ : ٤) .

(٥) دراسات إسلامية لجولد تسيهر (٢ : ٢١. - ٢١١ / ١٩٥) .

(٦) traditions (18 - 19)

(٧) . Ajsl, lii, 248. asiaticue, 4 th series, xv, .168

(٨) cmj, 62

(٩) Mahomet, i, p. xxx - xxxi.

(١٠) " Earliest biographies ", ic, ii, 24.

ونبيهة عبود [١] أثبتوا صدق هذه الرواية .

واتفاقا مع المجموعة الثانية من العلماء ، فاعتقد بما لا يدع مجالا للشك بأن هذه التعليمات لم يرسلها عمر بن عبد العزيز إلى أبى بكر بن محمد بن عمرو بن حزم فحسب ، بل أرسلها إلى العديد من العلماء فى ذلك الوقت ، ومقولة الزهرى بأن مجموعة كبيرة من الأحاديث قدتم تدوينها فى العديد من الكتب (دفاتر - دفاتر) وتم إرسال نسخا منها إلى كل إقليم من أقاليم الدولة الإسلامية تحت مسئولية [٢] عمر بن عبد العزيز تصف بوضوح المهمة التى أنجزها الخليفة .

وعلاوة على ذلك ، فنظرا لإيمان الخليفة العميق بمجال الحديث [٣] فلم يكن بمستغرب على الإطلاق ، بأن هذه الخطوة ستخذها هو أثناء خلافته والحقائق الأخرى أنه عين معلمين بأجر لتعليم القرآن [٤] ، وساعد الطلاب والمعلمين في التعمق فى بالفقه [٥] وأرسل التعليمات إلى والى المدينة بأن يعقد المحاضرات أسبوعيا بخصوص الحديث [٦] وأرسل المعلمين إلى مصر وشمال افريقية ليعلموا أهل هذين البلدين المعرفة الدينية بوجه عام[٧] وشجع العلماء لينشروا العقائد الدينية [٨] ، وحث الناس أن يحضروا

---

(١) papyri, ii, 25-52.

(٢) الأموال (٥٧٨ - ٥٨٠) ، جامع بيان العلم (١ : ٧٦) .

(٣) المجد (٤٧٧) ، طبقات ابن سعد (٥ : ٢٨٤) ، تاريخ الطبري (٢ : ١١٨٣) .

(٤) أدب الحديث (٩ ٩ .

(٥) أدب الحديث (٩) ، جامع بيان العلم (١ : ١٨٦) ،pA pyri (2:34).

(٦) أدب الحديث (٩) .

(٧) نفخ الطيب (١ : ١٣٠) .

(٨) جامع بيان العلم (١ : ١٢٤) .

محاضرات الزهرى فى الحديث [١] هذا قليل من كثير من الروايات المتعلقة بإيمانه العميق بالمعرفة الدينية بوجه عام وبالحديث بصفة خاصة يجعلنا نعتقد أنه أرسل هذه التعليمات إلى الولاة ليجمعوا الأحاديث [٢] . ومن بين هذه الأوامر والنشرات التى أرسلها ، كانت التعليمات التى أصدرها لوالى المدينة أى لأبى بكر بن محمد بن عمرو بن حزم الذى تعد مجموعته من الأحاديث موضعا لدراستنا الآن ،إنَّ أقدم الروايات بخصوص رسالة عمر بن عبد العزيز وجدت فى التنقيح لأثر قديم خاص (في موطأ مالك) من رواية محمد بن الحسن الشيباني .

يقول الأثر :

« إن عمر بن عبد العزيز كتب لأبى بكر بن حزم : « ابحث عن أحاديث رسول الله ﷺ أوعن سنته أو عن حديث عمر أو نحو هذا ودونه لي لأنني أخشى إندثار العلم ووفاة العلماء » [٣] .

إن العالمة نبيهة عبود فى عملها الضخم عن الحديث [٤] قد ناقشت ، وبحثت هذه الرواية باستفاضة وبرهنت على صدقها [٥] .

ولكنها تدعى أن عبارة حديث عمر التى وجدت فى الرواية السابقة خاطئة ، ويجب تصحيحها بوضع عبارة عمرة بدلا من عمر ، كما أوضح

---

(١) الجرح والتعديل (١ : ١ : ١٨) ، pApyri (2:31)
(٢) المحدث الفاصل (٣٥ ب) .
(٣) الموطأ (رواية الشيباني) ، (٣٨٩) .
(٤) دراسة في أدب المخطوطات العربية ، ج٢ طبعة شيكاغو ، لعام (١٩٦٧)
(٥) pApyri (2 : 26 - 32)

ذلك ابن سعد (١) ومعنى هذا التعديل المقترح أنها استنتجت أن عمر بن العزيز قد طلب من أبى بكر أن يرسل له أحاديث عمرة بنت عبد الرحمن فقط .

ولو قبلنا نظرية « عبود » يثار سؤال عن عدم ذكر اسم قاسم بن محمد فى هذه الرواية الخاصة ، فى حين أن الروايات الأخرى بما فيها رواية أبي حاتم الرازى (والتى نقلت فيها أيضا عبود) (٢) أعطت الإسمين معاً(٣) وكيف نفسر رواية الدارمي (٤) . الذى أعطى اسم عمر ؟ هل سنعدلها أيضا طبقا لرواية ابن سعد .

وغنى عن البيان أنه لا يوجد سببا صحيحا للشك فى صدق الرواية السابقة لأن اسم عمر ببساطة شديدة وجد فى هذه الرواية . وفى الواقع أن كلا العبارتين « حديث عمر » « أحاديث الصحابة الآخرين » لهما دلالة هامة للغاية لأنهما يبينان أن الخليفة عمر الثانى لم يطلب من أبى بكر أن يجمع أحاديث النبى ﷺ أو أقواله أو أفعاله فحسب ، بل طلب أيضا أقوال وسنن الصحابة الآخرين .

ولكى نفسر الرواية السابقة يجب أن نضع في اعتبارنا السياسة العامة لعمر فى محاولاته تقنين السنة رسمياً . ويجب أن نضع نصب أعيننا أنه أصدر العديد من التعليمات للعديد من العلماء والمحدثين يطلب منهم جمع السنة .

---

(١) pApyri (2 : 29 - 30)

(٢) (2 : 30)

(٣) تهذيب التهذيب (١٢ : ٣٩) ، الجرح والتعديل - المقدمة (٢١) الجرح والتعديل (٤ : ٢ : ٣٣٧) .

(٤) سنن الدارمي (١ : ١٢٦) ، وطبعة المدينة (١ : ١٠٤) .

وفي ضوء هذه الحقيقة ، يمكن أن نفترض ولا يجانبنا الصواب أنه أصدر قرارين (لها أمرا واحداً) ليحصل على الأحاديث من الخاصة بعمر بن الخطاب و قاسم وعمرة ، وفى الخطاب الثانى طلب أحاديث عمر بن الخطاب . وفى روايات أخرى عن رسالة عمر بن العزيز أشار بعض العلماء إلى الكتاب الأول ، بينما ذكر الآخرون الخطاب الثانى فقط .

والافتراض بأن الخطاب الأول الخاص بأحاديث عمرة وقاسم والذى كان مختلفا عن التعليمات التى صدرت بجمع أحاديث النبى ﷺ وأحاديث عمر يمكن إقامة الدليل عليه قد وجد فى سنن الدارمي ، ويقول الحديث : « دون لى الأحاديث الصحيحة عن رسول الله وعن عمر لأننى أخشى إنقراض العلماء واندثار العلم » [١] .

ونلاحظ أنه فى حين ذكر أحاديث عمر صراحة فى هذه الرواية ، فمن جانب آخر لا توجد أى إشارة لأحاديث عمرة وقاسم . وعليه فمن الواضح أن إسم عمر فى هذا الحديث (كما فى رواية الشيباني) صادق تماماً ، ولا يحتاج إلى عملية الإحلال والتبديل التى ادعتها « عبود » .

وعلى الرغم من ذلك فالسؤال الذى يطرح نفسه : لماذا ذكر اسمى عمرة وقاسم تحديدا فى الروايتين المذكورتين فيما سبق ؟ والإجابة عن هذا بسيطـة . فمن المعروف تماما أن كلا من قاسم [٢] وعمرة [٣] كانا يعتبرا من الرواة الصادقين للحديث وفضلا عن هذا ، فقد تعلما الحديث من معلمة معروفة وهى عائشة [٤] ، ففى حين تربت عمرة بعد وفاة أبيها فى كنف

---

(١) سنن الدارمي (١ : ١٢٦) ، وطبعة المدينة (١ : ١٠٤) .

(٢) تذكرة الحفاظ (١ : ٩١) ، وتهذيب التهذيب (٨ : ٣٣٤) .

(٣) تهذيب التهذيب (١٢ : ٤٣٩) .

(٤) تهذيب التهذيب (٨ : ٣٣٤) ، تذكرة الحفاظ (١ : ٩١) .

خالتها عائشة ، فقد وجدتها فرصة عظيمة لتستفيد من معرفتها بالحديث ، وبدافع من حبها للسنة ، ارتبطت بعائشة ، واكتسبت الكثير من معرفتها بالحديث ، وخاصة لأنها كانت معروفة بأنها كانت من أفضل الثقات الذين نقلوا عن عائشة [١] .

وكان قاسم أيضا يعد من أفضل رواة الأحاديث الخاصة بعائشة [٢] . وأكثر من هذا ، فلأن عمرة كانت تربطها علاقة قرابة بأبي بكر [٣] بإعتبارها خالته [٤] فقد كان من السهل التقرب إليها بغرض تسجيل أحاديثها .

ولأن أبا بكر بن حزم كان يعتبر أيضا من العلماء البارزين فى المدينة[٥] فقد قام عمر بن عبد العزيز بالإتصال به شخصيا قبل أن يصبح خليفة للمسلمين ، فقد قابله ، وعقد معه المناظرات بخصوص القضايا العقائدية منذ وقت بعيد . ولهذا بعد أن أصبح خليفة ، اختار هذا العالم الموهوب ، والقاضى الكفء ليدون له السنة والأحاديث الموجودة فى المدينة فى ذلك الوقت .

أما بخصوص محصلة رسالته ، فقد رأينا أن المهمة التى وكل بها أبو بكر قد تم إنجازها [٦] ، ولكن قبل أن يرسل هذه الكتب التى أعدها ، ، توفى الخليفة [٧] .

---

(١) تهذيب التهذيب (٨ : ٣٣٤) ، و (١٢ : ٤٣٩) ، تهذيب الأسماء واللغات (١ : ٢ : ٥٥) .

(٢) تهذيب التهذيب (٨ : ٣٣٤) ، تهذيب الأسماء واللغات (١ : ٢ : ٥٥)

(٣) pApyri (2 : 29)

(٤) تهذيب التهذيب (١٢ : ٣٨) .

(٥) تهذيب التهذيب (١٢ : ٣٩) .

(٦) تنوير الحوالك (١ : ٤) .

(٧) تنوير الحوالك (١ : ٤) .

ولسوء الطالع فإن مجموعة أبى بكر بن حزم لم تعمر طويلا ويقول عبد الله بن أبى بكر بن محمد ...إن هذه المجموعة ضاعت [1] وهذه العبارة الأخيره لعبد الله بن أبي بكر تبين بوضوح أن مهمة جمع الأحاديث قد تم انجازها ، على الرغم من أن هذه الكتب [2] (التي كانت تحتوي على الأحاديث) لم ترسل إلى الخليفة .

٥٢ - ثابت البناني (المتوفى سنة .١٢ هـ / سنة ١٢٣ هـ / سنة ١٢٨ هـ) :

كان من الطلاب المتنورين في الحديث الذين اصطحبوا معلمهم أنس بن مالك لمدة أربعين عاماً [3] . وبعض الأحاديث التي رواها من أنس وجدت في الصحيحين والمجموعات الكبرى من الحديث [4] .

وكان ثابت من المؤيدين لكتابة وتدوين الحديث ، واعتاد أن يعقد جلسات منظمة لتدريسه . ويقال إنه في إحدى الجلسات روى تسعين حديثاً [5] . ويروى أن جعفر بن سليمان قد دون منه الحديث [6] . ونقل حماد بن سلمه منه أيضا مجموعة من الأحاديث تصل إلى مائتين وخمسين حديثاً [7] .

---

(١) تهذيب التهذيب (١٢ : ٣٩) .

(٢) تهذيب التهذيب (١٢ : ٣٩) .

(٣) مشاهير علماء الأمصار (٨٩) ، الترجمة (.٦٥) ، حلية الأولياء (٢ : ٣٢٧) .

(٤) حلية الأولياء (٢ : ٣٢٩ - ٣٣١) . مسند الإمام أحمد (١ : ٢٩٥ - ٢٩٦) .

(٥) حلية الأولياء (٧ : ٣١٣) .

(٦) تهذيب التهذيب (٢ : ٩٦) .

(٧) حلية الأولياء (٧ : ٣١٣) .

وتوفى ثابت عن عمر يتعدى ٨٦ عاماً ، قضى فترة طويلة منها مع أنس ابن مالك (المتوفى سنة ٩١ هـ) .

٥٣ - جواب بن عبيد الله (المتوفى سنة ١٢٢ هـ) :

إحد علماء الكوفة البارزين في الحديث ، وكان مقيما في جرجان [١] ومن بين أئمة الحديث المشاهير الذين نقلوا منه كان أبو حنيفة ، الشيباني ومسعر [٢] .

ويبدو أنه اعتاد أن يملي الأحاديث على طلابه ، ويروى أن سفيان الثوري قد دون بعض الأحاديث من مجموعته المنقولة ولكنه لم يقرأها عليه [٣] .

٥٤ - زيد بن علي (المتوفى سنة ١٢٢ هـ) :

يقال أن زيد أو الإمام الزيدي قد جمع الأحاديث في كتاب عرف باسم « المجموع في الحديث » [٤] ، وكان يحتوي على فصول من السير ، أو القانون [٥] الدولي ، ونقله عمرو بن خالد القرشي [٦] .

ولقد رأى د . حميد الله مخطوطة هذا الكتاب ودرسها سنة ١٩٤٦ في صنعاء في اليمن . ويبدو أنه اعتبرها صادقة ولهذا يعلق قائلا : « إن أول

---

(١) مشاهير علماء الأمصار (١٩٩) ، الترجمة (١٥٩٧) .

(٢) تهذيب التهذيب (٢ : ١٢١) ، ومشاهير على الأمصار . الترجمة السابقة .

(٣) مقدمة الجرح والتعديل (٨٠ - ٨١) ، الجرح والتعديل (١ : ١ : ٥٣٦) ميزان الاعتدال (١ : ٤٢٦) ، الترجمة رقم (١٥٨٩) .

(٤) ذكرت أيضاً كنسخة ، انظر تهذيب التهذيب (٨ : ٢٦) .

(٥) Conduct (25 - 26)

(٦) تهذيب التهذيب (٨ : ٢٦) .

مجموعة مكتوبة من الحديث لم يؤرخ لها البخاري ولا حتى الإمام مالك ، ولكن هماماً فعل ذلك ، إذا استبعدنا كتاب المجموع في الحديث لزيد بن علي [(١)] .

وعلى الرغم من هذا ، وجدنا أن « برجتراسر » يشكك في صدقه [(٢)] .

٥٥ - سماك بن الوليد (المتوفى سنة ١٢٣ هـ) :

سماك بن الوليد الحنفي ، أبو زميل ، كان أحد علماء الحديث البارزين في اليمن ، نقل الأحاديث من ابن عباس ، وابن عمر ، وعروة بن الزبير وآخرين [(٣)] . ويجمع العلماء على أنه من الثقات [(٤)] .

وعندما زار البصرة وروى الأحاديث هناك ، دون عنه أهل العراق بعض الأحاديث [(٥)] .

٥٦ - محمد بن زياد القرشي (المتوفى سنة ١٢٤ هـ) :

كان عالماً بارزاً في الحديث في المدينة ، ونقل الأحاديث عن عائشة ، وأبي هريرة ، وابن عمر ، وعبد الله بن الزبير وآخرين [(٦)] .

وكان من المؤيدين لتدوين الأحاديث . وكانت واحدة من مجموعته المدونة

---

(١) مقال محمد حميد الله عن التدوين المبكر للحديث في مجلة Ghe islamic Review May 1949 , PP : 24 - 25 .

(٢) Omj (262) .

(٣) تهذيب التهذيب (٤ : ٢٣٥) .

(٤) تهذيب التهذيب (٤ : ٢٣٥ - ٢٣٦) .

(٥) مشاهير علماء الأمصار ، ص (١٢٣) ، الترجمة رقم (٩٦٢) .

(٦) تهذيب التهذيب (٩ : ١٦٩) .

من الأحاديث (نسخه) ملكا لأحد تلاميذه ، المسمّى ابراهيم بن طهمان (١) .

٥٧ - إبراهيم بن مسلم الهجري (المتوفى سنة ١٢٥ هـ) :

نقل الحديث من عبد الله بن أبي وفاء ، وأبي الأحوص وآخرين (٢) وكان يملك مجموعات عديدة من الأحاديث ، رآها ابن عيينة عندما زار ابراهيم . ويبدو من رأي ابن عيينة في هذه المجموعات (٣) أن ابراهيم اعتاد أن يسجل أحاديث كل راوٍ على حدة في كتاب مستقل .

٥٨ - يزيد بن أبي حبيب (المتوفى سنة ١٢٨ هـ) :

أحد علماء الحديث المصريين ، وقد تلقى الأحاديث بشكل مكتوب من الزهري (٤) ، وعطاء بن رياح (٥) . وكانت له مجموعة كبيرة من الأحاديث يتناقلها العلماء في ذلك الوقت (٦) ومعها أيضاً مخطوطاته . ومن بين تلاميذه كان الليث بن سعد الذي كون مجموعة مكتوبة من الأحاديث عنه (٧) .

---

(١) معرفة علوم الحديث للحاكم (١٦٤) .

(٢) تهذيب التهذيب (١ : ١٦٤) .

(٣) تهذيب التهذيب (١ : ١٦٥ - ١٦٦) ، وميزان الاعتدال (١ : ٦٦) ، الترجمة (٢١٦) .

(٤) صحيح البخاري (٣ : ٤٧٨) ، في كتاب الطلاق ، وتهذيب التهذيب (٩: ٤٤٧) .

(٥) صحيح البخاري (٢ : ٤٣) في كتاب البيوع ، و(٣ : ٢٤٠) في التفسير .

(٦) Papyri (2 : 18) .

(٧) تهذيب التهذيب (٣ : ١١٠) ، ميزان الاعتدال (١ : ٦٣٦) ، الترجمة رقم (٢٤٤٧) ، حيث أطلق لفظ النسخة على المجموعة .

ويقال أن سمعته التي ملأت الآفاق جذبت عالماً شهير مثل ابن اسحاق ليأتي إلى مصر [١] .

٥٩ - يعلى بن حكيم (المتوفى قبل سنة ١٣٠ هـ) :

نقل الأحاديث من سعيد بن جبير وعكرمه ، وسليمان بن يسار وآخرين . ومنه نقل يحيى بن أي كثير ، وسعيد بن أبي عروبة ، وأيوب السختياني وآخرين [٢] .

وكان المحدث أيوب صديقا له ، وأرسل له بعض الأحاديث بشكل مكتوب [٣] .

٦٠ - أبو الزناد (المتوفى سنة ١٣٠ هـ) :

عبد الله بن ذكوان أبو الزناد ، كان عالماً بارزا في الحديث ، ومشرعا للمدينة [٤] عُرف باسم « أمير المؤمنين في الحديث » [٥] .

وعلى الرغم من أنه ظل ملتحقا بالبلاط الأموي [٦] ، شاغلا وظائف إدارية متعددة ، إلا أن اهتماماته الأكاديمية لم تتأثر بذلك .

واعتاد أن يعقد حلقات لدراسة الحديث ، وكان يحضرها جمهور كبير . وكان عدد جمهور الحاضرين لهذه الحلقات يصل إلى ثلاث مئة [٧] . وكان

---

(١) الجرح والتعديل (٤ : ٢ : ٢٦٧) .

(٢) تهذيب التهذيب (١١ : ٤٠١) .

(٣) صحيح مسلم (٣ : ٢١) في كتاب البيوع .

(٤) تهذيب الأسماء واللغات (١ : ٢ : ٢٣٣) .

(٥) تهذيب الأسماء واللغات (١ : ٢ : ٢٣٣) .

(٦) جامع بيان العلم (١ : ٧٣ ، ٧٦) .

(٧) Papyri (2 : 48) .

مهتما بالأحاديث التشريعية بصفة خاصة . ولهذا فهو لا يشبه الزهري الذي اعتاد أن يسجل أنواع الحديث ، أما أبو الزناد فقد جمع تلك الأحاديث المتعلقة بالمسائل الفقهية والأحكام (الحلال والحرام) [١] .

ولأنه اعتاد أن ينقل الأحاديث من الأعرج (المتوفى سنة ١١٧ هـ) [٢] بصفة أساسية ولهذا عرف بكاتب وراوي الأعرج . أما أحاديثه الخاصة فقد نقلها أبو اليمان الحكم بن نافع الذي يقال إنه امتلك مجموعة ضخمة من الأحاديث بشكل مكتوب [٣] .

وامتلك كتاباً محتويا على الأحاديث التي رواها الأعرج [٤] ، ونقلها ابنه عبد الرحمن (المتوفى سنة ١٧٤ هـ) [٥] .

* * *

تمت بحمد الله

---

(١) جامع بيان العلم (١ : ٧٣) .

(٢) تذكرة الحفاظ (١ : ١٢٧) ، تهذيب التهذيب (٥ : ٢٠٣) ، Papyri (2 : 139)

(٣) الكفاية (٣٢١) .

(٤) الإملاء (١٧٣) ، تهذيب التهذيب (٦ : ١٧٢) ، تاريخ بغداد (١٠ : ٢٣٠) مشاهير علماء الأمصار (١٣٥) ، الترجمة (١٠٢٦) .

(٥) تهذيب التهذيب (٦ : ١٧٢) ، تاريخ بغداد (١٠ : ٢٣٠) ، الإملاء (١٧٣) ، المحدث الفاصل (٧٧ ب) .

المحتوى

١ - قائمة مختصرات أسماء المراجع الأجنبية المذكورة في الحواشي .

٢ - مسرد المصادر العربية التي اعتمد عليها المؤلف وتاريخ طبعاتها التي جرى العزو إليها .

٣ - المراجع الأجنبية .

٤ - فهرس فصول وموضوعات وفقرات الكتاب .

٥ - نبذة عن مؤلف الكتاب .

١ - قائمة مختصرات أسماء المراجع المذكورة فى الحواشي

Arabic Script : Nabia abbott, The Rise of the North Arabic ScRipt ....

Arabs in History: Lewis, The Arabs in Histoty .

Asiatique: Journal asiatique .

Au thenticity: Juynboll, The Au thenticity of the Tradition Literature .

BsoAs: Bulletin of the School of Oriental and African Studies .

Conduct : Hamidullah, The Muslim Conduct of State .

Creed: Wensinck, The Muslim Creed .

Customary Law: Elias, T. Olwale. The Nature of African Customary law .

Dictionary of Islam: Hughes, A Dictionary of Islam .

Early Islam: Bravmann, The Spiritual Background of early Islam .

EI (New): Encyclopaedia of Islam (New Edition) .

Ency . Br . : Encyclopaedia Brittanica .

Formative Period: Watt, The Formative Period of Islamic Thought .

GAL: Brockelmann, Geschichte der arabischen Litteratur .

GAL (s): Brockelmann, Supplement, Geschichte der arabischen Litteratur .

Historical Sources: Muir, " Value of Early Mahometan Historical Sources " .

Historiography: Rosenthal, Franz; History of Muslim Historiography .

IC: Islamic Culture .

Indian Literautre: Winternitz, History of Indian Literature .

Integration: Watt, Islam and the Integration of Society .

Intellectual: Watt, Muslim Intellectual .

IQ: Islamic Quarterly .

Islamic Jurisprudence: Majid Khadduri, Islamic Jurisprudence.

Islamic Law: Schacht, An Introduction to Islamic Law .

JAos: Journal of the American Oriental Sociaty .

JASB: Journal of the Asiatic Society of Bengal .

Jewish Foundation: Torrey, The Jewish Foundation of IsLam .

JNES: Journal of Near Eastern Studies .

Learned Tradition: Ghurye, Preservation of Learned Tradition in India .

Lexicon: Lane, E.W.; An Arabic-English Lexicon .

Literary History: Nicholson, A Licerary History of the Arabs .

Mahomet: Muir, The Life of Mahomet .
Manuscript Gerhardsson, Birger; Memory and Manuscript .
Mecca: Watt, Muhammad at Mecca .
Medina: Watt, Muhammed at Medina .
Med. Islam: Grunebaum, Medieval Islam .
Methodology: Fazlur Rahman, Islamic Methodolopy in History
Mahommed: Margoliouth, Mohammed .
Mohammedanism: Gibb, Mohammedanism .
Mohammedanism (Mar.): Margoliouth, Mohammedanism .
Mst: Goldziher, Muhammedanische Studien and Stern (trans . and ed .) Muslim Studies .
Muslim Ethics: Donaldson, Studies in Muslim Eithic .
Muslim Scholarship: Rosenthal, Franz; The Technioue and approach of Muslim Scholarship .
Muslim Theology: Macdonald, Development of Muslim Theology, Jurisprudene and Constitutional Theory .
OMJ: Schacht, J., The Origins of Muhammadan Jurisprudence
" Origin of writing ... ": Sprenger, " On the Origin and Progress of Writing Down Historical Facts among the Musalmans " .
Papyri: Nabia Abbott, Studies in Arabic Literary Papyri .
Reader: Jeffery (ed .), A Reader on Islam .
Renaissance: Mez, Renaissance of Islam (English Translation) .
Rise of Islam: Margoliouth, Muhammad and the Rise of Islam .
Selected works: Schacht & Bousquet (eds .), Selected works of Snouck Hurgronje .
Sira (Guil .): Guillaume (Tr.), Life of Muhammad .
Siyasi Zindigi: Hamidullah, Rasul Akram Siyasi Zindigi .
Social Structure: Levy, Reuben; The Social Structure of Islam .
Statesman: Watt, Muhammad, Prophet and Statesman .
Stone Age: Albright, From the Stone Age to christianity .
Traditions: Guillaume, The Traditions of Islam .
Two Muqaddimas: Jeffery (ed .), Two Muqaddimas to the Qur'anic Soiences .
War and Peace: Majid Khadduri, Law of war and Peace in Islam .

٢ - مسرد المصادر العربية التي اعتمد عليها المؤلف وتاريخ طبعاتها

حمادة عباس : السنة النبوية ومكانتها في التشريع القاهرة ١٣٨٤ / ١٩٦٥ .

الطيب عبد الله : الحماسة الصغرى . لندن ١٩٦٤ م .

شاه عبد العزيز : بستان المحدثين . دلهي ١٨٩٨ م

: العجالة النافعة . دلهي ١٢٥٥ هـ .

محمد فؤاد عبد الباقي : اللؤلؤ والمرجان فيما اتفق عليه الشيخان . القاهرة (١٣٦٨ / ١٩٤٩) .

عبد الرسول عبد النبي : دستور العلماء (٤ أجزاء) . حيدر آباد (١٣٢٩) هـ .

علي حسن عبد القادر : نظرات عامة في تاريخ الفقه الإسلامي . الطبعة الثانية . القاهرة ١٩٦٧ م .

مصطفى عبد الرازق : تمهيد لتاريخ الفلسفة الإسلامية . الطبعة الثانية ، القاهرة ١٩٥٩ .

عبد الرزاق : الصنعاني : المصنف . طبعة حبيب الرحمن الأعظمي (١١) جزءاً . بيروت ١٣٩٠ / ١٩٧٠ - ١٣٩٢ / ١٩٧٢ .

أبو داود : سنن أبي داود . طبعة محمد محي الدين عبد الحميد (٤) أجزاء ، الطبعة الثانية - القاهرة ١٣٦٩ / ١٩٥٠ - ١٣٧٠ - ١٩٥١ .

أبو الفرج الأصفهاني : كتاب الأغاني (٢٠) جزءاً . القاهرة . بولاق ١٢٥٨ / ١٨٦٨ : كتاب الأغاني (٢١) جزءاً طبعة رودلف في ليْدن ١٨٨٨ .

اسماعيل أبو الفدا : المختصر في أخبار البشر (٤) جزء ، طبعة كونستا نتينوبل ، (١٢٨٦) هـ .

أبو حنيفة : المسند . طبعة حسن سعد . كراتشي ١٣٧٥ .

أبو خيثمة زهير بن حرب : كتاب العلم في مكتبة تشستر بيتي في ايرلندة (مخطوط) رقمه (٣٤٩١) .

أبو نعيم أحمد بن عبد الله الأصبهاني : كتاب ذكر أخبار أصبهان . طبعة
Seven Dedering , in Leiden 1931 - 1934 2 volumes
: حلية الأولياء وطبقات الأصفياء (١٠)
أجزاء ، القاهرة ١٣٥١ / ١٩٣٢ -
١٣٥٧ / ١٩٣٨ .
أبو رية محمود : أضواء على السنة المحمدية . القاهرة ١٣٧٧ / ١٩٥٨ .
: شيخ المضيرة = أبو هريرة الدوسي . الطبعة الثانية - القاهرة
١٩٦٤ .
أبو عبيد القاسم بن سلام : كتاب الأموال . طبعة محمد حامد الفقي . القاهرة
١٣٥٣ / ١٩٣٤ .
أبو عوانة يعقوب بن إسحق : المسند (٢) جزء . حيدر آباد ١٣٦٢-١٣٦٣ هـ .
أبو يوسف يعقوب بن إبراهيم : كتاب الآثار . طبعة الشيخ أبي الوفا الأفغاني .
القاهرة ١٣٥٥ / ١٩٣٧ .
: اختلاف أبي حنيفة وابن أبي ليلى . طبعة الشيخ
أبي الوفا الأفغاني القاهرة ١٣٥٧ / ١٩٣٨ .
: الرد على سير الأوزاعي . طبعها الشيخ أبو الوفا
الأفغاني . القاهرة (١٣٥٧) .
أبو زهرة : المذاهب الإسلامية . ترجمها غلام أحمد الحريري تحت عنوان
Islamic Madhahib . وطبع في باكستان (١٩٧٠) .
أبو زهو : الحديث والمحدثون . القاهرة ١٣٧٨ / ١٩٥٨ .
أحمد أمين : ضحى الإسلام . الطبعة السادسة ، القاهرة ١٩٦١ .
: فجر الإسلام . الطبعة الثامنة ، القاهرة ١٣٨٠ / ١٩٦١ .
: ظهر الإسلام . الطبعة الثالثة ، القاهرة ١٩٤٢ .
أحمد الاسكندراني وزملاءه : المنتخب في أدب العرب (٤) أجزاء . القاهرة
١٩٤٥ - ١٩٥٠ .

أحمد زكي صفوت : جمهرة رسائل العرب في العصور العربية الزاهرة . الجزء الأول العصر الجاهلي ، وعصر صدر الإسلام . ١٣٥٦ / ١٩٣٧ .
عجاج الخطيب ، محمد : أبو هريرة راوية الإسلام . القاهرة ١٩٦٢ .
السنة قبل التدوين . القاهرة ١٣٨٣ / ١٩٦٣\ .
الآمدي ، سيف الدين : كتاب الإحكام في أصول الأحكام . طبعة كرنكو في القاهرة (١٣٥٤) .
الأنباري ، محمد بن بشار : كتاب الأضداد . طبعة ابريل ١٨٨١ م .
الأشعري ، أبو الحسن : مقالات الإسلاميين . محمد محي الدين عبد الحميد جزءآن القاهرة ١٣٦٩ / ١٩٥٠ - ١٣٧٣/ ١٩٥٤ .
الأصمعي ، أبو سعيد عبد المالك : الأصمعيات . برلين (١٩٠٢) .
العيني ، محمود بن أحمد : عمدة القاري لشرح صحيح البخاري (١١) جزء استانبول (١٣٠٨) هـ .
الأزرقي : أخبار مكة ، وما جاء فيها من الآثار ، طبعة رشدي الصالح ، جزءآن . مكة (٣٥٢ أ) .
بدر غلام محمد : ترجمان السنة (٣) أجزاء . دلهي ١٣٦٧ / ١٩٤٨ - ١٣٧٦ / ١٩٥٦ .
النبوي ، حسين بن مسعود : مصابيح السنة جزآن . القاهرة بدون تاريخ .
البلاذري ، أحمد بن يحيى : أنساب الأشراف ، الجزء الأول ، طبعة دكتور حميد الله . القاهرة (١٩٥٩) .
: فتوح البلدان . طبعة رضوان محمد رضوان . القاهرة . ١٣٥٠ / ١٩٣٢ .
: فتوح البلدان . طبعة (M . J . De Goeje) ليدن (١٨٦٦) .
البركي ، أحمد : تاريخ الكوفة . النجف ١٣٧٩ / ١٩٦٠ .
البطليوس : الاقتضاب في شرح أدب الكتاب . بيروت (١٩٠١)

البيضاوي : أنوار التنزيل وأسرار التأويل ، جزآن . القاهرة بدون تاريخ .
البيهقي : كتاب السنن الكبرى (١٠) أجزاء . حيدر آباد ١٣٤٤ / ١٩٢٥ - ١٣٥٦ / ١٩٧٧
البخاري ، محمد بن إسماعيل : الأدب المفرد ، نقله خليل الرحمن ، كراتشي (١٩٦١)
: الجامع الصحيح ، طبعة . M . Ludolf) Krehl) وزملاءه ، (٤) أجزاء ليدن ، بريل ١٩٦٢ / ١٩٠٨
دائرة المعارف : مباحث علمية ، حيدر آباد (١٩٣٩) .
الدارقطني ، علي بن عمر : سنن الدارقطني . دلهي (١٣١٠) هـ
الدارمي ، أبو محمد عبد الله بن عبد الرحمن : سنن ، جزآن ، دمشق (١٣٤٩)
: سنن ، طبعة عبد الله هاشم يماني المدينة . ١٣٨٦ / ١٩٦٦
الذهبي ، محمد بن أحمد : الأمصار ذوات الآثار ، مطبوع مع الاعلان بالتوبيخ لمن ذم التاريخ للسخاوي القاهرة (١٣٤٩)
: دول الإسلام ، جزءآن ، حيدر آباد ١٣٦٤/ ١٣٦٥
: العبر في خبر من غبر ، طبعة فؤاد سيد وزملاؤه ، الكويت (١٩٦١)
: ميزان الاعتدال في نقد الرجال ، طبعة علي محمد البجاوي ، (٤) أجزاء ، القاهرة (١٩٦٣) .
: سير أعلام النبلاء ، طبعة صلاح الدين المنجد وغيره (٣) أجزاء ، القاهرة (١٩٥٦)
: تذكرة الحفاظ (٤) أجزاء ، حيدر آباد (١٣٣٣ - ١٣٣٤)
: تاريخ الإسلام وطبقات المشاهير والأعلام (٦) أجزاء . القاهرة (١٩٤٨ - ١٩٥٠)

الدينوري ، أبو حنيفة : الأخبار الطوال ، طبعة عبد المنعم أمير ، القاهرة (١٩٦.)

الدولابي ، محمد بن احمد : الكنى والأسماء . جزءان ، حيدر آباد (١٣٢٢)

فيروز أبادي ، مجد الدين محمد بن يعقوب : القاموس المحيط . القاهرة ١٣٧١ - ١٩٥٢

الفيومي احمد بن محمد : المصباح المنيو . طبعة مصطفى السقا ، جزءان القاهرة ١٣٦٩

الغزالي ، أبو حامد : إحياء علوم الدين (٤) أجزاء ، القاهرة ١٣٤٨/ ١٩٢٩

: المستصفى من علم الأصول ، جزءان ، بغداد ١٩٧.

حاجي خليفة ، مصطفى بن عبد الله : كشف الظنون عن أسامى الكتب والفنون. جزءان ، استانبول ١٣٦. / ١٩٤١ - ١٣٦٢ / ١٩٤٣

الحاكم ، محمد بن عبد الله : المدخل الي معرفة الإكليل ، طبعة (Robson) في لندن ١٣٧٢ / ١٩٥٣

: معرفة علوم الحديث ، طبعة معظم ، حسين ، القاهرة (١٩٣٧)

: المستدرك علي الصحيحين ، (٤) أجزاء ، حيدر آباد ١٣٣٤ / ١٩١٥ - ١٣٤٢ - ١٩٢٣

حميد الله ، محمد : مجموعات الوثائق السياسية للعهد النبوى ، والخلافة الراشدة الطبعة الثالثة - بيروت ١٣٨٩/ ١٩٦٩

همام بن منبه : صحيفة همام ، طبعة محمد حميد الله ، دمشق ١٣٧٢ / ١٩٦٩

: صحيفة همام ، طبعة محمد حميد الله ، باريس ١٣٨. / ١٩٦١

حسن صديق خان : أبجد العلوم بهوبال (١٢٩٦) هـ

حسان بن ثابت : ديوان ، طبعة (H.Hirschfeld) ، لندن (١٩١٠)

الهيثمي ، علي بن أبي بكر : مجمع الزوائد ، ومنبع الفوائد (١٠) أجزاء ، مكتبة القدسي (١٣٥٢) هـ .

الحازمي ، محمد بن موسى : الاعتبار في الناسخ والمنسوخ في الآثار ، طبعة حلب (١٣٤٦) هـ

الهندي ، علي المتقي : كنز العمال (٨) أجزاء ، حيدر آباد (١٣١٢-١٣١٤) هـ

الحميدي ، عبد الله بن الزبير : مسند ، طبعة حبيب الرحمن الأعظمي ، جزءان كراتشي ١٩٦٣

ابن عبد البر ، يوسف بن عبد الله : الاستيعاب في معرفة الأصحاب (٤) أجزاء حيدر آباد (١٣٢٨)

: جامع بيان العلم وفضله ، جزءان ، القاهرة، بدون تاريخ

ابن عبد الحكم ، أبو القاسم عبد الرحمن : فتوح مصر وأخبارها ، ليدن (١٩٢٢)

ابن عبد ربه : العقد الفريد طبعة محمد سعيد العريان (٨) أجزاء ، القاهرة ١٣٥٩ / ١٩٤٠

ابن أبي عون : كتاب التشبيهات ، طبعة عبد المعيد خان ، كامبردج (١٩٥٠)

ابن أبي شيبة : مسند ، طبعة محمد أمين عز الدين ، بيروت ١٣٥٩ / ١٩٤٠

ابن عابدين : رد المحتار على الدر المختار شرح تنوير الأبصار ، الطبعة الثالثة ، القاهرة (١٣٢٣)

ابن عساكر : تاريخ مدينة دمشق ، طبع بتحقيق صلاح الدين المنجد ، وغيره ، دمشق (١٩٥١)

: التاريخ الكبير تهذيب عبد القادر بدران ، دمشق ١٣٢٩ / ١٩١١

ابن الأثير ، على بن محمد : أسد الغابة في معرفة الصحابة (٥) أجزاء ، القاهرة (١٢٨٥ - ١٢٨٧) هـ

ابن الاثير ، مبارك بن محمد : النهاية في غريب الحديث والأثر (٤) أجزاء ، القاهرة (١٣١٨)

ابن بكار ، زبير : جمهرة نسب قريش واخبارها ، طبعة محمود محمد شاكر ، القاهرة (١٣٨١)

ابن دريد ، إبو بكر محمد بن الحسن : جمهرة اللغة (٣) أجزاء ، حيدر آباد (١٣٤٤ - ١٣٥١)

ابن فرحون ، ابراهيم بن على : الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب القاهرة (١٣٢٩)

ابن فارس ، ابو الحسن احمد : معجم مقاييس اللغة ، طبعة عبد السلام هارون (٦) أجزاء ، القاهرة (١٣٦٦ - ١٣٧١)

ابن فورك : كتاب شكل الحديث وبيانه ، حيدر آباد ١٣٦٢

ابن حبيب ، محمد : كتاب المحبر ، طبعة (Dr. Eliza) ، حيدر آباد (١٣٦١ / ١٩٤٢)

ابن حجر العسقلاني : بلوغ المرام من جامع ادلة الاحكام ، القاهرة (١٣٥١)

: الدرر الكامنة (٤) أجزاء ، حيدر آباد (١٣٤٨ - ١٣٥٠)

: فتح الباري بشرح صحيح البخاري (٢٠) جزء ، القاهرة (١٩٥٩)

: هدى السارى مقدمة فتح البارى جزءان ، القاهرة (١٣٨٣ / ١٩٦٤)

: الإصابة في تمييز الصحابة (٤) أجزاء ، حيدر آباد (١٣٢٨)

: لسان الميزان ، حيدر آباد (١٣٢٩)

: تهذيب التهذيب ، حيدر آباد (١٣٢٥-١٣٢٧)
: تعجيل المنفعة بزوائد رجال الائمة الاربعة ، حيدر آباد (١٣٢٤)
: تقريب التهذيب ، طبعة عبد الوهاب عبد اللطيف ، جزءان ، القاهرة (١٣٨٠/١٩٦٠)

ابن حنبل احمد بن محمد : العلل ومعرفة الرجال ، أنقره (١٩٦٣)
: المسند (٦) أجزاء ، القاهرة (١٣١٣)
: المسند ، طبعة احمد محمد شاكر (١٥) جزء ، القاهرة (١٣٦٨ / ١٩٤٩).

ابن حزم : الإحكام في اصول الأحكام (٨) أجزاء ، القاهرة (١٩٢٦ / ١٩٢٨)
: جوامع السيرة ، طبعة ناصر الدين الاسد ، القاهرة (١٩٥٦)
: الملل والنحل (٥) أجزاء ، القاهرة ١٣٢١

ابن حبان ، محمد البستي : مشاهير علماء الأمصار ، القاهرة (١٣٧٩ / ١٩٥٩)
: صحيح ابن حبان ، الجزء الأول ، طبعة احمد شاكر ، القاهرة (١٣٧٢ / ١٩٥٢)

ابن هشام : سيرة سيدنا محمد رسول الله
Ed. F . Wustenfeld under the
title Das leben Muhammsd's
Nach Muhmmed Ibn Ishak .
Gottingen : 1859 - 1860 . A - D .

ابن عماد عبد الحي : شذرات الذهب في أخبار من ذهب (٨) أجزاء القاهرة (١٣٥٠ - ١٣٥١)

ابن جماعة ، سعد الله : تذكرة السامع والمتكلم في ادب العالم والمتعلم طبعة محمد هاشم الندوي ، حيدر آباد (١٣٥٣)

ابن الجوزي ، جمال الدين ابو الفرج : صفوة الصفوة (٤) أجزاء ، حيدر آباد ، (١٣٥٥ - ١٣٥٧)

: سيرة عمر بن عبد العزيز ، طبعة محب الدين الخطيب ، القاهرة (١٣٣١)

: تلقيح فهوم أهل الأثر ، طبعة محمد يوسف ، دلهي .

ابن الجزرى ، شمس الدين محمد : غاية النهاية في طبقات القراء ، جزءان ، طبعة Gotthelf Bergatrasser القاهرة . (١٩٣٣)

ابن الكلبي ، هشام بن محمد بن السائب : كتاب الاصنام ، طبعة آحمد زكى باشا ، الثانية (١٣٤٣ / ١٩٢٤)

ابن كثير ، اسماعيل بن عمر : الباعث الحثيث ، شرح اختصار علوم الحديث ، طبعة شاكر في القاهرة ، بدون تاريخ

: البداية والنهاية (١٤) جزء ، القاهرة (١٣٥١ - ١٣٥٨)

ابن خلدون ، عبد الرحمن : مقدمة ، الطبعة الثالثة ، بيروت (١٩٠٠)

ابن خلكان ، احمد بن محمد : وفيات الاعيان وانباء ابناء الزمان ، طبعة محمد عبد الحميد ، (٦) أجزاء ، القاهرة (١٣٦٧ / ١٩٤٨)

: وفيات الاعيان ، جزءان ، القاهرة (١٣١٠)

ابن الخياط ، خليفة : كتاب الطبقات ، جزءان ، طبعة سهيل زكار ، دمشق (١٩٦٦)

ابن ماجه ، محمد بن يزيد : سنن المصطفى ، القاهرة (١٣١٣)

ابن منذر ، محمد بن مكرم : لسان العرب (٢٠) جزء ، القاهرة (١٣٠٠ - ١٣٠٧)

ابن مفلح : الاداب الشرعية ، القاهرة (١٣٤٧)

ابن المقفع : رسالة في الصحابة ، طبعة محمد كرد على ، القاهرة (١٣٦٥ . ١٩٤٦)

ابن النديم : الفهرست ، القاهرة ١٣٤٨

ابن القيسراني ، محمد طاهر : كتاب الجمع بين كتابي ابي نصر الكلاباذي و أبي بكر الاصفهانى في رجال البخاري ومسلم ، جزءان ، حيدر آباد (١٣٢٣)

ابن قيم الجوزية : إعلام الموقعين ، طبعة عبد الرحمن الوكيل ، (٤) أجزاء القاهرة (١٣٨٩ / ١٩٦٩)

: زاد المعاد ، (٤) أجزاء ، الطبعة الثانية ، القاهرة (١٣٦٩ . . ١٩٥)

ابن القطاع : كتاب الافعال ، (٣) أجزاء ، حيدر آباد ، (١٣٦. - ١٣٦٤)

ابن قتيبة ، عبد الله بن مسلم : كتاب المعارف ، القاهرة . . ١٣

: كتاب الشعر والشعراء ، طبعة أحمد محمد شاكر ، جزءان القاهرة (١٣٦٤ - ١٣٦٦)

: تأويل مختلف الحديث ، القاهرة ١٣٢٦

: عيون الأخبار ، القاهرة (١٣٤٣/١٩٢٥)

ابن القوطية : كتاب الأفعال ، طبعة سيد على رتيب على ، القاهرة (١٩٥٢)

ابن سعد ، محمد : كتاب الطبقات الكبير (٩) أجزاء ، طبعة ليدن (١٩.٥ - ١٩٤.)

ابن الصلاح : علوم الحديث ، طبعة الشيخ محمد راغب الطباخ ، حلب . ١٣٥

ابن سيد الناس : عيون الاثر في فنون المغازي والشمائل والسير جزءان ، القاهرة (١٣٥٦)

ابن السكيت ، يعقوب بن إسحاق : كنز الحفاظ في كتاب تهذيب الالفاظ ، طبعة (Le P . Louis cheikho) بيروت (١٨٩٥ - ١٨٩٨)

ابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة ، القاهرة (١٣٤٨ / ١٩٢٩)

ابن تيمية : منهاج السنة النبوية في نقد قول الشيعة والقدرية (٤) أجزاء ، طبعة بولاق (١٣٢١ - ١٣٢٢)

ابن طولون : اعلام السائلين عن كتب سيد المرسلين ، دمشق (١٣٤٨)

ابراهيم ، محمد ابو الفضل وعلى محمد البجاوي : ايام العرب في الاسلام الطبعة الثانية القاهرة (١٣٨١ / ١٩٦١)

ابراهيم مصطفى وزملاءه : المعجم الوسيط ، طبعة عبد السلام هارون ، القاهرة (١٣٨٠ / ١٩٦٠)

اسماعيل باشا : ايضاح المكنون في الذيل على كشف الظنون ، جزءان ، اسطنبول (١٩٤٥ - ١٩٤٧)

الجاحظ ، عمر بن بحر : البيان والتبين ، طبعة عبد السلام هارون (٤) اجزاء ، القاهرة (١٩٤٨ - ١٩٥٠)

: كتاب الحيوان ، طبعة عبد السلام هارون ، القاهرة (١٩٦٥ - ١٩٦٦)

الجهشياري ، محمد بن عبدوس : الوزراء والكتاب ، طبعة مصطفى السقا ، القاهرة (١٣٥٧ / ١٩٣٨)

جواد علي : تاريخ العرب قبل الاسلام ، بغداد (١٣٧٠ / ١٩٥١)

الجوهري ، اسماعيل بن حماد : تاج اللغة ، جزءان ، القاهرة (١٢٩٢)

الجزائري ، طاهر بن صالح بن احمد : توجيه النظر إلى اصول الآثر ، القاهرة (١٣٢٨ / ١٩١٠)

الجرجاني ، شريف على : رسالة في فن اصول الحديث (المطبوعة مع جامع الترمذي) ، جزءان ، الطبعة الثانية ، لكنو (١٣١٠ / ١٨٩٣)

جرجى زيدان : فتاة غسان ، جزءان ، القاهرة (١٨٩٨ / ١٩٠٣)

: تاريخ آداب اللغة العربية ، طبعة الدكتور شوقي ضيف (٤) اجزاء ، القاهرة (١٩٥٧)

الكتاني عبد الحى : التراتيب الادارية ، جزءان ، الرباط (١٣٤٧ - ١٣٤٩)

الخطيب البغدادى ، احمد بن على : الكفاية في علم الرواية . حيدر آباد (١٣٥٧)

: الكفاية في علم الرواية ، طبعة عبد الحليم وعبد الرحمن حسن محمود ، القاهرة (١٩٧٢)

: تقييـــد العلـــم ، دمشق (١٩٤٩) ، طبعة يوسف العش

: تاريخ بغداد ، القاهرة (١٣٤٩/١٩٣١)

الخطابي : معالم السنن ، حلب ١٣٥١

الخولى ، محمد عبد العزيز : تاريخ فنون الحديث ، القاهرة (١٣٣٩ / ١٩٢١)

الخوارزمي ، محمد بن محمود : جامع مسانيد الامام الاعظم ، حيدر آباد (١٣٣٢)

الخولاني ، محمد بن يعقوب : الكافي (٨) اجزاء ، طهران (١٣٨١)

المحلي والسيوطي ، جلال الدين : تفسير القرآن العظيم ، القاهرة (١٣٤٢)

المحمصاني : فلسفة التشريع في الاسلام ، ليدن (١٩٦١)

المجلسي ، محمد بكير : بحار الانوار ، طهران (١٣٧٦)
المكي ابو طالب : قوت القلوب ، القاهرة (١٣١٠/١٨٩٣)
مكي ، موفق بن احمد : مناقب الامام الاعظم أبي حنيفة ، حيدر آباد (١٣٢١)
مالك بن أنس : الموطأ ، محمد فؤاد عبد الباقى ، القاهرة (١٣٧٠ / ١٩٥١)
المقري : نفح الطيب ، ليدن ، (١٨٥٥ - ١٨٦١)
المقريزي ، تقي الدين : امتاع الاسماع ، طبعة محمود شاكر . القاهرة (١٩٤١)
: خطط المقريزي ، بولاق (١٢٧٠)
المرزباني ، محمد بن عمران : معجم الشعراء ، القاهرة (١٣٧٩)
المسعودي ، ابو الحسن علي بن حسين بن علي : مروج الذهب ، طبعة محمد محي الدين عبد الحميد ، الثالثة القاهرة (١٣٧٧ / ١٩٥٨)
: التنبيه والاشراف ، ليدن (١٨٩٤)
المودودي ، ابو الأعلى : تفهيمات ، جزءان ، لاهور (١٩٤٩/١٩٥٥)
المبرد ، ابو العباس : الكامل في اللغة ، طبعة زكي مبارك . القاهرة (١٣٥٥ / ١٩٣٦)
المفضل ، ابن محمد الضبي : المفضليات ، طبعة شاكر وهارون ، القاهرة (١٩٤٢)
: ديوان المفضليات ، المترجم للانجليزية ، اكسفورد (١٩١٨)
المقدسي ، علي حساني : فتح الرحمان لطالب آيات القرآن ، بيروت (١٣٢٣)
مسلم بن الحجاج : صحيح مسلم ، طبعة شيخ محمد دهنى ، القاهرة (٤) أجزاء (١٣٧٧)

المنقي ، علي : كنز العمال ، حيدر آباد (١٣١٢-١٣١٤)
النسائي ، احمد بن شعيب : سنن النسائي (٨) أجزاء ، القاهرة (١٣٤٨/ ١٩٣٠)
ناصر الدين الأسد : مصادر الشعر الجاهلي وقيمتها التاريخية ، القاهرة (١٩٦٩)
النووي ، محي الدين : تهذيب الاسماء واللغات ، القاهرة ، بدون تاريخ
النعيمي ، عبد الرشيد : الإمام ابن ماجه وعلم الحديث ، كراتشي (١٣٧٦)
النعيمي ، شبلي : الفاروق ، جزءان ، لاهور ، بدون تاريخ
النويري ، شهاب الدين : نهاية الارب ، القاهرة (١٩٢٣/١٩٥٥)
القلقشندي ، احمد : صبح الاعشى ، القاهرة (١٣٣٨ / ١٩١٩)
القرشي ، عبد القادر : الجراهر المضنية في طبقات الحنفية ، حيدر آباد (١٣٣٢)
القاسمي ، محمد جمال الدين : قواعد التحديث ، دمشق (١٩٢٥)
القسطلاني ، احمد بن محمد : ارشاد الساري شرح صحيح البخاري ، القاهرة (١٣٢٣ - ١٣٢٧)
: المواهب اللدنية (٨) اجزاء ، القاهرة ١٣٢٤
الراغب الاصفهاني : المفردات في غريب القرآن ، القاهرة ١٣٢٤
: محاضرات الادباء ومحاورات الشعراء والبلغاء القاهرة (١٣٢٦)
الرامهرمزي ، حسن بن عبد الرحمن : المحدث الفاصل بين الراوي والواعي ، نسخة كوبريللي ، رقمها ٣٩٧ في اسطنبول
الرازي ، عبد الرحمن بن أبي حاتم : الجرح والتعديل . حيدر آباد (١٣٦٠ / ١٩٤١)
: مقدمة الجرح والتعديل ، حيدر آباد (١٣٧١/١٩٥٢)
الرازي ، ابو بكر محمد بن أبي بكر : مختار الصحاح ، القاهرة (١٣٦١/ ١٩٥٠)

رضا ، محمد رشيد : مجلة المنار ، القاهرة (١٨٩٨ - ١٩٣٥)
سحنون : المدونة الكبرى (١٦) جزء ، القاهرة (١٣٢٣)
السخاوي ، محمد بن عبد الرحمن : فتح المغيث ، لكنو (١٢٨٢)
: الاعلان بالتوبيخ لمن ذم التاريخ ، طبعة الدكتور صالح احمد بن على ، بغداد (١٣٨٢ / ١٩٦٣)
الصالح ، صبحي : علوم الحديث ومصطلحه ، الطبعة الرابعة بيروت (١٣٨٥ / ١٩٦٦)
السمعاني ، عبد الكريم بن محمد : أدب الإملاء والاستملاء ، ليدن (١٩٥٢)
: كتاب الانساب ، طبعة مرجليوث ، ليدن (١٩١٢)
الشافعي ، محمد بن ادريس : كتاب اختلاف الحديث ، القاهرة (١٣٢٥)
: جماع العلم ، طبعة احمد محمد شاكر ، القاهرة (١٣٥٩ / ١٩٤٠)
: المسند الشافعي ، طبعة محمد زاهد الكوثري القاهرة (١٣٧٠ / ١٩٥١)
: الرد على محمد بن الحسن الشيباني ، القاهرة (١٣٢٥)
: الرسالة ، طبعة آحمد محمد شاكر ، القاهرة (١٩٣٨)
: الأم ، القاهرة (١٣٢١)
الشهر ستاني ، أحمد : الملل والنحل ، القاهرة (١٣٨١ / ١٩٦١)
شلتوت ، محمود : الاسلام عقيدة وشريعة ، القاهرة ، بدون تاريخ
الشعراني ، عبد الوهاب : الميزان الكبرى ، القاهرة (١٣٤٤)
الشاطبي ، ابراهيم بن موسي : الاعتصام ، القاهرة (١٩١٣)
: الموافقات ، طبعة عبد الله دراز ، القاهرة ، بدون تاريخ

الشيباني ، محمد بن الحسن : كتاب الاثار ، لاهور (١٣٢٩)
: كتاب الحجج ، لكنو (١٨٨٨)
: الموطأ . ديوبند ، بدون تاريخ
: الموطأ ، لكنو (١٣٠٦)

السباعي ، مصطفي : السنة ومكانتها في التشريع الاسلامي ، القاهرة (١٣٨٠)

السجستاني ، ابن ابي داود : كتاب المصاحف ، طبعة : آرثر جفري ، القاهرة (١٣٥٥ / ١٩٣٦)

الصولي ، محمد بن يحي : أدب الكتاب ، طبعة بهجة الأثري ، القاهرة (١٣٤١)

السيوطي ، جلال الدين : حسن المحاضرة ، القاهرة (١٣٢٧)
: الاتقان في علوم القرآن ، القاهرة (١٣١٨ / ١٩٠٠)
: الشماريخ في علم التاريخ ، ليدن (١٣١٢ / ١٨٩٤)
: تدريب الراوي ، القاهرة (١٣٠٧/١٨٨٩)
: تبيض الصحيفة في مناقب الامام ابي حنيفة ، حيدر آباد (١٣٣٤)
: تنوير الحوالك ، شرح الموطأ مالك ، القاهرة (١٣٤٨)
: تاريخ الخلفاء ، طبعة محمد محي الدين عبد الحميد ، القاهرة (١٩٠٥)

السيوطي والمحلي ، جلال الدين : تفسير الجلالين ، القاهرة (١٣٤٢)

الطبري ، محمد بن جرير : تاريخ الرسل والملوك

(Annales) , Ed . M . J . De Goje . 15 vils . Leiden : Brill , E . J , 1879 - 1901 .

: اختلاف الفقهاء ، طبعة يوسف شاخت ، القاهرة (١٩٣٣)
: جامع البيان عن تأويل آي القرآن ، طبعة محمود محمد شاكر ، القاهرة (١٣٧٤ / ١٩٥٥)
: تفسير الطبري (٣٠) جزء ، القاهرة (١٩٥٤-١٩٦٠)
التهانوي ، محمد على : كتاب كشاف اصطلاحات الفنون ، كلكوتا (١٨٦٢)
طاش كبرى زاده : مفتاح السعادة ومصباح السيادة ، حيدر آباد ، (١٩١٠ - ١٩٣٧)
الطيالسي ، سليمان بن داود : مسند ، حيدر آباد (١٣٢١)
الثعالبي ، ابو منصور عبد الملك : لطائف المعارف ، طبعة ابراهيم الأبياري ، القاهرة (١٣٧٩ / ١٩٦٠)
التبريزي ، ابو زكريا يحي بن على : مرجع القصائد العشر ، طبعة محمد منير الدمشقي القاهرة (١٣٦٩ هـ)
الترمذي ، محمد بن عيسى : صحيح (جامع) الترمذي بشرح الامام ابن العربي (١٣) جزء ، القاهرة (١٣٥٠ هـ / ١٩٣١)
: شمائل الترمذي (مطبوع مع جامع الترمذي) لكنو . (١٣١٠ / ١٨٩٣)
عمري ، أكرم ضياء : بحوث في تاريخ السنة المشرفة ، بغداد ١٣٨٧/ ١٩٦٧
ولي الدين الكاتب : الإكمال في أسماء الرجال (مطبوع مع مشكاة المصابيح) كراتشي (١٣٥٠)
ولي الله ، شاه : إزالة الخيفة عن خليفة الخلفاء ، الهند (١٢٨٦)
: حجة الله البليغة ، كراتشي (١٣٠٢)

الواقدي ، محمد بن عمر : كتاب المغازي ، طبعة ڤون كريم كلكتا (١٨٥٦)
اليمني ، عبد الرحمن بن يحي : الأنوار الكاشفة ، القاهرة (١٣٧٨)
اليمني ، ابن الوزير : تنقيح الأنظار في علوم الآثار ، القاهرة (١٣٦٦)
اليعقوبي : تاريخ ، ليدن (١٨٨٣)
ياقوت ابن عبد الله : إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب (معجم الأدباء ، طبعجة مرجليوث ، ليدن ١٩٠٧ - ١٩٢٧)
الزبيدي ، محمد مرتضي : تاج العروس ، القاهرة بولاق (١٢٨٥-١٣٠٧)
الزمخشرى ، محمد بن عمر : الفائق ٣ أجزاء ، القاهرة (١٩٤٥)
: الكشاف ، القاهرة (١٣٥٤)
الزيلعي ، جمال الدين : نصب الراية ، القاهرة (١٣٥٧)
الزيات : تاريخ الأدب العربي ، القاهرة (١٩٥٣/١٣٥٤)
الزيات وزملاؤه : المعجم الوسيط ، القاهرة (١٩٦٠/١٣٨٠)
الزرقاني ، محمد بن عبد الباقي : مناهل العرفان في علوم القرآن ، القاهرة ، (١٣٧٢)
: شرح على المواهب اللادنية للقسطلاني (٨) أجزاء ، القاهرة (١٣٢٥ / ١٣٢٨)
: شرح الزرقاني على موطأ الإمام مالك (٤) أجزاء ، القاهرة (١٣٥٥ / ١٩٣٦)

* * *

مسرد المراجع الأجنبية

Abbott , Nabia : The Rise of the North Arabic Script and its Kuranic Development ; with a full description of the Kuranic Manuscripts in the Oriental Institute . Chicago : University of Chicago press , 1939 A . D .

Abbott , Nabia : Studies in Arabic Literary paoyri . 2 vols . Chicago: 1957 - 1967 A . D .

Aghnides , Nicolas P : Muhammedan Theories of Finance . 2 nd ed . Lahore: 1961 A . D .

Albright : From the Stone Age to Christianity : Monotheism and the Historical Process . Bal timore : 1940 A . D .

Baljo: Modern Muslim Koran Interpretation . Leiden : 1961 A . D .

Barq , Ghulam Jilani : Do Islam . 1302 A . H .

Barradi : Kitab al - Jawahir . Cairo : 1302 A . H .

Bell , Richad : Introduction to the Quran . Edinburgh · 1953 A . D .

Bravmann , M. M : The Spiritual Background of Early Islam : Studies in Ancient Arab Concepts . Leiden . E . J . Brill , 1972 A . D .

Brockelmann , Carl : Geschichte der arabischen Litteratur . 5 vols . Leiden : 1937 - 1949 A . D .

Browne , E . G : A Literary History of persis . 4 vols . London : 1902 - 1924 .

Coulson , N . J : A History of Islamic Law . Edinburgh : 1964 A . D.

Donaldson : Studies in Muslim Ethics . London : 1953 A . D .

Duri , A . A : " Al - Zuhri , A study on the beginnings of history writing in Islam " , Bulletin of the School of Oriental and African Studies , XIX , (1957) , 1-12 .

Elias , T . Olwale : The Mature of African Customary Law . 2 nd ed . Manchester : 1962 A . D .

Encyclopaedia Brittanica : 9 th ed . vol XXIII . Edinburgh : 1888 . ; 14 th ed . vols . vI , XVII . London : 1929 A . D .

Encyclopaedia of Islam : Ed . Martinus Theodorus . Houtsma et al . 4 vols . and supp . Leiden : 1913 - 1936 A . D .

Encyclopaedia of Islam : New Edition . Ed . Johannes Hendrik Kremers et al . 3 vols . Leiden : 1959 .

Encyclopaedia of Religion and Ethics : Ed . James Hastings et al . vol . IV . Edinburgh : 1911 A . D .

Fazlur Rahman : Islam . London : 1966 A . D .

Islamic Methodology in History . Karachi : 1965 A. D .

" Concepts sunnah , ijtihad and ijma in the early period , " Islamic Studies , I , No . I . pp . 5 - 21 .

" Sunnah . and Hadith , " Islamic Studies , I , No . 2. , pp . 1 - 36 .

" The post - formative developments in Islam , " Islamic Studies , I , No . 4 , pp . 1 - 23 .

Gairdner , X . H.T: " Mohammadan tradition and Gospel record , " Muslim World , V , (1915) , 349 - 379 .

Gerhardsson , Birger Memory and Manuscript . Upsala : 1961 A . D .

Churye , Kumud G : Preservation of Learned Tradition in India . Bombay : 1950 A . D .

Gibb , H . A . R : Modern Trends in Islam . chicago : 1947 A . D .

Mohammedanism . 2 nd ed . London : 1953 , A . D .

Gilani , Manazir Ahsan : Tadwin Hadith . karachi : 1375 / 1956 .

Goldziher , Ignaz : Muslim Studies . Ed . S . M . Stern . Trans . C . R . Barber and S . M . Stern . 2 vols . London : 1967 -1917 A . D . Translation of Muhammedanische Studien . 2 vols . Halle : 1889 - 1890 A . D .

A Short History of Classical Arabic Literature . Trans . J . Desomogyi . Hildesheim : 1966 A . D .

Grohmann , A : From the world of Arabic papyri . Cairo : 1952 A. D .

Grunebaum , Gustave E . Von : Medieval Islam : A Study in cultural Orientation . Chicago : 1946 A . D .

Guillaume , Alfred : Islam . Middlesex : 1962 A . D .

The Life of Muhammad : A Translation of Ishaqs Sirat Rasul Allah . London : 1955 A . D .

The Traditions of Islam . Oxford : 1924 A . D .

Hamidullah . M : The Muslim conduct of State . 3rd ed . Lahore : 1953 A . D .

Rasul Akram Ki Siyasi Zindigi . Karachi : 1380 A . H .

Hamidullah . M : " Administration of Justice in early Islam " , Islamic Culture , XI (1937) , 171 .

" Eductional system in the time of the prophet " , Islamic culture , XIII (1939) , 48 - 59 .

" Early History of the compilation of the Hadith " , Islamic Review , (1949) , 23 - 26 .

" The First Written constitution of the World " , Islamic Review (1941) , 296 - 303 , 334 - 340 , 377 - 384 , 442 - 449 .

Harding , G . Lamkester and Littmann , Enno : Some Thamudic Inscriptions from the Hashimite Kingdom of the Jordan . Leiden : E . J . Brill , 1952 A . D .

Harley , A . H : " The Musnad of Umar b . Abdi 'l - Aziz , " Journal and proceedings of the Asiatic Society of Bengal , New Series XX (1924) , 391 - 488 .

Horivitz , J : " The Earliest Biographies of the prophet and their Authors " ; Islamic Culture , I (1927) , 535 - 559 II (1928) , 22 - 50 , 164 - 182 , 495 - 526 .

Hourani , G. F : " The basis of authority of Consensus in Sunnite Islam " , Studia Islamica , XXI (1964) , 13 - 60 .

Hughes , Thomas patrick : A Dictionary of Islam . London : 1895 A . D .

Hurgronje , C. Snouck : Mohammadanism : Its Origin , Religious and political Growth and present State . New York : 1916 A. D .

	Selected works of C . Snouck Hurgronje . Trans . and Ed . G . H . Bousauet and J . Schacht . Leiden : Brill , 1957 A . D .
Inayatullah , Shaykh :	" Bibliophilism in Mediaeval Islam " , Islamic culture , XII (1938) , 154 - 169 .
Jeffery , Arthur (ed.) .	Two Muqaddimas to the Qur'anic Sciences . cairo : 1954 A . D .
	(ed) . A Reader on Islam . Hague : 1962 A . D .
John penrice :	Dictionary and Glossary of the koran . London : 1873 A . D .
Johnson , F . E .	(Trans) The Seven poems . Luzac & co . 1894 A . D .
Jones , Williams :	" On the Arabs " , Asiatic Researches . London : 1799 A . D .
Juynboll , G . H . A :	The Authenticity of the Tradition Literature : Discussion in Modern Egypt . Leiden : E . J . Brill , 1969 A . D .
Khushani , Abu Dharr b . Muhammad b . Mas ud :	Athar al-Lughat ai-Arabiyya , sharh As - Sirat an - Nabawiyya : Riwayat Ibn Hisham . Ed .·paule Bronnle under the title Monument of Arabic philology . 2 vols . cairo : 1329 / 1911 .
Kilgour , The Rev . R :	The Gospel in Many Years . 2nd ed . London : British and Foreign Bible Society , 1929 A . D .
Al - Kindi , Muhammad b . Yusuf :	Kitab al - Umara wa Kitab al - Qudat. Ed . Rhuvon Guest (" E . J . W . Gibb Memorial " Series XIX) . London : 1912 A . D .
Krenkow , F :	" The use of writing for the preservation of ancient Arabic poetry " A volume of Oriental Studies presented to professor E . G . Browne . cambridge: 1922 , pp . 261 - 268 .
	" The grant of land by Muhammad to Tamim ad-Dari , " Islamica , I (1925) , 529 - 532 .
Lammens , H :	Islam , Beliefs and Institutions . Trans . E . D . Ross . London : 1929 A . D .

Lane , E . W : Arabic - English Lexicon . Ed . Stanley Lane - poole . 8 vols . Edinburgh : 1863 - 1893 A . D .

Levy , Reuben : The Social Structure of Islam . 2nd ed . cambridge: 1957 A . D .

Lewis , Bernard : The Arabs in History . London : 1950 A . D .

Lewis , Bernard and Holt , P . M . (eds .) . Historians of the Middle East London : School of Oriental and African Studies, University of London, 1962 A . D .

Lowinger , Samuel and Somogyi , Joseph (eds). Ignace Goldziher Memorial Volume . 2 vols . Budapest : 1948 A . D .

Macdonald , Duncan B : Development of Muslim Theology , Jurisprudence and Constitutional Theory . 2nd ed . Lahore : 1960 A . D .

Majid Khadduri : Law of war and peace in Islam . London : 1940 A . D .

Majid Khadduri : Law in the Middle East . Washington : 1955 A . D .

Margoliout , D. s : The Early Development of Mohammedanism . London : 1914 A . D .

" Omar's Instructions to the kadi , " Journal of the Royal Asiatic Society , (1910) , 307 - 326 .

Mohammadanism . London : 1936 A . D .

Mohammed . Glasgow : 1939 A . D .

Muhammad and the Rise of Islam . New York : 1905 A . D .

" On Muslim Tradition , " Muslim world (1912) , 113 - 121 .

Masse . H : L'Islam . Trans . Bahij Sha ban under the title al - Islqm . Ed Mustafa Rafi and Muhammad Jawwad . Beirut : 1960 A . D .

Mawdudi , A : Sunnat Ki A'ini Haythiyat . Lahore : 1963 A . D .

Mez : The Renaissance of Islam . Trans . Khuda Bakhsh and D . S . Margoliouth . patna : India , 1937 A . D. (Translation of Die Renaissance Des Islams Heidelberg : 1922 A . D .) .

Mingana , A : An Important Manuscript of the Traditions of Bukhari cambridge : 1936 A . D .

Mufaddal b . Muhammad Ad-Dabbi : Diwan al - Mufaddaliyat . Trans . and Ed . Charles James Lyall . 3 vols . Oxford : 1918 - 1924 .

Muir, Sir William : The Life of Mahomet . 4 vols . London : 1861 A .D.

The Mohammedan controversy and other Indian Articles . Edinburgh : 1897 A . D .

Nicholson , R . A : A Literary History of the Arabs . Cambridge : 1962 A . D .

Obermann, Julian : " Political Theory in Early Islam : Hasam al - Basris's Treaties on Qadar , " Journal of the American Oriental Society , LV (1935) , 138 - 162 .

O'Leary, De Lacy: Arabia Before Muhammad . London : 1927 A . D .

Pearson, J . D. and Walsh (eds) . Index Islamicus . 6 vols . Cambridge and London : 1958 - 1973 A . D .

Pedersen, Johannes : The Scientific Work of Snouck Hurgronje . Leiden : Brill , 1957 A . D .

Petersen , Erling Ladewig : Ali and Mu awiya in early Arabic trabic tradition . Copenhagen : 1964 A . D .

Pickthal , Mohammed Marmaduke : The Meaning of the Glorious Koran . 3rd ed . London : 1952 A . D .

Ritter , Hellmut : " Studien zur Geschichte der islamischen Frommigkeit , " Der Islam , XXI (1933) , 67 - 82 .

Robson, J. (trans). Mishkat Al-Masabih . vol . I . Lahore : 1963 A . D .

Robson , J : " Standards aplied by Muslim traditionists , " Bulletin of the John Rylands Library . XLIII (1961) , 459 - 479 .

" Tradition : investigation and classification , " Muslim world , XLI (1951) , 98 - 112 .

" Tradition : the Second Foundation of Islam , " Muslim World , XLI (1951) , 22 - 33 .

" Muslim Traditions , the Question of Authenticity", Memoirs & proceedings of the Manchester Literary and

philosophical Society , XCIII (1951 - 52) , 84 - 102 .

" Traditions from individuals , " Journal of Semitic Studies , IX (1964) , 327 - 340 .

" The isnad in Muslim Tradition , " Glasgow University Oriental Society Transactions , XV (1953- 1954) , 15 - 26 .

" The Material of Tradition , " Muslim world , XLI (1951) , 166 - 180 , 257 - 270 .

A History of Muslim Historiography . Leiden : E . J. Brill , 1952 A . D .

Knowledge Triumphant. leiden. Brill, 1970 A.D. The Technioue and Approach of Muslim Scholarship. Rome. 1947 A.D.

Ruth, S. Mackensen : " Arabic Books and Libraries in the Umaiyad [eropd, " American Journal of Semitic languages and Literagures, Lii (1935 - 36), 245 - 253; IIII (1936 - 37), 239 - 250; Liv (1937), 4i - 6i; LVI (1939) , i49 - i57 .

Salisbury, Edward E : Contributions from Original Sources to our Knowledge of the science of Muslim Tradition," Journal of the American Oriental Society, VII (1862) , 60 - 14 2.

Schacht , Joseph : An Introduction to Islamic Law. Oxford. 1964 A.D. Origins of Muhammad Jurisprudence. Oxford. 1950 A.D. " A revalustion of Islamic traditions, " Journmal of the Rotal Asiatic Soviety, (1949) , i43 - 154.

Serjeant, R . B : " The " Constitution of Medina ", " Islamic Quarterly, VIII (1964), Nos. I & 2. pp. 3 - 16 .

Sezgin , Fuat : Ceschichte des arabischen Schrifttums. vol. I, Leiden.

Ash , shafi , i : Ar - Risala. Trans. and Ed. Majid Khadduri under the title Islamic Jurisprudence. Baltimore. 1961 A.D.

Shalaby, Ahmad : History of Muslim Eduction. Beirut. 1954 A.D.

Shorter Encyclopaedia of Islam : Ed. H.A.R. Gibb and j.H. Kramers. Leiden. 1961 A.D.

Siddiqi, Muhammad zubayr : Hadith Literature. Calcutta . 1961 A.D.

" As - sayt al - Hathith fi Tarikh Tadwin al - Hadith, " Mabahith , Ilmiyya. Hyderabad. 1939. A.D.

" The Services of the " Companions " of the prophet of Islam to his traditions. " Islamic Culture, XXXV (1961) , 130 - 135 .

" Islamic studies, Their significanvce and importance, " Islamic Culure, XXXV (1961), 217 - 223.

" The importance of Hadith as a source of Islamic law, " Studies in Islam, I, (1964) , 19 - 25 .

Sprenger , A : " Notes on Alfred von Kremer's edition of Waqidy's Campaigns, " Journal of the Asiatic Society of Bengal, XXV (1856) , 199 - 22O .

" On the Origin and progress of writing Down Historical Facts among the Musalmans, " Journal of the Asiatic Society of Bengal, XXV (1856), 303 - 329 , 376 - 381 .

Torrey, Charles Cutler : The jewish Foundation of Islam. New York. 1933 A.D.

Watt, William Montgomery : The Formative period of Islamic thought. Edinburgh. 1973 A.D.

islam and the Integration of Society . London : 1961 A.D.

Islamic philosophy and Theology. Edinburgh: 1962 A.D.

Muhammad at Mecca. Oxford. 1953 A.D.

Muhammad at Medina. Oxford : 1956 A.D.

Muhammad. prophet and Statesmsn. Oxford 1961 A.D.

Muslim Intellectual . A study of Al - ghazali Edinburgh: 1963 A.D.

" The Early Development of the Muslim Attitude to the Bible, " The Glasgw University Oriental Society Transaction, XVI (1955 - 1956) , 50 - 62 .

" Belief in a High God ' in pre - Islamic Mecca " , journal

of semitic studies, XVI (1971) , No. I, pp. 35 - 40.

Concordance et Indices de la Trdices de la Tradition Musulmane. 7 vols. Leiden: 1933 - 1970 A.D.

A Handbook of Farlt Muhammadan Tradition. Leiden : 1927 A.D.

Wensinck, A . J : The Muslim Creed. Cambridge: 1932 A.D.

History of Indian Literature. Calcutta : 1927 A.D.

Yusuf , S . M : " The sunnah - its transmission, development and revision, " Islamic Culture, XXXVII (1963) , 272 - 282, XXXVIII (1964) , 15 - 25 .

محتوى الكتاب
٤ – فهرس الفصول والموضوعات

الموضوع	رقم الصفحة
تقدمة الترجمة	٣ – ٤
إهداء الكتاب	٥
شكر وامتنان	٦
مقدمة الكتاب	٧– ١٠
القسم الأول	
دلالة السنة والحديث	١٣ – ٧٤
الفصل الأول : دلالات السُّنة	١٣
١ – الدلالة اللفظية لكلمة « سُنَّة »	١٤ – ٢٢
٢ – معنى السُّنة	٢٢ – ٣٥
أ – المعنى العملي إجمالاً أو الممارسة العملية بصفة عامة	٢٢ – ٢٤
ب – القوانين العرفية	٢٤ – ٢٩
جـ – البدعة	٢٩ – ٣٥
٣ – أنواع السُّنَّة	٣٥ – ٣٧
أ – سُنَّة القبيلة	٣٧ – ٤٠
ب – سُنَّة الله	٤٠ – ٤٧
جـ – سنة النبي	٤٧ – ٥٨
د – السنة المحلية	٥٨ – ٦٤
هـ – سنة المجتمع والسنة الإسلامية	٦٤ – ٧٣
و – السنة التشريعية	٧٣ – ٧٤
الفصل الثاني : دراسة دلالات لفظ الحديث	٧٥ – ١٤٦
١ – المعنى الحرفي للحديث	٧٥ – ٩٤
أ – جديد أو حديث	٧٥ – ٨٦
ب – الحديث أو فن السرد	٨٦ – ٩٤

٢ - المعنى الاصطلاحي للحديث ٩٤ -١٠٢
٣ - العلاقة بين الحديث والسنة ١٠٢-١١٠
٤ - مفهوم العلم في علاقته بالحديث ١١٠-١٢٤
أ - المعرفة بصفة عامة ١١١-١١٢
ب - المعرفة التاريخية ١١٢-١١٣
جـ - المعرفة الدينية والشرعية ١١٣-١١٦
د - العلم يعني الحديث ١١٦-١٢٣
٥ - الأثر والحديث ١٢٤-١٢٨
٦ - الحكمة والحديث ١٢٨-١٣١
٧ - الفقه والحديث ١٣١-١٣٦
٨ - المصطلحات الأخرى المتعلقة بالحديث ١٣٦-١٤٥
أ - الخبر ١٣٧-١٣٩
ب - الرأي ١٣٩-١٤٥
جـ - المثل ١٤٥-١٤٦

القسم الثاني

التوثيق المبكر للسنة والحديث ١٤٨-٥٩٠

تمهيد ١٤٨

الفصل الثالث

تقييد الحديث ١٥١-٢٣٥

١ - المدخل ١٥١-١٥٣
٢ - مكانة الكتابة العربية في مطلع الإسلام ١٥٣-١٥٨
٣ - السجلات المكتوبة لعرب ما قبل الإسلام ١٥٨-١٦٦
أ - الصحيفة ، والمجلة ، والروسم . ١٥٨-١٦١
ب - النصوص الدينية . ١٦١-١٦٥
* التوراة والإنجيل ١٦١-١٦٣
** كتاب دانيال . ١٦٣-١٦٥

*** كتاب أنوخ ١٦٥-١٦٥
ج - كتب أهل الحنيفية والصائبة ١٦٥-١٦٦
٤ - مزيد من الأدلة على معرفة المنطقة العربية للكتابة قبل الإسلام . ١٦٧-١٧٩
أ - مدراس ١٦٧-١٦٨
ب - كُتَّاب النبي ﷺ ١٦٨-١٦٩
ج - الكاتبات من النساء . ١٦٩-١٦٩
د - تدريس فن الكتابة ١٦٩-١٧٠
هـ - الكامل ١٧٠-١٧١
و - المعاهدات . ١٧١-١٧٢
ز - النقوش والكتابة بالنقش . ١٧٢-١٧٣
ح - الشعر ، وتاريخ مآثر الحرب ، وعلم أنساب القبيلة . ١٧٣-١٧٥
ط - الخطابات الشخصية . ١٧٥-١٧٥
ي - التسجيل بين حين وآخر . ١٧٥-١٧٩
٥ - مكانة الكتابة بعد الإسلام . ١٧٩-١٨٧
٦ - الكتابة والذاكرة . ١٨٧-٢١١
أ - الجدل حول الذاكرة والكتابة . ١٩٣-٢٠٣
ب - المؤيدون والمعارضون لكتابة الحديث . ٢٠٣-٢٠٩
جـ - أصل منشأ الجدل حول الكتابة والذاكرة . ٢٠٩-٢١١
٧ - بين مؤيدي تدوين الأحاديث ومعارضيه . ٢١١-٢٢١
أ - عينة من الأمثلة . ٢١٢-٢١٤
ب - التوافق . ٢١٤-٢١٩
* الحظر المؤقت ونظرية البطلان . ٢١٤-٢١٦
** الحظر على فئة من الناس فحسب . ٢١٦-٢١٧
*** حظر التدوين الرسمي . ٢١٧-٢١٨
**** حظر تسجيل القرآن والحديث على نفس الصحيفة . ٢١٨-٢١٩

ج - الغرض من كراهة الكتاب . ٢١٩-٢٢١
* المحافظة على نقاء النص القرآني ٩٩-٢٢٠
** عدم التنافس مع القرآن الكريم ٢٢٠-٢٢١
*** عدم إنصراف الناس عن القرآن الكريم . ٢٢١-٢٢١
٨ - صحة النصوص المقيدة للكتابة . ٢٢٢-٢٢٥
٩ - أسباب كراهة تدوين الحديث . ٢٢٥-٢٣٥
الفصل الرابع
نظرية التدوين المتأخر للحديث ٢٣٨-٣٠٧
أولاً : الأسس التي قامت عليها هذه النظرية ٢٣٨-٢٩٢
١ - منع النبي ﷺ من كتابة الأحاديث ٢٣٩-٢٣٩
٢ - حرق الصحف المكتوبة وإتلافها . ٢٣٩-٢٤٦
٣ - إساءة تفسير بعض المصطلحات وبعض الأقوال ٢٤٦-٢٨٩
- صحيفة ومصحف ٢٤٧-٢٧٠
- تحديث ، تدوين ، جمع ، رواية .. ٢٧-٢٨٩
أ - التحديث ومشتقاته ٢٧١-٢٧٥
ب - جمع ورواية ٢٧٥-٢٧٨
ج - أخبرنا ، ومصطلحات أخرى ٢٧٨-٢٨٠
د - ذكر ، وقال ٢٨٠-٢٨١
هـ - تدوين ، تصنيف ٢٨١-٢٨٥
و - أقوال عن رواة الحديث ، وأخرى خاصة بهم ٢٨٥-٢٨٩
٤ - وجهة نظر متحاملة على فترة الجاهلية ، وعصر الأمويين ٢٨٩-٢٩٢
ثانياً : كتابة الحديث في فجر الإسلام ٢٩٢-٣٠٧
١ - الكتابة بغرض الحفظ ٢٩٤-٢٩٥
٢ - الكتابة لباعث ديني وتشريعي ٢٩٥-٢٩٦
٣ - الكتابة لمعرفة السيرة النبوية ٢٩٦-٢٩٧
٤ - الكتابة العارضة للاستشهاد بالمراسلات ٢٩٧-٣٠٢

٥ - الكتابة للاستخدام الشخصي - أحاديث متفرقة ٣٠٢-٣٠٣
٦ - مادة كتابات النبي ﷺ الخاصة ٣٠٣-٣٠٣
٧ - الكتابة العارضة من طلاب الحديث ٣٠٣-٣٠٦
٨ - الكتابة المقصودة لصالح الأجيال القادمة - المجموعات الكبرى ٣٠٦-٣٠٦

ثالثاً : الخاتمة والنتيجة . ٣٠٧

الفصل الخامس : الكتابات المبكرة ٣١٠-٥٩٠

أولاً : مقدمة = أوعية الحديث ٣١٠-٣٦٣
أ - كتاب وصحيفة ٣١٨-٣٣٣
ب - نسخة ٣٣٣-٣٣٨
جـ - دفتر ٣٣٨-٣٤٤
د - قرطاس وطومار ٣٤٤-٣٥٢
هـ - جزء ٣٥٢-٣٥٨
و - كراسة ٣٥٨-٣٦١
هـ - مصطلحات وأوعية أخرى ٣٦١-٣٦٣
ثانياً : التدوينات الحقيقية ٣٦٤-٥٩٠
١ - التسجيل الرسمي أثناء حياة النبي ﷺ ٣٦٨-٤١٥
أ - القضايا المالية والشرعية ٣٦٩-٣٧٥
١ - كتاب الصدقة ٣٦٩-٣٧٠
٢ - قواعد الزكاة ومصطلحات قانونية في شكل كتب ٣٧٠-٣٧٥
ب - القضايا السياسية والإدارية ٣٧٥-٤١٢
١ - المعاهدات والمواثيق والاتفاقيات ٣٧٦-٣٨٥
٢ - العقود ، وقرارات العفو العام ، ومنح الأراضي ٣٨٥-٣٩٧
٣ - تعليمات إلى الموظفين المدنيين ٣٩٧-٤٠٠
٤ - كتب إلى القبائل ، ومشايخ القبائل ٤٠٠-٤٠٣
٥ - كتب إلى حكام الدول المجاورة ٤٠٣-٤١٠

٦ - الإحصاء ٤١٠-٤١٠
٧ - سجلات الحرب ٤١٠-٤١١
٨ - قائمة بأسماء الرسل والسفراء ٤١١-٤١٢
جـ - الشئون التجارية والمعاملات الأخرى ٤١٢-٤١٣
د - أحاديث المناسبات ، وأحاديث متفرقة ٤١٣-٤١٥
٢ - التسجيلات غير الرسمية ٤١٥-٥٩٠
أ - صحيفة ونسخة الصحابة والتابعين ٤١٦-٥٠٠
ب - سجلات مكتوبة أخرى خاصة بالصحابة ٥٠٠-٥٤١
جـ - سجلات أخرى مكتوبة خاصة بالتابعين والعلماء الأوائل ٥٤١-٥٩٠
المحتوى ٥٩١-٥٩٢
١ - فهرس المختصرات للمراجع الأجنبية المذكورة في الحواشي ٥٩٣-٥٩٤
٢ - فهرس المصادر العربية ٥٩٥
٣ - فهرس المراجع الأجنبية ٦١٣
٤ - فهرس محتويات وفصول الكتاب ٦٢٢
نبذة عن مؤلف الكتاب ٦٢٩

لمحة عن مؤلف الكتاب باللغة الإنجليزية

البروفيسور الدكتور امتياز أحمد

عميد كلية المعارف الإسلامية - جامعة كراتشي

مدير مركز الشيخ زايد الإسلامي في جامعة كراتشي

* ولد عام (١٩٣٩)

* تخرج في جامعة إله آباد في الهند سنة ١٩٥٧ حيث حصل منها على شهادات البكالوريوس والـ : M . A بالإضافة إلى إجازة في القانون في نفس الجامعة .

* انتقل عام (١٩٦٠) إلى جامعة كراتشي ، وعمل كباحث في مجمع البحوث الإسلامية بها ، ثم كأستاذ في قسم العلوم الإسلامية .

* نال درجة الدكتوراة في الفلسفة عن هذا البحث من جامعة ادنبرة باسكوتلندا ، لعام (١٩٧٤) .

* يجيد عدة لغات منها : العربية ، والإنجليزية ، والأوردية ، والفارسية ، والمالاوية .

* شارك في العديد من الندوات والمؤتمرات الدولية في باكستان ، ومصر ، وماليزيا ، والعراق ، وتونس ، وتركيا ، والهند .

رقم الإيداع بدار الكتب ٢٥٩٩ / ١٩٩٠

مطابع الوفاء - المنصورة

شارع الإمام محمد عبده المواجه لكلية الآداب

ت : ٣٤٢٧٧٢١ - ص.ب : ٢٣٠

تلكس : ٢٤٠٠٤ DWFA UN